حدائق الحقائق

في شرح نهج البلاغة

الجزء الأول

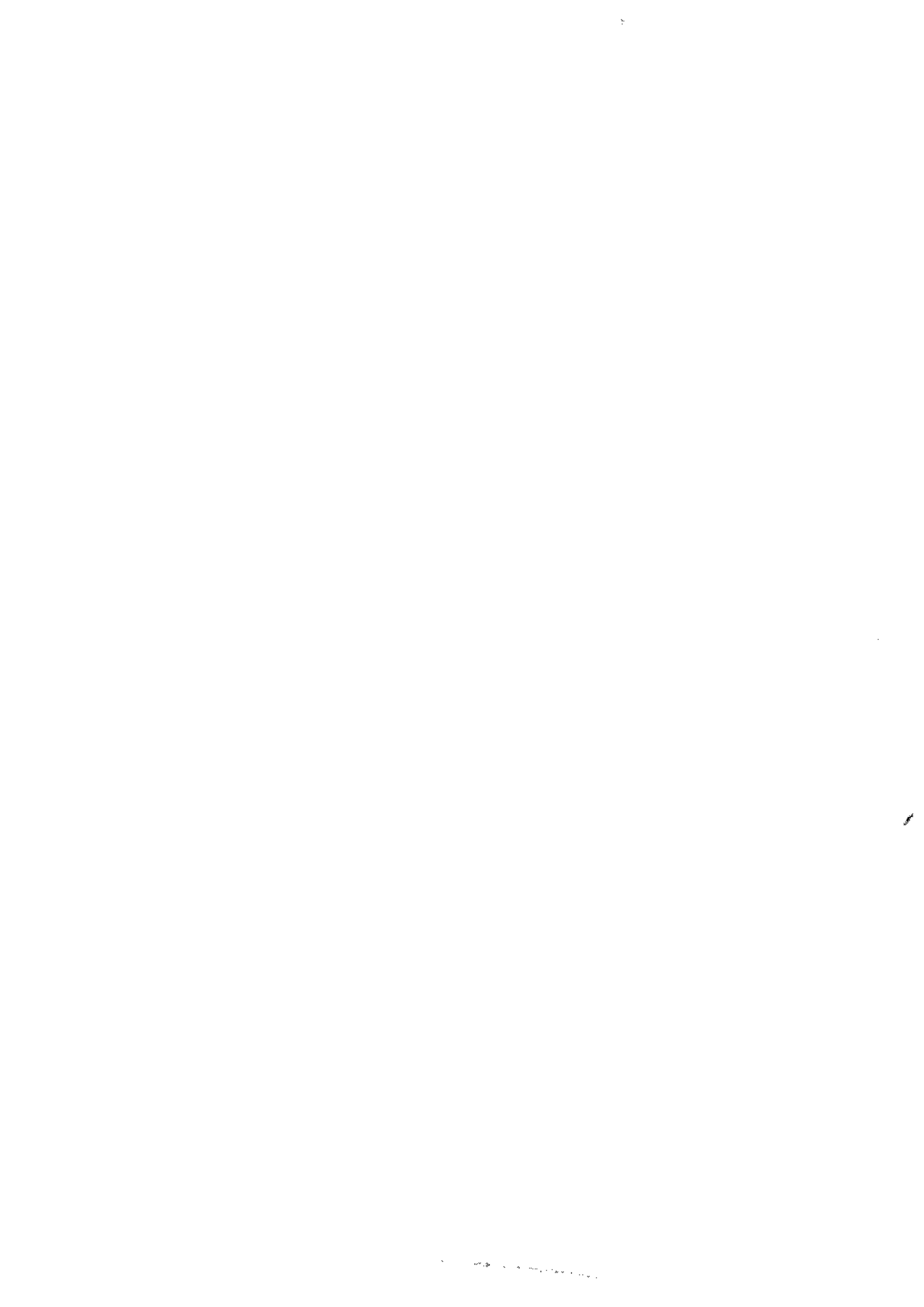
للعلامة قطب الدين الكيذري البيهقي

من أعلام القرن السادس

تحقيق

الشيخ عزيز الله العطاردي











في شرح نهج البلاغة

الجزء الأول

للعلاّمة قطب الدين الكيذري البيهقي

من أعلام القرن السادس

تحقيق

الشيخ عزيز الله العطاردي

مؤسسة نهج البلاغة نشر عطارد

حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة المجلد الاول
للشيخ أبي محمدبن الحسين بن الحسن البيهقي (قطب الدين الكيذري)
تحقيق و تصحيح: الشيخ عزيزالله العطاردي
المطبعة : اعتماد ـ قم
الطبعة الاولى: ذوالحجّة: ١٤١٦ ق ـ ارديبهشت ١٣٧٥ ش
الكمية : ١٠٠٠ عدد

طهران: شارع كريم خان ـ شارع نجات اللّهى ـ شارع افشين ـ الرقم ٨
الهاتف: ٨٩٥٦٧٠ـ ٨٩٩٨٦٢ـ ٠٢١ ـ ص . ب:٦٣٥ـ١١٣٦٥
قم: شارع حجّت ـ الهاتف: ٧٤٢٥٩٤ـ٠٢٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي هدانا إلى مناهج الايمان والاسلام وأرشدنا إلى معالم الحلال والحرام وبين لنا السنن والاحكام والصلوة والسلام على نبينا نبي الرحمة وعلى آله أهل البلاغة والفصاحة.

اما بعد! فان كتاب نهج البلاغة مجموع انتخبه الشريف أبوالحسن محمد بن الحسين الموسوي المعروف بالسيد الرضي رضوان الله عليه من كلام الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وجعله على ثلاثة ابواب:

الرسائل - الخطب - والحكم في الآداب والمواعظ.

هذا الكتاب الشريف أشرف الكتب بعد كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله. وهو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين وأفضل الكلام وأفصحه وأنفعه وأرفعه وهذا واضح لمن تأمل في الكتاب وتفكر في ألفاظه ومعانيه.

نهج البلاغة كتاب جامع للمعارف الالهية والأسرار النبوية والأحكام الاسلامية والقواعد السياسية يستفيد منه الحكيم الالهي والفقيه الرباني والواعظ الصمداني والمصلح السياسي. وفيه آداب الحرب وتنظيم العساكر

والجيوش. وردت فيه. مواعظ شافية للمتعظين وآداب للعارفين وترغيب للعابدين وتحذير للمنافقين وتخويف للأمراء والسلاطين. وارشادهم في الحلم وبسط العدل للمسلمين. وكظم الغيظ والعفو عن المجرمين.

من نظر في نهج البلاغة وتعمق في خطبه ورسائله يرى نفسه مع خطيب وأمير الهي تارة يتكلم في التوحيد. ويبحث عن اسرار الكائنات ويكشف غوامض المسائل ويشرح مكنون العلم وتارة يتكلم عن النبوة وصفات الانبياء عليهم السلام والأولياء. وأخرى يتكلم عن العباد والزهاد وصفات المتقين وآونة عن فنون الحرب والجهاد مع الاعداء في الغزوات ومقارعة الابطال ومصارعة الشجعان وحيناً يعظ الناس ويحذرهم من الدنيا وزينتها ويرغبهم بالآخرة ونعيمها.

كلمات العلماء حول النهج

قال الراوندي: كنت قديما شرحت الخطبة الأولى من نهج البلاغة بالاطناب وكشفت بيان جميع ما فيه من أنواع العلوم التي أومأ اليها بالاسهاب وهو كلام عند أهل الفطنة والنظر دون كلام الله وكلام رسوله وفوق كلام البشر.

واضح مناره مشرقة آثاره ولا يُستبعد في هذا الدهر ان يلتبس شيء من مشكلاته على من يقتبس اما من الفاظه الغرائب او معانيه العجائب فعزمت على شرح جميع الكتاب مستعينا بالله على وجه الصواب وان استخرج مكنونه واستكشف مخزونه (١).

قال ابن الحديد: وأما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة (٢).

قال عبدالحميد بن يحيىٰ: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت، قال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزا لا يزيده الانفاق

---

١ ـــ شرح الراوندي مخطوط .

إلا سعة وكثرة حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب[١] .

قال في اعلام نهج البلاغة:

لله درك يا نهج البلاغة من * نهج نجا من مهاوي الغي سالكه
أودعت زهر نجوم ضل منكرها * وحاد عن جدد غيا مسالكه
لأنت در ويالله ناظمه * لأنت نضر ويالله سابكه[٢]

قال الشيخ عبدالحسين الأميني - رضوان الله عليه: نهج البلاغة كان يهتم بحفظه حملة العلم والحديث في العصور المتقادمة حتى اليوم ويتبركون بذلك كحفظ القرآن الشريف وعدّ من حفظته في قرب عهد المؤلف القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد القاساني فانه كان يكتب نهج البلاغة من حفظه وكذا حفظه ابو عبدالله الفارقي المتوفى سنة ٥٦٤[٣] .

قال الشيخ آغا بزرك الطهراني: قدس الله سره، نهج البلاغة هو كالشمس الطالعة في رائعة النهار في الظهور وعلو الشأن والقدر وارتفاع المحل قد جعلت رؤيتها لجميع الناس مرأى واحداً لا تخفى على احد فيقبح من العاقل البصير سؤال ماهي الشمس الطالعة وهي مما يقتبس من اشراق نورها كافة الكائنات في البر والبحر.

كذلك النهج قد طبقت شهرته الشرق والغرب ونشر خبره في أوساط الخافقين ويتنور من تعليمات النهج جميع افراد البشر لصدوره عن باب معدن الوحي الالهي فهو تلو القرآن الكريم في التبليغ والتعليم وفيه دواء كل عليل وسقيم ودستور للعمل بموجبات سعادة الدنيا وسيادة دارالنعيم وقد قيل فيه:

نهج البلاغة نهج العلم والعمل * فاسلكه ياصاح تبلغ غاية الأمل[٤]

قال السيد عبدالزهراء الحسيني: كنت مولعا بكتاب نهج البلاغة منذ

١ــ شرح نهج البلاغة: ٢٤/١ .
٢ــ اعلام النهج مخطوط .
٣ــ الغدير: ١٨٩/٤ .
٤ــ الذريعة: ١١١/١٤ .

حداثة سني أجعله سمير وحدتي وأنيس وحشتي استظهر فصولا من خطبه وأحفظ قطعاً من رسائله وألتقط درراً من حكمه وكان هذا الولع يتضاعف كلما اتسعت مداركي وتضاعفت معلوماتي ومن أجل ذلك أنخت عن كلّ ما يتعلق به وما كتب حوله[١].

قال صبحي صالح: لابد لدارس نهج البلاغة ان يلم بهذه الوقائع. التاريخية ولو من خلال لمحة خاطفة عجلى ليعرف السر في غروب شمس الخلافة الراشدة بين المسلمين الاولين الذين استروحوا شذا النبوة ونعموا بظلالها الوارفة واستناروا بما يلوح من أضوائها الباقية.

لابد لدارس النهج ان يلم بهذه الحقائق ليرىٰ رأي العين كيف تحولت هذه الخلافة الراشدة الىٰ ملك عضوض وكيف اشعلت من أجلها الحروب الطاحنة وأثخنت الأمة في سبيلها بالجراح الدامية واصيب مقتلها بمصرع امام الهدىٰ علي كرم الله وجهه.

ثم لابد لدارس النهج أن يكون لنفسه صورة حقيقية عن تلك الحقبة من تاريخ المسلمين ليستنبط البواعث النفسية التي حملت علياً على الاكثار في خطبه من النقد والتعريض والعتاب والتقريع والتذمر والشكوى فقد عاندته الايام وعجت خلافته عجيجا بالاحداث المريرة وخابت آماله في تحقيق الاصلاح[٢].

قال الهادي كاشف الغطاء: ان نهج البلاغة من كلام مولانا امير المؤمنين وامام الموحدين باب مدينة العلم علي بن ابي طالب عليه السلام من اعظم الكتب الاسلامية شأناً وأرفعها قدراً وأجمعها محاسن وأعلاها منازل، نور لمن استضاء به ونجاة لمن تمسك بعراه وبرهان لمن اعتمده ولب لمن تدبره،

١ــ مصادر النهج ١/١٥.

٢ــ مقدمة النهج صبحي صالح.

أقواله فصل وأحكامه عدل حاجة العالم والمتعلم وبغية الراغب والزاهد وبلغة السائس والمسوس ومنية المحارب والمسالم، والجندي والقائد.

فيه من الكلام في التوحيد والعدل ومكارم الشيم ومحاسن الاخلاق والترغيب والترهيب والوعظ والتحذير وحقوق الراعي والرعية واصول المدنية الحقة وما ينقع الغلة ويزيل العلة لم تعرف المباحث الكلامية إلا منه ولم يكن إلا عيالا عليه فهو قدوة فطاحلها وإمام أفضلها[١].

قال محمد محيي الدين: نهج البلاغة هو الكتاب الذي جمع بين دفيته عيون البلاغة وفنونها وتهيأت به للناظر فيه اسباب الفصاحة ودنا منه قطوفها اذ كان من كلام أفصح الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منطقاً وأشدهم اقتداراً وأبرعهم حجة وأملكهم للغة.

يدبرها كيف شاء الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه والخطيب الذي يملأ القلب سحر لسانه العالم الذي تهيأ له من خلاط الرسول وكتابة الوحي والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حداثته مالم يتهيأ لاحد سواه[٢].

قال الاستاذ امتياز علي خان العرشي: يعد كتاب نهج البلاغة من الكتب التي لها اسمى مكانة في الأدب العربي وهو يحتوي علىٰ نخبة من خطب سيدنا علي بن ابي طالب ورسائله وحكمه ومما يضاعف الكتاب اهمية ان علي بن ابي طالب كان على بلاغته المبتكرة أحد الخلفاء الراشدين أو إماماً معصوماً عن طائفة من المسلمين[٣].

قال الشيخ محمد عبده: فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع علىٰ كتاب نهج البلاغة مصادفة بلا تعمل أصبته على تغير حال وتبلبل بال، وتزاحم أشغال وعطلة من أعمال، فحسبته تسلية وحيلة للتخلية فتصفحت بعض

---

١ ــ مستدرك النهج : ٣.

٢ ــ مقدمة النهج عبده.

٣ ــ استناد نهج البلاغة : ٢.

صفحاته وتأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفات ومواضع متفرقات فكان يخيل لي في كل مقام أن حروبا شبت، وغارات شنت، وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة وأنَّ للاوهام عرامة، وللريب دعارة وأن جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الابلج والقويم الاملج.

ان مدبر تلك الدولة وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب كنت كلما انتقلت من موضع الىٰ موضع، أحس بتغير المشاهد وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواحاً عالية في حلل من العبارات الزاهية.

وطوراً كانت تنكشف لي الجمل عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة. وأرواح في اشباح النمور ومخالب النسور، قد تحفزت للوثاب، ثم انقضت للاختلاب. فخلبت القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون مرماها، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء.

أحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً، لايشبه خلقا جسدانياً، فصل عن الموكب الالهي واتصل بالروح الانساني فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسما به إلى الملكوت الاعلىٰ ونما به إلى مشهد النور الأجلى، وسكن به الىٰ عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس.

آنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الحكمة، وأولياء أمر الأمة، يعرفهم مواقع الصواب، ويبصرهم مواضع الارتياب، يحذرهم مزالق الاضطراب ويرشدهم الىٰ دقائق السياسة ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم الىٰ منصّات الرئاسة ويصعدهم شرف التدبير ويشرف بهم علىٰ حسن المصير.

ذلك الكتاب الجليل، هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي -

رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، جمع متفرقه وسماه بهذا الاسم نهج البلاغة ولا أعلم اسما أليق بالدلالة علىٰ معناه منه، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته ما أتى به صاحب الاختيار[١].

كلمات الباحثين عن نهج البلاغة في هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.

* * *

موضوعات نهج البلاغة:

ان أميرالمؤمنين عليه السلام ذكر في خطبه ورسائله وعهوده ما تحتاج الامة الاسلامية في أمر دينهم ودنياهم وما يرشدهم إلى السعادة الأبدية ويهديهم الىٰ الفوز في الدنيا والآخرة ويجنبهم من ارتكاب الذنوب والآثام ويحذرهم عن المعاصي والشهوات والحرام.

جاء في الخطب والرسائل، ابواب التوحيد، والنبوة وصفات الانبياء والتعليم والارشاد، والنصح والنقد والتعريض، والتقريع والزهد في الدنيا وتعريف صفات الاولياء، الاشقياء والمنافقين والجهاد مع الكفار وآداب الحروب والانذار والتخويف والتحذير من الفتن.

المناظرة والسياسات والابتهال والدعاء... والشكوى والتضرع والوصف والدقة، والمناقب والفضائل والبلدان وخصوصياتها والوصايا والمواعظ، والترغيب والترهيب والعدل والاحسان والترحم والشفقة.

الخراج والاموال والجنود والعساكر وحقوق الرعية وحقوق الراعي وحقوق

---

١ ــ مقدمة النهج عبده.

الفقراء علىٰ الاغنياء وحقوق أهل البيت والوصية والوراثة والهجرة والوحي والعلم والعلماء والطاووس والنملة والخفاش والبعوض والصحابة والصلوة والحج والاسلام والتقوىٰ .

اجازات نهج البلاغة:

قد روى كتاب النهج عدة من العلماء عن السيد الرضي ـ رضوان الله عليه ـ وكان المؤلف يقرأه على تلامذته، ونحن نذكر هنا أسماء الرواة الذين جاء ذكرهم في شروح نهج البلاغة ومعاجم الشيوخ ورجال الحديث .

١ ـ السيدة النقية بنت السيد الشريف المرتضى عن عمها الشريف الرضي، قال عبدالرحيم البغدادي المعروف بابن الاخوة: قالت بنت المرتضىٰ قرأ عليّ عمّي نهج البلاغة .

٢ ـ أبو منصور العكبري، قرأ نهج البلاغة علىٰ السيد الرضي وروى عنه، قال الراوندي أخبرنا أبو نصر الغاري عن أبي منصور العكبري عن الرضي .

٣ ـ عبدالكريم بن محمد الديباجي المعروف بسبط بشر الحافي احد رواة نهج البلاغة قال: قرأ علي السيد الرضي النهج وسمعته منه قال الراوندي اخبرنا ابن الاخوة عن أبي الفضل التافلي عنه عن السيد الرضي .

٤ ـ محمد بن علي الحلواني روى كتاب النهج عن الرضي قال الراوندي أخبرنا السيد أبوالصمصام ذوالفقار بن محمد بن معبد الحسيني عن الحلواني عن الشريف الرضي .

٥ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي روى نهج البلاغة عن الشريف الرضي قال الراوندي أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن محسن الحلبي عن الطوسي عن الرضي[1] .

١ ـ شرح النهج البلاغة للراوندي .

٦ــ محمد بن همام البغدادي من تلامذة السيد الرضي روى نهج البلاغة عن استاذه روى أبوالحسن علي بن زيد البيهقي بطريقه عنه .

٧ــ جعفر بن محمد الطرشتي الرازي الفقيه المحدث روى نهج البلاغة عن السيد الرضي روى البيهقي عن أبيه عن الحسن بن يعقوب عن جعفر بن محمد عن الشريف الرضي قال أبوالحسن البيهقي في شرحه علىٰ النهج وقد رأيت اجازة الشيخ جعفر بخطه عند أبي وخط الشيخ جعفر شاهد لي [١] .

٨ــ محمد بن علي بن أحمد بن بندار روى عنه أبو عبدالله الحسين كتاب النهج في سنة ٤٩٩ .

٩ــ علي بن فضل الله الحسيني روى عنه كتاب النهج علي بن محمد بن حسين المتطبب في سنة ٥٨٩ .

١٠ــ نجيب الدين يحيى بن احمد الحلي روى عنه السيد عزالدين حسن بن علي المعروف بابن ابرز سنة ٧٤١ .

١١ــ الحسن بن يوسف جمال الدين المعروف بالعلامة الحلي أجاز رواية النهج في سنة ٧٢٣ وهو من شراح النهج .

١٢ــ فخر الدين محمد بن الحسن الحلي روى عنه ابن مظاهر نهج البلاغة في سنة ٧٤١ .

١٣ــ محمد بن الحسين بن أبي الرضا العلوي روى عنه جمال الدين بن أبي المعالي كتاب نهج البلاغة في سنة ٧٣٠ .

١٤ــ محمد بن مكي الشهيد الاول روى عنه ابن نجدة كتاب نهج البلاغة في سنة ٧٧٠ .

١٥ــ علي بن محمد البياضي مؤلف الصراط المستقيم روى عنه ناصر

١ــ شرح نهج البلاغة للبيهقي .

بن ابراهيم الاحساوي كتاب نهج البلاغة في سنة ٨٥٢.

١٦ــ الشيخ علي الكركي المحقق روى عنه المولى حسين الاسترآبادي والشيخ ابراهيم كتاب النهج في سنة ٩٠٧.

١٧ــ الشيخ الشهيد زين الدين العاملي روى عنه الشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي كتاب نهج البلاغة في سنة ٩٤١.

١٨ــ الشيخ حسن بن زين الدين العاملي روى عنه تلامذته كتاب النهج.

١٩ــ الشيخ محمد تقي المجلسي روى عنه ولده المجلسي محمد باقر كتاب نهج البلاغة في سنة ١٠٦٢.

٢٠ــ الشيخ صالح بن عبدالكريم روى عنه محمد هادي الشولستاني كتاب النهج في سنة ١٠٨٠.

٢١ــ احمد بن نعمة الله بن خاتون روى عنه المولى عبدالله التستري في سنة ٩٨٨[١]

* * *

شبهات حول النهج:

وردت شبهات حول نهج البلاغة ومطاويه من قبل جماعة من العلماء قديما وحديثا وهذه الشبهات صدرت منهم عن العصبية وعدم الاطلاع عن حقيقة الأمر ونحن نذكر هنا كلمات المخالفين وعقائدهم حول النهج.

اول من فتح باب الاعتراض وشك في انتساب خطب النهج الى أميرالمؤمنين عليه السلام وهو ابن خلكان في كتاب وفيات الاعيان واخطأ

---

١ ــ ذكرنا هذه الشروح وغيرها وحققناها في كتابنا أمير المؤمنين ونهج البلاغة بالفارسية.

أيضاً في نسبة الكتاب الىٰ السيد المرتضىٰ وتبعه في ذلك الذهبي وابن حجر.

قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضى، وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل هو جمعه أم جمع اخيه الرضي وقد قيل انه ليس من كلام علي وإنما الذي جمعه نسبه اليه هو الذي وضعه والله اعلم[١].

هذا كلام ابن خلكان فيعلم منه بالصراحة انه لم يطالع النهج وكذا ساير مؤلفات السيد الرضي لأن من عرف حياة السيد الرضي وآثاره علم أن نهج البلاغة من تأليفاته لا تأليف أخيه المرتضى، لان السيد الرضي في موارد كثيرة من نهج البلاغة يقول في ترجمة بعض الكلمات، قال الرضي كذا وهذا واضح لمن يعرف نهج البلاغة.

يظهر من كلام ابن خلكان أنه لم يقطع بان نهج البلاغة لم يكن من كلام علي وانما نسبه الىٰ قيل ومعلوم ان هذا ليس معتقده وفي آخر كلامه خلص نفسه وقال: والله اعلم، يعنى هذا الكتاب مورد اختلاف والله يعلم حقيقة الأمر.

قال الذهبي: علي بن الحسين الموسوي الشريف المرتضىٰ المعتزلي صاحب التصانيف مات سنة ٤٣٠ عن ثمانين سنة وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة وله مشاركة قوية في العلوم ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بانه مكذوب علىٰ أميرالمؤمنين رضي الله عنه[٢].

يظهر أيضاً من كلمات الذهبي أنه لم يراجع نهج البلاغة والا لم ينسبه الىٰ السيد المرتضىٰ والعجب من الذهبي كيف اتهم المرتضىٰ رضوان الله

١ــ وفيات الاعيان: ٣/٣.

٢ــ ميزان الاعتدال: ١٢٤/٣ ولسان الميزان: ٢٢٣/٤.

عليه وكذا اخوه الرضي في كلام ابن حجر يكون متهماً بوضع نهج البلاغة ونسبته الىٰ الامام اميرالمؤمنين عليه السلام ولو طالعا نهج البلاغة وتعمقا فيه لما صدر منهم هذا الافتراء علىٰ الشريفين المرتضىٰ والرضي. وهما رضوان الله عليهما في مكان عال من القداسة والديانة والعلم والفضيلة.

معلوم أن الذهبي رأىٰ في نهج البلاغة بعض الكلمات التي ألقاها أميرالمؤمنين عليه السلام علىٰ أصحابه مثل الخطبة الشقشقية وأمثالها وعلم أن هذه الالفاظ مخالف لما يعتقده فلهذه حمل علىٰ السيد المرتضىٰ رضوان الله عليه بأنه وضع هذه الخطبة ونسبها الىٰ أميرالمؤمنين، ونحن نذكر هنا اسناد، الخطبة الشقشقية في الكتب التي الفت قبل الرضي مؤلف نهج البلاغة.

١ ـــ أبو جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي القمي من علماء الشيعة المتوفى سنة ٢٧٤ ذكر هذه الخطبة في كتاب المحاسن.

٢ ـــ ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي المتوفى سنة ٢٨٣، ذكر هذه الخطبة في كتاب الغارات.

٣ ـــ عبدالله بن محمود الكعبي البلخي المعتزلي المتوفى سنة ٣١٩ ذكر الخطبة في كتابه.

٤ ـــ أبو علي محمد بن عبدالوهاب الجبائي البصري المعتزلي المتوفى سنة ٣٠٣ روى هذه الخطبة.

٥ ـــ محمد بن عبدالرحمان أبو جعفر بن قبة الرازي المتكلم الشيعي تلميذ أبي القاسم البلخي روى في كتابه الخطبة الشقشقية.

٦ ـــ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي المشهور بالشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ روى هذه الخطبة في كتابه معاني الاخبار وعلل الشرايع.

٧ ـــ أبو عبدالله بن النعمان استاذ السيد الرضي روى هذه الخطبة في

كتاب الارشاد[١].

قال ابن أبي الحديد في شرحه علىٰ النهج: حدثني شيخي أبوالخير مصدق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة قال قرأت علىٰ الشيخ أبي محمد عبدالله بن احمد المعروف بابن الخشاب وكان صاحب دعابة وهزل قال فقلت له: أتقول انها منحولة، فقال لا والله، واني لأعلم انها كلامه كما اعلم انك مصدق.

قال فقلت له: ان كثيراً من الناس يقولون انها من كلام الرضي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ فقال أنّىٰ للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الاسلوب قد وقفنا علىٰ رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور وما يقع مع هذا الكلام في خل ولاخمر.

ثم قال والله لقد وقفت علىٰ هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق النقيب أبو احمد والد الرضي[٢].

قال الاستاذ العرشي: ان اكثر الخطب عرضة للنقد والايراد في نهج البلاغة هي الخطبة المعروفة بالشقشقية ذكر فيها أميرالمؤمنين تاريخ الخلافة، وشكا بأن أُولي الامر أعرضوا عنه مع انه احق الناس بالخلافة.

لكنه اصطبر علىٰ هذا العدوان حتىٰ اصر عليه الناس مرة رابعة بان يتحمل اعباء الخلافة بيد انه خالفه بعض الناس بعد البيعة ونشبت الحرب بين المسلمين، فلو لم يكن انصاره ولو لم يأمر الله بنصرة المظلوم لطوى كشحه عن الخلافة[٣].

فظهر بما نقلناه أن هذه الخطبة نقلها الحفاظ والمحدثون في كتبهم قبل أن يولد الرضي، وكذلك سائر الخطب والرسائل، ومن أراد الاطلاع فليراجع

---

١ ـ استناد نهج البلاغة للعرشي.

٢ ـ استناد نهج البلاغة.

٣ ـ استناد نهج البلاغة.

مصادر نهج للعلامة، السيّد عبدالزهراء الحسيني واستناد نهج للاستاذ امتياز علي العرشي الهندي ـ رحمه الله ـ.

* * *

علم الغيب في نهج البلاغة:

قال المعترض: ان في نهج البلاغة كلمات تدل على ان صاحبه يعلم الغيب ويخبر عن الحوادث قبل وقوعها كغرق البصرة وخرابها، وظهور الاتراك والمغول وغلبة معاوية وبني امية علىٰ البلاد وولاية الحجاج الثقفي علىٰ العراق وغيرها.

علم الغيب والاخبار عن الحوادث الآتية مختص بالله تعالىٰ ولايعلم الغيب الا هو ولما كان في نهج البلاغة عبارات تتضمن علم الغيب فمعلوم أن هذا الكتاب مصنوع منسوب الىٰ الامام علي بن أبي طالب.

فنقول في جواب المعترض قد جاء في القرآن العظيم، في موارد كثيرة ذكر الغيب، قال الله تعالىٰ: الذين يؤمنون بالغيب، وقال: عالم الغيب، وقال: عالم الغيب والشهادة، وقال: أعنده علم الغيب فهو يرى، وقال: ولله غيب السموات والارض وقال وعنده مفاتح الغيب وغيرها من الايات الشريفة.

قال في سورة الجن: ولايظهر علىٰ غيبه احد الا من ارتضىٰ من رسول، يظهر من هذه الاية الشريفة ان الله تعالىٰ يطلع رسوله عن الغيب هذا عيسى بن مريم سلام الله عليه كما جاء في القرآن يقول. انبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم، أليس هذا علم الغيب.

قال نبينا محمد صلىٰ الله عليه وآله لبنته فاطمة: انتِ اول من تلحق بي، وقال: ان امتي يختلفون بعدي، وقال لأميرالمؤمنين عليه السلام تقاتل من

بعدي الناكثين والمارقين والقاسطين، وقال لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك ضياح من لبن، وكذا أخبر بشهادة الحسين عليه السلام.

الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان مع النبي صلى الله عليه وآله في صغره وكبره، قال ان النبي علمني ألف باب من العلم وقال رسول الله أنا مدينة العلم وعلي بابها، وقال أميرالمؤمنين أن النبي دعاني عند موته واخبرني عن الحوادث التي تظهر في امته، ولذلك يقول، سلوني قبل ان تفقدوني فظهر بما ذكرنا بطلان قول المعترض.

* * *

السجع في نهج البلاغة:

قال المعترض: ان في النهج اصطلاحات أدبية وكلمات مستحدثة ماكانت العربُ تعرفها في عصر الامام علي بن أبي طالب، وإنما ظهرت هذه الاصطلاحات في العصر العباسي. عند اختلاط العرب بسائر الملل وتعلمت منهم.

هذه الشبهة صدرت منه بدافع العصبية العمياء والجهل المتراكم ولو أنه راجع القرآن المجيد وخطب النبي صلىٰ الله عليه وآله ما تكلم بهذه الكلمات، نعم التعصب والعناد يورد الانسان موارد الهلكة ويخرجه عن طريق الحق والصواب.

قال رسول الله في كلماته: ان الاعمار تفنى، والاجسام تُبلى، والايام تطوى، والليل والنهار يتطاردان تطارد البريد، يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد، وأيضاً قال، ان لكل شيء حساباً ولكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا وان على كل شيء رقيبا.

قال قسّ بن ساعدة الانصاري: ايها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات،

ومن مات فات وكل ماهو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات ابراج، ونجوم تزهر وبحار تزخر وجبال مرساة وارض مدحاة وأنهار مجراة[١] هذا مختصر من الكثير التي رويت في كتب الاخبار والسيرة فظهر فساد قول المعترض وبطلان رأيه في النهج.

الاصطلاحات في نهج البلاغة:

قال المعترض: ان في نهج البلاغة اصطلاحات فلسفية واصولية وكلامية، وهذه الاصطلاحات ظهرت في القرن الثاني ولم يعرفها الناس في عصر علي وما كانت هذه الالفاظ مصطلحة، حتىٰ يتكلم بها أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب.

هذه الشبهة وردت عن المستشرقين والمتجددين المقلدين عنهم. وهؤلاء قوم لايعرفون الامام أميرالمؤمنين عليه‌السلام ولو بحثوا في حياة الامام علي وسيرته لما وقعوا في الاشتباه ولم يتكلموا بالباطل ولم يقولوا غير الحق فضلوا عن سواء السبيل.

أما جواب المعترض فنقول هذا القرآن المجيد جاء فيه لفظ الحكيم والحكمة قال الله: ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً، وقال: ولقد آتينا لقمان الحكمة، وقال: ان الله عليم حكيم، وصف الله تعالىٰ بالعلم والحكمة أليس هذه اللفظة من اصطلاحات الفلاسفة؟

والجواب الثاني أن أميرالمؤمنين عليه‌السلام كان مُبتكراً في العلوم والمعارف الاسلامية وهو الذي ابتكر علم النحو وعلم اصولها ولم تعرف العرب علم النحو وهو الذي عين تاريخ الاسلام واسس الدفاتر وديوان الخراج والاموال وعلم منه الناس القضاء والاحكام وغيرها.

---

١ ــ مصادرالنهج: ١/٥٦.

التقسيمات في نهج البلاغة:

قال المعترض: ان في النهج تقسيمات لبعض الفضائل والرذائل مثلاً جاء في النهج: الناس علىٰ أربعة اصناف أو قال: من اعطىٰ اربعا لم يحرم اربعا، وقال: الناس ثلاثة، وقال يا بني احفظ عني اربعا واربعة وكذا قال الايمان علىٰ اربع دعائم والصبر على اربع شعب وغيرها.

هذه الشبهة أيضاً قد وردت من قبل المستشرقين وتبعهم في ذلك جماعة من المتجددين الذين لابصيرة لهم في معارف الدين، ويقولون ان هذه التقسيمات ماكانت مصطلحة في زمن علي وما يعرفها العرب، وانما ظهرت في القرن الثاني والثالث.

هذه الشبهة غير واردة وبطلانها واضح لمن تأمل في الاخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله، قال رسول الله: ستة أشياء حسنة ولكنها من ستة أحسن، وقال: ثلاث كفارات وثلاث درجات وثلاث منجيات وثلاث مهلكات.

قال أيضاً معشر المسلمين اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة، قال: اخلاء ابن آدم ثلاثةٌ واحد يتبعه الىٰ قبض روحه والثاني الىٰ قبره، والثالث الىٰ محشره، ومن راجع خصال الشيخ الصدوق يجد فيه أمثال هذه الروايات.

فاذاثبتت هذه الروايات لرسول الله صلى الله عليه وآله في التقسيمات كذلك ثبت للامام اميرالمؤمنين سلام الله عليه. لانه كان مع رسول الله واخذ منه العلوم والمعارف الالهية وباب مدينة علمه فليس في هذا الباب شك لمن تدبر في حياته وسيرته.

الطاووس في نهج البلاغة:

قال المعترض في نهج البلاغة جاء ذكر الطاووس ووصفه وخصوصياته، لاشك أن الطاووس ما كان يعيش في الحجاز، فمن اين رأى علي بن أبي طالب عليه‌السلام الطاووس حتى يصفه بهذه الصفات ويعرفه بهذه الدقة في خلقته ولونه ولقاحه وسائر ما يخص به كأنه عاش مع الطاووس أياماً كثيرة.

هذه الشبهة أيضاً كسائر الشبهات واهية، تدلُّ علىٰ جهل قائلها، نحن نسأل من المعترض ونقول جاء في القرآن العظيم ذكر الفيل أكان يعيش هذا الحيوان في الحجاز أو يعرفُهُ العرب حتىٰ يذكر في القرآن قال الله تعالىٰ: ألم تر كيف فعل ربك باصحابٰ الفيل.

نعم جاء أبرهة ملك الحبشة لغزو مكة واهلها وكان في مقدمة جيشه فيل عظيم ورآه اهل مكة فصار عندهم عام‌الفيل مبدأ للتاريخ وأرخوا الحوادث من هذه السنة وقالوا ولد فلان بعد عام‌الفيل او وقعت‌حرب في ناحية كذا بعد عام‌الفيل.

أليس في وسعنا أن نقول في جواب المعترض، من اين تقول ان الامام علي بن أبي طالب لم ير هذا الحيوان الجميل في مدة عمره، ان أميرالمؤمنين عليه‌السلام سافر الى اليمن والعراق وكذا بعض بلاد الحجاز ورأى فيها هذا الحيوان، ويمكن أيضاً أن يكون الطاووس عند بعض أهل مكة والمدينة.

لأن الطاووس طائر جميل ظريف، يحبه الناس لظرافته وألوانه، ومشيه ويحفظونه في منازلهم وحدائقهم، قال ابن أبي الحديد في شرحه علىٰ نهج‌البلاغة: يمكن ان رأى أميرالمؤمنين عليه‌السلام الطاووس في العراق لأن الهدايا توصل اليه من البلدان المختلفة.

ثم ان ذكر الطاووس جاء في الشعر ولو أن العرب لم تره كيف ورد ذكره في أشعارهم، وهذا رؤبة بن العجاج الشاعر المعروف يقول:

كما استوى بيض النعام الاملاس * مثال الدمى تصويرهن اطواس[1]

الزهد في نهج البلاغة:

قال المعترض: ان في النهج جاءت كلمات في الزهد وترك الدنيا كخطابه عليه‌السلام لنوف البكالي وهمام وشريح القاضي وموارد أخرى ذكرت في خطبه ورسائله، وهذا الزهد المفرط لم يكن له سابقة في الاسلام فمن هذه الكلمات تعلم انها ليست للامام علي بن أبي طالب.

هذه الشبهة من أوهن الشبهات التي وردت في نهج البلاغة والرد عليها، لان من راجع كلمات الامام علي عليه‌السلام وتفكر في معانيها علم ان المقصود من الزهد وترك الدنيا في النهج هو عدم المحبة للدنيا والركون اليها ونسيان الآخرة واتباع هوى النفس والميل الى الشهوات واتخاذ الاموال من الحرام.

ان أميرالمؤمنين سلام‌الله عليه كان يرشد عماله وامراء جنده إلى العدالة وأن لا يظلموا الناس ولا يأخذوا أموالهم وان لايبنوا دورا او قصورا رفيعة وتكون معيشتهم ولباسهم مثل أوساط الناس، لان الأمراء والعمال اذا كانوا كذلك صلح الناس.

هذا شريح القاضي المعروف بالكوفة اشترى دارا وسيعة فأحضره أميرالمؤمنين ووبّخه باشترائه الدار وبذل المال الكثير لان قاضي المسلمين لابد أن يكون معيشته ومسكنه وملبسه متوسطه حتى يقبل الناس قضاءه وقوله.

كتب أميرالمؤمنين سلام‌الله عليه الى عثمان بن حنيف عامله بالبصرة

١ ـ تاج العروس: طوس.

وقال له سمعت ان رجلا من فتية أهل البصرة دعاك الىٰ وليمة، فأسرعت تنقل اليك الجفان وتستطاب لك الالوان، وما اظن انك دعيت الىٰ طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو.

يقول الامام عليه السلام انك عاملي ووكيلي في البصرة ولابد أن تعمل فيهم بسيرة الصالحين ولا تكون عونا وصديقا لاهل الثروة والدنيا وتطرد الفقراء والمساكين من حولك، هذا مما لايليق بحكام المسلمين وامرائهم.

قال العلاء بن زياد الحارثي لأميرالمؤمنين: ان اخي عاصم بن زياد قد ترك الدنيا ولبس الخشن وترك أهله وعياله واولاده ولزم المسجد واشتغل بالعبادة.

قال أميرالمؤمنين: عليّ به، فلما حضر عنده قال عليه السلام: يا عديّ نفسه لقد استهام بك الخبيث، اما رحمت اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تأخذها قال يا أميرالمؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك.

قال: ويحك اني لست كأنت ان الله تعالىٰ فرض على ائمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره فظهر من هذه الكلمات ان الاستفادة من الطيبات في المأكل والملبس والمسكن مباح ولكن ائمة المسلمين وحكامهم يعيشون كأدنى الرعية.

مؤلف نهج البلاغة

محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المكنى بابي الحسن والملقب بذي الحسبين المعروف بالشريف الرضي رضوان الله عليه من رجال الفكر والعلم والأدب، ومن مفاخر الاسلام والتشيع.

كان ـ رحمه الله ـ جمع شرافة النسب وطهارة المولد بفضيلة العلم والتقوىٰ والزهد والورع، وملأ الدنيا بآثاره النفيسة في العلم والأدب، والشعر، والتفسير والحديث، وطار صيته حتىٰ بلغ الشرق والغرب، وترجمه كثير من المؤرخين في كتبهم ونحن نذكر هنا نبذة مما قال مترجموه:

كلمات المؤلفين حول الرضي

قال النجاشي: محمد بن الحسين بن موسىٰ بن محمد بن موسىٰ بن ابراهيم بن موسىٰ بن جعفر أبوالحسن الرضي نقيب العلويين ببغداد أخو المرتضىٰ كان شاعرا مبرزا له كتب منها كتاب حقائق التنزيل، كتاب مجاز القرآن، كتاب خصائص الأئمة، كتاب نهج البلاغة، إلى آخر ماقال[1].

قال معاصره أبو منصور الثعالبي النيسابوري: أبوالحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي الموسوي، النقيب مولده ببغداد سنة تسع و خمسين

---

١ ـ رجال النجاشي: ٣١٠.

وثلاثمائة، وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل وهو اليوم أبدع ابناء الزمان وانجب سادة العراق.

يتحلىٰ مع محتده الشريف، ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبيين من مضى منهم وغبر على كثرة شعرائهم المفلقين كالحماني وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم.
لو قلت: أنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره، العالي القدح، الممتنع عن القدح، الذي يجمع الىٰ السلاسة متانة والىٰ السهولة رصانة ويشتمل علىٰ معان يقرب جناها ويبعد مداها[١].

قال علي بن الحسن الباخرزي: السيد الرضي الموسوي، رضى الله عنه له صدر الوسادة بين الأئمة، والسادة وانا اذا مدحته كنت كمن قال لذكاء: ما أنورك! ولخضارة ما أغزرك! وله شعر اذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه وعقد بالنجم نواصيه.

اذا نسب، انتسب رفة الهواء الى نسيبه، وفاز بالقدح المعلى في نصيبه، حتىٰ اذا أنشدني الراوي غزلياته، بين يدى العزهاة لقال له من العزهات، واذا وصف فكلامه في الاوصاف أحسن من الوصائف والوصاف.

اذا مدح تحيرت فيه الأوهام من مادح وممدوح له بين المتراهنين في الحلبتين، سبق سابح مروح: وان نثر حمدت من الأثر، ورأيت هناك خزرات من العقد تنفض وقطرات من المزن ترفض، ولعمري ان بغداد قد انجبتْ به فبوأته ظلالها وأرضعته زلالها ،وانشقته شمالها.

ورد شعره دجلتها، فشرب منها حتى شرق، وانغمس فيها حتىٰ كان أن

---

١ ـ يتيمة الدهر ١٣٣/٣.

يقال: غرق، فكلما انشدت محاسن كلامه تنزهت بغداد في نضرة نعيمها، وانشقت من أنفاس الهجير بمراوح نسيمها فمن عقد سحره وعقود درّه قوله في مطلع قصيدة له:

وظبية من ظباء الانس عاطلة
تستوقف العين بين الخمص والهضم[1]

قال الحافظ أبوبكر الخطيب البغدادي: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر أبوالحسن العلوي نقيب الطالبيين ببغداد، كان يلقب بالرّضي ذا الحسبين، وهو أخو أبي القاسم المعروف بالمرتضىٰ وكان من أهل الفضل والادب والعلم.

ذكر لي أحمد بن روح عنه انه تلقن القرآن بعد أن دخل في السن، فجمع حفظه في مدة يسيرة، قال وصنف كتابا في معاني القرآن يتعذر وجود مثله، وكان شاعرا محسنا، سمعت اباعبدالله محمد بن عبدالله الكاتب يقول سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون:

الرضي أشعر قريش فقال ابن محفوظ: هذا صحيح، وقد كان في قريش من يجيد القول الا أن شعره قليل، فاما مجيد مكثر فليس الا الرضي، انشدني القاضي ابوالعلاء محمد بن علي قال؛ انشدنا الشريف أبو الحسن الرضي لنفسه:

اشتر العز بما شئت فما العز بغالي
بقصار الصفر ان شئت او السمر الطوال
ليس بالمغبون عقلا من شرى عزا بمال
انما يدخر المال لاثمان المعالي[2]

---

١ ــ دمية القصر: ٢٩٢/١.

٢ــ تاريخ بغداد: ٢/٦٤٦.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: محمد بن الحسين بن موسى أبوالحسن العلوي ولد سنة تسع و خمسين وثلاثمائة ولقبه بهاءالدولة بالرضي ذي الحسبين ولقب اخاه بالمرتضى ذي المجدين وكان الرضي نقيب الطالبيين ببغداد؛ حفظ القرآن في مدة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قويا كان عالما فاضلا وشاعرا مترسلا عفيفا عالي الهمة متدينا اشترى في بعض الايـام جزءً من امرأة بخمسة دراهم فوجد فيه جزءً بخط أبي علي بن مقلة قال فان أردت الجزء فخذيه وان اخترت ثمنه فهذه خمسة دراهم فأخذتها ودعت له وانصرفت وكان سخيا جوادا.

اخبر اسماعيل بن احمد، عن أبي غالب بن بشران قال حدثني الخالع قال مدحت الرضي بقصيدة فجاءني غلامه بتسعة وأربعين درهما، فقلت لاشك انّ الغلام قد خانني، فلما كان بعد ايام اجتزت بسوق العروس فرأيت رجلا يقول لآخر: اتشتري هذا الصحن فانه يساوي خمسة دنانير ولقد اخرج من دار الرضي، فبيع بتسعة وأربعين درهما: فعلمت اني مدحته وهو مضيق فباع الصحن وانفذ الثمن الي[1].

قال ابن خلكان: الشريف الرضي أبوالحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب صاحب ديوان الشعر وكان أبوه قديما يتولى نقابة الطالبيين ويحكم فيهم أجمعين، والنظر في المظالم والحج بالناس ثم ردت هذه الأعمال كلها الى ولده الرضي المذكور في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وأبوه حي.

ذكر ابو الفتح بن جنّي النحوي في بعض مجاميعه ان الشريف المذكور احضر الى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جدا لم يبلغ عمره عشر سنين، فلقّنه النحو، وقعد معه يوما في حلقته فذاكره بشيء من الاعراب على عادة

١ ــ المنتظم: ٧/٢٧٩.

التعليم.

فقال له: اذا قلنا: رأيت عمرو، فما علامة النصب في عمرو؟ فقال له الرضي: بغض عليّ، فعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره. وذكر أنه تلقن القرآن بعد أن دخل في السن فحفظه في مدة يسيرة وصنف كتابا في معاني القرآن الكريم وكتاباً في مجازات القرآن، فجاء نادرا في بابه.

لقد أخبرني بعض الافاضل انه رأى في مجموع ان بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضي بسر من رأى وهو لايعرفها وقد اخنى عليها الزمان، وذهبت بهجتها، واخلقت ديباجتها، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة، وحسن الشارة فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان، وطوارق الحدثان وتمثل بقول الشريف الرضي من الكامل:

ولقد وقعت على ربوعهم

فبكيت حتى ضج من لغب * نضوى ولج بعذلي الركب

وتلفتت عيني فمذ خفيت * عني الطلول تلفت القلب

فمر به شخص وسمعه وينشد الأبيات، فقال له: هل تعرف هذه الدار لمن هي؟ فقال: لا، فقال: هذه الدار لصاحب هذه الأبيات الشريف الرضي، فعجبا من حسن الاتفاق[1].

قال اليافعي في حوادث سنة ست وأربعمائة: في السنة المذكورة توفي الشريف الرضي أبوالحسن محمد بن الحسين بن موسى الحسيني الموسوي البغدادي الشيعي نقيب الاشراف، ذوالمناقب، ومحاسن الاوصاف صاحب ديوان الشعر وديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات وهو كثير الوجود[2].

قال ابن حجر: محمد بن الحسين الشريف الرضي أبوالحسن شاعر

---

١ ــ وفيات الأعيان ٦٦/٦.

٢ ــ مرآة الجنان: ١٨/٣.

٣ ــ لسان الميزان: ١٤١/٥.

بغدادي رافضي جلد، وكان عالما ويقال انه لم يكن للطالبيين اشعر منه وكان مشهورا بالرفض.

قال الذهبي: محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي أبوالحسن، شاعر رافضي جلد[١].

قلت: ان الذهبي وابن حجر لما نظرا الى آثار الرضي -رضوان الله عليه- وفيها مناقب اهل البيت وفضائلهم رموه بالرفض، وهذه عادتهما في تراجم علماء الشيعة في سبهم وشتمهم والحط منهم نعوذ بالله من العصبية.

قال ابن عماد الحنبلي: الشريف الرضي أبوالحسن محمد بن الحسين بن موسى الحسيني الموسوي البغدادي الشيعي، الشاعر المفلق الذي يقال انه اشعر قريش، وابتدأ بنظم الشعر وله عشر سنين وكان مفرط الذكاء له ديوان في أربعة مجلدات[٢].

قال السيد محمد باقر الخوانساري: العالم العفيف والعليم الغطريف والعلم العريف، والعنصر اللطيف والأيد المنيف أبوالحسن محمد بن السيد النقيب والنجيب المحترم أبي أحمد حسين بن موسى، أخو سيدنا المرتضى علم الهدى والملقب بالسيد الرضي عند الأحبة والعدى.

لم يبصر بمثله الى الآن عين الزمان في جميع ما يطلبه، انسان العين من عين الانسان فسبحان الله ورثه غير العصمة والامامة، ما أراد من قبل أجداده الامجاد، وجعله حجة على قاطبة البشر في يوم المعاد وأمره في الثقة والجلالة أشهر من أن يذكر[٣].

قال أبوعلي: محمد بن الحسين الرضي الموسوي نقيب العلويين أخو المرتضى كان شاعرا مبرزا فاضلا، عالما، ورعا، عظيم الشأن، رفيع المنزلة

---

١ ـ ميزان الاعتدال: ٥٢٣/٣.

٢ ـ شذرات الذهب ١٨٢/٣.

٣ ـ روضات الجنات: ٥٤٦.

له حكاية في شرف النفس ذكرناها في كتابنا الكبير كان ميلاده في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة[١].

قال الحاج الميرزا حسين النوري الطبرسي: السيد الجليل، العالم النبيل، أبوالحسن محمد بن أحمد بن الحسين بن موسى الشريف ذي الحسبين، لقبه بذلك الملك بهاءالدولة وكان يخاطبه بالشريف الاجل ولد في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ببغداد وكان ابوه يتولى نقابة الطالبيين والحكم فيهم أجمعين والنظر في المظالم والحج بالناس ثم ردت هذه الاعمال كلها اليه[٢].

قال الشيخ آغا بزرك الطهراني: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام الشريف النقيب أبوالحسن الرضي ولد سنة ٣٥٩، وتولى النقابة سنة ٣٨٠، وتوفي سنة ٤٠٦، كان نقيب العلويين ببغداد وجلس مكانه اخوه المرتضى[٣].

قال العلامة المرزا حبيب الله الخوئي: هو أبوالحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق عليهم السلام، وفي رجال أبي علي عن تاريخ، اتحاف الورى باخبار أم القرى، في حوادث سنة تسع وثمانين وثلاثمائة قال فيها حج الشريفان المرتضى والرضي فاعتقلهما في اثناء الطريق ابن الجراح الطائي فأعطياه تسعة آلآف دينار من أموالهما[٤].

قال كمال الدين بن ميثم البحراني: في مقدمة شرحه على نهج البلاغة الى أن عضدالله الاسلام بوجود السيد الامام، الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي - قدس الله سره ونور ضريحه - فأحيى من كلام جده الرفات

---

١ ـ منتهى المقال: ٣٧١.

٢ ـ المستدرك: ٥١٠/٣.

٣ ـ طبقات أعلام الشيعة ١٦٤/٥.

٤ ـ شرح النهج البلاغة ٣٠٢/١.

وجمع منه ما كان في حيز الشتات، وبالغ في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة، وسمى مجموعه بنهج البلاغة؛ فجاء الاسم وفق المسمى واللفظ طبق المعنى، فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء، وحباه من وظائف الفضل أجزل الحباء[١].

قال العلامة الحلي: محمد بن الحسين الرضي الموسوي نقيب العلويين ببغداد أخو المرتضى كان شاعرا مبرزا، فاضلا، ورعا، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، له حكاية في شرف النفس ذكرناها في كتابنا الكبير كان ميلاده سنة ٣٥٩، وتوفي سنة ٤٠٦[٢].

قال ابن تغري بردي في حوادث سنة ٤٠٦: وفيها توفي محمد بن حسين بن موسى، الشريف أبوالحسن الرضي الموسوي، ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، كان عارفا باللغة والفرائض. والفقة، والنحو وكان شاعرا فصيحا، عالي الهمة، متدينا، الا أنّه كان على مذهب القوم، اماما للشيعة هو وابوه وأخوه ومن شعره من جملة ابيات:

يا صاحبيَّ قفالي واقضيا وطرا * وحدثاني عن نجد بأخبار
هل روضت قاعة الوعساء او مطرت * خميلة الطلح ذات البان والغار
تضوع ارواح نجد من ثيابهم * عند القدوم لقرب العهد بالدار[٣]

قال محمد فريد وجدي: الرضي هو محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى، ولد سنة ٣٥٩، واشتغل بالعلم فظهرت له ميزة على أقرانه، ثم ذكر ما نقلناه عن الثعالبي وغيره قال: وكان من سموّ المقام بحيث يكتب الى الخليفة القادر بالله العباسي احمد بن المقتدر من قصيدة طويلة:

عطفا أميرالمؤمنين فاننا * في دوحة العلياء لانتفرق

---

١ ــ شرح نهج البلاغة ٢/١.
٢ ــ الخلاصة ٨٠.
٣ـ النجوم الزاهرة ٢٤٠/٤.

ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني * انا عاطل منها وأنت مطوق[١]

قال المحدث الشهير الشيخ يوسف البحراني : السيد الرضي أخو السيد المرتضى . أبو الحسن محمد بن أبي أحمد ، يلقب بالرضي ذي الحسبين لقبه بذلك بهاء الدولة ، وكان يخاطبه بالشريف الاجلّ ، وكان أبوه تولى النقابة للطالبيين والحكم فيهم أجمعين ، والنظر في المظالم والحج بالناس ثم ردّت هذه الأعمال كلها اليه في سنة ٣٨٠ وابوه حي[٢] .

قال محمد أبوالفضل ابراهيم في مقدمة امالي السيد المرتضى : وكان للكثير من ملوك بني بويه من لطافة الحس وركانة الطبع ، ورهافة الذوق ، ورجاحة العقل ماهيأ لهم ان يكونو كتابا أو شعراء ، وما دفع بعضهم للمشاركة في العلوم والأخذ بنصيب من أطراف الفنون ، فحدبوا على العلماء وأغدقوا على الشعراء وعرفوا للادباء أقدارهم .

فولوهم الوزارة والامارة والقضاء في كثير من الأحايين ، وكانوا أيضاً من شيعة عليّ ، وعلى هوى احفاده من ابناء الحسن والحسين ، فخصوهم بالتكرمة ، ومنحوهم أرفع المناصب وادنوهم من نفوسهم وقربوهم في مجالسهم وظاهروهم في المناظرة ودفعوهم الى الجهر بالرأي والادلاء بالحجة .

في هذه الحقبة النادرة في تاريخ العلوم ، وفي هذا العصر الحالي بأزاهير الفنون والآداب ، وفي تلك الدولة التي قام في اكنافها العلماء والشعراء والادباء ، عاش الشريف المرتضى علي بن الحسين ، وأخوه الشريف محمد بن الحسين ، واتخذا مكانهما بين ذوي المثالة وأعيان الشرف والفضل من الاعلام .

---

١ ــ دائرة المعارف ٢٥١/٤ .

٢ ــ لؤلؤة البحرين ٣٢٢ .

فكان المرتضى عالما فقيها، متكلما، خبيرا بقرض الشعر؛ بصيرا بمذاهب الكلام، وكان الرضي شاعرا مطبوعا، متصرفا، كاتبا، بارعا، واثق الديباجة، صافي الاسلوب، مشاركا في التأليف والتصنيف وقضيا حياتهما مرعيّي الجانب، رفيعي المنزلة، مرموقي المحل، عظيمي الخاطر، والجاه عند خلفاء بني العباس والملوك من بني بويه على السواء[١].

قال الشيخ عباس القمي: الشريف الرضي هو السيد الأجل أبوالحسن محمد بن الحسين بن موسى أخو الشريف المرتضى أمره في العلم والفضل والأدب والورع وعفة النفس وعلو الهمة، والجلالة أشهر من أن يذكر وقد خفي علوّ مقامه في الدرجات العلمية مع قلة عمره لعدم انتشار كتبه وقلة نسخها.

انما الشايع منها نهجه وخصائصه، وهما مقصوران على النقليات، نعم في هذه الازمنة انتشرت نسخة المجازات النبوية، الحاكية عن علوّ مقامه في الفنون الادبية، وله تفسير على القرآن الكريم المسمى بحقائق التنزيل، قال في حقه أبوالحسن العمري هو أحسن من كل التفاسير واكبر من تفسير أبي جعفر الطبري[٢].

قال الشيخ محمد عبده: أبوالحسن محمد بن أبي أحمد الشريف الرضي جامع الكتاب قال بعض وصفه ـ رحمه الله ـ كان شاعرا مفلقا، فصيح النظم، ضخم الالفاظ، قادرا على القريض، متصرفا في فنونه، ان قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب العجاب وان أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لايشق له فيه غبار.

ان قصد المراثي جاء سابقا، والشعراء منقطعة الانفاس، وكان مع هذا مترسلا، كاتبا، بليغا، متين العبارات، سامي المعاني، وقد اعتنى بجمع

---

١ ـ امالي المرتضى ٢/١.

٢ ـ الكنى والالقاب ٢٤٧/٢.

شعره في ديوان جماعة وأجود ما جمع منه مجموع أبي حكيم الحيري وهو ديوان كبير يدخل في أربعة مجلدات[١].

قال ابن أبي الحديد: كان عفيفا شريف النفس، عالي الهمة: ملتزما بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحد صلة ولا جائزة حتى أنه ردّ صلات أبيه وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلف فاما بنوبويه فانهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل.

كان يرضى بالاكرام، وصيانة الجانب واعزاز الاتباع والاصحاب كان الطائع اكثر ميلا اليه من القادر، وكان هو اشد حبا واكثر ولاء للطائع منه للقادر وكان الرضي لعلو همته تنازعه نفسه، الى امور عظيمة يجيش بها خاطره، وينظهما في شعره، ولايجد من الدهر عليها مساعدة فيذوب كمدا ويفنى وجداً حتى توفي ولم يبلغ غرضا فمن ذلك قوله:

ما أنا للعلياء ان لم يكن * من ولدي ماكان من والدي
ولامشت بي الخيل ان لم أطأ * سرير هذا الأصيد الماجد[٢]

قال الشيخ عبدالحسين الاميني: سيدنا الشريف الرضي هو مفخرة من مفاخر العترة الطاهرة، وامام من ائمة العلم والحديث والأدب، وبطل من أبطال الدين والعلم والمذهب، هو أول ما ورثه سلفه الطاهر من علم متدفق، ونفسيات زاكية، وانظار ثاقبة، واباء وشيم وأدب بارع؛ وحسب نقي؛ ونسب نبوي؛ وشرف علوي؛ ومجد فاطمي وسؤدد كاظمي.

إلى فضائل قد تدفق سيلها الآتي، ومآثر قد التطمت أواذيها الجارفة؛ ومهما تشدق الكاتب فان في البيان قصورا عن بلوغ مداه، وللتنقيب تقاعسا عن تحديد غايته، وللوصف انحصارا عن استكناه حقيقته[٣].

١ــ نهج البلاغة تحقيق عبده طبع مصر.
٢ــ شرح ابن ابي الحديد: ٣١/١ ــ ٤١.
٣ــ الغدير: ١٨١/٤.

ولادته:

ولد سنة ٣٥٩ في بغداد عاصمة العلم والدين في ذلك الزمان، في بيت جليل علوي موسوي، وكان آباؤه الكرام من أفاضل الاشراف ومن رجال العلم والفضيلة، والتقوىٰ والديانة. كان والده نقيب الاشراف وامير الحج، فنشأ الرضي رضوان الله عليه في حجر أبوين كريمين.

اتفق المؤرخون والمحدثون في تاريخ ولادته ولم يختلف فيه اثنان. وجاءت ترجمته وحياته وآثاره في المعاجم الأدبية والتاريخية، وأثنوا عليه ومدحوه وبجلوه، ولو حققنا في تاريخ حياته وآثاره العلمية والأدبية لطالت هذه المقدمة ولذلك أعرضنا عن التطويل.

تربيته وتعلمه:

قرأ الشريف الرضي القرآن على الشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبري الفقيه المالكي، وهذا أول من تعلم منه الرضي هو شابّ. قال الشيخ ابوالفرج بن الجوزي في التاريخ في وفاة الشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن أحمد الطبري: كان شيخ الشهود المعدلين ببغداد ومتقدمهم وسمع الحديث الكثير، وكان كريمامفضلا على أهل العلم.

قال: وعليه قرأ الشريف الرضي -رحمه الله- القرآن وهو شاب حدث السن، فقال له يوما: أيها الشريف أين مقامك؟ قال في دار أبي بباب محول، فقال مثلك لايقيم بدار أبيه، قد نحلتك داري بالكرخ المعروفة بدار البركة.

فامتنع الرضي من قبولها وقال له: لم أقبل من أبي قّط شيئا، فقال، ان حقي عليك أعظم من حق أبيك عليك، لاني حفظتك كتاب الله تعالى فقبلها.

قال ابن أبي الحديد: حدثني فخار بن معدّ العلوي الموسوي ـ رحمه الله ـ قال؛ رأى المفيد أبوعبدالله محمد بن النعمان الفقيه الامامي في منامه، كأن فاطمة بنت رسول صلى الله عليه وآله وسلم دخلت عليه وهو في مسجده بالكرخ ومعها ولداها الحسن والحسين عليهما السلام صغيرين، فسلمتهما اليه وقالت له علمهما الفقه.

فانتبه متعجبا من ذلك، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت اليه المسجد فاطمة بنت الناصر، وحولها جواريها وبين يديها ابناها محمد الرضي وعلي المرتضى صغيرين فقام اليها وسلم عليها.

فقالت له، أيها الشيخ هذان ولداي، قد احضرتهما لتعلمهما الفقه، فبكى أبو عبدالله وقص عليها المنام، وتولى تعليمهما الفقه، وأنعم الله عليهما، وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما، في آفاق الدنيا. وهو باق ما بقي الدهر[1].

ديانته وعفته:

كان السيد الرضي ـ رضوان الله عليه ـ عفيفاً تقيا، صالحا وصفه بذلك أصحابه وأساتذته ومن عاشره، ونحن نذكر هنا ما ذكره أرباب التراجم، ونقلة الآثار ورواة الأخبار، وكان سيرته مثل سيرة آبائه أبناء الأئمة الطاهرين.

حكى أبواسحاق محمد بن هلال الصابي الكاتب قال: كنت عند الوزير أبي محمد المهدي ذات يوم حتى دخل الحاجب وأستأذن للشريف الرضي، وكان الوزير قد ابتدأ بكتابة رقعة فألقاها وقام كالمدهش، حتى

١ ــ شرح نهج البلاغة : ١ ــ ٤١ .

استقبله من دهليز الدار وأخذ بيده وأعظمه، وأجلسه في دسته.

ثم جلس بين يديه متواضعا، وأقبل عليه بمجامعه، فلما خرج الرضي خرج معه وشيّعه إلى الباب ثم رجع، فلما خف المجلس قلت: أيأذن الوزير أعزه‌الله أن اسأله عن شيء، قال نعم، وكأني بك تسأل عن زيادتي في اعظام الرضي، فقلت: نعم أيدالله الوزير.

فقال: أما الرضي فبلغني ذات يوم انه ولد له غلام فأرسلت اليه بطبق فيه ألف دينار، فردّه، وقال: قد علم الوزير اني لااقبل من أحد شيئا، فرددته اليه وقلت: اني انما ارسلته للقوابل، فردّه الثانية وقال: قد علم الوزير انه لاتقبل نساءنا غريبة فرددته اليه وقلت: يفرقه على ملازميه.

فلما جاءه الطبق وحوله طلاب العلم قال: ها هم حضور، فليأخذ كل أحد ما يريد، فقام رجل وأخذ دينارا فقرض من جانبه قطعة وأمسكها، وردّ الدينار الى الطبق، فسأله الشريف عن ذلك، فقال: احتجت الى دهن السراج ليلة ولم يكن الخازن حاضرا.

فاقترضت من فلان البقال دهنا، فأخذت هذه القطعة لأدفعها اليه عوض دهنه، وكان طلبة العلم الملازمون للشريف الرضي في دار قد اتخذها لهم سماها دارالعلم، وعيّن لهم جميع ما يحتاجون اليه.

فلما سمع الرضي ذلك أمر في الحال بان يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع الى كل منهم مفتاحاً ليأخذ ما يحتاج اليه ولا ينتظر خازنا يعطيه، وردّ الطبق على هذه الصورة، فكيف لا اعظم من هذا حاله[1].

شجاعته:

كان ـرحمه الله ـ شجاعا صريح اللهجة، لايهاب أحدا ويقول الحقّ

١ ـ عمدة الطالب: ٢٠٩.

ويظهره، ولا يخاف من أهل الدنيا وأرباب الدولة والسياسة والخلفاء والملوك ، وهو الذي خاطب الخليفة العباسي القادر بالله بهذه الأبيات:

ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبداً كلانا في المفاخر معرق
الا الخلافة قدمتك وانني * أنا عاطل منها وأنت مطوق

ذكر أبوالحسن الصابي وابنه غرس النعمة محمد في تاريخهما: أن القادر بالله عقد مجلسا، أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوي، وابنه أباالقاسم المرتضى، وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الرضي بأبي الحسن التي أولها:

ما مقامي على الهوان وعندي * مقول صارم وأنف حمي
واباءمحلق بي عن الضيم * كما زاغ طائر وحشي
أي عذر له الى المجد أن ذ * لّ غلام في غمده المشرفي
أحمل الضيم في بلاد الاعادي * وبمصر الخليفة الفاطمي
من أبوه أبي ومولاه مولا * ي اذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيد النا * س جميعا محمد وعلي

قال القادر للنقيب أبي أحمد: قل لولدك محمد: أي هوان قد أقام عليه عندنا، أي ضيم لقي من جهتنا، وأي ذل أصابه في مملكتنا؟ وماالذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى اليه، أكان يصنع اليه اكثر من صنيعنا؟ ألم نوله النقابة؟ ألم نوله المظالم؟

ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز، وجعلناه أميراً للحجيج؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر اكثر من هذا، ما نظنه كان يكون لو حصل عنده إلا واحدا من ابناء الطالبيين بمصر، فقال النقيب أبو أحمد: اما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه، ولا رأيناه بخطه، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله اياه وعزاه اليه فقال القادر: ان كان كذلك فلتكتب الآن محضرا يتضمن القدح

في انساب ولاة مصر ويكتب محمد خطه فيه، فكتب محضرا بذلك، شهد فيه جميع من حضر المجلس، منهم النقيب أبو أحمد وابنه المرتضى وحمل المحضر الى الرضي ليكتب خطه فيه حمله أبوهُ وأخوه.

فامتنع من سطر خطه وقال: لا اكتب وأخاف دعاة صاحب مصر، وأنكر الشعر، وكتب خطه وأقسم فيه أنه ليس بشعره، وأنه لا يعرفه، فأجبره أبوه على أن يكتب خطه في المحضر فلم يفعل وقال: أخاف دعاة المصريين وغيلتهم لي فانهم معروفون بذلك.

فقال أبوه: يا عجباه! أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع وحلف لايكلمه وكذلك المرتضى، فعلا ذلك تقية وخوفا من القادر، وتسكينا له. ولما انتهى الأمر الىٰ القادر سكت على سوء أضمره، وبعد ذلك بايام صرفه عن النقابة[1].

مقامه في الادب والشعر:

كان الرضي ـ رضوان الله عليه ـ شاعرا، أديبا ـ عارفا باللغة والنحو، بصيرا بها منذ حداثة سنة، وكان بيته مأوى للشعراء وأهل الأدب: يجتمعون عنده ويتناشدون أشعارهم، حتى قيل أنه أشعر قريش على كثرة شعرائهم.

ذكرنا في الفصل السابق من هذا المقال كلمات المؤلفين في حقه أمثال الثعالبي النيسابوري، وأبو الحسن الباخرزي في اليتيمة ودمية القصر، وهذا صاحب بن عباد الوزير المعروف والشاعر المشهور، كان مولعا بمطالعة أشعاره وآثاره.

قال الشيخ عبدالحسين الاميني: من الواضح أن الواقف على نفسيات

---

١ ـ شرح ابن ابي الحديد ٣٧/١.

سيدنا الشريف ومواقفه العظيمة من العلم والسؤدد والمكانة الرفيعة يرى الشعر دون قدر الشريف، ويجد نفسه أعلىٰ من أنفس الشعراء وأرفع ويرىٰ الشعر لا يمهد للشريف كيانا على كيانه فيقول:

وما الشعر فخري ولكنما * أطول به همة الفاخر
انزهه عن لقاء الرجال * وأجعله تحفة الزائر
فما يتهدى اليه الملو * ك إلا من المثل السائر
وإبي وإن كنت من أهله * لتنكر في حرفة الشاعر

وقال أيضا:

وما قولي الاشعار الاذريعة * الىٰ أمل قدآن قود جنيبه
واني اذا ما بلغ الله غاية * ضمنت له هجر القريض وحوبه

ومن شعره في صباه وله عشر سنين:

المجد يعلم أن المجد من أربي * ولو تماديت في غي وفي لعب
انى لمن معشرإن جمعوا لعلى * تفرقوا عن نبي أو وصي نبي
اذا هممت ففتش عن شباهممي * تجده في مهجات الأنجم الشهب

وقال أيضا بمناسبة يوم الغدير:

غدر السرور بنا وكان * وفاؤه يوم الغدير
يوم أطاف به الوصي * وقد تلقب بالأمير
فتسل فيه ورد عار * ية الغرام الى المعير
وابتزّ اعمار الهموم * بطول أعمار السرور[1]

قال السيد جمال الدين بن عنبة: شعره مشهور وهو أشعر قريش، وحسبك أن يكون أشعر قبيلة في أولها مثل الحارث بن هشام، وهبيرة بن

---

١ ــ الغدير: ٤/٢٠٠.

وهب، وفي آخرها مثل محمد بن صالح الحسيني، وابن طباطبا الاصفهاني وعلي بن محمد صاحب الزنج، وانما كان أشعر قريش لان المجيد منهم ليس بمكثر، والمكثر ليس بمجيد والرضي جمع بين الاكثار والاجادة[١].

كان ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي الكاتب له صديقا، وبينهما لحمة الأدب ووشائجه ومراسلات ومكاتبات بالشعر. فكتب الصابي الى الرضي في هذا النمط:

أبا حسن لي في الرجال فراسة * تعودت منها أن تقول فتصدقا

وقد خبرتني عنك انك ماجد * سترقى الى العلياء أبعد مرتقى

فوفيتك التعظيم قبل أوانه * وقلت أطال الله للسيد البقا

وأضمرت منه لفظة لم أبح بها * الى أن أرى اظهارها لي مطلقا

فان مت أوإن عشت فاذكر بشارتي * وأوجب بها حقا عليك محققا

وكن لي في الاولادوالأهل حافظا * اذا مااطمأن الجنب في مضجع البقا

فكتب اليه الرضي جوابا عن ذلك قصيدة، أولها:

سننت لهذا الريح غربا مذلقا * وأجريت في ذا الهندواني رونقا

وسومت ذا الطرف الجواد وانما * شرعت لها نهجا فخب وأعنقا[٢]

وقال:

بنوهاشم عين، ونحن سوادها * على رغم من يأبى، وأنتم قذاتها

وأعجب ما يأتي به الدهر انكم * طلبتم على مافيكم أدواتها

وأملتم أن تدركوها طوالعا * دعوها سيسعى للمعالي سعاتها

غرست غروسا كنت أرجو لقاحها * وآمل يوما ان تطيب جناتها

فان أثمرت لي غير ما كنت آملا * فلا ذنب لي أن حنظلت نخلاتها

---

١ ــ عمدة الطالب: ٢٠٨.

٢ ــ شرح ابن ابي الحديد ٣١/١ ــ ٤١.

وقال:

لنا الدوحة العليا التي نزعت لها
الى المجد اغصان الجدود الأطائب
اذا كان في جو السماء عروقها
فأين عواليها وأين الذوائب[1]

وقال:

تعز ما اسطعت فالدنيا مفارقة
والعمر يعنق والمغرور في شغل
والعقل أبلغ من عزاك عن جزع
والصبر أذهب بالبلوى من الوجل

وقال:

ليس الفناء بمأمون على أحد * ولا البقاء بمقصور على رجل

وقال:

لو أنها بفناء البيت سافحة
لصدتها وابتدعت الصيد في الحرم
قدرت منها بلا رقبى ولاحذر
على الذي نام عن ليلى ولم أنم
بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى
يلفنا الشوق من فرق الى قدم
وأمست الريح كالغيرى تجاذبنا
على الكثيب فضول الريط واللمم

---

١ ــ يتيمة الدهر ٣/١٤٧ ــ ١٥٥.

يمشي بنا الريح أحياناً وآونة
يضيئنا البرق مجتازا على أضم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي
مواضع اللثم في داج من الظلم

وقال:

عطون بأعناق الظباء وأشرقت
وجوه عليها نضرة ونعيم[١]

القابه:

في عصر السيد الرضي رضوان الله عليه كانت الخلافة تخاطب رجال العلم والدين والسياسة بألقاب وعناوين مخصوصة، وتصدر الألقاب من الخليفة العباسي أو من جانب صدر الصدور، وتعطي هذه العناوين لصاحب المناصب العالية ورجال الدولة.

ومن الذين نالوا هذه المرتبة الجليلة ولقبوا بألقاب مخصوصة هو الشريف الرضي، في سنة ٣٨٨ لقّبه بهاء الدين بالشريف الأجلّ وفي سنة ٣٩٠ لقبه بذي المنقبتين، وفي سنة ٣٩٨ لقبه بالرضي ذي الحسبين وفي سنة ٤٠١ أمر أن تكون مخاطباته ومكاتباته بعنوان الشريف الأجل، وهو أول من خوطب بذلك من الحضرة الملوكية[٢].

نقابته:

النقابة موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من

---

١ ــ دمية القصر: ١/٢٩٤ ــ ٢٩٧.

٢ــ الغدير: ٤/٢٠٤.

لايكافئهم في النسب، ولا يساويهم في الشرف ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى وهي علىٰ ضربين عامة وخاصة فعمومها أن يرد الى النقيب في النقابة عليهم خمسة أشياء.

١ ــ الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.
٢ ــ الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.
٣ ــ اقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.
٤ ــ تزويج الايامى اللاتي لايتعين أوليائهن أو قد تعينوا، فعضلوهن.
٥ ــ ايقاع الحجر على من عته منهم أو سفه، وفكه اذا افاق ورشد.

فيصير بهذه الخمسة عام النقابة، فيعتبر حينئذ في صحة نقابته، وعقد ولايته أن يكون عالما من أهل الاجتهاد ليصح حكمه وينفذ قضاؤه، وهذه النقابة كانت ولايتها لسيدنا المترجم(١).

امارة الحج:

عيّن السيد الرضي رحمه الله ـ أميرا للحج وحج مرارا بهذا العنوان نيابة عن أبيه مع أخيه المرتضى، ومستقلا بها في سنة ٣٨٠، والولاية على الحج ضربان احدهما أن تكون على تسيير الحجيج والثاني على اقامة الحج، فأما تسيير الحجيج فهو ولاية سياسية وزعامة وتدبير والذي عليه في حقوق هذه الولاية عشرة أشياء.

١ ــ جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى لايتفرقوا.
٢ ــ ترتيبهم في المسير والنزول.
٣ ــ يرفق بهم في السير حتى لايعجز عنه ضعيفهم ولا يضل عنه

---
١ ــ الغدير: ٤/٢٠٧.

منقطعهم .

٤ ــ أن يسلك بهم أوضح الطرق واخصبها .

٥ ــ أن يرتاد لهم المياه اذا انقطعت والمراعي اذا قلت .

٦ ــ أن يحرسهم اذا نزلوا ويحوطهم اذا رحلوا .

٧ ــ أن يمنع عنهم من يصدهم عن المسير .

٨ ــ أن يصلح بين المتشاجرين ويتوسط بين المتنازعين .

٩ ــ أن يقوم زائغهم ويؤدب خائنهم .

١٠ ــ أن يراعي اتساع الوقت حتى يؤمن الفوات .

أما الولاية علىٰ اقامة الحج ، فالوالي فيه بمنزلة الامام في اقامة الصلوات ، ومن شروط الولاية عليه مع الشروط المعتبرة في ائمة الصلوات أن يكون عالماً بمناسك الحج وأحكامه ، عارفاً بمواقيته وأيامه وتكون مدة ولايته مقدرة بسبعة أيام من صلاة الظهر من اليوم السابع الى اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ويختص بولايته خمسة أحكام .

١ ــ اشعار الناس بوقت احرامهم والخروج الى مشاعرهم .

٢ ــ ترتيبهم للمناسك على ما استقر الشرع عليه .

٣ ــ تقدير المواقف بمقامه فيها و مسيره عنها .

٤ ــ اتباعه في الأركان المشروعة فيها .

٥ ــ امامتهم في الصلوات(١) .

ولايته على المظالم :

الولاية على المظالم احدى مناصب الشريف الرضي ، ويشترط أن يكون

---

١ ــ الغدير : ٤/١٨١ .

صاحب هذا المنصب الجليل عالما، فاضلا، شجاعا، ورعا. يعدل في الناس، ويحكم بالحق، ولا يخاف من أحد، ويكون الحق نصب عينه، وأن يكون نافذ الأمر، عفيفا، قليل الطمع، وخصما للظالم وعوناً للمظلوم.

قال ابن عنبة: وكان الرضي ينسب الى الافراط في عقاب الجاني من أهله وله في ذلك حكايات منها ان امرأة علوية شكت اليه زوجها، وانه يقامر بما يتحصل له من حرفة يعانيها، وأن له أطفالا وهو ذوعلية وحاجة.

شهد لها من حضر بالصدق، فيما ذكرت، فاستحضره الشريف وأمر به فبطح، وأمر بضربه فضرب، والمرأة تنتظر أن يكف، والآمر يزيد حتى جاوز ضربه مائة خشبة. فصاحت الامرأة وأيتم أولادي كيف تكون صورتنا اذا مات هذا؟ فكلمها الشريف الرضي بكلام فظ، فقال: ظننت أنك تشكينه الى المعلم.

وفاته ومدفنه:

توفي الشريف الرضي رضوان الله عليه يوم الأحد السادس من المحرم سنة ٤٠٦، وصرح به معاصره أبوالعباس النجاشي في رجاله وتبعه في ذلك كل من ترجمه كتاريخ بغداد للخطيب وعمدة الطالب وروضات الجنات وغيرها.

قال العلامة الأميني ـرحمه الله ـ وعند وفاته حضر داره الوزير أبو غالب فخر الملك، وسائر الوزراء والأعيان والاشراف والقضاة، حفاة ومشاة، وصلى عليه فخر الملك، ودفن في داره الكائنة في محلة الكرخ بخط مسجد الانباريين.

لم يشهد جنازته أخوه الشريف المرتضى، ولم يصل عليه ومضى من جزعه عليه الى الامام موسى بن جعفر عليهما السلام، لأنه لم يستطع أن ينظر

إلى تابوته، ومضى فخر الملك بنفسه آخر النهار الى أخيه المرتضى بالمشهد الكاظمي فألزمه بالعود الى داره.

ذكر كثير من المؤلفين نقل جثمانه الى كربلاء المشرفة بعد دفنه في داره بالكرخ، فدفن عند أبيه أبي أحمد الحسين بن موسى، ويظهر من التاريخ أن قبره كان في القرون الوسطى مشهورا معروفا في الحائر المقدس وقال صاحب عمدة الطالب: وقبره في كربلاء ظاهر معروف.

وقد رثى الشريف الرضي غير واحد ممن عاصروه، وفي مقدمهم أخوه علم الهدى بقوله:

ياللرجال لفجعة جذمت يدي * ووددت لو ذهبت عليّ برأسي
مازلت أحذر وقعها حتى أتت * فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمنا فلما صممت * لم يجدني مطلي وطول مكاسي
لا تنكروا من فيض دمعي عبرة * فالدمع غير مساعد ومواسي
لله عمرك من قصير طاهر * ولرب عمر طال بالأدناس

وممن رثاه تلميذه في الأدب مهيار الديلمي:

من جب غارب هاشم وسنامها * ولوى لويا فاستزل مقامها
وغزا قريشا بالبطاح فلفها * بيد وقوض عزها وحيامها
وأناخ في مضر بكلكل خسفه * يستام واحتملت له ما سامها
من حل مكة فاستباح حريمها * والبيت يشهد واستحل حرامها
ومضى بيثرب مذعجا ما شاء من * تلك القبور الطاهرات عظامها
يبكي النبي ويستنيح لفاطم * بالطف في ابنائها أيامها
الدين ممنوع الحمى من راعه * والدار عالية البنا من رامها
أتناكرت أيدي الرجال سيوفها * فاستسلمت أم أنكرت اسلامها
أم غال ذا الحسبين حامي ذودها * قدر أراح على الغدو سوامها

آثاره العلمية والادبية :

١ ــ اخبار قضاة بغداد .
٢ ــ تعليق خلاف الفقهاء .
٣ ــ تعليقة على ايضاح أبي علي الفارسي .
٤ ــ تلخيص البيان عن مجاز القرآن .
٥ ــ الحسن من شعر الحسين .
٦ ــ حقائق التأويل في متشابه التنزيل .
٧ ــ خصائص الائمة .
٨ ــ ديوان شعره .
٩ ــ رسائل الشريف الرضي .
١٠ ــ زيادات في شعر ابن الحجاج .
١١ ــ زيادات في شعر أبي تمام .
١٢ ــ سيرة أبيه أبي أحمد الموسوي .
١٣ ــ ما دار بينه وبين أبي اسحاق .
١٤ ــ مجازات الآثار النبوية .
١٥ ــ مختار شعر أبي اسحاق الصابي .
١٦ ــ معاني القرآن .
١٧ ــ نهج البلاغة[١] .

مشايخه وأساتذته :

يروي الشريف الرضي عن جماعة من العلماء والمحدثين وهم :

---

١ ــ رجال النجاشي : ٣١١، والغدير: ١٩٨/٢ : وعمدة الطالب : ٢٠٨ .

١ ــ ابراهيم بن أحمد بن محمد أبواسحاق الطبري المالكي الفقيه.
٢ ــ الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي النحوي المتوفى سنة ٣٧٧.
٣ ــ حسن بن عبدالله المرزبان أبو سعيد النحوي المتوفى سنة ٣٦٨.
٤ ــ عبدالجبار بن أحمد أبوالحسن الشافعي المعتزلي من قضاة بغداد.
٥ ــ عبدالرحيم بن محمد أبو يحيى المعروف بابن نباته صاحب الخطب المتوفى ٣٩٤.
٦ ــ عبدالله بن محمد أبو محمد الاسدي الأكفاني.
٧ ــ عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح المتوفى سنة ٣٩٢.
٨ ــ علي بن عيسى الربعي أبوالحسن النحوي البغدادي المتوفى سنة ٤٢٠.
٩ ــ عمر بن ابراهيم بن أحمد أبو حفص الكتاني.
١٠ ــ عيسى بن علي بن عيسى أبوالقاسم.
١١ ــ محمد بن عمران أبوعبدالله المرزباني الخراساني المتوفى سنة ٣٨٤.
١٢ ــ محمد بن محمد بن النعمان أبو عبدالله الشيخ المفيد.
١٣ ــ محمد بن موسى أبو بكر الخوارزمي.
١٤ ــ هارون بن موسى أبو محمد التلعكبري المتوفى سنة ٣٨٥[١].

تلامذته والراوون عنه:

روى عن الشريف الرضي عدة من رجال العلم والحديث والأدب وهم:
١ ــ أحمد بن الحسين بن أحمد أبو بكر الخزاعي النيسابوري.

---

١ ــ الغدير: ٤/١٨٣.

٢ــ أحمد بن علي بن قدامة المتوفى سنة ٤٨٦ .
٣ــ السيدة النقية بنت السيد المرتضى روت عن عمها .
٤ــ جعفر بن محمد الطرشتي الرازي .
٥ــ عبدالرحمن بن أحمد بن يحيى النيسابوري .
٦ــ عبدالكريم بن محمد أبونصر بن الدبياجي المعروف بسبط بشر الحافي .
٧ــ عبدالله بن علي بن كيابكي ابو زيد الحسيني الجرجاني .
٨ــ علي بن بندار أبو الحسن الهاشمي .
٩ــ محمد بن الحسن شيخ الطائفة الطوسي .
١٠ــ محمد بن علي أبو عبدالله الحلواني .
١١ــ محمد بن أحمد أبومنصور العكبري (١) .

والده:

الحسين بن موسى أبو أحمد كان عظيم المنزلة في الدولتين العباسية والبويهية، لقبه أبو نصر بهاءالدين بالطاهر الاوحد، وولي نقابة الطالبيين خمس مرات، ومات وهو النقيب، وذهب بصره، ولولا استعظام عضد الدولة أمره ما حمله على القبض عليه وحمله الى قلعة بفارس .

فلم يزل بها حتى مات عضد الدولة فأطلقه شرف الدولة بن العضد، واستصحبه حين قدم بغداد، وله في خدمة الملة والمذهب خطوات سديدة، ومساعٍ مشكورة، وقدم قدم، ولد سنة ٣٠٤، وتوفي ليلة السبت ٢٥ جمادي الأولى سنة ٤٠٠ وقد أناف على التسعين .

---

١ ــ الغدير : ١٨٤/٤ وشرح الراوندي الورقة ١ .

أمه :

أم السيد الشريف الرضي ، فاطمة بنت أبي محمد الحسن الناصر الصغير بن أبي الحسين احمد بن محمد الناصر الكبير الاطروش بن علي بن الحسن الاصغر بن عمر الاشرف بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي أبي طالب عليهم السلام .

مما قيل في نهج البلاغة

نهج البلاغة يهدي السالكين إلى * مواطن الحق من قول ومن عمل
فاسلكه تهدى إلى دار السلام غدا * وتحظ فيها بما ترجوه من أمل

وقيل أيضاً :

كتاب كأن الله رصّع لفظه * بجوهر آيات الكتاب المنزل
حور حكما كالدر تنطق صادق * ولافرق إلا أنه غير منزل

للامام أبي يوسف يعقوب بن أحمد النيسابوري كتب على نسخة من هذا الكتاب :

نهج البلاغة نهج مهيع جدد * لمن يريد علوا ماله أمد
يا عادلا عنه تبغي بالهوى رشدا * اعدل اليه ففيه الخير والرشد
والله والله ان التاركين عموا * عن شافيات عظات كلها سدد
كأنها العقد منظوما جواهرها * صلى على ناظميها ربنا الصمد
ما حالهم دونها أن كنت تنصفني * إلا العنود وإلا البغي والحسد

واقتدى به ابنه الامام أبوبكر الحسن بن يعقوب :

نهج البلاغة روض جاده درر * نهج البلاغة درج ضمنه درر
نهج البلاغة وشى حاكه صنع * من دون موشيه الثرقوب والحبر

أو جونة ملئت عطراً اذا فتحت ✻ خيشومنا فغمت ريح لها ذفر

صدقتكم سادتي والصدق من عادتي ✻ وهذه شيمة ما عابها بشر

صلى الاله على بحر أواذيه ✻ رمت به نحونا مالألأ القمر

قال علي بن أحمد الفنجكردي النيسابوري:

نهج البلاغة من كلام المرتضى ✻ جمع الرضي الموسوى السيد

بهر العقول بحسنه وبهائه ✻ كالدر فصل نظمه بزبرجد

الفاظه علوية لكنها ✻ علوية حلت محل الفرقد

فيه لارباب البلاغة مقنع ✻ من يعن باستظهاره يستنجد

وترى العيون اليه صبورا ان قرا ✻ منه كتابا رايعا في مشهد

اعجب به كلماته قد ناسبت ✻ كلمات خير الناس طرا أحمد

نعم المعين على الكتابة للفتى ✻ وبه الى طرق الكتابة يهتدي

واجل يعقوب بن أحمد ذكره ✻ لعلو همته وطيب المولد

ودعا اليه محرضا أصحابه ✻ فعل الحنيفي البهيم المرشد

ثم ابنه الحسن الموفق بعده ✻ فيه بسنته الرضية مقتد

كم نسخة مقروّة حصلت به ✻ مسموعة لاولي النهى والسؤدد

يا رب قرّبه واكرم نزله ✻ واحشره في رهط النبي محمد

واطل بقاء سليله الحسن الفتى ✻ فينا برغم الكاشحين الحسد

نقلنا هذه الأبيات عن نسخة فخر الدين النصيري نزيل طهران.

نسخ نهج البلاغة

لما فرغ الشريف الرضي -رحمه الله- من تأليف كتابه القيم نهج البلاغة، كتب نسخة بخطه وعلق عليها التعليقات وفسر بعض الالفاظ النادرة والكلمات الشاذة، وكان يقرأها على تلامذته، ذكرنا في الفصل السابق من هذه المقدمة اسماء الذين رووا نهج البلاغة عن مؤلفه.

كانت النسخة التي كتبها الشريف الرضي بخط يده محفوظة في مكتبات بغداد، واستفاد من هذه النسخة الثمينة عدة من العلماء والشارحين للنهج، امثال قطب الدين الراوندي وقطب الدين الكيذري وعلي بن ناصر السرخسي، وابن ابي الحديد وابن ميثم البحراني.

ثم فقدت هذه النسخة ولا يعلم أين انتقلت وقد تصفحت فهارس المكتبات في البلاد الاسلامية وغيرها وسألت خبراء الفن، فلم اجد لهاأثراً ولا خبرا، ونسخة أيضاً كانت عند السيد المرتضى اخو المؤلف وكان عليها خطه وله عناية بنهج البلاغة وشرح الخطبة الشقشقية.

نقل عن العلامة الاميني مؤلف الغدير رضوان الله عليه انه رأى نسخة من شرح نهج البلاغة عليها خط المرتضى، رحمة الله عليه، في سوق الكتب في العراق، فاشتراها رجل وذهب بها، وهذا الرجل كان يشتري الكتب المخطوطة

للمكتبات الخاصة من الشرق والغرب .

كان للعلماء واهل الادب والبلاغة والخطابة وكذا لرجال الدولة والسياسة وامراء الجيوش عناية خاصة بنهج البلاغة ، فاستكتبوه لأنفسهم وشاعت نسخته في الاماكن الاسلامية وملأت المكتبات الخاصة والعامة في البلدان المختلفة .

ومن الاماكن التي انتشرت فيها نسخ النهج وعني علماءها بشرحه وتفسيره وتبيين معضلاته بلاد خراسان كبيهق وخوارزم وهرات وسرخس وغيرها ، هذا علي بن زيد البيهقي اول من شرح النهج وبسط القول فيه ، وبعده قطب الدين الكيذري واحمد بن محمد الموسوي الخوارزمي ومحمود الملاحمي الخوارزمي وعلي بن ناصر السرخسي وغيرهم .

قد الف كاتب هذه المقدمة رسالة بالفارسية في اسماء من شرح نهج البلاغة من اعلام خراسان من القرن الخامس الى القرن الرابع عشر .

كانت في بغداد مكتبات عامرة أسسها امراء آل بويه وغيرهم من العلماء والسادة والأشراف وفيها آثار كثيرة وكتب نادرة بخطوط مؤلفيها من العلوم والمعارف ، ثم احرقت هذه المكتبات في فتن ظهرت بين أهل الشيعة والسنة عند ورود طغرل بک السلجوقي مدينة السلام في سنة ٤٤٨ .

ثم جاءت الداهية الكبرى والمصيبة العظمى وهي ظهور التاتار وطاغيتهم چنگيزخان المغولي واستيلاؤهم على بلاد المسلمين فيها - بلاد خراسان كبخارى وسمرقند ومرو وطوس وبلخ ونيسابور وغيرها ، وفي تلك الحوادث المفجعة هدمت المساجد والمشاهد واحرقت المكتبات والمعاهد الدينية وضاعت الاثار العلمية .

بمناسبة مرور الف عام على تأليف نهج البلاغة وانعقاد المؤتمر الالفي حول هذا الكتاب عزمت على تحقيق النهج ومقابلته وعرضه على النسخ

المخطوطة النادرة وطبعه بصورة جديدة عصرية، بذلت وسعي وجهدت كل الجهد في هذا العمل الخطير والقيت كل ما يشغلني عنه.

بعد البحث والتنقيب ظفرت بخمس نسخ خطية ثمينة عتيقة، منها نسخة في المكتبة المرعشية في قم المشرفة، تاريخ كتابتها ٤٩٩ ونسخة في مكتبة جامعة عليگر في الهند تاريخ كتابتها ٥٣٨ ونسخة في مكتبة فخرالدين النصيري بطهران، تاريخ تحريرها ٤٩٤ ونسخة في مكتبة ممتاز العلماء تاريخ كتابتها ٥١٠ ونسخة في مكتبة مدرسة النواب بمشهد الرضا عليه السلام تاريخ كتابتها ٥٤٤.

استفدت أيضا من كتاب منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لقطب الدين الراوندي، وعندي من هذا الكتاب نسختان مصورتان من نسخة مكتبة المجلسي في طهران تاريخ كتابتها ٦٥٢ ونسخة في مكتبة ملك تاريخ تحريرها ٦٨٦.

راجعت أيضاً كتاب حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة لقطب الدين الكيذري نسخة مكتبة جامعة طهران وتاريخ تحريرها ٦٤٥ وكذا كتاب اعلام نهج البلاغة لعلي بن ناصر السرخسي من اعلام القرن السادس نسخة مكتبة رضا برامفور الهند ونسخة المكتبة الاهلية بكلكتة.

كذا عرضت علي نسخة شرح ابن ابي الحديد المطبوع بمصر بتحقيق محمد ابوالفضل ونسخة الشيخ محمد عبده طبع بيروت ونسخة العلامة المغفور له السيد علي نقي فيض الاسلام طبع طهران واشرت اليها بالرموز من ذيل الخطب والرسائل.

الرموز في ذيل الخطب والرسائل :

١ ــ ش : اشارة الى نسخة المكتبة المرعشية بقم المشرفة .
٢ ــ ن : اشارة الى نسخة مدرسة النواب بمشهد الرضا عليه السلام .
٣ ــ ف : اشارة الى نسخة فخر الدين النصيري .
٤ ــ ل : اشارة الى نسخة جامعه عليگر بالهند .
٥ ــ م : اشارة الى نسخة ممتاز العلماء بلكهنوء .
٦ ــ ر : اشارة الى شرح الراوندي .
٧ ــ ك : اشارة الى شرح الكيذري .
٨ ــ ح : اشارة الى شرح ابن ابي الحديد .
٩ ــ ع : اشارة الى اعلام نهج البلاغة للسرخسي .
١٠ ــ ب : اشارة الى شرح الشيخ محمد عبده .
١١ ــ ض : اشارة الى نسخة فيض الاسلام .

الرموز في تعليقات الشرح :

ش : مكتبة آية الله المرعشي رضوان الله عليه .

ض : نسخة مكتبة المحقق الحجة السيد محمد علي الروضاني الاصفهاني .

الشارح

محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي المعروف بقطب الدين الكيذري من كبار علماء الامامية في القرن السادس، كان رحمه الله ـ محدثا، أديبا، متكلما، شاعرا له مصنفات عديدة تدلّ على كثرة علمه وأدبه وتبحره في العلوم والمعارف الاسلامية.

جاء ذكره في الكتب الرجال وتراجم مشائخ العلم والحديث مبجلا مكرما ونحن نذكر هنا نبذة مما قال مترجموه والباحثون عنه في كتبهم وآثارهم.

قال السيد محمد باقر الخوانساري: الحبر الأديب الماهر والبحر المحيط الزاخر أبو الحسن محمد بن الحسين البيهقي النيسابوري المشتهر بقطب الدين الكيذري كان من أكمل علماء زمانه في أكثر الأفنان واكثرهم إفادة لدقائق العربية[١].

قال الشيخ عباس القمي: أبو الحسن محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي النيسابوري الامامي الشيخ الفقيه الفاضل الماهر و الأديب الاريب البحر الزاخر له اشعار لطيفة، وكان **معاصراً** للقطب الراوندي وتلميذا لابن

١ ــ روضات الجنات: ٥٧٦.

حمزة الطوسي فرغ من شرحه على النهج سنة ٥٧٦[1].

قال الشيخ آغا بزرك الطهراني: محمد بن الحسين البيهقي الشيخ قطب الدين ابوالحسن النيسابوري الشهير بقطب الدين الكيذري شارح نهج البلاغة في سنة ٥٧٦ له أنوار العقول في أشعار وصي الرسول وقد ذكر في أوله أنه جمع أولا خصوص أشعاره في الآداب والحكم والمواعظ والعبر ثم جمع تمام ما وصل إليه من أشعاره[2].

آثاره العلمية والأدبية:

١ ـ حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة.
٢ ـ أنوار العقول في أشعار وصي الرسول عليهما السلام.
٣ ـ الحديقة الانيقة المؤلفة في أشعار الامام علي في المواعظ والحكم.
٤ ـ بصائر الأنس بحظائر القدس ينقل عنه في الصراط المستقيم.
٥ ـ الاصباح في الفقه جاء ذكره في المختلف وغيره.
٦ ـ كفاية البرايا في معرفة الانبياء عليهم السلام.
٧ ـ مباهج المهج في مناهج الحجج.
٨ ـ لب اللباب في بعض مسائل الكلامية ذكره في حدائق الحقائق.
٩ ـ البراهين الجلية في إبطال الذوات الأزلية.
١٠ ـ الدرر في دقائق علم النحو ذكره في حدائق الحقائق[3].
١١ ـ شريعة الشريعة وهو تهذيب كتاب المهذب ذكره في شرح نهج البلاغة ص ٨٧١.

---

١ ـ الكنى والالقاب: ٣/٦٤.
٢ ـ اعلام الشيعة: القرن السادس: ٢٥٩.
٣ ـ روضات الجنات: ٥٧٧ وطبقات اعلام الشيعة القرن السادس: ٢٦٠.

مشائخه

١ ــ عبدالله بن حمزة بن عبدالله الطوسي .

٢ ــ محمد بن السعيد بن هبة الله الراوندي .

٣ ــ الامام أبو الرضا فضل الله الحسيني الراوندي[١] .

شرحه على نهج البلاغة :

هو هذا الكتاب الجليل الذي نقدمه الى القراء الكرام المسمى بحدائق الحقائق، كان كنزا مخفيا و درا مستورا عن أنظار أهل العلم والأدب ورد ذكره في الفهارس والآثار العلمية، والباحثون عن نهج البلاغة نقلوا عنه في آثارهم .

جمع الشارح رضوان الله عليه في هذا الشرح العلوم والمعارف الالهية والآداب الدينية والدنيوية، ويبحث عن المسائل الكلامية واختلاف الامة في أمر الخلافة والامامة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله .

ثم شرح مشكلات نهج البلاغة وحل معضلاتها وألفاظها اللغوية والأدبية وأورد فيه أنواعا من النوادر واللطائف والطب والنجوم والتاريخ والقصص والأخبار والروايات والاشعار.

واستفاد في شرحه هذا عن معارج نهج البلاغة لابي الحسن علي بن زيد البيهقي ومنهاج البراعة للقطب الراوندي، وشرح الامام أحمد بن محمد الوبري الخوارزمي وينقل عنها كثيرا،وشرحه في الحقيقة يكون مكملا لهذه الشروح الثلاثة وجمع بين أقوالهم .

---

١ ــ طبقات اعلام الشيعة القرن القرن السادس ؛ ٢٦٠ .

الكيذري

هذه النسبة الى كيذر بفتح الكاف وسكون الياء وضم الذال المعجمة وبعدها راء ساكنة وهي قرية عند سبزوار بناحية بيهق، وأيضا قرية في ناحية سر ولايت وهي كورة واسعة كثيرة القرى بين خبوشان وبيهق ونيسابور واسفرائن.

قد وردت هذه القرية في سنة ١٣٦٠ من الهجرة مع جدي الحسين بن محمد البكلري رحمه الله ويقال لها اليوم «كدر» بالكاف الفارسية وفتح الدال وسكون الراء ولا نعلم من أيهما كان الشارح المحقق.

جاء في بعض الكتب الكندري بالنون وهو تصحيف من النساخ وكندر قرية بناحية طريثيث (ترشيز) في خراسان جنوبي نيسابور منها أبو نصر الكندري الوزير المعروف الذي قتل بأمر السلطان السلجوقي في قصة مشهورة.

نسخ حدائق الحقائق:

عندنا من هذا الكتاب ثلاث نسخ:

الاول ــ نسخة مصورة في جامعة طهران عن نسخة ثمينة عتيقة تاريخ كتابتها ٦٤٥.

الثاني ــ نسخة في مكتبة العلامة آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي قدس سره وهي ناقصة من أولها وآخرها.

الثالث ــ نسخة في مكتبة المحقق الحجة السيد محمد على الروضاني الاصفهاني تاريخ كتابتها ١٠٤٩ وفيها خلط وتقديم وتأخير.

الحمدلله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

اللهم أحينا حياة محمد وآله عليهم السلام وأمتنا مماتهم واحشرنا في زمرتهم وأوردنا حوضهم واسقنا بكأسهم ريّاً رويا هنيئا سائغا لاظمأ بعده يا أرحم الراحمين.

قد تمّت هذه المقدمة ـ ولله الحمد ـ يوم الفطر من سنة ١٤٠٢ في محروسة حيدرآباد الدكن صنيت عن الحوادث والفتن.

خادم العلم والدين ـ عزيزالله العطاردي

* * *

فضينا منه الوطر المقصود وبلغنا الغرض المنشود ووفينا
بما وعدنا وشرطنا ما وجدنا بلغة في التحقيق الا علوناه ولا واديا
في التدقيق الا هبطناه جعل الله جزاء ما اصابنا من الكد
والوكد وبذل الوسع والجهد في تنقيحه وتهذيبه وترتيبه
والتشذيب وجمع ما انتشر من اطرافه ومبانيه وبسط ما شذ من
الفاظه ومعانيه العفو برضاه والجنة والنوى من سخطه باسبغ
جنة لانه ذو الحول والمنة وذو الطول والمنة ووافق الفراغ
من تصنيفه في اواخر الشهر المبارك شعبان سنه ست
وسبعين وخمسمايه

تم حدائق الحقائق في دقائق افصح الخلائق
بعون الخالق والرازق في اواخر شهر الله
المبارك رمضان عظم الله بركته على الانسان
على انامل اضعف عباد الله محمد بن ابي الحسن
بن محمد القصار سنه خمس واربعين وستمايه

هذا الكتاب الموسوم بحدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة كتاب جامع

١ـ صورة الورقة الأخيرة من النسخة المحفوظة في مكتبة جامعة طهران،
تاريخ كتابتها سنة ٦٤٥ هـ.

عن الموجب لتحيره دعا الى ان لا يجيب ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات
فهو عن صفات خالقه اعجز؛ الاعتراف بالعجز عن ادراك هذه المعاني تفاوت
عظيم ولعل النفس الانسانية اذا استغرقها العجز عن ادراك كمال العجز فقد
صارت مدركة للعجز من طريق المعرفة لا من طريق المقدمات وقيل العجز عن درك
الادراك ادراك وقيل من عرف الله كلّ لسانه والسر محيط بالعقل وفوق
العقل فكيف يتصور ان يحيط العقل به وبصفاته واحاطته الخ اباذك
غاية البعد ومن قصر فهمه عن ادراك هذا العجز لقلة استعداده
ادراك عجزه وليس لقصوره مستند الا غروره وعجبه ح سطح الارض
ى بسطها والمهاد الفراش وبني به الارض هنا لسهولتها تحت الناس الى الدوام
ظنون ويكون الوهم بمعنى الشك ويكون ظنا لا يكون مظنونه عليه وشخوص
طرائق ارتفاعها وشخص بصره شخوصا اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف
الارداف التقدم بتقفيا اي يقلب تعقبه اي نوبه وروي تعقبه الى
ن بعده والقطر الجانب وتأثيل ملا اي عقده للانتفاع به ... الاشارة
اصول اربعة اشارة الى بطلان القول بالهيولى وانما قال من سلالة
طين لان اصل الناس من التراب ونعادم من ولار النطفة التي خلق
منها كان من اجتماع التراب لاز عداه الذي هو الحبوب منها
ـد استفزوني اي جعلوني سفيرا ورسولا ... تجهلا اي
هذه من سيرة النبي ص وعدله ومعاملته في الامة وانه كان يقسم
... ويقوم بالحق ... الرعية كلفا بأقاربه ولا مفضل اياهم على غيرهم

٢ـ صورة الورقة من النسخة المحفوظة في مكتبة آية الله السيد المرعشي

ق ١٦٥

وجب تحصيل العلم على العقلاء من الوجهين المذكورين ولا بد في كلي القسمين منبه
او مبلغ سمعيات او صاحب الفتاوى ومن نوازل الشرع وجب على العلماء
التعريف وعلى غيرهم المعرفة واذا وجب التنبيه في العقليات والبيان و
البلاغ في الشرعيات فجمع جمل ذلك في القرآن العظيم فانطوى على بيان العقلي
والشرعي تقرير الحد الاصل فقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
الى غير ذلك من الآيات ولذلك قال عليه السلام ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا
حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا ولما وجب التنبيه في العقليات والبيان والبلاغ
في الشرعيات اودع الله تعالى جملا من العقل وتفاصيله وجملا من الشرع وتفاصيله
القرآن العظيم كما قال تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهذا اوان ان
نختم الكتاب اذ تقضينا منه الوطر المقصود وبلغنا الغرض المنشود ووفينا بالوعد
وشرطنا ما وجدنا تمعنا في التحقيق الا عليها ولا وانيا في التدقيق الا صبطنا جعل الله
تعالى جزاء ما اصابنا في الكد والكد وبذل الوسع والجهد في تنقيحه وتهذيبه وتقريره
وتشذيبه وجمع ما انتشر من اطرافه وما يتعلق به وضبط ما شذ من الفاظه ومعانيه
الفوز برضاه والجنة والنجاة من سخطه باسبغ جنبه انه ذو الطول وولي المنة و
الطول وافق الفراغ من تصنيفه الامام العالم الكامل المتبحر الفاضل قطب
الدين فخر الاسلام مفتخر العلماء مرجع الافاضل محمد بن الحسين بن الحسن الكيدري
السمي تغمده الله تعالى برضوانه في اواخر الشهر الشريف شعبان سنة ست
وسبعين وخمسمائة ٥٧٦ قد وقع اتمام

البيهقي

هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب في يوم
الجمعة من عشر الاول من شهر الصفر الذي كان في سنة ١٠٤٩
تسعة واربعين بعد الالف من الهجرة النبوية على
يد اضعف عباد الله الجاني ابن علي رضا محمد شريف
الملازندراني عفي عنهما وستر عيوبهما بالنبي وآله

صح

٣ـ صورة الورقة الأخيرة من النسخة المحفوظة في مكتبة المحقق البارع السيّد محمد علي الروضاتي الإصفهاني، تاريخ كتابتها سنة ١٠٤٩ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ وَفِّق بالأتمام

الحمد لله الذي جل جنـاب[١] عظمته عن أن يتصور بالأوهام، تعالى رداء[٢] كبريائه عن أين يتثبّت به خواطر الأنام، حار وغرق في لجج بحار ملكوته حذاقة[٣]، عاصفة عقول العقلاء، وضل واضمحل[٤]، في فناء جلالته وعزته جبرية الأكابر العظماء يعثر الألباب[٥]، من تحقق لب ماهيته: وكنه صمديته[٦]، على شيء ولم تظفر من غزارة[٧]، أنوار غزالة ملكوته، ومهابة مهاة جبروته الأبغى، ظهر من طريق صنايعه وبدائعه حتى لاشيء أجلى منه، وبطن[٨]، من حيث الأحاطة به. وادراك أناسي[٩]، الأبصار له، حتى

---

١ ـــ الجناب بفتح الجيم: الفناء والناحية.

٢ ـــ الرداء: الثوب أو البرد الذي يضعه الانسان على عاتقيه وبين كتفيه فوق ثيابه.

٣ ـــ حذق الصبي القرآن أو العمل كضرب وعلم: تعلمه ومهر فيه.

٤ ـــ اضمحل: ذهب وانحل واضمحل السحاب: انقشع.

٥ ـــ عثر الفرس: زل وكبا.

٦ ـــ الصمد في اسماء الله هو السيد الذي انتهى اليه السؤدد، وقيل هو الدائم الباقي. وقيل هو الذي لاجوف له وقيل الذي يقصد اليه في الحوائج.

٧ ـــ غزر الماء غزرا وغزارة: كثر، واغزر القوم اذا كثرت ألبان مواشيهم، والغزارة الكثرة.

٨ ـــ في اسماء الله تعالى الباطن: هو المحتجب عن أبصار الخلائق واوهامهم، فلا يدركه بصر، ولا يحيط به وهم، والبطن خلاف الظاهر وهو يحتاج الى تفسير وبيان.

٩ ـــ الاناسي جمع الانسان وهو سواد العين.

لاشيء أخفى منه.

ذاك الذي أشرقت بسبحات[١]، مجده حظاير[٢] القدس ومعارجها، وتضوعت[٣]، بزهرات[٤]، فواضله مراتع النفس ومدارجها، وأشعل لاقتباس مقل[٥]، العقول في كل علم نارا تأتلق[٦]. وأعلى لمنتجعي[٧]، معروفه في كل صقع أو آذي نعم تصطفق[٨]، أنشأ غرائب العجائب بلا احتذاء[٩]، على مثال سبق، ونظم العالم بتكثر جواهره، ولولا فرط عنايته لتبدد وافترق، عقد بنواصي الموجودات انها عناة عتاة العدم وتفرد هو في ذاته المقدسة باكتساء لباس القدم.

ليس بجرم فتحده الجهات، ويتطرق اليه التجمع والشتات ويشترط في إبداعاته الأدوات، ولا يحلّ في جرم فيتلعب به الحاجات وتتقلّب به الحالات، يتحقق البداية لما عداه، علم أزليته وبطريان التغير والفناء على ما سواه تيقن أبديته، واحد لا بتأويل أنه مبدا الاعداد، بل بمعنى أن ماهيته لاتقبل المثلية موجود، هو مبدأ الوجود ايجادا لابتوهم أن حالا له حلت الماهية عالم بجميع المعلومات لا باجالة رؤية وفكرة، قادر على كل المقدورات لا باعتبار بيئة ومزيد قدرة، أول من حيث بدء الخلق وآخر من

١ــ سبحات الله : جلاله وعظمته ، وقيل : سبحات الوجه ، محاسنه .

٢ ــ الحظيرة : الجنة ، وهي في الأصل الموضع الذي يحاط عليه لتأوى اليه الغنم .

٣ ــ تضوع : تفرق وانتشر.

٤ ــ الزهر : الحسن والبهجة ، والزهر: البياض النير.

٥ ــ المقل جمع المقلة : وهي شحمة العين ، او هي السواد والبياض منها .

٦ ــ تأتلق : تلمع .

٧ ــ انتجع : طلب الكلاء في موضعه، وانتجع فلانا : أتاه طالبا معروفه .

٨ ــ اصطفقت الاشجار : اهتزت بالريح ، واصطفقت العود : تحركت أوتاره .

٩ ــ احتذى على مثاله : اقتدى وتشبه به .

حيث الاستدلال بوساطة آثاره عليه، ظاهر بترادف[1] البرهان وباطن عن مشاهدة العيان.

لا تجده الأوهام والهمم، ولا تحده المعاني والكلم، ولا تساوقه الأزمنة فضلا عن نتايجها، ولا تحاذيه الأمكنة فكيف بولائجها[2]، عالي الجد عظيم المجد، صادق الوعد، وفيّ العهد لايشرك في كبير ملكه وسلطانه، ولايشكر على أدنى درجات إحسانه، عادته التطول[3] على الخلايق بفنون النعم وسجيته[4]، الافاضة عليهم بعوايد الكرم، لايفعل إلا الخير، ولا يرضى إلا الخير ولا يأمر إلا بالخير هو الخير، وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

نحمده على إيضاحه المسالك إلى درك الحقيقة وتنبيهه على مظان المهالك، ليجتنب في تلك[5] الطريقة، حيث قوى بامداد التوفيق جناح العقل حتى تصدى لتحقيق الحقايق كالحكم العدل، وأطلعه بوسايط الأنظار الصحيحة ونتايج القريحة، غير القريحة على خبايا جواهر الحكم المغذية للأرواح ومزايا زواهر الكلم التي هي لتلك الأرواح كالاشباح، وجعله ناقدا بصيرا بكلّ الموجودات، ونصبه مستعدا للعثور ببصارة البصيرة[6]، على كل المعلومات ولأمر ما تقدم بالذات على ساير الممكنات.

فكان هو السابق وما عداه اللاحق فنهض بأمر من له الأمر والحكم قاضيا لايحوم حول حمى حكمه[7]، الجنف والظلم يهدى للتي هو أقوم

---

١ ـ ترادف: تتابع وتعاون، وترادف الكلمات: تشابهت في المعنى.

٢ ـ الوليجة: الدخيلة، بطانة الانسان وخاصته، ومنه هو وليجتهم: أي انه لصيق بهم.

٣ ـ تطول عليهم: امتن. والطول والطائل: الفضل والقدرة.

٤ ـ السجية: الطبيعة والخلق.

٥ ـ في ض: تلك الطريقة.

٦ ـ في ض: بباصر البصيرة.

٧ ـ الجنف: الميل والجور، جنف واجنف: اذا مال وجار وفي ض: حكمه الحيف.

ويسكن بثلج اليقين غليل المسترشد[١]،الاهيم ثم أمده بامداد الشريعة وأحيا مغارسه بزلال حكمها المنيعة فاستضاء بالشرع واستكمل به استكمال الأصل بالفرع، وقضى مالك الملك بوجوب مشايعتهما معا على الاطلاق وأنهما لايفترقان الى يوم التلاق، فطوبى لمن جعل ملازمتهما ديدنه ودأبه، وأحسن بالاقتباس من أنوارهما اداءَهُ ففاز بالحظ الأوفر والقسط الأوفى وأحرز في الدارين ما توخى وتمنى جعل الله حمدنا إياه حمدا يوازي نعمه المترادفة ويجازي أياديه المتضاعفة حمدا يرتضيه على جميع المحامد ويقرن بالأحماد مساعي[٢]، الحامد حمدا صادرا عن طوية الاخلاص لائحا عن مصاص[٣] الاختصاص.

ثم أفضل الصلوة على أشرف من تفلق[٤] عنه بيض العدم وكان خلاصة المقصود من عجن طينة جنس النسم ومن خلع عليه بتاج لعمرك ولولاك، وتشرف بسمة اسمه ما تفرع ذروة[٥] السماك، وظل صوامع الكروبيين بحوافر ما امتطاه[٦] مرقًى ومعراجا، وصارتْ مآثره الكريمة وخلايقه العظيمة للحق شرعة ومنهاجا، فانبرى[٧] منبعا لطرايف الحكم ومنشأ للطايف الكرم ومقتدى لأفاضل الأمم، محمد المصطفى من النوع الناطق المصفى جوهره من نصايص[٨] الخلايق.

١ــ الغليل: العطش الشديد، والهيام، أشد العطش، وداءٌ يصيب الابل من شدة العطش.

٢ــ في د: ساعي الحامد.

٣ــ المصاص من الشيء خالصه، أو سره، يقال فلان كريم المصاص وهو مصاص قومه: اذا كان أخلصهم نسبا.

٤ــ تفلق: تشقق.

٥ــ الذروة: اعلى سنام العبير، وذروة كل شيء أعلاه. والسماك: نجم في السماء معروف.

٦ــ امتطى الدابة: ركبها.

٧ــ برى السهم يبريه بريا وابتراه: نحته فانبرى، وانبرى له: اعترض.

٨ــ النص: أصل الشيء وغايته.

المرسل إلى الأسود والأحمر بالدين الأبهر والكتاب الأنور الذي ألقى الله تعالى إليه زمام الاقتراح[١] وأوصل ما اقترحه بالاسعاف[٢] والانجاح، ذاك الذي اصطفاه الله للرسالة واجتث[٣] به جراثيم الجهالة وأنقذ به المسترشدين من الضلالة، وأيده بالحجج الباهرة، والأدلة[٤] القاهرة وألقى إليه مقاليد الدنيا والآخرة وشيّد به بناء المعاني[٥] فعبد مصاعدها للصاعدين وقرن بعصيانه (مزالق[٦] مهاوي المهالك فأرصدها) للمعاندين وخصه بكتاب كريم وذكر حكيم، وحجة بالغة تتألق أنوار غرايب سورها وآياتها وأمدّه بمعجزات باهرة تتدفق[٧] أنهار عجايب بيّناتها.

فأصبح طرف شرفه وفضله لقمة العليا اكليلا[٨] وصار طرف العقول عن تصور كمالاته حسيرا كليلا[٩]، وظلّ رياض الفضل به مونقة ورباع المجد بضيائه مشرقة فدعا إلى الدين القويم بلطفه العميم وهدىً إلى الصراط المستقيم بخلقه العظيم ورفع بقوة يقينه وصلابته في دينه راية الحق إلى أقصى نهاياتها وضمن لمجيبي دعوته والمتمسكين بعروته أن يوصلهم إلى مقاعد الصدق فيأمنوا في غرفاتها عليه من المهيمن السلام وأفضل الصلاة.

السلام على وصيه الكاشف عنه ماعراه[١] من الغمة القائم مقامه في

---

١ ــ اقترح الأمر : ابتدعه من غير مثال سابق ، اقترح الشيء : استنبطه من ذات نفسه ، اجتباه واختاره.

٢ ــ الاسعاف : الاعانة وقضاء الحاجة والقرب.

٣ ــ اجتث : قطع ، والجثّ : القطع.

٤ ــ في ض : الادلة الظاهرة.

٥ ــ في ض : بناء المعالي.

٦ ــ زلقت القدم : زلت ولم تثبت و بين الهلالين ساقط في ض.

٧ ــ دفق الماء : انصب ، ودفق النهر : امتلا حتى يفيض الماء من جوانبه ، وتدفق الماء : تصبب.

٨ ــ الاكليل : هو شبه عصابة مزينة بالجوهر، ويوضع على أعلى الرأس.

٩ ــ كل السيف يكل كلالا ، فهو كليل : اذا لم يقطع ، وطرف كليل : اذا لم يحقق المنظور.

١٠ ــ عراه أمر : أصابه.

ايضاح الحق للامة سيف الله الذي لاينبو[١] أو ملهب حريقه الذي لايخبو[٢] الذي كان من النبي صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء تشابها وتناسبا، وكالنفس من النفس تلازماً وتقارباً الذي فغم[٣] الخافقين ريا وبهر الانورين سنا مفاخرة، وفاق في فنون الفضل أكابر الأفاضل، وسبقهم الى صفو كرائم المناهل[٤]، ذاك علي بن ابي طالب أميرالمؤمنين المنصوص على ولايته ووجوب طاعته من رب العالمين، المرفوع راية فضله يوم الغدير، بتقديمه على الكبير والصغير، المقاتل بعد النبي على التأويل كما قاتل معه على التنزيل.

الذي هو منبع المكارم ومقتدى الكرائم، ومحك معرفة طهارة الاصلاب والأرحام، الذي شهد له النبي يوم الأحزاب بان عمله فيه اربى[٥] على أعمال ساير الأمم فضلا عن الأصحاب وأنه لمدينة علم النبي باب وأن الحق داير معه ليس له عنه الى من عداه تحول وذهاب، الذي اطلعه الله على كنوز العلم تحقيقا لا تخمينا، حتى قال لفرط وثوقه: لو كشف الغطاء ما آزددتُ يقينا.

هذا الكتاب الذي نحن بصدده وهو كتاب نهج البلاغة نطفة[٦] من بحار علومه الغزيرة ودرة من جواهر أصدافه الجمة العقيرة[٧] وقطرة من قطرات غيثه المدرار وكوكب من كواكب فلكه الدوار، ولعمري[٨] أنه الكاتب الذي

١ ـ نبى السيف عن الضريبة: كل وارتد عنها ولم يقطع.

٢ ـ خبت النار: خمدت وسكنت وطفئت.

٣ ـ فغم الطيب فلانا: ملأ خبيا شيمه.

٤ ـ المنهل من المياه: كل ما يطؤه الطريق، فيقال منهل بني فلان: أي مشربهم وموضع نهلهم.

٥ ـ ربا المال يربو ربوا: زاد وارتفع، ومنه الحديث: من أجبى فقد أربى، وفي ض: اربى على أعمال الأمم.

٦ ـ النطفة: الماء القليل، وبه سمي المني نطفة لقلته.

٧ ـ العقيرة: ما عقر من صيد وغيره.

٨ ـ في ض: ولعمرك انه الكتاب.

لايدانيه في كمال الفضل كتاب وطالب[١] مثله في الكتب كالعنزي[٢] لايرجى له إياب، وهو محجر عيون[٣] العلم وفي خلال الكتب كالبدر بين النجوم ألفاظه علوية علوية ومعانيه قدسية نبوية، وهو عديم المثل والنظير وكما قلت فوقه بكثير.

نهج البلاغة نهج كل مسدد ... نهج المرام لكل قرم أمجد
يامن يبيت وهمه درك العلى ... فاسلكه تحظ بما تروم[٤] وتزدد
انسان عين للعلوم بأسرها ... مضمونة وذوو البصائر شهد[٥]
بهر النجوم الزهر بل شمس الضحى ... معنًى وألفاظاً برغم الحسد
ينبوعُ مجموع العلوم رمى به ... نحو الأنام ليقتفيه المهتد
فيه لطلاب النهاية مقنع ... فليلزمنه ناظر المسترشد
صلى الاله على منظمه الذي ... فاق الورى بكماله والمحتد[٦]

(هذا وقد اقترح عليَّ بعض الأشراف ومن يحب في الدين أن يوصل اقتراح مثله بالاسعاف[٧]) أن اشرع في شرح هذا الكتاب مستمدا بعد توفيق الله تعالى من كتابي المعارج والمنهاج[٨] غايصا على جواهر دررهما (في

١ــ في ض : ولطالب مثله في الكتب وهات وليس له اياب .

٢ــ في المثل لا افعل كذا حتى يؤوب العنزي ، أي لن افعله أبدا ، والعنزي رجل من عنزة خرج في جنى القرظ فلم يرجع .

٣ــ المحجر : ما حول القرية كالحدائق يمنع المرعى فيها ، والمحجر أيضاً من العين ما دار بها ، وفي ض : عيون العلوم .

٤ــ رام الشيء : اراده .

٥ــ شهد : جمع شاهد .

٦ــ المحتد : الأصل ، يقال : فلان كريم المحتد : أي الأصل .

٧ــ بين الهلالين ساقط في ض .

٨ــ المعارج في شرح نهج البلاغة لعلي بن زيد البيهقي المعروف بفريد خراسان ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للمحدث الشهير قطب الدين الراوندي ، وهما من مشاهير القرن السادس ، وعندنا من المعارج والمنهاج نسخ مصورة .

أعماق بحرها المواج مستنبطا منهما زلال فوائدهما غير مخل بشيء من لباب عوائدهما ، واذ قد بالغ في الاقتراح واكد الاقتراح بالالحاح ، بذلت له سؤله أنلته مأموله)[١] كافلا بايراد[٢] فوائد على ما في الكتابين زوائد[٣] لا كزيادة الاديم ،بل كما زيد في العقد من الدر اليتيم .

متمما ما تضمناه بتتمة لا يقصر في الفضل دونهما إن لم ترب[٤] ، عليهما ومستدركا ما عساه شرد عن[٥] ربقتهما ، وشذ عن يديهما باذلا جهدي في التنقيح والتشذيب غير الآل[٦] في التهذيب والترتيب وقد اندرج فيه من علوم نوادر اللغة والأمثال ودقايق النحو وعلم البلاغة وملح التواريخ والوقايع ومن غوامض الكلام لمتكلمي الاسلام والاوايل ، واصول الفقه والاخبار وآداب الشريعة وعلم الاخلاق ومقامات الاولياء ومن علم الطب والهيئة والحساب على ما يشتمل عليه المعارج كل ذلك لا على سبيل التقليد والتلقين بل على وجه يجدي ثلج اليقين .

فعلى الناظر في هذا الكتاب أن يطالع الكتابين معا ليتحقق أنَّ صاحبه ما تعدى على الحقّ فيما قال وفعل ، ولا يخطأه ، والله عزّ سلطانه المأمول أن يجعله وفقا لرضاه من مبدأه إلى منتهاه ، فانه المقصد الأصلي والغرض الكلي لا رضى الناس ، فانه غاية لا تدرك وتطلب المعايب دون الاعتداد بالمناقب فيهم ، لسنة لا تترك والذين أغناهم الله باليأس عمن عداه فلهم الملك لا ملك سواه ، جعلنا الله تعالى من المتشبثين بأهداب أخلاقهم والمتقوتين

---

١ ـــ بين الهلالين ساقط في ض .

٢ ـــ الكافل : القائم بأمر ، وهو من الكفيل الضمين .

٣ ـــ في ض : على ما فيها زوائد .

٤ ـــ ربى المال : زاد ونما .

٥ ـــ شرد : نفر وشرد البعير : اذا نفر وذهب في الأرض .

٦ ـــ الال بالكسر : شدة القنوط ، والمحفوظ عند أهل اللغة الفتح .

بفضل أرزاقهم إنه سميع مجيب قريب رقيب.

رأيت أن اسم هذا الشرح بحدائـق الحقائـق في فسر دقايق أفصح الخلايق ولا يهيلنـك إبهام شمول لفظ الخلايق النبي صلّىٰ الله عليه وآله، فنفس الوصيّ نفس النبيّ، لقد ظهرا شخصين والروح واحد بنص حديث النفس والنور، فاعلمن، فلا يقال: زيد أفصح من نفسه (وأيضا إذا كان هو عليه السلام باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله أفصح الخلق فهو كذلك والتحقيق ان قولنا الخلائـق مخصوص بالنبي صلى الله عليه وآله[1]) وصاحب التمييز والتبريز يعلم فيه تطابق اللفظ والمعنى وتوافق الاسم والمسمى والله ولي التوفيق لذوي التحقيق والتدقيق.

إذ قد كان هذا الكتاب الغاية في بلاغة البلغاء والنهاية في فصاحة الفصحاء تعين الفرض علينا أن نصدر شرحه بجملة وجيزة من أقسام البلاغة وأحكامها فالبلاغة أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه ما في قلبه مع ايجاز بلا إخلال أو إطالة بلا املال وهو اسم يحسنَ اللفظ في صحة المعنى، والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من الفصيح وهو اللبن الذي اخذت عنه الرغوة[2] أو ذهب لباؤه وقد فصح وأفصح إذا صار كذلك.

ثم قيل فصح الأعجمي إذا انطلق لسانه، وخلصت لغته من اللكنة وجادت، فلم تلحن ثم انها عند أربابها ليست باستعمال الشوارد التي لا يفهم وانما هي قصد ما يقرب فهمه ويغرب نظمه ويعذب استماعه، ويعجب ابتداعه ويدلّ مطالعه على مقاطعه، وتنمّ مباديه على تواليه، والبلاغة والفصاحة عند أكثر البلغاء لفظان مترادفان، على معنى واحد مستويان، في أنَّ كلا منهما خصوصية في نظم المعاني وضم بعض الألفاظ إلى بعض

---

١ ــ بين الهلالين من ض.

٢ ــ الرغوة: الزبد.

على طريقة مخصوصة .

بعضهم يزعم أنَّ البلاغة في المعاني والفصاحة في الألفاظ ، ويستدل بقولهم : معنى بليغ ولفظ فصيح ، والكلام إما حقيقة أو مجاز، وهما قد يكونان في المفرد وقد يكونان في الجملة أما في المفرد فكلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وقوعا لا يستند فيه إلى غيره ، فهي حقيقة كالأسد للبهيمة المخصوصة ، ومن لابتداء الغاية في الامكنة وكل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول ، فهي مجاز كقولك للشجاع أسد وللنعمة يد .

أما في الجمل فكل جملة وصفتها على أنَّ الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة ، مثاله خلق الله الخلق ، وانشأ العالم وكل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل بضرب من التأوّل فهي مجاز، مثله قوله تعالى : «تؤتي أكلها كل حين[١]» «وأخرجت الأرض أثقالها[٢]»، والحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة من حقّ الله الأمر أي أثبته أو من حققته أنا اذا تيقنته .

إنما سمي خلاف المجاز بذلك إما لأنه شيء مثبت بأصل الوضع أو محقوق بالدلالة[٣] الوضعية أو العقلية ، معلوم لا مظنون بخلاف المجاز فانه ادعاء معنى الأصل في الفرع بأمارة وصلة بينهما ، والمجاز مفعل من جاز (الشيء إذا تعداه[٤]) لأنه ليس بموضع أصليّ لهذا اللفظ ولكنه مجازه ومتعداه يقع فيه كالواقف بمكان غيره لأمر ثم يتعداه إلى مكانه الأصلي ، والمجاز لغوي وعقلي ، ويقال لفظي وحكمي ، فاذا وصفنا المفرد بالمجاز كقولنا : اليد مجاز في النعمة كان حكما من طريق (اللغة ومتى وصفنا الجملة بذلك

١ ــ ابراهيم : ٢٥ .
٢ ــ الزلزلة : ٣ .
٣ ــ في ض : بالادلة الوضعية .
٤ ــ بين الهلالين ساقط في ض .

كان مجازا[١]) من طريق المعقول دون اللغة .

لأن التألف هو اسناد فعل إلى اسم واسم إلى اسم وذلك شيء يحصل بقصد المتكلم لا بواضع اللغة ، والذي يعود إلى واضعها أنَّ ضرب لإثبات الضرب لغير معين لا لاثبات الخروج مثلا ، فانه لاثبات في زمان ماض وليس لاثباته في زمان مستقبل ، فأما تعيين من يثبت له فذلك أمر يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين ، فاذا قلنا مثلا خط أحسن مما وشاه الربيع وصنعه ، كنا قد ادعينا في ظاهر اللفظ أن للربيع فعلا وأنه شارك الحي القادر وفي صحة الفعل منه وذلك تجوز من حيث المعقول لا من حيث اللغة وقد يكون المجاز بزيادة كقولهم بحسبك درهم .

قوله تعالى : «كفى بالله شهيدا» ، وبنقصان كقوله تعالى : «وسئل القرية[٢]» «واختار موسى قومه[٣]» أي أهل القرية ومن قومه ، وانما يكون كل منهما مجازا إذا تغير بسببه حكم فاما إذا لم يتغير فلا يقول زيد منطلق وعمرو ، فيحذف الخبر ومع هذا لا يوصف جملة الكلام بالمجاز لأنه لم يؤد إلى نغيير حكم من أحكام ما بقى من الكلام .

واعلم أنّ المجاز جنس تحته ثلاثة[٤] أنواع : الاستعارة والتمثيل والكناية ، فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره ، وتجيء إلى الاسم المشبه به فتعيره المشبه وتجزيه عليه مع طرح ذكره من البين لفظا وتقديرا .

تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وشدة بطشه[٥] سواء ، فتدع ذلك وتقول رأيت أسدا ، وقالوا إنَّ الاستعارة ادعاء معنى الحقيقة في

١ ــ ساقط في ض .
٢ ــ يوسف : ٨٢ .
٣ ــ الاعراف : ١٥٥ .
٤ ــ في ض : تحته أنواع .
٥ ــ البطش : الاخذ القوي الشديد .

الشيء للمبالغة في التشبيه، والتمثيل، قد يجيىء على حدّ الاستعارة كقوله لمن يتردد بين الأمرين أن يفعله ويتركه اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، الاصل أراك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى، والكناية أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه، وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه.

مثاله قولهم: هو طويل النجاد[1]، وكثير الرماد يعنون أنه طويل القامة، وكثير القِرى، لأن القامة إذا طالت طال النجاد، واذا كثر القِرى كثر رماد القدر، واعلم أن لهذه المجازات مزايا على الحقائق أما الاستعارة فسبب مزيتها أنك إذا قلت رأيت أسدا كنت تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول، وذلك أنه اذا كان اسدا فواجب ان يكون له تلك الشجاعة العظيمة وكالمستحيل أن يعرى عنها.

اذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلا كالأسد كنت أثبتها إثبات الشيء يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون ولم يكن من حديث الوجوب في شيء، وكذا التمثيل لأنك أذا قلت أراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى، فاوجبت الصورة التي تقطع معها بالتحير والتردد، وكان أبلغ لا محالة من أن يجري على الظاهر فيقول: قد جعلت تردد في أمرك فأنت كمن يقول: اخرج ولا اخرج فتقدم رجلا وتؤخر أخرى.

سبب مزية الكناية على التصريح انك إذا كنيت عن كثرة القرى بكثرة رماد القدر كنت أتيت كثرة القرى باثبات شاهدها ودليلها. وما هو علم على

١ــ النجاد: حمائل السيف يعني طول قامته فانها اذا طالت طال نجاده.

وجودها، وذلك لا محالة يكون أبلغ من إثباتها بنفسها، وذلك لأنه يكون سبيلها حينئذ سبيل الدعاوي، يكون معها شاهد، ودليل.

الفصاحة أقسام: منها الترصيع، وهو أن يصير الألفاظ مستوية الأوزان، متفقة الأعجاز كقوله تعالى: «إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم»[١]، وقول بعضهم: عاد تمريضك تصحيحا، وتعريضك تصريحا، وقول علي عليه السلام: الأصنام فيكم، منصوبة، والآثام بكم معصوبة، وقوله: بما أنطق مادحه حتى أسكته، ولا صدق واصفة، حتى بكته، وقوله: يونق منظرها ويوبق مخبرها، قمصت بأرجلها وقنصت بأحبلها.

ومنها التجنيس، وله عدة شعب ومداره على أن يأتي بكلمتين متفقتين لفظا، وحركات مختلفتين معنى أو متفقتين لفظا لا حركة، او متفقتين خطاً لا لفظاً، مثال ذلك: المرأة السليطة حية تسعى، ما دامت تسعى، وحبة البرد جنة البرد، وفي الدعاء المأثور: أللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي، والدين يهدم الدين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا[٢]، وعليك باليأس من الناس.

وقال علي عليه السلام: إنكم لتشقون به على أنفسكم ويشقون به في أخريكم، وقال عليه السلام: لا ترى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا وقد يكون التجنيس ببعض حروف الكلمة كقول بعضهم: هو كافي كافل لمصالح الجمهور، وقوله: كنت أطمع في تجريبك، ومطايا الجهل تجري بك، وقولهم: النبيذ بغير النغم غم وبغير الدسم سم، ومن طلب شيئا وجدّ وجد، الخيل معقود بنواصيها الخير، وقال علي عليه السلام: المنية ولا الدنية، وقال: التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه.

منها الاشفاق، وهو أن تجيئ بألفاظ تجمعها أصل واحد في اللغة مثاله

---

١ ــ الغاشية: ٢٤.

٢ ــ الكهف: ١٠٤.

قوله تعالى : فأقم وجهك للدين القيم[١] ، فروح وريحان[٢] ، الظلم ظلمات يوم القيامة ، وقوله عليه السلام : ياحمرا ويا بيضا احمري وابيضي وغري غيري .

منها الاسجاع وهي ثلاثة أنواع متواز كقول النبي صلى الله عليه وآله : أللهم أعط منفقا خلفا ، وأعط ممسكا تلفا وقول علي عليه السلام : العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد ، ومطرف كقوله تعالى : وما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطواراً[٣] »، وقول علي عليه السلام : يهلك فيّ رجلان محب غال ومبغض قال : ومتوازن كقوله تعالى : ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة[٤] ، وقوله : وآتيناهم الكتاب المستبين وهديناهم الصراط المستقيم[٥] ، وقول علي عليه السلام لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن .

منها : رد العجز على الصدر وهو أن تجيئ بكلام بأدنى ... آخره أوله لفظا لوجه من الوجوه قال تعالى : وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه[٦] ، وقال : استغفروا ربكم إنه كان غفارا[٧] .

منها : التطبيق ، ويقال له أيضا المطابقة ، والطباق والتكافؤ ، والتضاد وهو الجمع بين المتضادين مع أن يراعى فيه التقابل ، فلا يجيئ باسم مع فعل ولا بفعل مع اسم ، مثاله قوله تعالى : وتحسبهم أيقاظا وهم رقود[٨] . وقوله : فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا[٩] ، وفي الخبر إنكم لتقلون عند الفزع وتكثرون عند الطمع .

---

١ ـ الروم : ٤٣ .
٢ ـ الواقعة : ٨٩ .
٣ ـ نوح : ١٤ .
٤ ـ الصافات : ١٧٨ .
٥ ـ الغاشية : ١٢ .
٦ ـ الاحزاب : ٣٧ .
٧ ـ نوح : ١٠ .
٨ ـ الكهف : ١٨ .
٩ ـ التوبة : ٨٢ .

وقال علي عليه السلام: توقوا البرد في أوله وتلقوه في آخره فانه يفعل بالأبدان كفعله بالأشجارأوله يحرق وآخره يورق.

وقال عليه السلام: عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك.

وقال عليه السلام: إن أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه.

منها: المقابلة وهي مراعاة الأضداد والاشباه كالأب والابن، والأبيض والأسود، والليل والنهار والأعداد والجهات، وهي أعم من التطبيق مثاله قوله تعالى: فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى[1].

قوله: فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام، ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصّعد في السماء[2]. وقال علي عليه السلام نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا باجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها إلى آخره.

منها: الاعنات، ويقال له لزوم ما لا يلزم، وهو أن يعنت نفسه في التزام ردف أو دخيل أو حرف مخصوص قبل حرف الروي أو حركة من الحركات مخصوصة، كقوله تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر[3]، وفي الدعاء الماثور: بك أحاول[4] وشرما في الرجل شح هالع[5] وجبن خالع[6]، وقول علي عليه السلام صحة الجسد من قلة الحسد، من هذا ومن باب التجنيس أيضا.

ومنها: تضمين المزدوج. وهو أن يقع في اثناء القراين لفظان مستجعان بعد مراعاة حدود الاسجاع والقوافي الأصلية كقوله تعالى: وجئتك من سبأ

---

١ ــ الليل: ١٠.

٢ ــ الانعام: ١٢٥.

٣ ــ الضحى: ١٠.

٤ ــ في ض: بك احاول و بك اطاول.

٥ ــ الهلع: اشد الجزع والضجر.

٦ ــ الخالع: الشديد، كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه.

بنبئا يقين[١]، وقول النبي صلى الله عليه وآله : المؤمنون هينون لينون والمؤمن دعب لعب .

منها : المقلوب مثاله قول النبي صلى الله عليه وآله : اللهم استر عورتنا وآمن روعتنا . وفي القرآن : كل في فلك[٢]، وربك فكبر[٣].

ومنها : الالتفات وهو العدول عن الغيبة إلى الخطاب وعن الخطاب إلى الغيبة وعنها إل التكلم ، كقوله تعالى : مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين وقوله : حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم[٤] وقال : الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت[٥].

وقيل هو تعقيب الكلام بجملة تامة ملاقية إياه في المعنى ليكون تتميما على جهة المثل أو الدعاء أو غيره كقوله تعالى : قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا[٦]، وقوله ثم انصرفوا صرف[٧] الله قلوبهم .

ومنها : الاعتراض وهو أن يوقعوا قبل تمام الكلام شيئا يتم الغرض الأصلي دونه ولا يفوت بفواته إلا أنه يفيد المعنى جلالا ويكسو اللفظ جمالا ، ويسمى حشو اللوذينج مثاله قوله تعالى : فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم[٨]، وقوله : وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى[٩].

منها : تجاهل العارف ، وهو أن يأخذ شيئا يعرفه ، ويقول لا أدري أهو كذا أم كذا ، قال الله تعالى : وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين[٩]، وقال علي عليه السلام فاني خرجت من حيى هذا إما ظالما أو

---

١ ـــ النمل : ٢٢ .
٢ ـــ الانبياء : ٣٣ .
٣ ـــ المدثر : ٣ .
٤ ـــ يونس : ٢٢ .
٥ ـــ الاعراف : ٥٧ .
٦ ـــ التوبة : ١٢٧ .
٧ ـــ الاسراء : ٨١ .
٨ ـــ الواقعة : ٧٦ .
٩ ـــ النمل : ١٢ .
١٠ـــ سبا : ٢٤ .

مظلوما وإما باغيا وإما مبغيا عليه .

منها : الحذف وهو أن يتكلف حتى لا يدخل في كلامه حرف من حروف التهجي فصاعدا ، وروي لأمير المؤمنين علي عليه السلام خطبة طويلة خالية عن الألف ، ولواصل بن عطاء[1] خطبة ليس فيها راء .

منها : المضارعة مثاله ما خصصتني ، بل خسستني[2] .

منها : التبديل مثاله أعني بالفقر إليك ولا تفقرني باستغناء عنك قال علي عليه السلام : الغنى في العز وطن والفقر في الوطن غربة .

منها : التتميم (وهو ذكر جميع المعاني التي بها جودة الكلام ، مثاله شدة في غير عنف ، وليس من غير ضعف .

منها : التقسيم[3]) وهو استبقاء الاقسام كلها مثاله إما حيّ فيرجى وإما ميت فيبكى .

منها : الأرداف وهو أن يدل على معنى يلزمه معنى آخر كقول القائل ، فلان لا يخمد ناره ، وفلان كثير الرماد ، لمطعم الناس وفلان لا يطير الذباب في مطبخه للبخيل الذي لا يطعم أحدا ، وهذا هو المسمى كناية .

منها : المساواة وهي أن تكون الألفاظ كالقوالب للمعاني لا يزيد عليها ولا ينقص .

(منها : الاشارة[4] وهي أن يدلّ بلفظ وجيز على معاني كثيرة كما قال الشاعر في مدح بليغ :

---

١ ــ واصل بن عطاء البصري الغزال المتكلم البليغ المتشدق الذي كان يلثغ بالراء ، سمع الحسن البصري وغيره ، كان من اجلاء المعتزلة ، ولد سنة ست وثمانين بالمدينة ، له من التصانيف ، كتاب التوبة وكتاب معاني القرآن ، مات سنة ١٣١ .

٢ ــ الخسيس : الدنى ، والخسيسة والخساسة : الحالة التي يكون عليها الخسيس .

٣ ــ بين الهلالين ساقط في ض .

٤ ــ من هنا ساقط في ض .

فيوجز لكنه لا يخلّ * ويُطنب ولكنه لا يملّ

ومنها : الأشباع وهو أن يدل على معنى واحد بألفاظ مترادفة .

منها : التشبيه وله أقسام مذكورة على الأستيفاء في الكتب المختصة بالبلاغة .

واعلم ان مادة البلاغة اللّغة والأشعار والأمثال ، والحكايات وآداب النفس ، وصورتها القراين ، والألفاظ المفيدة للمطلوب ، واذا تتبعت كلام أميرالمؤمنين عليه السلام ، وجدته مستجمعا لسائر أنواع الكمالات المقصودة من الكلام ، واكثر ما أوردناه من أقسام الفصاحة يتعلق بالألفاظ وما يتعلق بالمعاني ، أضعاف ذلك يهتدي إلى ذلك من قوله قريحة صحيحة وطبع وقاد ، وخاطر نقاد قد ذاق طعم البلاغة مرارا ورتع رياض الفصاحةأطوارا وها هنا أورد من كتاب منهاج البراعة فصلاً من قبيل ما نحن بصدده وان كان اكثره أو كله داخلا فيما سبق لانه ربما لا يخلو من فائدة محدّدة و: ج علامة المنهاج ، و: ع علامة المعارج .

اعلم أن أنواع كلام البلغاء أربعة عشر .

أوّلها المجنح كشيء له جناحان من قبل ، أن في أوله سجعا وفي آخره سجعا وبينهما واسطة كقول القائل لازم لما أتاه حجاب الخجل وعازم على غليله بماء التنصل فلازم في الاول من القرينة الأولى ، وعازم في الأول من القرينة الثانية سجعان والخجل والتنصل في آخرهما سجعان وما بين السجعين من الكلام واسطة .

الثاني : المتزاوج وإنما سمي به لأن بازاء كل سجع سجعين في القرينتين كقوله مجتلب مواجب الشكر مجتنب[1] مذاهب العذر فمجتلب

١ ــ في الاصل : مجتذب .

بازاء مجتنب ومواجب بازاء مذاهب، والشكر بازاء العذر، وهذه كلها تزاوج واسجاع.

الثالث: الممثل وإنما سمي به لأن الكلام المستعمل فيه ليس مختصا بتفسير بل هو كلام آخر له معنى يشبه المراد منه كقوله: فلان[1] يعجبني أن يكسو ضوء مكارمه كلف الخمول ويأذن لطوالع معاليه بالافول وهذه تمثيلات كلها.

الرابع: المبالغة ويسمى به لأنه يتلو كلاما تاما قد حصل معناه أو إحاطة المعرفة بالمراد فيه، ثم يزيده تاكيدا، ومبالغة به كقوله: ليجتلبوا الخير ويجتنبوا الشر ويكونوا من الخير على أمل ومن الشر على وجل (فقوله ليجتلبوا الخير ويجتنبوا الشر تام في معناه ويكونوا من الخير على أمل ومن الشر على وجل[2]) اتمام له ومبالغة فيه.

الخامس: المجانس. وانما يسمى به لأن اسمه مشتق من لفظ الجنس وان بعض الكلام جنس لبعض كقوله: أين الطبع الذي للصدود صدود وللتآليف ألوف ودود، فالصدود من جنس واحد، والتألف والألوف من جنس واحد.

السادس: المتضاد ويسمى به لأن كلا القرينتين مشتمل على أضداد كقوله بما يحدثه الدهر من حالتي إرضاء وإشكاء، وإضحاك وإبكاء وهذه كلها أضداد.

السابع: المخلخل ويسمى به لأن قبل التسجيع في القرينتين، سجعا آخر متصلا به فهو كالخلخال له كقولك وأزال عنه خجل الكساد واذاقه لذة نيل المراد أعني خجل الكساد في القرينة الاولى ونيل المراد في القرينة

١ ــ في الاصل: ولا يعجبني.
٢ ــ بين الهلالين ساقطا في ش.

الثانية .

الثامن : المردد ويسمى به لتردد لفظ واحد في موضعين كقوله عقدت أملي به من صحة عقده ووعدت نفسي فيه من تمرة وعده ، أعني عقدت ، وعقده في القرينة الاولى ، ووعدت ووعده في القرينة الثانية .

التاسع : المتوأم ويسمى به لأنه مشبه بولدين توأمين وهما المولودان في بطن واحد نحو قاصم الأصلاب[١] وقاسم الأسلاب[٢] .

العاشر: المتشابه ويسمى به وقوع كلمات متشابهة الألفاظ بالحروف في القرينتين نحو، هاجر بهجره وصارم على صرمه فهاجر بهجره متشابها الحروف وصارم على صرمه كذلك .

الحادي عشر: المتشابه الصور ويسمى به لتشابه صور الكلمات ، في الخط كقوله : اذا خالف فاحسبه قد حالف واذا أعار فاحسنه قد أغار فخالف وحالف في صورة واحدة وأغار وأعار في صورة واحدة فاحسنه وأحسبه في صورة .

الثاني عشر: المعكوس ويسمى به لا نعكاس الألفاظ في القرينتين باختلاف المعنى كقوله اني لا أحتوي ما تجتنيه ، ولا اجتني ما يحتويه .

الثالث عشر: إبداع القرائن ويسمى به لان القرينة الثانية فاضلة في البدعة على القرينة الاولى كقوله : فقد خلد ذلك في بدايع الاخبار وكتب بسواد الليل على بياض النهار فهذا نتيجة طبع كالماء رقيق وصنع في تأليف كلام رقيق .

الرابع عشر: ذونوعين ويسمى به لاجتماع النوعين من هذه الاوصاف

---

١ ــ القصم : كسر الشيء وابانته والاصلاب : جمع صلب وهو الظهر .

٢ ــ السلب بالفتح ، هو ما يأخذه احد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه من سلاح وثياب ودابة .

والالقاب كقوله لما قابلت بصفيري زئيره[١] ولا ساجلت بنعيبي خريره[٢] وروي بتعيقي وقوله خانه الدهر فأخنى[٣] على حاله وعانه بعينه فهوى[٤] نجم اقباله واذا نظرت في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام رأيت أخوات كثيرة لهذه الأمثلة تزيد في الحسن عليها كزيادة قائـلها على القائـلين .

قلت : الان أوان أن نشرع في شرح كتاب نهج البلاغة من كلام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جمع الشريف الأجل الرضي ذي الحسبين أبي الحسن محمدبن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين الموسوي رضي الله عنه ولنبدأ ببيان بعض هذه الالفاظ فنقول بديئا الشرح : الكشف فقال شرحت الغامض اذا فسرته وأولته ، ومنه تشريح اللحم .

النهج : الطريق الواضح ، والبلاغة أن يبلغ المتكلم بعبارة كنه ما في قلبه مع ايجاز بلا إخلال وإطلال[٥] في غير إملال . وهو اسم لحسن اللفظ في صحة المعنى ، والبلوغ في الأصل : الوصول ، سمي به ، هذا النوع من الكلام إما لأن صاحبه يبلغ به ما يريد . أو لأنه بلغ مبلغا في الكمال رفيعا ومحلا في الفضل منيعا وسمي الكتاب بذلك لانه طريق وصله ، لمن يتدبر تدبرا مقرونا بالدراية وحفظه بحسن الرعاية الى درك أعلى مراتب البلاغة والبراعة والعثور[٦]) على بنايا المهارة في الفصاحة .

الكلام حروف منظومة ، وأصوات مقطعة ، يفيد المتكلم به المخاطب شيئا وقيل هو مدلول أمارات وضعت للتفاهم ، وقيل هو المنتظم (من حروف

---

١ ـــ الصفير : الصوت بالفم الشفتين والزئير : صوت الاسد ودأر الفحل : ردد صوته في جوفه .

٢ ـــ ساجل مساجلة وساجله : فاخره وعارضه في جري أو قل والنعيب : صوت الغراب والخرير : صوت الماء .

٣ ـــ خان العهد : نقضه ، واخنى عليه الدهر : اذا مال عليه أهلكه .

٤ ـــ عانه عينا : اذا أصابه بالعين ، يقال اصابت فلانا عين اذا نظر اليه عدو أو حسود فاثرت فيه فرض بسببها ، وهوى : سقط وهبط ، وهوى يهوى : اذا اسرع في السير .

٥ـــ كذا في الاصل والظاهر اطالة .

٦ـــ الى هنا ساقط في ض .

المسموعة المتميزة المتواضع عليها اذا صدر عن قادر واحد، انما قيل المنتظم[١]) ليخرج منه الحرف، إذ لا يحصل فيه انتظام، وقيل المسموعة ليخرج منه حروف الكتابة[٢]، وقيل المتميزة ليخرج منه أصوات كثيرة من الطيور التي تقرب من الحروف، وقد دخل فيه المنتظم من الحرفين يوصفان بأنهما من الحروف.

قيل المتواضع[٣] ليخرج منه المهمل لأنه لا يسمى كلاما حقيقة وقيل اذا صدر عن قادر واحد احترازا مما صدر من قادرين، فينطق واحد بالزاء مثلا والأخرى بالياء والثالث بالذال فان ذلك لا يسمى كلاما والكلام أعم من القول إذ الكلام كلّ لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، والقول قد يكون أصواتا غير مفيدة وآراء معتقدة يقال ما قولك في مسألة كذا اي ما رأيك وما اعتقادك ؟ والأمير الآمر وذو الأمر. وفي فعيل من المبالغة، ما ليس في فاعل، وكل من فزعت الى علمه ومشاورته فهو أميرك.

المؤمن في اللغة المصدق، وفي عرف الشرع هو المصدق بجميع ما يجب التصديق به عقلا وشرعا. وقيل كأنه سمي مؤمنا لأنه أمن نفسه إما في الدنيا فمن استحلال دمه وماله، وإما في الآخرة فمن الفزع الأكبر قيل لأنه أمن اخوانه من شره وعلي أميرالمؤمنين اذا كان له الحكم عليهم بالأمر والنهي، وكان المتولي لأمور الأمة والأولى بهم من أنفسهم كما قال الله تعالى : انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون[٤].

قال النبي صلى الله عليه وآله : ألست أولى بكم من أنفسكم فقالوا : بلى، فقال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه، أللهم وال من والاه وعاد من

١ــ ساقط في ض.
٢ــ في الاصل : الكناية.
٣ــ في ض : المتواضع عليها.
٤ــ المائدة : ٥٥.

عاداه[١]، وهذا لقب خصه به النبي صلى الله عليه وآله حيث قال سلموا عليّ بامرة المؤمنين ولم يجوّز أصحابنا رضي الله عنهم اطلاق هذا اللفظ لغيره من الائمة عليهم السلام، وقالوا انه انفرد بهذا التلقيب، فلا يجوز أن يشاركه فيه غيره.

قال العاصمي[٢] في كتاب زين الفتى: روى معمر[٣] عن الزهري[٤]، عن عكرمة[٥] عن ابن عباس قال والله ما سمينا علي بن ابي طالب أميرالمؤمنين حتى سماه رسول الله صلى الله عليه وآله كنا نحن مارين في أزقة المدينة يوما اذ أقبل علي بن أبي طالب قال: السلام عليك يا رسول الله وبركاته تعالى قال: عليك السلام يا أميرالمؤمنين كيف أصبحت قال أصبحت ونومي خطرات ويقظتي فزعات، وفكري في يوم الممات.

قال ابن عباس: تعجبت من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي فقلت يا رسول الله ما الذي قلت في ابن عمي أحبأله أو شيئا من عند الله، قال لا والله ما قلت فيه شيئا إلا من عند الله لا والله ما قلت فيه شيئا إلا رأيت

---

١ ـــ وقد بسط القول في اسناد هذا الحديث العلامة الاميني رضوان الله عليه في المجلد الاول من الغدير.

٢ ـــ عاصم بن الحسن ابو الحسين العاصمي الكرخي الشاعر المشهور، روى عن بن المتيم وعن ابي عمر بن مهدي، كان شاعرا محسنا ظريفا صاحب ملح ونوادر مع الصلاح والعفة والصدق مات سنة ٤٨٣.

٣ ـــ معمر بن راشد الازدي الحداني مولاهم، أبو عروة البصري سكن اليمن وشهد جنازة الحسن البصري، وروى عن ثابت وقتادة والزهري وغيرهم، وعنه يحيى ابن ابي كثير وابو اسحاق السبيعي وعمرو بن دينار وغيرهم، قال الواقدي مات سنة ١٥٣.

٤ ـــ محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهري الفقيه. ابو بكر الحافظ المدني احد الأئمة الاعلام، وعالم الحجاز والشام، روى عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر، وعلي بن الحسين (زين العابدين) وغيرهم، وروى عنه عطاء بن ابي رباح وابو الزبير المكي وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، مات سنة ١٢٣.

٥ ـــ عكرمة بن خالد بن العاص القرشي، روى عن أبيه وأبي هريرة وابن عباس، وروى عنه ايوب وابن جريج وعبد الله بن طاووس، قال ابن معين وابو زرعة والنسائي ثقة. وذكره ابن حيان في الثقات وقال مات بعد عطاء.

بعيني ، قلت : وما الذي رأيت يا رسول الله قال رأيت ليلة اسري في السماء ما مررت بباب من أبواب الجنة إلا ورأيت مكتوبا عليه ، علي بن أبي طالب أميرالمؤمنين من قبل أن يخلق ادم عليه السلام بسبعين ألف سنة عام ، عليّ رجل رفيع القدر على المنزلة.

سبب تشبيه أميرالمؤمنين عليه السلام بذلك ما روي من أن فاطمة بنت أسد امه رضي الله عنها لما أخذها المخاض[1] به كانت قريبة من بيت الله الحرام فجعلت تقول : أللهم إني أومن بك وبكتابك الذي أنزلت فبحرمة جدي إبراهيم وبحرمة هذا الولد في بطني أن تيسر عليَّ هذه الولادة ثم ذهبت الى البيت وكان الباب مغلقا فانفتح لها ، ووضعت الحمل وخرجت بعد ثلاثة أيام.

تقول : إني فضلت على آسية أنها عبدت الله في موضع مكروه ومريم هزت النخلة[2] حتى أكلت الرطب : وأنا اكلت من ثمار الجنة بغير هزّ النخلة ، ونادى عيسى من تحتها : وقد جعل ربك تحتك سريا ، وانا ناداني الله من فوق عرشه قد حملت في بطنك عليا فسميه عليا فانا الأعلى وهذا عليّ وسيطهر هذا البيت من الأصنام ويطهرني من الشركاء و يقدسني وينزّهني من الأنداد ، فطوبى لمن أحبه وأطاعه ثلاث مرات وقد روي أنه خالف أبوه امه في تسميته ودعا أبو طالب ربه في ذلك وقال :

يا رب رب الغسق[3] الدجى ❊ والقمر المنبلج المضي
ابن لنا[4] في حكمك المقضى ❊ ماذا ترى في اسم ذا الصبي

---

١ ــ مخضت الحامل : دنا ولادها واخذها الطلق والمخاض : وجع الولادة .

٢ ــ اشارة الى الآية ٢٥ في سورة مريم : وهزي إليك بجذع النخلة .

٣ ــ الغسق : ظلمة الليل : اذا تمت ظلمته والبس كل شيء .

٤ ــ في بعض المصادر: بين لنا .

فأجابه هاتف وقال :

خصصتما بالولد الزكي * الطيب المهذب الرضي
إن اسمه من شامخ علوي * علي[١] المشتق من علي

روي أن عليا عليه السلام لما ولد لم يرتضع من ثدي أمه ، ولم يفتح عينيه على أبويه حتى دخل عليهما رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبراه بما لقياه من ذلك الصبي ، وناوله أبوطالب رسول الله عليه وآله ، فلما تناوله فتح عينيه في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتهلل واستبشر ووضع رسول الله إصبعه في فيه فمصها مصا لطيفا ، فأين ما بلغ لعابه صار فصاحة ، وفروسية ، ونجدة وكرما ، وحلما ، وعلما .

اسم أبي طالب قيل هو عمران ولما ولد له طالب وكان أسنّ أولاده كني أبا طالب ومن الناس من يزعم أن أبا طالب لم يؤمن ، يقصد بذلك الوضع من قدر أميرالمؤمنين والوقيعة فيه والزراية له ، والأدلة على تحقق ايمانه وقيامه بنصرة النبي صلى الله عليه وآله والذبّ عنه وتحريض بنيه وأقاربه على نصرته أظهر من أن يحتاج الى بيان ، وقد نطق بجميع ذلك أشعاره (والامام السعيد معين الدين مسعودبن عليّ الصواني البيهقي نور الله ضريحه وقد نصب راية الحق وشيد معالم الدين حيث أورد في ذلك كل ما يمكن ايراده من الأدلةْ والاسئلة والأجوبة في كتابه الموسوم «بسلوة الشيعة» فمن أراد ذلك فليقف عليه من هناك[٢]) .

جامع شمل فوائد هذا الكتاب العزيز وناظم فرائدها المشهود لها بالتبريز هو الشريف ذو الحسبين والحسب ما يعده الانسان من مفاخر آبائه ، ويقال

١ــ في اكثر المصادر : علي اشتق من العلي .

٢ــ بين الهلالين ساقط في ض وجاء فيه : وأورد أصحابنا ذلك في كتبهم واوردنا من ذلك صدرا صالحا كافيا في كتابنا الكبير المرسوم بمباهج المهج في مناهج الحجج .

حسب المرء دينه، وقيل ماله، وقال ابن السكيت[١] الحسب والكرم، يكونان في الرجل وإن لم يكن لآبائهم شرف، ولقب ذا الحسبين لجمعه بين شرف الأصل، والمجد التليد[٢]، والطارف، والموروث والمكتسب وهو محمدبن الحسين بن موسى بن محمد الأعرج بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفربن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

كان مولده ببغداد في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وموسى كلمة عبرية وهو عند العبريين الماءوسي الشجر، أول من سمي بذلك في لغتهم موسى النبي صلى الله عليه وذلك أن امه لما ألقت تابوته في نيل مصر حتى سار به إلى دار فرعون: فوجد هناك بين الماء والشجر سمي بذلك، وقيل أخذ من ماس يميس أي تبختر، فقلبت الياء أو لانضمام الميم، وعلى هذا يكون وزنه فعلي والموسى ما يلحق به اسم صريح كالمطرف، والتسبة الى موسى موسوي.

قال ابن فارس[٣] في مجمل اللغة: النسبة الى موسى موسيّ لانّ الياء فيه زائدة، كذا قال الكسائي: والمناقب: جمع المنقبة وهي الفعلة الكريمة ضدّ المثلبة، فكأنها خصلة حميدة شهرت حتى كأنها قد نقب عنها، والنقيبة: النفس يقال فلان ميمون النقيبة، قال أبو عبيد: أي مبارك النفس، وقال ابن السكيت أي ميمون الأمر، ينجح فيما حاول: ويظفر.

١ــ ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الدورقي الاهوازي الامامي النحوي اللغوي الاديب، كان ثقة جليلا من عظماء الشيعة، وكان حامل لواء علم العربية والادب والعشر واللغة والنحو، وله تصانيف كثيرة منها تهذيب الالفاظ وكتاب اصلاح المنطق، قتله المتوكل سنة ٢٤٤.

٢ــ التليد: القديم، والطارف: المستحدث.

٣ــ ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي النحوي اللغوي، كان اماما في علوم شتّى، خصوصا اللغة اخذ عن أبيه وكان والده فقيها لغويا. له مصنفات كثيرة منها كتاب المجمل في اللغة وحلية الفقهاء وكتاب الحجر الذي ارسله الى الصاحب بن عباد وامر له بصلة مات سنة ٣٩٥.

وقال ثعلب: أي ميمون المشورة، والنقيب شاهد القوم وضمينهم والجمع: النقباء ونقب بالضم نقابة صار نقيبا عن الفرّاء، وقال سيبويه: النقابة بالكسر الاسم وبالفتح المصدر، كالولاية والولاية وأول من سنّ النقابة، وعيّن للسادة والأشراف رئيسا وسماه النقيب المعتمد بالله[1] بسبب رؤيا رآها، والنقاب الرجل العلامة، وذو المناقب أي ذى المآثر الحسنة.

* * *

١ ـــ في ض: المعتضد بالله.

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الرضى مؤلف نهج البلاغة

أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا الى جنانه وسببا لزيادة احسانه، والصلوة على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة، المنتخب من طينة الكرم وسلالة المجد الأقدم، ومغرس الفخار المعرق وفرع العلاء المثمر المورق وعلى أهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلاة تكون ازاء لفضلهم ومكافأة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما أنار فجر ساطع وخول نجم طالع.

فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام وفرغت من الخصائص التي تخص أميرالمؤمنين عليا صلوات الله عليه وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام ومماطلات الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلت فصولا.

فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل

المقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على المختار من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب.

علما ان ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية مالا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب اذ كان أميرالمؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومُنشئ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبَق وقصروا وقد تقدم وتأخروا لان كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي.

فأجبتهم الى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر واعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أميرالمؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدثرة والفضائل الجمة وانه انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد، فاما كلامه عليه السلام فهو البحر الذي لا يساحل والجم الذي لا يحافل وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به صلوات الله عليه بقول الفرزدق:

اولئك آبائي فجئني بمثلهم　　　اذا جمعتنا يا جرير المجامع

رأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة، أولها الخطب والأوامر، وثانيها الكتب والرسائل، وثالثها الحكم والمواعظ، فأجمعت بتوفيق الله سبحانه على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب مفردا لكلّ صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه أوراقا، ليكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذّ عني عاجلا ويقع اليّ

آجلا .

اذا جاء شيء من كلامه الخارج في اثناء حوار أو جواب سؤال أو غرض آخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى أليق الابواب به وأشدها ملامحة لغرضه ، وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لأني اورد النكت واللمع ولا اقصد التتالي والنسق .

من عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وامن المشاركة فيها ، أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر، إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ أمره ، واحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة ، ولا شغل له بغير العبادة قد قبع في كسر بيت أو انقطع الى سفح جبل لا يسمع إلا حسه ولا يرى إلا نفسه .

لا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه ، فيقطّ الرقاب ويجدل الأبطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد : وبدل الابدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع فيها بين الأضداد وألف بين الأشتات ، وكثيرا ما أُذاكِرُ الاخوان بها واستخرج عجبهم منها وهي موضع للعبرة بها والفكرة فيها .

ربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردّد والمعنى المكرر والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا ، فربما اتفق الكلام المختار في رواية ، فنقل على وجهه ، ثم وجد بعد ذلك رواية أخرى موضوعا غير وضعه الاول ، إما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة ، فتقتضي الحال ، أن يعاد استحضارا للاختيار، وغيرة على عقائل الكلام ، وربما بعد العهد أيضا بما اختير اولا ، فاعيد بعضه سهوا ونسيانا لا قصدا واعتمادا .

لا أدعي مع ذلك أنني احيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام، حتى لا يشذّ عني منه شاذ، ولا يند نادّ بل لا أبعد أن يكون القاصي عني فوق الواقع إليّ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يديّ، وما عليّ إلا بذل الجهد، وبلاغ الوسع وعلى الله سبحانه نهج السبيل ورشاد الدليل، ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة، اذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرب عليه طلابها.

فيه حاجة العالم والمتعلّم، وبغية البليغ والزاهد، ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وشفاء كلّ علة، وجلاء كل شبهة، ومن الله أستمد التوفيق والعصمة وأتنجز التسديد والمعونة، وأستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان، ومن زلة الكلم قبل زلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل.

* * *

شرح خطبة الرضي رضي الله عنه

قوله : أما بعد حمد الله أما فيها معنى الشرط قال سيبويه : إذا قلت إما زيد فمنطلق ، فكأنك قلت مهما يكن من شيء فزيد منطلق ، الا ترى أن الفاء لازمة لها ، وهذا الكلام مشتمل على جملتين شرط وجزاء وليس في قولك أما زيد فمنطلق إلا الشرط الثاني ، من الكلام الأول أعني الجملة الجزئية والفاء مزحلقة عن موضعها ، فاذن قد علم أن الحرف الذي هو أما يناب مناب الجملة المسقطة ، كما انيب نعم مناب أفعل ويا مناب أدعو وأن الفاء انما زحلقت عن موضعها ، لئلا تكون واقعة في صدر الكلام ، من قبل أن حقها في موضعها التوسط ، إما بين مفردين أو جملتين ، ونظيرها فيما يرجع الى مراعاة اللفظ والصورة .

قولهم : الضارب زيد ، أو كأنَّ زيدا الأسد ذكره العلامة الزمخشري [1] وقال غيره : أما للتفصيل بين شيئين ، أو أشياء وهي في الأصل ، ترجمة كلام هو شرط جزاؤه الجملة بعدها ، فقولك أما زيد فمنطلق أصله ما يكن من شيء فزيد منطلق ثم أقيم أما مقام هذه الجملة فحصل أما فزيد منطلق فكرهوا

---

١ ـ محمود بن عمر ابو القاسم الزمخشري ، كان اماما في التفسير والنحو واللغة والادب واسع العلم كبير الفضل ، متفننا في علوم شتّى ، ولد بزمخشر من اعمال خوارزم ، واخذ الادب عن ابي مضر الاصفهاني وله تصانيف كثيرة منها الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث ، واساس البلاغة ، وربيع الابرار سكن بيت الله الحرام ولقب بجار الله ، ثم رجع الى خوارزم ومات سنة ٥٣٨ .

الفاء التي من شأنها أن يكون متبعة شيئا أن يكون في أول الكلام فأخروها الى الخبر، فقالو أما زيد فمنطلق، فان وقعت بعدها جملة فعلية قدموا مفعول ذلك الفعل أو ما يجري مجرى المفعول كقوله تعالى : فأما اليتيم فلا تقهر وأما بنعمة ربك فحدث.[1]

الفاء التي يجيء بعد أما هاهنا هي التي في قوله : فاني كنت في عنفوان شبابي ، وبعد حمد الله ظرف لا بدّله من متعلق ، ومتعلقه هنا الأولى أن يكون مقدرا محذوفا ، والتقدير، فاني أقول بعد حمد الله كنت في عنفوان شبابي فحذف أقول وأقيم معموله الذي هو كنت مقامه ، وحذف القول كثير في القرآن ، وغيره ، قال الله تعالى : فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم ، أي ، فيقال لهم أكفرتم[2] وقال الشاعر:

جاؤابعذق هل رأيت الذئب قطّ .

أي بمذق يقال عنده هل رأيت الذئب (قط) ، وفي الحديث وجدت الناس أخبر تقله أي وجدتهم مقولا فيهم هذا القول ، ويقال ، حمدت الرجل إذا أثنيت عليه بصفاته الرضية وشكرت له إذا أثنيت عليه بمعروف أسداه اليك ، وقد يقام الحمد مقام الشكر، ولا يوضع الشكر موضع الحمد قال أنشده أبو زيد :

يا عجبا مما يقول صعوده يريدأن يحرمني وأحمده
ألا ترى ما بيننا ما أبعده .

والنعمة في أصل اللغة منفعة توصل الى الغير لينتفع به ، وكذا النعماء اذا فتحت النون مددت ، واذا ضممتها قصرت .

ومعاذا : أي لجأ وملجأ والثمن عوض المبيع وهو هنا استعارة لطيفة ،

---

١ ــ الضحى : ١١ .

٢ ــ عمران : ١٠٦ .

والبلاء الأختيار، وقال أبو الهيثم[١]: البلاء قد يكون حسنا، وقد يكون سيئا. وأصله المحنة، وقيل في قوله تعالى: وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم أي نعمة، وقال تعالى: وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا[٢].

قال الخارزنجي[٣]: الله تعالى يبلو عبده بالمصنع الجميل ليمتحن شكره ويبلوه بالبلوى ليمتحن صبره، قال تعالى: ونبلوكم بالخير والشر فتنة[٤]، فجعل الفتنة مصدرا من البلاء، وهما متقاربان إلا أنَّ الفتنة لا يكون إلا في الشر يعني ان حمد الله، مما يعاذ به من عذاب الله في الدنيا والآخرة، والوسيل جمع الوسيلة، وهي ما يتقرب به الى الغير، وروي سبيلا الى جنانه والجنان جمع الجنة، وهي البستان الذي تجنه الشجر إي يستره، وسببا الى زيادة إحسانه من قوله تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم[٥].

وفي قوله: ومعاذا من بلائه: إلمام بقوله تعالى: ولئن كفرتم إن عذابي لشديد، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين[٦]، وهو نبي الرحمة لوجوه.

أحدها: إن الله تعالى يرحم عصاة أمته بسبب شفاعته.

ثانيها: إنه رحم على كثير من أعدائه اليهود والنصارى. والمجوس،

١ ــ ابو الهيثم كنية جماعة من العلماء والمحدثين ولا نعلم أيهم كان مراد الشارح: وابو الهيثم بن التيهان كان من أصحاب امير المؤمنين عليه السلام وله مع علي اخبار حسان.

٢ ــ الانفال: ١٧.

٣ ــ ابو حامد احمد بن محمد الخارزنجي البشتي النيسابوري: امام اهل الادب بخراسان في عصره بلا مدافعة فاق فضلاء عصره ولما حج بعد الثلاثين والثلاثمائة: شهد له ابو عمر الزاهد صاحب ثعلب ومشائخ العراق بالتقدم: وكتابه المعروف بالتكملة البرهان في تقدمه وفضله: لما دخل بغداد تعجب أهلها من تقدمه في معرفة اللغة: فقيل: هذا الخراساني لم يدخل البادية قط وهو آدب الناس: فقال: انا بين عربين بشت وطوس: سمع الحديث من أبي عبد الله الفوشنجي وسمع منه الحاكم ابي عبد الله الحافظ: توفى في رجب سنة ٣٤٨.

٤ ــ الانبياء: ٣٥.

٥ ــ ابراهيم: ٧.

٦ ــ الانبياء: ١٠٧.

ببذل الأمان لهم وأخذ الجزية منهم ولم يأخذ من الأنبياء الجزية سواه ثم قال عليه السلام من أذى ذميا فقد آذاني .

ثالثها : أنه صلى الله عليه وآله سأل الله تعالى أن يرفع عن عباده بعده عذاب الاستيصال ، ورفع العذاب رحمة .

رابعها : أن الله تعالى وضع في شرعه الرخص تخفيفا لأمته وهو إمام الأئمة لقوله عليه السلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ، وقد يكون النبي إماما قال تعالى لابراهيم عليه السلام : إني جاعلك للناس إماما[1] ، وكل ما يجعله الانسان أمامه فيتبعه في خيره أو شره فهو إمامه .

قيل : الامام الطريق الواضح ، وسمى الامام إماما لأنه الطريق إلى سد الثغور وإقامة الحدود وحفظ البيضة ، وحلّ المشكلات .

سراج الأمة : إنما قيل لقوله تعالى : إنا أرسلناك شاهدا إلى قوله وسراجا منيرا[2] ، وهو سراج بمعنى أنه يستضاء باضواء علومه ، ويقتبس من أنوار أخلاقه وحكمه ، ويستقام على جادة الحق بامتثال أمره واقتفاء أثره ، ويستفاء إلى ظل هدايته ، وكنف رعايته ، والامة : الجماعة ، وأتباع كل نبي : أمته .

الطينة : الخلقة والجبلة ، والكرم : شرف الشيء في نفسه او في خلق من أخلاقه .

سلالة الشيء : ما استل وانتزع منه والمعرق : ذو العرق ، وأعرق الشجر امتدت عروقه ، وفلان معرق في الكرم أي له عرق في ذلك . وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : لم يزل ينقلني الله تعالى من أصلاب الطاهرين الى أرحام المطهرات ، لم يدنسني بدنس الجاهلية ، وكان عليه السلام من أولاد إبراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وكرمهما مشهور وكرم الضيافة منسوب إلى

١ــ البقرة : ١٢٤ .

٢ــ الاحزاب : ٤٦ .

إبراهيم عليه السلام.

من آبائه عليهم السلام قصي الذي قيل فيه أبوهم قصي كان يدعي مجمعا به جمع الله القبائل من فهر[١]، ومنهم من عبد مناف، وقيل فيه: ما ولدت ولدة من ولد أكرم من عبد مناف حسبا، ومنهم هاشم الذي قيل فيه:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف[٢]

وعبد المطلب قيل له شيبة الحمد.

العصمة: المنع والحفظ، والاعتصام وعصم الامم: أي بهم يتمسك الأمم، فيمتنعون ويتحفظون من ورطة الهلاك، وهم ألطاف للخلق بهم يقربون من الصلاح ويبعدون من الفساد.

المنار: الأعلام جمع منارة ولذلك أنث صفته ويقال هذا بازاء ذلك أي بحذائه ومقابلته.

الكفاء: المكافأة والمجازات وفلان لا كفؤ له أي لا نظير.

روي خوى نجم أي سقط وعنفوان الشباب أوله ونونه يجوز أن يكون زائدة من قولهم عفا أي طاب وصفا.

والغضاضة: الطراوة وخصايص الأئمة ما يخصهم من كمال الخصال عاقت: منعت والمحاجزة الممانعة وجمع المصدر لاختلاف أنواع المنع.

معجبين: وروي بفتح الجيم وكسرها وتشديدها والعجب ما لا يدري سببه وموجبه، ويكون على غير العادة (وعجبت من كذا[٣])، وعجبت غيري والكلمة البديعة المخترعة على غير مثال ومن روى معجبين فعجبهم بتلك البدايع لأنها من آثار إمامهم الذي ينتمون اليه ويقتدون به وقد عجزت

١ـــ الفهر بالكسر قبيلة من قريش وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وقريش كلهم ينسبون اليه.

٢ـــ يقال اسنت اذا اجدب واصابتهم السنة وهي القحط والجدب والعجاف جمع عجفاء وهي المهزولة.

٣ـــ ساقط في ض.

الفضلاء المصاقع[١] عن الاتيان بمثلها .

الناصح : الخالص من كل شيء والثواقب المضيئة وروي يواقيت وقوله : علما مفعول له أو حال أي عالمين والعامل فيه سألوني والقانون : الأصل وهو لفظ سرياني .

قيل : هو الثابت الذي لا يمكن أن يزاد فيه أو ينقص كالعبد القن يثبت عبوديته من جهتين ، يقال على فلان مسحة من جمال ، أي علامة وأثر ، ولا يقال ذلك إلا في المدح قال النبي صلى الله عليه وآله في جرير بن عبد الله البجلي : عليه مسحة ملك أي أثر ذلك ، وقال ذو الرمة :

على وجه ميّ مسحة من ملاحة * وتحت الثياب الشين لو كان بادياً

عبق به الطيب : أي لزق . وكلام علي عليه السلام شديد الشبه بكلام النبي صلى الله عليه وآله لأنهما غصنا دوحة[٢] وفرعا أرومة[٣] ، ولذلك ، قال : عبقة من الكلام النبوي ولم يقل عبقة من الكلام الألهي لأن بالعبق يبقى الأثر ولا يجب ذلك في المسح[٤] وكلام البشر كائنا من كان ليس من كلامه تعالى في شيء ، والدثرة الكثيرة ويؤثر أي ينقل .

المساجلة : المفاخرة وأصله في الدلو ، ورواية أبي الأغر[٥] لا يساحل أي لا يبلغ ساحله أي شاطئه ، والجم الذي لا يحاقل : أي الكثير الذي لا يدافع ولا يجامع .

---

١ ــ الخطيب المصقع اي البليغ الماهر في خطبته يحرض عليها وهو مفعل من الصقع وهو رفع الصوت .

٢ ــ الدوحة : الشجرة ، وكل شجرة عظيمة دوحة .

٣ ــ الارومة بوزن الاكولة : الاصل .

٤ ــ كذا في النسخ التي بأيدينا .

٥ ــ ابو الاغر هو أبيض بن الاغر عن ابي حمزة الثمالي ، قال البخاري ، يكتب حديثه قال ابن ابي حاتم روى عن صالح بن حيان ومجالد وعبيدة الضبي ، روى عنه مروان بن معاوية ويحيى بن حسان ، قال الدار قطني ليس بالقوي وذكره ابن حبان في الثقات .

قال صاحب المنهاج: سمعت بعض العلماء بالحجاز ذكر أنه وجد بمصر مجموعا من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام في نيف وعشرين مجلدا، والقطب قطب الرحى الذي عليه مدارها وقطب اليوم سيدهم الذي يدور عليه نظام أمرهم، وقطب الفلك جزء منه، عنده كوكب أبيض صغير بين الجدي والفرقدين، لا يبرح مكانه أبدا ويدور عليه الفلك وهو القطب الشمالي وقد قيل يجوز في قاف قطب الحركات الثلاث.

الخطبة: في الأصل الرسالة التي لها أول وآخر عن الأزهري، ويخصص في العرف بكلمات فيها ذكر الله تعالى ورسوله، وإعلام الناس وإخبارهم بأمرما، وأجمعت الأمر وعلى الأمر اذا عزمت عليه كذا في الصحاح.

الملامحة: المشابهة، من قولهم فيه ملامح من أبيه أي مشابه، وقيل هو من لمح أي رمق وأبصر، واللمح الأبصار بنظر خفيف، وروي ملاحمة من لاحمت الشيء بالشيء اذا الصقته به وضمته إليه وروي ملازمة.

منتظمة: روي بفتح الظاء وكسرها، وانتظم يكون لازما ومتعديا، والنكت يدل على تأثير يسير في الشيء والنكتة النقطة من ذلك ومنها نكت العلم كأنها تلوح وتبين من غيرها، واللمع أصل يدل على التوقد والبرقان، فقيل للكلم الفائقة على أمثالها في الحسن والبلاغة لمع، لتلألؤها في الحسن بين لداتها.

قبع القنفذ قبعا وقبوعا وقباعا: اذا أدخل رأسه في جلده وكذا الرجل اذا أدخل رأسه في قميصه، وذلك من علامات الزهاد المنقطعين عن الدنيا.

سفح الجبل: حضيضه وأسفله حيث يسفح فيه الماء، ينغمس: في الحرب استعارة أي يدخل في غمارها ويخوض فيها.

أصلت السيف: جرده من غمده، والقطّ: القطع عرضا والقدّ: القطع

طولا، ينطف: أي يقطر، والقطر يكون لازما ومتعديا، يجدل: يرمي على الجدالة، وهي وجه الأرض.

الأبدال: خيار من الرجال، هم أبدال عن خيار كانوا قبلهم، وقيل هم العباد الواحد بديل عن ابن دريد، وقيل بدل، وقيل الأبدال سبعون رجلا إذا مات منهم واحد بدّل الله مكانه آخرا، منهم اربعون بالشام، وثلاثون في سائر البلاد، وفي حديث أميرالمؤمنين الأبدال[١] بالشام والنجباء[٢] بمصر والعصايب[٣] بالعراق يجتمعون فيكون، بينهم حرب.

الزاهد: قليل الرغبة في الدنيا وقليل الحظ منها وقيل الزهادة في الدنيا والزهد في الدين، وزاهد الزهاد من هو زاهد بالنسبة الى الزهاد لا إلى الفساق كامام الأمة، فانه إمام بالنسبة الى العلماء لا بالنسبة الى الجهال.

قوله: جمع بها بين الأضداد: يعني في الزهادة والشجاعة، قال صاحب المعارج: الأخلاق توابع الأمزجة والشجاعة والزهادة خلقان لا يجتمعان، الا افي النادر، وفيمن كان مؤيدا من عند الله والسبب في ذلك أن الزاهد من وقف تفكره على العواقب، والشجاع من صرف عنان تفكره عن العواقب.

لذلك قال أميرالمؤمنين: من تفكر في العواقب لم يشجع، وشجاعته عليه كانت من جملة زهادته، فانه كان قليل الرغبة في الدنيا والبقاء فيها، وذلك دأب أولياءالله، والعارف زاهد شجاع، ومن عرف الله حق معرفته لم يخل من شجاعة وزهده كذلك قال بعض الحكماء، العارف شجاع، وكيف

---

١ ـ الابدال: هم الاولياء والعباد: الواحد بدل كحمل واحمال سموا بذلك لانهم كلما مات واحد منهم ابدل بآخر.

٢ ـ النجيب: الفاضل الكريم السخي وقد نجب ينجب: اذا كان فاضلا نفيسا في نوعه والجمع: النجباء.

٣ ـ العصائب: جمع عصابة: وهم الجماعة من الناس من العشرة الى الاربعين ولا واحد لها من لفظها: ومن حديث علي والعصائب بالعراق: أراد أن التجمع للحروب يكون بالعراق: وقيل أراد جماعة من الزهاد سماهم بالعصائب: لأنه قرنهم بالابدال والنجباء.

لا وهو بمعزل عن تقية الموت وجواد وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الباطل وزاهد لأنه ينزه سره عما يشغله عن الحق. ويتكبر على كل شيء غير الحق.

الشجاعة: هي الاقدام على المكاره في وقت الحاجة وإهانة الموت وهو محمود من جميع الناس، ومن الخلفاء والملوك أحسن: لأنه لا ينال صنف من أصناف الناس أقرب إلى المهالك والمكاره والمخاوف منهم، واذا لم يكن لهم قوة الاقدام على دفع المكاره والمخاوف لم يكن لهم استعداد الخلافة والملك وضد الشجاعة الجبن لا الزهد والعفة فان الزهد ضد الفجور لا ضد الشجاعة فلا يجب أن يتعجب من اجتماع الشجاعة والزهد.

فانهما ليسا من الأضداد بل يجب لكل عارف موحد أن يكون شجاعا زاهدا خصوصا اذا كان أميرالمؤمنين ولكن قد جرت العادة بأن من كمل في فن من العلوم، أو الاخلاق لم يكمل فيما سواه، والانسان الكامل في العلوم الانسانية والأخلاق الجميلة نادر، وكان اميرالمؤمنين عليه السلام في ساير الكمالات الانسانية من الفضائل اللايقة به حان[1] خصل الرهان وفاق جميع الأقران.

قوله: استخرج عجبهم، أي أعرفهم أنهم عاجزون عن أمثالها، فلا يبقى لهم حينئذ عجب منها[2] تصيبهم منها، أي من أجل معرفتها.

قوله: ان روايات كلامه يختلف اختلافا شديدا، سبب الاختلاف ربما كان أنه ذكر معنى واحداً غير مرة بألفاظ مختلفة كما يفعله البلغاء والفصحاء، ولأن بعض من سمع كلامه لم يقدر على حفظه ومراعاته وكان الناس في الصدر الأول يتلقفون الكلام من أفواه الخطباء على الولاء وذلك

١ ــ حان الشيء: قرب وقته وحان له ان يفعل كذا: آن له في ذلك والخصل: اصابة الغرض الخطر الذي يخاطر عليه في النضال: يقال احرز خصلة واصاب خصله أي غلب.

٢ ــ في ض عجب بانفسهم منها.

أمر متعذر جدا، فربما راعى بعضهم جنبة المعنى وقع لذلك تفاوت في الألفاظ، وربما نسى بعض الرواة شيئا أو تصور بعضهم فيه زيادة وكان ذلك سبب التفاوت.

قوله عقائل الكلام: عقيلة كل شيء: أكرمه وعقيلة الحي: كريمتها، سميت بذلك لأنها عقلت في خدرها أي حبست وحبست صواحبها أن يبلغها، وعقائل الكلم ما عقلت أخواتها أن يبلغن درجتها في الفصاحة.

القطر: الناحية والجانب وشذ الشيء عن كذا يشذ شذوذا انفرد عنه وندر، وند البعير يند ندا ونداد واندودا انفرد.

الربقة: الحبل والوسع الطاقة، والبلاغة إيصال المعنى الى القلب في حسن صورة اللفظ كما سبق وكل ما يبل به الحلق من الماء واللبن فهو بلال.

الغلة: حرارة العطش والجلاء الصقل، وجلاء الشبهة كشفها، ونجز: كمل وأنجز: أكمل، وتنجز: استوفى ونجز حاجته: قضاها وتنجزها: استنجحها.

التوفيق: لطف يفعله الله بالعبد يختار معه الطاعة، والعصمة: لطف يمتنع من المعصية عنده.

الخطا: نقيض الصواب سواء كان في الأقوال أو الأعمال، أو العقايد: ويروي من قلة العلم والجنان: القلب.

(لما شرعت في جمع هذا الكتاب كان العزم ان ابتدي بكلام صاحب معارج نهج البلاغة في كل فصل فانقحه وأهذبه ثم أردفه بما انفرد به صاحب منهاج البراعة على غاية الاختصار ثم إن عنّ[1] لي شيء مما لم يتعرضا له أو وجه أليق بالأصول مما أورداه أذكره من بعد واسمه شر علامة لحاشية الشرح

---

١ ـ عن له الشيء: ظهر امامه واعترض.

وعلى هذا الأسلوب جريت في باب الخطب ومن ثم تغير رأيي فأرسلت الكلام إرسالا ولم أسند اليهما الاما انفردا بذكره فيما اظن والله المستعان وعليه التكلان .

بسم الله الرحمن الرحيم (اللهم منك وبك ولك وفيك وإليك وحدك لا شريك لك[١]) قال أميرالمؤمنين ووارث علم النبيين (وأفضل الخلق بعد رسول رب العالمين[٢]) علي بن أبي طالب عليه الصلوة والسلام .

* * *

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض .

٢ ــ ساقط في ض .

باب المختار من خطب أميرالمؤمنين عليه السلام

وأوامره. ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحصورة، والمواقف المذكورة والخطوب الواردة.

١ ــ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمْ

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم. وفيها ذكر الحج

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلاَ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ[1] الْعَادُّونَ، وَلاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلاَ يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ (الَّذِي)[2] لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلاَ وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلاَ أَجَلٌ مَمْدُودٌ: فَطَرَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ. أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ

---

١ ــ في م: نعمه العادون.

٢ ــ ساقطة من م.

الإِخْلاَصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإِخْلاَصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ[١] كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ: فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، (وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ[٢] إِلَيْهِ) وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قالَ «فِيمَ؟» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ «عَلاَمَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَائِنٌ لاَعَنْ حَدَث مَوْجُودٌ لاَعَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُقَارَنَةٍ[٣]، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُزَايَلَةٍ فَاعِلٌ لاَ بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَٱبْتَدَأَهُ ٱبْتِداءً[٤]، بِلاَ رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلاَ تَجْرِبَةٍ أُسْتَفَادَهَا وَلاَ حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلاَ هَمامَةِ[٥] نَفْسٍ أُضْطَرَبَ فِيهَا. أَحَالَ الأَشْيَاءَ[٦] لِأَوْقَاتِهَا وَلأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا[٧] عَالِماً بِهَا قَبْلَ أُبْتِدَائِهَا مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَأُنْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا[٨] وَأَحْنَائِهَا. ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الأَجْوَاءِ وَشَقَّ الأَرْجَاء، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ فَأَجْرَى فِيهَا[٩] مَاءً مُتَلاَطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ. حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ

١ــ في م : بشهادة كل.

٢ــ ساقطة من م ون ور.

٣ــ في ك : لا بمقاربة بالباء.

٤ــ في ن : وابتدء ابتداء.

٥ــ في م ولا همة نفسي وفي ك : ويروى هما هم نفس.

٦ــ في ك : وروي اجل الاشياء وفي ر : اجال الاشياء.

٧ــ في ك وروي أسناخها.

٨ــ في ك : وروي اختانها وفي ر: وروي اخبائها.

٩ــ في ع : فاجاز وفي ر: فاجار فيها ماء.

الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ[١] فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً أَعْتَقَمَ مَهَبَّهَا وَأَدَامَ مُرَبَّهَا، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ. تَرُدُّ أَوَّلَهُ على آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ على مَائِرِهِ[٢] حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ. وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلاَ دِسَارٍ[٣] ينتظمها ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَقَمراً مُنِيراً: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ[٤]. ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمٰوَاتِ الْعُلَا، فَمَلأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَيَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لَا يَتزَايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ. لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ العيون[٥]، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلاَ غَفْلَةُ النِّسْيَانِ. وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ[٦] عَلَى وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى

١ــ في ر: وروي: والرعود القاصفة.

٢ــ في ض و ب: ترد اوله الى آخره وسآجيه الى مآثره.

٣ــ في ض: ولادثار ينظمها.

٤ــ في ع: وسقف مائرور قيم سائر.

٥ــ في ب: نوم العين.

٦ــ في م: فمنهم امناء.

رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ[1] وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ[2] السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ. والْخَارِجَةُ مِنَ الأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ. نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ. لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالأَمَاكِنِ[3]، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ[4].

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ[5]. وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وأَمَدٍ مَعْلُومٍ؛ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ، وَالأَلْوَانِ وَالأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالأَخْلَاطِ

١ــ في م: لابواب جنابه.

٢ــ في م: في الارض أقدامهم.

٣ــ في م: ولا يحدونه بالمواطن.

٤ــ في ك: وروي بالنواظر.

٥ــ في ع حتى خضلت.

الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ؛ (والمساءة والسرور)[١] وَٱسْتَأْدَى ٱللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ[٢]؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (ٱسْجُدُوا لِآدَمَ) فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ٱعْتَرَتهم[٣] الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ وَٱسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ؛ فَأَعْطَاهُ ٱللهُ النَّظِرَةَ ٱسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَٱسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ؛ فَقَالَ (إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً[٤] عَلَيْهِ بِدَاءِ الْمُقَامِ وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَٱسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً، وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً ثُمَّ بَسَطَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَه الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَار الْبَلِيَّة، وَتَنَاسُل الذُّرِّيَّة.

وَٱصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ ٱللهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَٱتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ واجتبلتهم الشَّيَاطِينُ[٥] عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَٱقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ

١ــ ساقطة من ب.

٢ــ في م: والخضوع لتكرمته.

٣ــ في روك: اغترتهم الحمية وفي ض: اعترته الحمية وغلبت عليه الشقوة.

٤ــ فحام: فاغتره عدوه ابليس وفي ع: فاغتره ابليس.

٥ــ في ح وض واجتالتهم الشياطين وفي ر: واختالتهم.

فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ[١] مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ[٢] آيات الْمُقَدَّرَةَ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَاب تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ؛ وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ[٣] خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ: رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ: عَلَى ذٰلِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُول ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَتَمَامِ نُبُوَّتِهِ[٤]، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ كَرِيماً مِيلَادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَطَوَائِفُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلّٰهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي ٱسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، (فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهالَةِ.)[٥] ثُمَّ ٱخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبَلْوَى[٦]، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً

١ـ في م : ويذكرونهم .

٢ـ في ض وب : الايات المقدرة .

٣ـ في ض وب : ولم يخل سبحانه .

٤ـ في ح : واتمام نبوته .

٥ـ ساقطة من ن وش .

٦ـ في ن وح : عن مقام البلوى .

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا -إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً: بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلاَ عَلَمٍ قَائِمٍ كِتَابَ رَبِّكُمْ فيكُمْ: مُبَيِّناً حَلاَلَهُ (١) وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً جُمَلَه (٢)، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ (٣) عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ (٤) لِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ: مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَلَهُ غُفْرَانَهُ. وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ.

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ (٥)، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَٱخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلاَئِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ:

١ـ في ر: مبين حلاله وحرامه.

٢ـ في ب: مجمله.

٣ـ في ب: ميثاق في علمه.

٤ـ في ض و ن: واجب بوقته.

٥ـ في ح وض حج بيته الحرام وفي ك: ويروي وفرض عليهم.

يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عنده مَوْعِد مَغْفِرَتِهِ[١]، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلإِسْلاَمِ عَلَماً. وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ[٢] حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْه سَبِيلاً، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ).

١ــ في ض و ب: عند موعد.

٢ــ في ح: فرض حقه واوجب حجه.

شرح

ألحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون : الى قوله عارفا بقرائنها وأحنائها .

ش : مدحته الفعلة بكسر الفأللحالة أي لا يصل المداح إلى كيفية المدح الذي يستحقه تعالى إذ الأوهام كما عجزت عن الاحاطة بذاته المنزهة عجزت عن الاتيان بمدحه وثنائه على نعمه التي ليست تحصى وتعد كما قال : أنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ع : القائل أعم من المادح أتى بالأعم على معنى أنه لو كان كل قائل مادحا لم يبلغ كنه مدحه وقيل : المراد أنهم لا يأتونه بالبلاغة في مدحه .

قال الشيخ الجليل أحمد بن محمد الوبري الخوارزمي (١) رحمه الله : هذا الكلام يحتمل وجهين .

أحدهما أنه كانت له حالة رفيعة يستحق بها التعظيم فلا وقت ينتهي إليه مدحه ، ويقف عليه بل ما من وقت في المستقبل إلا وحقه ثابت فيه إلى ما لا نهاية له وهذا مستمر شاهدا وغايبا .

الثاني أن الممدوح يستحق التعظيم ، والمدح ، بكل خصلة من خصال الخير بفعلها فلما كانت أفعاله تعالى كلها مختصة بالحسن والاحسان ولا يمكن عدها وإحصاؤها على التفصيل كما قال : وإن تعدوا نعمة الله لا

---

١ ــ لم نجد له ترجمة في المصادر التي بايدينا له شرح على نهج البلاغة وكان معاصرا لعلي بن زيد البيهقي وذكره في شرحه على النهج .

تحصوها[١] فلا يمكن للخلايق وان بذلوا مجهودهم أن يبلغوا تعظيمه ومدحه على التفصيل حتى يمدحوه عالما بكل معلوم، وقادرا على كل مقدور، وانما يمدح بكونه قادرا عالما على الاجمال والمدحة أخص من المدح وهو الثناء الحسن.

قيل: إنهم لا يبلغون مدحته لأن عقولهم لا تحيط بكنه معرفته (كما سبقت الاشارة اليه[٢]) ولذلك قيل تفكروا في المخلوق، ولا تفكروا في الخالق.

ولا يحصي نعماءه العادون.

ج: إنما قال العادون[٣]، لأن العدد من العدّ. وهو الماء الذي لا يقطع كماء العين، ولم يقل الحاسبون لأن الحاسب من الحسبان، وهو الظن، ويروى ولا يحصى مبغاه.

(قال بعض المتكلمين[٤]) يعني لو قدرنا أوقاتا مع الله تعالى لم يكن لها نهاية، فنفي الاحصاء وإثباته يرجع الى مقدر محذوف وهو الأوقات لأن البقاء ليس بأشياء فيعد، ولا يجوز أن يحصى الواحد، وقيل الحصاة العقل. ويحصي أي يعقل، أنشد أبو عمرو.

سكران لا يحصي ولا يبين.

أي لا يفهم ولا يعقل، والمراد أن بقاه بقاء لأمثال له في الشاهد، فلا يعقل من طريق الاستدلال بالشاهد على الغايب، العادّون الذي يعدون الدلايل والشواهد، ولذلك قيل العجز عن درك الادراك إدراك.

روي عن زين العابدين عليه السلام أنه قال: غاية السبيل اليه تعالى أن يعرف أن لا سبيل إليه، ويحتمل أن يريد أنَّ بقاه لا يمكن أن يحصى

١ ــ النحل: ١٨.
٢ ــ بين الهلالين ساقط في ض.
٣ ــ فاقد في ض.
٤ ــ الزمر: ١٩.

بالساعات ، والأيام والشهور والأعوام كما يمكن ذلك في المحدثات لأن بقاه تعالى ليس بزماني إذ هو خالق الزمان .

ولا يؤدي حقه المجتهدون : الحق الوجوب قال تعالى : أفمن حقت عليه كلمة العذاب[١] أي وجبت ، وحق الله على العباد ما وجب له عليهم من شكر النعم فالعباد يعجزون عن شكر نعمه على التفصيل كما يعجزون عن إحصائها على التفصيل ، قيل شكر النعم لا ينتهي إلى حالة يقتصر عليها ، حتى لا يتعداها بل هو ثابت أبدا فكذلك حقه تعالى لا ينتهي حتى لو دام البقاء بالحق إلى ما لا نهاية له لكان حقه لازما لهم ولهذا يمدحه أهل الآخرة ويعظمونه لا الى آخر مع انقطاع التكليف وقد جعل الله تعالى شهواتهم في مدايحهم[٢] .

ج : الحق ما يكون أخذه حقيقيا أي أن حقوقه على العباد عظيمة لا يمكن المجتهدون في الطاعة وفي التحرز من المعصية القيام بقضاء حق من تلك الحقوق على الوجه الذي يجب وإنما أفرد لفظة الحق مع كثرة حقوقه إما لأن الحق مصدر يقع على القليل والكثير أو لأن حقا من حقوقه لا يمكنهم أداؤه ، فكيف بالجميع .

الذي لا يدركه بعدُ همّ الهمم ش ـ العبد إن كان على مصدريته فاسناد الادراك إليه مجاز كما يقال ، قطع السكين العظم ، وقتل السم فلانا وحقيقته لا يدرك ببعد الهمم وقطع العظم بالسكين ـ[٣] ، وجائز أن يكون على طريقة حذف المضاف أي صاحب بعد الهمم ، أو ذو بعد الهمم ، أو يكون المصدر بمعنى الفاعل ، أي بعيد الهمم . وكذا القول في غوص الفطن ، من أراد من المكلفين ، أن يبلغ في معرفته تعالى إلى حيث لا

---

١ ــ كذا في النسخ .

٢ ــ في ض : ولا يدفع بتلك الشبهة .

٣ــ في ش : شهواته في مدايحه .

مجال للشك والشبهة، فيه في دار التكليف فقد رام أمرا لا يحصل له.

لأن العلم به تعالى مكتسب ولابد من جواز طريان الشبهة عليه ولا يدفع تلك[١] الشبهة إلا بالمواظبة على النظر في الأدلة ومراقبة طرق المعرفة، والعلم الضروري مع التكليف لا يجتمع، فقوله: لا يدركه بعد الهمم، أي لا يعرفه المكلف مع بقاء التكليف. ضرورة، وقيل: الهمة القصد ويعني بالأدراك ادراك المحسوس المكاني وبالقصد (القصد) الى مثل هذا المدرك أي لا يدرك تعالى إدراك الشيء المكاني إذ هو منزه عن المكان.

ولا يناله غوص الفطن: أي لا يدركه هجوم الأفهام، على أمر مستقبل بل إنما يعرف تعالى بالدلائل المحسوسة، من أفعاله أو بنفس الوجود واعتباره كقولك: الوجود إما واجب أو ممكن ووجوده تعالى واجب فليس بممكن بما ثبت له من البرهان وقد أشار الله تعالى الى الطريقين في قوله: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم[٢]، وفي قوله: أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد[٣].

أي لا يرى تعالى بالمشاهدة كالأجسام وكثير من الأعراض لا ينال باصابة الأحكام كبعض الأعراض، وإنما يعلم من طريق الصنع، زاوج بين الميم والنون، في الهمم والفطن، لتقارب مخرجيهما. ولذلك يدغم أحدهما في الأخرى في نحو إما للشرطية.

ليس لصفته حد محدود: قال الوبري: أي نهاية، لكونه مختصا بالوجود لأنه قديم وليس لعالميته[٤] حد إذ لا ينتهى الى معلوم لا يعلمه: وقيل يعني حد مركب من الجنس، والفصل، لأن مثل هذا الحد إنما يكون لما لا وحدة له. قلت تقديره على هذا التأويل ليس لصاحب صفته أي لذاته، قال:

---

١ ــ ساقط في ش.

٢ ــ فصلت: ٥٣.

٣ ــ فصلت: ٥٣.

٤ ــ في ش: للعالمية حد.

وقيل: لو كان للصفة حد لكانت الصفة حقيقة[1] منفردة هي بحقيقتها المنفردة معلومة بنفسها بلا اعتبار الذات ولا اعتبار لحقيقة الصفة على الانفراد، ولا وجود كما لا اعتبار للذات إلا بكونها على صفة، فلذلك قال: لا نعت موجود يعني ليس للصفة اعتبار على الانفراد ولا ولا وجود للانفراد مع وجود كل محدود ليتركب في المعنى.

ولا نعت موجود قال الوبري: ولا منعوت لان النعت قولنا وهو موجود فلابد من صرفه الى منعوت أو ذي نعت على تقدير حذف المضاف أي لا مثل له فيما يختص به من القدم فهو معنى قوله تعالى: ليس كمثله شيء[2].

ولا وقت معدود: لأن الأوقات توابع حركات والأفلاك الأفلاك وحركاتها محدثة، والحوادث لا تصحب القديم، وقيل يعني بالصفة الوجود لا حدّ له (وانما يشرح اسمه إذ كل ما يحدّ به فهو أبين منه ووجوده ذاته فلا حد له[3]) ولغيره من الجواهر والأعراض حدود ورسوم ولا نعت أي لا سبب؛ وقد جاء النعت بمعنى السبب؛ قال الراعي[4]:

لكل أمور في الزمان نعوت.

أي أسباب، وقال كلاب بن مرة يصف الكعبة:

بيت أبينا[5] سيد البيوت * شرفه مسبب النعوت

أي مسبب الأسباب أي ليس لوجوده سبب موجود وهو موحد ومن المعقولات ما لا حدود له، كالأجناس العالية، فانها متصورة وليست

١ــ في ض: حقيقة هي.

٢ــ الشورى: ١١.

٣ــ بين الهلالين في ض.

٤ــ الراعي شاعر من بني نمير وهو عبيد بن الحصين والراعي لقب له وهو من رجال الحماسة.

٥ــ في الأصل: بيت أبيها.

بمحدودة إذ لا أجناس لها، بل هي أجناس الأجناس، وأما الحدّ فقيل: هو قول دالّ على ماهية الشيء، وقيل هو ما يدلّ على الشيء دلالة، مفصلة متصلة بما به قوامه وفيه احتراز من الرسم وشرح الاسم، وقيل: الحدّ قول وخبر يعرف المحدود.

ولا أجل ممدود: أي غاية ينتهي وجوده إليه فينتفي، فيكون مفهوم هذا نفي الآخرية، ومفهوم قوله: ولا وقت معدود نفى الأولية، فالحاصل أنه تعالى لا يقارنه الزمان مطلقا، فيستحيل عدمه، إذ هو واجب الوجود، وهو تعالى أول من حيث أنه موجد كل موجود؛ إما بواسطة أو لا بواسطة، وكل موجود سواه، ففيه أثره أولا؛ ومن حيث أنه أولى بالوجود من غيره، لأنَّ وجوده واجب، ووجود غيره ممكن، وهو آخر لأنَّ إليه المنتهى[1].

لأن الأشياء إذا نسبت إلى أسبابها ومباديها وقف عنده المنسوب، ولأنه الغاية الحقيقية في كلّ طلب إذ هو مطلوب كل طالب ومعبود كل عابد، لا لغيره، بل لأنه يحقّ أن يعبد، ويطلب رضاه لعظمته، وجلاله وكبريائه وهو آخر إذ هو ليس بزمانيّ، بل هو خالق الزمان وكل زمانيّ فقد يمكن أن يوجد زمان وزمانيّ متأخر عنه، واعتبر ذلك بنعيم أهل الجنة، وهو تعالى منزه عن ذلك، وقيل إنه آخر باعتبار أنه يفني كل حيّ مخلوق فلا يبقى موجود سواه.

(ج حدّ محدود: وصفه بما هو منه للمبالغة كقولهم شعر شاعر أي لا يبلغ كونه قادر إلى غاية من المقدورات لا يصح منه فعل شيء منها، ولا يبلغ كونه عالما إلى نهاية، لا يعلم شيئا آخر أو لا يصحّ منه احكام فعل بخلاف غيره من القادرين والعالمين، وكذلك ليس لكونه حيّا موجودا أول إذ لم يكن

---

١ ــ في الأصل: إليه ينتهى.

في وقت ميتا أو معدوما، والصفة في الأصل مصدر يقع على القليل والكثير[١]) (وقيل إن الصفة هو قول الواصف -أي ليس لوصفنا إياه بما نذكره من الحمد والمدح ونحوهما غاية[٢]).

قيل: المراد بقوله: نعت موجود، أي قدرة موجودة، وعلم موجود وحيوة موجودة، وإنّما جاز ذلك لأنّ كل واحدة منها عند من أثبتها توجب صفة، فسمى الموجب باسم الموجب توسعا، وإنما حكم بهذا المجاز لقرينة، وهي وصفه عليه السلام النعت بالموجود، والصفة لا توصف، قلت: ويمكن أن يأوّل قوله عليه السلام ليس لصفته حدّ ما تؤوّل عليه قول العرب:

ولا ترى الضبّ بها ينجحر.

أى ليس بها ضب[٣] فينجحر وليست له تعالى صفة فيتحد إذ هو تعالى منفرد بصفة الوحدة متنزه عن تطرق المزايا إليه، والكثرة، والصفة المنفية عنه هي المنبئة عن أمر زائد على الذات كما في سائر المعقولات وصفاته المعلومة ليست من ذلك في شيء إنما هي نسب وإضافات وبتكثير النسب لا بتكثير المنسوب إليه، كما هو مشروح في مظانه. ويقوى هذا التأويل إطلاق قوله عليه السلام فيما بعد.

فمن وصف الله فقد قرنه: وعلى هذا يساق ما يليه.

فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته.

فطر: ابتدأ وابتدع، حد الريح أنها حركة الهواء؛ وفائدة الرياح أنها تروح الأجسام وتزجي[٤] السحاب من موضع إلى آخر؛ ليعم نفعه؛ وتلقح

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٢ ــ بين الهلالين ساقط في ش و ض.

٣ ــ الضب حيوان من الزحافات ذنبه كثير العقد ومن أمثالهم اعقد من ذنب الضب أي مشكل لا تحل عقدته؛ وانجحر الضب او السبع: دخل جحره؛ والجحر: الغار البعيد القعر.

٤ ــ يزجي: يسوق وفي الحديث كان يتخلف في المسير فيزجي الضعيف: أي يسوه ليلحقه بالرفاق.

الأشجار (وتسير السفن وتذوي[1] الأطعمة وتبرد الماء؛ وتشب النار[2] وتجفف الأشياء الندية) ولو لا الريح لذوي النبات فسدت الأشياء ألا ترى أن الريح إذا ركدت (كيف) يحدث الكرب وتمرض الأصحاء وينهك المرضى ويعفن الثمار والبقول ويحصل الوباء.

الباء في بقدرته لاستصحاب الحال[4]؛ كقولنا رفع يديه بالتكبير أي مكبرا يعني أنشأ الخلق قادرا عليهم أي تأثيره ايجادي لا إيجابيّ؛ والعرب يستعمل الريح في العذاب والرياح في الرحمة؛ وبذلك نزل القرآن قال تعالى: بريح صرصر[5] وقال: الريح العقيم[6]؛ وقال: ينشر الرياح يرسل الرياح[7]؛ وهذا إيماء إلى أن ثواب الله مزيد مضاعف على المستحق، وعقابه مقصور على الاستحقاق؛ فلذلك جمع ما فيه النعمة وأفرد ما فيه النقمة. والرحمة من الله تعالى إنعام وإفضال؛ ومن الناس رقة في القلب؛ يقتضي الاحسان إلى المرحوم.

ووتد بالصخور ميدان أرضه ش: أصح الروايتين تحريك الياء وهو مصدر ماد يميد: إذا تحرك وهو مأخوذ من قوله تعالى: والجبال أوتادا.

ج: أي أرسى الأرض وثبتها بالجبال كما يرسي البيت بالأوتاد وعنى[8] بالصخور الجبال.

أول الدين معرفته: ج -يعني أول أمور الدين المقصودة في نفسها؛ وعند العلماء النظر أول واجب لأنه الوصلة إليها؛ والتصديق به قيل: هو أن يصور

---

١ ــ ذوى: أي يبس؛ ذوى النبات: ذبل ونشف ماءُه.

٢ ــ شب النار: إذا اوقدها فتلألأت ضياء ونورا.

٣ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٤ ــ في ض: الباء في بقدرته للحال.

٥ ــ الحاقة: ٦.

٦ ــ الذاريات: ٤١.

٧ ــ الروم: ٤٨.

٨ ــ في شي: كنى بالصخور الجبال.

هويته ويصور معنى اسمه تعالى تصورا بحسب الذات.

وكمال التصديق به توحيده: أي معرفة أنه واحد في صفات الالهية وهو مخالف لما عداه؛ فيما يختص به ويستحقه لا يشاركه فيه غيره؛ وقيل: توحيده تصوره بحسب الذات؛ بحيث لا يؤدي إلى كثرة وانقسام: فان واجب الوجود لا يقال على كثرة بوجه. ولا ينقسم بأجزاء القوام مقداريا أو معنوياً؛ وإلا لكان كلّ جزء من أجزائه إما واجب الوجود؛ فيتكثر واجب الوجود؛ وإما غير واجب الوجود؛ فهي إقدم بالذات من الجملة فيكون الجملة أبعد من الوجوب منه؛ فهو واجب لا ينقسم؛ تقديرا ولا عدّا واحد لا يقارن نظيرا ولا ضدا واحد ذاتا ونعتا وكلمة وحدّا.

وكمال توحيده الاخلاص له: قيل: الاخلاص أن يغيب عن نفسه فيلحظ جناب القدس فقط؛ وإن لحظ نفسه فمن حيث هي لا حظة.

قال الوبري[١]: يدخل في الاخلاص العلم؛ والاقرار باللسان؛ والعمل بالأركان؛ كما ذكر تعالى في قوله: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين[٢]؛ وقيل: الاخلاص في العمل أن يكون المتقاضي في النية للعمل الصالح واحدا؛ كأن يصوم مثلا وغرضه الثواب؛ فان كان غرضه الثواب وحفظ الصحة أو قلة المؤونة؛ فهذا خارج عن الاخلاص.

وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه: يعني بالصفات ما يكون غير الله تعالى زايدا عليه، وقيل: المراد بذلك أن الجنس صفة للنوع والفصل أيضا صفة له، ولكل واحد من الجنس والفصل، مفهوم غير مفهوم الآخر، والنوع مركب من الجنس والفصل، فنفى الصفات التي تجري مجرى الجنس والفصل عن الله تعالى، والدليل على ذلك قوله.

---

١ ـــ في ض: وقد قيل.
٢ ـــ البينة.

لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف : لأن مفهوم الجنس ومفهوم الفصل ، غير مفهوم النوع ، ومفهوم النوع الذي يقومه الجنس والفصل غير مفهوم كل واحد منهما على الانفراد ، لان الجنس والفصل ، هما الحد والنوع هو المحدود وفرق بين المحدود والحد لذلك قال :

وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة : من وصف الله تعالى كما يوصف النوع بالجنس والفصل والخواص ؛ فقد جمع شيئا إلى شيء ؛ ومن جمع بين الجنس والفصل وركب منهما نوعا في ذهنه فقد ثنى .

ومن ثناه فقد جزأه : لأن الجنس جزء النوع ؛ والفصل جزء آخر وهما من أجزاء القوام .

ومن جزأه فقد جهله : وما عرفه ، فواجب الوجود تعالى لا فصل له ولا جنس ، ولا حدّ له ولا نوع له ، ولا ندّ له .

وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه .

ج الدين : الطاعة لغة ، والاسلام والملة عرفا ، ولا تنافي بينهما لأن الله تعالى قد أمر العقلاء ؛ أن ينظروا في الدليل ليعرفوا الله فمن عرفه فقد أطاعه وكذلك أمر بالايمان به والتصديق له ؛ وأن يوحدوه ؛ ولا يشركوا به شيئا ؛ وأن يخلصوا له في العبادة من غير نفاق ولا رياء ؛ ولا سمعة ؛ فمن أتى بشيء من ذلك ؛ فقد أطاعه فيه ؛ فهذه بعينها هي الملة والاسلام ؛ وكمال الدين الفرايض ؛ فأما السنن فانها زينته ؛ والتصديق من أفعال القلوب .

من علم ما أوجبه الله على عباده وحقق ذلك وصدّق أنه مصلحة لهم ؛ والاخلال به على كل وجه ؛ مفسدة منهم ؛ فهو مؤمن مصدق ؛ والاقرار باللسان والعمل بالأركان حليتان وفرعان ؛ للأصل الذي هو الايمان ؛ لا يزول الأصل بزوالهما ؛ ووحدت الشيء : أي قلت إنه واحد أو علمت ذلك ؛ والأصل أن يجعله كذلك والاخلاص أن يخصّ المعبود بالعبادة ؛ ولا تشرك

فيها غيره؛ والمراد بالصفات: المعاني لأنّ أصحاب الصفات هم الأشعرية[١].

واللفظ وأن كان عاما فانه يخص بالدليل المنفصل؛ ولما لم يتفصل المعاني عن الصفات؛ وكانت عدلا لها جاز أن يقام مقامها كما يذكر المسبّب ويراد به السبب؛ ويؤكد هذا التأويل الرواية الأخرى على ما أورده الشيخ للمفيد[٢] في الارشاد جلّ أن تحله الصفات لشهادة العقول أنّ كلّ من حلته الصفات مصنوع؛ وقيل أراد بالصفات صفات المخلوقين خاصة كقوله عليه السلام في آخر الخطبة:

ولا يجرون عليه صفات المصنوعين.

لأنه أثبت الصفة له تعالى في أول الخطبة بقوله: ليس لصفته حد محدود؛ على ما يقتضي أدلة العقول فان صفات العظمة لا ينفي عنه تعالى؛ وإنما يجب نفي صفات النقص عنه كيف وقد نطق القرآن بصفاته فضلا عن الدلائل العقلية؛ قال تعالى: هو على كل شيء قدير؛ وهو بكل شيء عليم؛ هو الحي لا إله إلا هو؛ فلما أثبت عليه السلام الصفة أولا ونفاها ثانيا؛ علمنا أنه أثبت غير ما نفى لجلالة رتبته عن نقيصة التناقض.

---

١ ـ الأشعرية: أصحاب أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري قال الشهرستاني: ومن عجيب الاتفاقات ان أبا موسى الأشعري كان يقرر بعينه ما يقرره الأشعري في مذهبه وعقائد الأشعرية مبسوطة في كتب العقائد فراجع.

٢ ـ أبوعبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي، فخر الشيعة ومحيي الشريعة؛ ملهم الحق ودليله ومنار الدين وسبيله: اجتمعت فيه خلال الفضل وانتهت إليه رياسة الكل؛ واتفق الجميع على علمه وفضله وفقهه وعدالته وثقته وجلالته كان رحمه الله كثير المحاسن؛ جم المناقب «حديد الخاطر» حاضر الجواب واسع الرواية، خبيرا بالأخبار والرجال، والأشعار؛ أوثق أهل زمانه بالحديث، واعرفهم بالفقه والكلام، وكان يناظر أهل كل عقيدة وكان كثير الصدقات: عظيم الخشوع كثير الصلوة له كتب وآثار توفى سنة ٤١٣ ببغداد؛ وقبره مشهور في البقعة الكاظمية.

(ومن سلك طريقة أبي الحسن البصري[١] ؛ قال) إنه تعالى منزّه عن الصفات على الاطلاق وإنه إنما يخالف سائر الذوات بذاته المتميزة بنفسها ؛ إذ لو تميزت بصفة لوجب في تلك الصفة ؛ أن يتميز من سائر الصفات بصفة أخرى ؛ أو بحكم ؛ والكلام في الصفة الأخرى أو في الحكم كالكلام في الصفة الأولى ؛ فاما أن يتسلسل وذلك محال أو ينتهي إلى أمر يتميز بنفسه ؛ فليتميز ذاته المنزهة بنفسها .

ش قلت : أول الاسلام أن تعرف ذات الباري تعالى ، وكمال هذه المعرفة أن تحقق ذلك بحيث لا يتخالجنك[٢] فيه ريب ، وتصدق ؛ بذاته وما يجب لها ويسوغ ، وما يستحيل عليها ، وكمال هذا أن تعرف يقينا أنه واحد من كل الوجوه ، بحيث لا طريق للكثرة والتعدد ، والانقسام إلى ذاته بمعنى من المعاني ، وكمال التوحيد أن تعرفه خاصا خالصا ، أي منزها عن مشابهة من سواه ، وعما يضاف اليه من الزوائد .

فانه كمال إنقسام في ذاته ، كذلك لا حاجة به إلى أمر يحصل له بذلك نوع كمال ، كما ثبت له من الصفات الزايدة عليه ؛ وهذا هو محض التوحيد ان حصل بالبراهين النيرة لا بالتقليد .

ومن أشار إليه فقد حده ع : قيل : أراد الاشارة الحسية ؛ وهي لا تصح إلا بآلة ، الآلة لا تصح توجيهها إلا إلى متحيز ، والمتحيز لا يكون إلا في جهة ؛ وما كان في جهة لابد من كونه محدودا متناهيا في المساحة ، لأن ما لا حدّ له ولا نهاية وكان ذا أجزاء استحال وجوده ، وقيل أراد الاشارة الوهمية لأن الوهم لا يثبت موجودا إلا مشارا إلى جهته والحدّ هنا الجهة والمكان .

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض ومحمد بن علي الطيب ابو الحسين البصري المتكلم على مذهب المعتزلة ؛ وهو احد ائمتهم الاعلام المشار اليه في هذا الفن ؛ له تصانيف منها المعتمد في الفقه وهو كتاب كبير توفى سنة ٤٣٦ .

٢ ــ لا يتخالجنك : أي لا يتحرك فيه شيء من الريبة والشك ؛ واصل الاختلاج الحركة والاضطراب .

ومن حده فقد عدّه: لأن الابعاد والاعداد واقعان تحت جنس، وقيل الحد مركب من جنس وفصل، فما لا تركيب في حقيقته وماهيته فلا حد له، إذ ليس له مقومات فتعده.

ومن قال فيم فقد ضمنه: لأن كون الشيء في الشيء إنما يعقل بمعنيين أحدهما كون الجسم في المكان كالساكن في الدار، والثاني كون العرض في الجسم، وهو تعالى ليس بجسم فيصح عليه الكون، ولا يعرض فيصح عليه الحلول. ولا معنى للتضمين سوى هذين.

ومن قال علام فقد اخلى منه ما عداه ما علاه من الأماكن، فينقطع أثره عما يبعد عنه، وقيل نفى عنه المقولات العشر وهي الجوهر، والكمّ المتصل، والكم المنفصل، والوضع، والاين، ومتى، والجدة، والكيف، والمضاف وان والكيف والفعل وان ينفعل وقيل أراد من اشار الى معبوده بنظير وتوهمه بتصوير فقد جعل له من المكان غاية ومن المحل نهاية ومن حده بالمحالّ والجهات فقد جعله من المعدودات ومن قال أنه حالّ في شيء فقد جعله من الاعراض الحادثات.

من تصوره مستقرا على العرش فقد أخلى منه الأرضين والسماوات وفي ذلك رد على المجسمة والحلولية ومن جعل له محلا جعل وجوده مضمنا بوجود محله مع كل شيء بمعنى الحفظ والعلم لا بمعنى الحلول والمجاورة بعيد من أن يدركه الحواس أو يقاس بالناس في المباينة والمزايلة.

إذ لا منظور: إذ عبارة عن تقدير الوقت ولا يستوحش كلام مستأنف والواحد مالا ينقسم في نفسه أو في صفته فهو تعالى واحد بمعنى انه لا نظير له ولا شبيه أو أنه مختص بصفات لا يشركه فيها غيره على ذلك الوجه.

كائن لاعن حدث: أي موجود لم يزل، وقد يستعمل كائن بمعنى موجود، كما يستعمل بمعنى شاغل للجهة، والثاني لا يليق بغير الجسم

والجوهر، موجود لا عن عدم، تاكيد لما سبقه أي لم يسبق وجوده عدم، إذ لو كان كذلك لاحتاج الى سبب في الوجود، ولكان ممكن الوجود، وقد تحقق كونه تعالى واجب الوجود، وقيل كائن لا عن حدث أي موجود لا كوجود الانسان من النطفة المحدثة، والسيف من الحديد المحدث والمتولدات عن الأسباب المحدثة.

موجود لا عن عدم أي لا يسبقه عدم أصلا كالعالم المحدث، كان الله تعالى أحدثه لا عن مادة، وأصل ومثال.

مع كل شيء لا بمقارنة: بل باحاطة العلم و باقتدار على أبلغ ما يعقل؛ يقال الأمير معي أي مثاله معي، أو تشريفه أو نصرته أو عنايته، وذلك بعد تحقق استحالة المعية في حقه تعالى بالحلول أو المجاورة، وروي بمقارنة بالباء والنون.

وغير كل شيء لا بمزايله: الغيرية بالمزايلة هي إنفراد الذاب عن ذات أخرى، وهي صفة ثابتة لكل شيء، فلا يقع بها المباينة (بين القديم، وكل محدث فلا يعقل الغيرية، لا بالمزايلة، إلا المخالفة والمباينة[1]) في الصفات، وقيل معناه أنَّ واجب الوجود لا يشارك شيئاً ما في معنى جنسي منفصل بائن، بذاته، عن كل شيء، لا بمزايلة الانسان الفرس بالفصل الذاتي.

فاعل لا بمعنى الحركات والآلة: أن يبدع الخلق بلا توسط مادة أو آله أو زمان أو غير ذلك، بل على سبيل الاختراع.

بصير إذ لا منظور إليه من خلقه.

أي كان له صحة الادراك قبل وجود المدرك أي لو كان المدرك موجوداً قبل أن وجد، لوجب أن يدركه تعالى.

أي ليست وحدته على معنى الانفراد عن الأمثال فذلك ذلّ موحش، بل هو واحد في الالهية لا يشاركه غيره، ولا يتصور فيه التجزية والتكثير والتعدد، وقيل هو واحد لأن نوعه له فليس من نوعه خارج عنه، ولا ينقسم بالكم ولا لمبادىء المقومة

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش و ض.

له، ولا بأجزاء الحد، ومتوحد منفرد[١] بوجوب الوجود، لا نظير له فيه.

ج : يعني من أشار الى معبوده بنظير وتوهمه بتصوير فقد جعل له من المكان غاية، ومن المحل نهاية، ومن حدّه بالمحال و الجهات فقد جعله من المعدودات، ومن قال انه حالّ في شيء فقد جعله من الأعراض الحادثات ومن تصوره مستقراً على العرش فقد اخلى منه الأرضين والسماوات، وفي ذلك رد على المجسمة والحلولية، ومن جعل له محلا جعل وجوده مضمناً بوجود محله (مع كل شيء) بمعنى الحفظ والعلم لا بمعنى الحلول والمجاورة، بعيد من أن تدرِكه الحواس أو يقاس بالناس في المباينة و المزايلة (اذ لا منظور) إذ عبارة عن تقدير الوقت. ولا يستوحش كلام مستأنف، والواحد ما لا ينقسم في نفسه أو في صفته فهو تعالى واحد بمعنى انه لا نظير له ولا شبيه، أو أنه مختص بصفات لا يشركه فيها غيره على ذلك الوجه.

قوله : عليه السلام بلا روية أجالها : الروية الفكرة غير مهموزة من روأت ف الأمر اذا دبرته ع : ومن فعل بالروية، والفكر، فله قوة يخرج إلى الفعل وإجالة الروية واستفادة التجربة لازمة للحواس. لأن المجربات قضايا تتبع مشاهدات يتكرر منا فتفيد أذكارا فيتأكد عقد قوي لا يشك فيه، تعالى جناب الحضرة الالهية عن التدنس بشيء من ذلك.

ولا حركة أحدثها : يعني في ذاته إذ هو تعالى يوصف بانه محرك الاشياء ولا يوصف بأنه متحرك لأن المتحرك محل[٢].

ولا همامة نفس : همامة النفس[٣] هاهنا قواها كالحسّ المشترك والخيال، والوهم والقوة المفكرة بنسبة ما والمتخيلة بنسبته اخرى، والقوة الذاكرة، و يروى هماهم، وهي ترديد الفكر من الهمهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر، وروي، ولا همة.

أحال الأشياء : أي غير و يروى أجل معناه إن الصلاح في الفعل قد يقف على وقت مخصوص، فتقدمه وتأخره[٤] يخرج عن الصلاح، فيجب أن

١ــ في ش ينفرد بوجود الوجود.

٢ــ في ض : لان المتحرك محل الحركة.

٣ــ في ض : همامة النفس قواها.

٤ــ في ض : فتقديمه وتاخيره.

يكون عالما بالاوقات المستقبلة، حتى يجري التدبير على قضية الحكمة، وروي أن داود النبي عليه السلام قال: يا رب لم خلقت العالم والخلق، قال يا داود كنتُ كنزا مخفيا فأردت أن أعرف.

ولام بين مختلفاتها: جعل العناصر قابلة للقسر حتى يمكن منها المزاج، وعلم تعالى أن المخلوق في دار الدنيا لا يتم إلا بجامع ومبدد، وذي انقياد واستقصاء، فخلق الحرارة مبددة بذاتها والبرودة جماعة[١]، والرطوبة لينقاد بها الأجسام للتخليق والتشكيل، واليبوسة ليتماسك بها على ما أفيدت (من[٢] التقويم).

عارفا بقرائنها وأحنائها: القرينة: الصاحبة، وحنو الحبل: ناحيته وأحنا الامور ما فيها من الاشتباه والاعوجاج، وروي أختانها والختن المثل.

أشباحها: الشبح الشخص، وروي أسناخها أي أصولها ج: الروية الفكرة غير مهموزة من روات في الأمر اذا دبرته أجلت الشيء صرفته، ويقال ماله همامة في هذا الأمر ولا همة أي لا يهم به، والهمامة التردد وروي هامة نفس على اسم الفاعل، وأحال الأشياء: أعادها أي وقتها واللام في لأوقاتها للتخصيص، ولاءم الصدع جمعه، والغريزة الطبيعة وغرزها أي ركب فيها الغرائز وقرينة الشيء زوجه.

قوله: عليه السلام ثم انشأ سبحانه فتق الأجواء الى قوله دفيق :

ج: الجو: الهواء والرجاء مقصورا الناحية، والسكاك: الهواء الذي فيه جواهر لطيفة، والهواء مالا شيء فيه من الجواهر، وروي فتق الأرجاء وروي فأجار، فيها ماء أي أنفذه والتطمت أمواج البحر: ضرب بعضها بعضا، مستعار من اللطم على الوجه.

والتيار: موج البحر وعرق تيار سريع الجرية، وتراكم الشيء علا بعضه

١ـ في ض: والبرودة جامعة.

٢ـ من هنا ساقط في ش.

بعضا ، وكل شيء علا شيئا فقد ارتكمه ، وارتكبه ، فكان الميم بدلا من الباء لقرب مخرجيهما .

بحر زخار: مواج يطول موجه ، من زخر النبت طال ، وريح عاصف شديد ، يعصف النبت أي يكسره .

الزعزع : الريح الشديدة التي تزعزع كل شيء أي تحركه ، والريح القاصف المهلكة في البحر، والحاصب المهلكة في البر، وروي والرعود القاصفة ، (وقوله : فأمرها مجاز، لأن الحكيم لا يأمر الجماد) .

وقرنها الى حده : أي ضم الريح الى حد الماء فتيق : أي مفتوق ، ودفيق : مدفوق : مصبوب اعتقم : أي شد وعقد والمعنى أنه تعالى عقد مهب الريح ، حتى يهب بقدر، ولم يطلقها بمرة فيفسد ويأتي عليه كله ، وقيل اعتقم أي ذلل[1] .

المرب ؛ من رب اذا جمع اي ادام جميع الريح للماء وتسويتها له او من رب الضيعة اذا أصلحها .

وأعصف مجراها : أي أسرع قوتها في الجرى .

وأبعد منشأها : أي ارتفاعها وأمرها : أي أمر موكليها من الملائكة يضرب الماء بعضه ببعض وتحريكه كمخض اللبن ليزيد .

وعصفت به : أي اشتدت الريح بالماء مثل عصفها بالفضاء والساجي : الساكن .

عب عبابه : اجتمع موجه وكثر يقال عبّ النبت أي طال وعباب الماء معظمه .

والركام : الماء المنظم الذي يرمي بالزبد اذا هاجت أمواج البحر،

---

١ ـــ هنا في ض خلط .

منفتق أي واسع .

الجو المنفهق : الهواء الممتلئ بالزبد أو الهواء العالي .

فسوى منه سبع سموات : أي عدل خلقهن وقومها وأخلاها من العوج والفطور.

وسفلاهن موجا : شبه السماء الدنيا بالموج لصفائها وارتفاعها أو أراد أنها كانت في الأول موجا ثم عقدها .

والمكفوف : الممنوع من السقوط سمكا : أي عاليا مرتفعا مصدر بمعنى المفعول أي مسموكا ، دعمت الشيء وأدعمه قويته بدعامة[1] .

والدسار: خيط من ليف يشد به ألواح السفينة والجمع دسر، وقيل الدسر المسامير.

قال الباقر عليه السلام : لما أراد الله تعالى أن يخلق السماء أمر الرياح فضربن البحر حتى أزبد فخرج من ذلك الموج والزبد دخان، ساطع من وسطه من غير نار، فخلق منه السماء والرقيم، واللوح المكتوب شبه السماء به .

قيل : الرقيم المائر، كناية عن الفلك الدائر المتردد ، وفيه كواكب كأنه لوح كتبت عليه ، حروف معجمة .

الماء في قوله ماء متلاطما : وفي قوله بتصفيق الماء يجب أن يكون واحدا على ما عليه أكثر أهل العربية كقوله تعالى : كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول[2]، هذا إذا نكر الأول وعرف الثاني لأنه عرف باللام إشارة الى المذكور، والمرتضى يأبى ذلك وان كان المعروف هو الأول دون الثاني فلا خلاف أنهما اثنان ، كما قال على متن الريح العاصفة .

---

١ ـــ في ض : ويروي يدعمها بالتخفيف والتشديد .

٢ ـــ المزمل : ١٦ .

ثم قال : ريحا اعتقم مهبها : واعلم أن الهواء اذا لم يكن فيه جواهر فهو جهة ، وتقدير مكان وهو خلوه[١] (وروي أن زرارة[٢] وهشاما[٣] اختلفا في الهواء هو مخلوق أم لا فرفع ذلك الى الصادق عليه السلام ، بعض مواليه وقال إني متحير فاني أرى أصحابنا يختلفون ، فقال : ليس هذا بخلاف يؤدي إلى الكفر والضلال[٤]) .

قوله وسكائك الهواء : على تقدير حذف المضاف أي فتق سكائك ، لئلا يلزم يكون أن الخلاء العدمي مخلوقا أو أراد بها الأهوية التي هي مدائن لطيفة ، فيها الملائكة بين السماء والأرض وإنما زين السماء الدنيا بالنيرات ليتمتع الرأؤون لها بحسنها وضوءها ، ويعتبرون بالفكر فيها ويستدلون بها على صانعها .

عنى بالسراج المستطير: الشمس المنتشر ضوءها على الشياع والزينة اسم لما يزان به وقد يكون مصدرا .

هذا الموضع إن حملته على المصدر فاما أن يكون مضافا الى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب أو إلى المفعول أي يزين الله الكواكب ، وإن حملته على الاسم ، فاما أن الكواكب بيانا للزينة أو يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا والجوزاء وبنات نعش وغير ذلك فقد ورد في الخبر: إن الله تعالى لما أراد

---

١ ــ في ض : وهو خلقه .

٢ ــ زرارة بن اعين الشيباني روى عن ابي جعفر وابي عبد الله يكنى ابا الحسن وزرارة لقب له ، كان قاريا فقيها متكلما ، شاعرا ، اديبا ، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين . ثقة صادقا فيما يرويه ، له كتاب في الاستطاعة والجبر، توفي سنة ١٥٠ .

٣ ــ هشام بن الحكم ابو محمد ، كان ينزل بنى شيبان بالكوفة ، وانتقل الى بغداد ، مولده بالكوفة ، ومنشأه بواسط ، روى عن ابي عبد الله وابي الحسن موسى ، وكان ثقة في الروايات ، حسن التحقيق وكان ممن فتق الكلام في الامامة وهذب المذهب بالنظر وكان حاذقا بصناعة الكلام . مات سنة ١٩٩ .

٤ ــ بين الهلالين ساقط في ض .

خلق السماء والأرض، خلق جوهرا أخضر، ثم ذوبه، فصار ماء **مضطرباً** ثم أخرج منه بخارا كالدخان، فخلق منه السماء كما قال.

ثم استوى الى السماء وهي دخان[1]، ثم فتق تلك السماء فجعلها سبعا، ثم جعل من ذلك الماء زبدا، فخلق منه أرض مكة، ثم بسط الأرض كلها من تحت الكعبة ولذلك يسمى مكة ام القرى، لأنها أصل جميع الأرض ثم شق من تلك الأرض سبع أرضين، وجعل بين كلّ سماء وسماء مسيرة خمس مأة عام، وكذلك بين كل أرض وأرض وكذلك بين هذه السماء وهذه الارض، ثم بعث ملكا من تحت العرش، حتى نقل الأرض على منكبة وعنقه، ومدّ اليدين فبلغت **احداهما** إلى المشرق، والاخرى الى المغرب.

ثم بعث لقرار قدم ذلك الملك بقرة من الجنة كان لها أربعون ألف قرن، وأربعون ألف رجل ويد، وبعث ياقوتا من الفردوس الاعلى حتى يوضع بين سنام تلك البقرة وأذنها فاستقر **قدما** ذلك الملك، على السنام والياقوت. وإن قرن تلك البقرة لمرتفعة من أقطار الأرض إلى تحت العرش، وإن مناخر انوفها بازاء[2] الأرض فاذا تنفست البقرة مدّ البحر، وإذا قبضت أنفاسها جزر البحر من ذلك.

ثم خلق لقرار قوائم تلك البقرة صخرة وهي التي حكى الله عن لقمان في قوله، فتكن في صخرة[3] فيزيد مقدار سعة تلك الصخرة سبع مرات على مقدار سبع السموات وسبع أرضين ثم خلق حوتا، وهو الذي أقسم الله فقال: **ن والقلم، والنون الحوت وأمر تعالى بوضع تلك الصخرة على ظهر ذلك** الحوت وجعل ذلك الحوت، في الماء، وأمسك الماء على الريح ويحفظ الله الريح بقدرته.

---

١ ــ فصلت: ١١.

٢ ــ في ض: بازاء بحار الارض.

٣ــ لقمان: ١٦.

واعلم أن الله تعالى لما ثبت أنه قادر لذاته لا يمتنع عليه مقدور، فهو قادر على حفظ جميع ذلك بلا واسطة كما حفظ الريح على ما ورد في الخبر لكنه إن صح ذلك يمكن[١] بل يجب أن يكون في خلقه على هذا الوجه، ومع هذه الوسايط مصالح كثيرة، وفوائد موفرة، كأن يكون للمكلفين في سماعه واعتقاده صحته ومعرفته: ألطافا مقربة إلى طاعة ملك جبار، بلغ سعة ملكه إلى هذا الحدّ ومعبده عن معصيته.

إذ هو مع كمال قدرته لا يفوته هارب كما خلق الانسان من نطفة، ثم علقة إلى غير ذلك، مما عده تعالى وغير ذلك من المصالح التي ربما لا يهتدي العقول الى دركها، (يروى، ونتق الأرجاء ومدبها بالدال ويروى وأعقم والاعتقام: اللي، ورعد قاصف شديد الصوت، من القصف، وهو الكسر وعبّ أي ماج، منفهق واسع، يدعمها ويدعمّها روايتان) (قال الامام الوبري: الصحيح في الفلك أنه ليس بجسم)[٢] ولا عرض، ولا جوهر، إنما هو السمت الذي يتحرك الشمس والقمر والنجوم: فيه فهو كالجهة لسائر الأشياء، وهو خلاء، لأنَّ الجسم لا يصح أن يكون إلا في خلاء ساكنا كان أو متحركا، فأراد بقوله في فلك دائر أي في سمت يسار فيه، ويدور فيه الدوائر. كما يقال ليل قائم، ونهار صائم، وقال: في الرقيم: هو حقة محيطة بأذيال السماء، المحتوية على الأرض، وقيل: الفلك جسم كريّ شفاف بسيط متحرك على الوسط مشتمل عليه، (والكوكب جسم بسيط كري مكانه جرم الفلك من شأنه أن ينير[٣] متحرك على الوسط غير مشتمل عليه).

الأجرام السماوية على ما زعموا لم يكن كلها مضئية بجميع أجزائها، وإلا لتشابه أثرها في الأمكنة والأزمنة، ولا بجميع أجرامها مشفّة وإلا لما نفذ

١ــ في ض: ان صح ذلك يجب.
٢ــ بين الهلالين ساقط في ض.
٣ــ الى هنا ساقط في ش.
٤ــ في ض: من شانه ان يسير.

عنها الشعاع، بل خلق الله تعالى الكواكب ولم يتركها ساكنة، وإلا لأفرط أثرها في موضع بعينه يفسد ذلك الموضع، ولم يؤثر في موضع آخر ففسد ذلك الموضع أيضا، بل جعلها وأحدثها متحركه. لينقل التاثير من موضع الى موضع، ولو كانت الحركة التي للفلك الأعلى غير سريعة لفعل من الافراط والتقصير، ما يفعله السكون.

لو كانت حركة الشمس الحقيقية تلك السريعة بعينها للزمت دائرة واحدة فأفرط أثرها هناك، ولم يبلغ أثرها ساير النواحي، بل خلق هذه الحركة منها تابعة لحركة[١] مشتملة على الكل، ولها في نفسها حركة بطيئة يميل بها الى نواحي، العالم جنوبا وشمالا، ولولا أن[٢] الشمس مثل هذه الحركة لم يكن ربيع ولا خريف ولا شتاء، ولا صيف فمؤلف بين منطقتي الحركتين السريعة والبطئية، وجعلت الأولى سريعة والاخرى بطيئة.

الشمس تميل الى الجنوب شتاء لتستولي على الأراضي الشمالية البرد ويحتقن[٣] الرطوبات في باطن الأرض وتميل الى الشمال صيفا ليستولي على ظواهر تلك الأراضي الحرارة، ويستعمل الرطوبات في تغذية الحيوان والنبات فاذا جف باطن الأرض جاء البرد، ومالت الشمس، فتارة تمتلي الأرض غذاء وتارة تغذو، ولما كان القمر شبيهاً بالشمس، جعل الله تعالى مجراه في تبدده[٤] مخالفا لمجرى الشمس، والشمس يكون في الشتاء جنوبية والبدر شماليا لئلا يعدم المسخنان معا.

في الصيف يكون الشمس شماليا، والبدر جنوبيا، لئلا يجتمع المسخنان معا ولما كانت الشمس في الصيف على رؤوس سكان الربع المعمور، جعل الله تعالى أوجها هناك، لئلا يجتمع قرب الميل وقرب

---

١ ــ ش في : بحركة مشتملة.
٢ ــ في ض : ولو كان للشمس.
٣ ــ احتقن المريض : احتبس بوله.
٤ ــ في ض : لتبدره.

المسافة ، فانها وإن قربت ميلا ، فقد بعدت مسافة ، ولو قربت من جهتيها ، لاشتد التأثير والتسخين ، ولما كان الشمس في الشتاء بعيدة من سمت الرؤوس ،جعل الله حضيضها هناك لئلا يجتمع بعد الميل ، وبعد المسافة ، فينقطع التأثير، ولو كانت الشمس دون هذا القرب أو فوق هذا البعد لما استوى تأثيرها الذي يكون عنها الآن ، وكذلك في كلّ كوكب .

فان قيل إنه قال عليه السلام أو لا أحال الأشياء إلى قوله وألزمها أشباحها .

وظاهر ذلك يفيد حصول المخلوقات ، ثم عطف على ذلك بحرف التراخي ثم أنشأ فتق الأجواء ثم أجرى الماء فيها وحمل الماء على الريح ، ثم أنشأ ريحا أخرى ، لتحريكه ، وإخراج الزبد منه ، ثم خلق السموات من ذلك الزبد ، أو من ذلك الماء ، وظاهر هذا الترتيب يفيد أنه خلق الأشياء قبل خلق السموات ، وهو خلاف المشهور والمأثور.

قلنا : الأليق أن يحمل قوله أحال الاشياء وما يليه على التقدير، والعلم السابق وما بعده ، من قوله ثم أنشأ الى آخره على الخلق والابداع . قوله : فتق الاجواء : لما كان الجوّ هو الخلاء الصرف والجوّ البحت لم يعقل من فتقه إلا خلق الجسم فيه ، فكأنه شبه تفريق الخلاء بتوسيط الجسم[١] بتفريق الجسم بتوسيط الخلاء .

قوله عليه السلام : أطوارا من ملائكة : أي أصنافا في ألوانهم ولغاتهم ، ومراتبهم والسدنة الخدم ، والضمير في دونه وتحته للعرش ، وتلفع بثوبه أي اشتمل به : قيل : التحف .

ناكسة أبصارهم : أي مطرقو الرؤس حياء وتعظيما لله تعالى .

---

١ ـــ في ض : بتوسيط الجسم فيه .

قال الوبري : أراد بحجب العزة وأستار القدرة ما يشاهده الملائكة من أفعاله تعالى البديعة : فيستدلون بها على قادر حكيم عزيز، وهو القادر الذي لا يمانع : منزه عن عوارض الجسم : ولذلك عقبه بقوله :

لا يتوهمون ربهم بالتصوير: قيل : حجب العزة عبارة عن أن يعلم العاقل يقينا ، أنه لا يتصور له إدراك الحقيقة الالهية ، وإنما يدرك ذلك بعد اتقان مقدمات كثيرة ومن عرف الله كلَّ لسانه ، أي لا يجد عبارة يؤدّي حق المعنى الذي فهمه[1] ، وكذلك حقيقة الملائكة المقربين .

ولا يشيرون إليه بالنظائر: أي بالأمثال ، أي لا مثل له فيشار إليه به ، أي يستدل عليه به ، وهو إنما يعرف بدليله لا بعديله ، وقيل : يعني بالأمثلة اذ لا مثال لواجب الوجود ، في الشاهد وروي بالنواظر، وروي بالمواطن .

تربة سنها بالماء : أي رققها وبلها وخلطها ويروى خضلت ولاطها أي ألصقها وقيل : ملطها ؛ ويروى ناطها والبلة النداوة ، ولزبت : أي لصقت ، وجبل : أي خلق .

الأحناء : الاضلاع والأعضاء المعوجة ؛ والوصل : العضو؛ أصلدها : صلبها صلصلت : صوتت فمثلت : أي انتصبت .

استأدى : أي استرجع مأخوذ من الأداء والاذغان : الانقياد والخشوع : الخضوع كرر ليفيد الثبات .

اعترتهم : أصابتهم وروي اغترتهم أي خدعتهم ؛ والحمية : ما يحمي الانسان من الأنفة .

ع : قوله من روحه إضافة تشريف وايجاد كما يقال بيت الله وعبد الله ، لا إضافة إتحاد تعالى الله عن ذلك .

---

١ ــ في ض : حق المعنى الذي فيه .

قيل عنى بالروح القوة التي تهيئ الأعضاء لقبول قوة الحس والحركة وأفعال الحيوة[١] ويضيفون إليها حركات الخوف والغضب؛ لما يجدون في ذلك من الانبساط والانقباض العارضين؛ للروح المنسوب الى هذه القوة؛ وقد تمسك من فضل الأنبياء على الملائكة، بأمر الله تعالى إياهم لسجود[٢] آدم عليه السلام.

اجيب عنه بأنّ ذلك كرامة كما يكرم الأمير الوزير، بالدخول عليه، وقيل: إن ذلك لم يكن[٣] بعبادة لآدم؛ بل كان عبادة لله تعظيما لأمره تعالى، اختلف في إبليس أهو من الملائكة أم لا؛ وقد تمسك من قال: أنه ليس منهم بقوله عليه السلام، وتعززوا بخلقة النار، وقد ثبت أن الجانّ هو المخلوق من النار لا الملائكة.

قال تعالى: وخلق الجان من مارج من نار[٤]؛ وقال تعالى: حاكيا عن ابليس خلقتني من نار[٥] قيل: ولا يجوز أن ينقلب الملك شيطانا لأن نوع الشياطين غير نوع الملك، وعلى هذا فاستثنى إبليس من الملائكة؛ لأنه كان مأمورا بالسجود معهم (وإبليس[٦]) قال أبو عبيدة[٧]: هو اسم أعجمي لذلك لم يصرفه؛ وقيل هو إفعيل من أبلس، أي انقطعت حجته وقيل أبلس أي يئس، قال تعالى فاذا هم مبلسون[٨]، وقيل أي لم يحرجوا بالقول الشاعر:

قال نعم أعرفه وأبلسا.

١- في ض: وافعال الحيوان.

٥- في ض بسجود آدم.

٧- في ض: لم يكن سجوده عبادة.

١- الرحمان: ١٥.

٢- الاعراف: ١٢.

٣- ساقط في ض.

٦- جعفر بن المثنى ابو عبيدة البصري النحوى اللغوي؛ كان متبحرا في علم اللغة وايام العرب واخبارها اخذ عن يونس بن حبيب، وهو اول من صنف غريب الحديث، وكان ابو نواس الشاعر يتعلم منه ويصفه؛ وكان يرى رأى الخوارج مات سنة ٢٠٩.

٨- الانعام: ٤٤.

أي سكت ، وقيل الابلاس ، الفضيحة ؛ قال : وفي الوجود صفرة وإبلاس ؛ وسمي بذلك لأنه افتضح بعصيانه .

النظرة : بكسر الظاء التاخير، واعلم أن الشيطان لا يقدر إلا على وسوسة خفيفة ودعاء ضعيف، والمكلف يقدر على دفعه (والله تعالى يمده بخواطر الخير من عنده ويكتب له الأجر العظيم[١]) على دفعه[٢]، فمثل المكلف كعبد ملك يقول له عدو له : لا تطع صاحبك ، واستهن بأمره ، ويقول له السيد هذا عدو لي ولك ، فلا تطعه ، فانه لا يتمكن إلا من دعاء لو تصاممت عنه لذهب هباء اعطيك ألف دينار، إن أعرضتِ عن دعائه ، فيكون ذلك نعمة على العبد إلا من أساء الاختيار لنفسه .

قال الوبري : لما كان المعلوم من حاله ازدياد المعصية بازدياد المهلة ، جعل نفس الابقاء عقوبة كقوله : إنما نملي لهم ليزدادوا إثما[٣]، ع : علمنا بقبح تقديم المفضول على الفاضل ، يفيد أن آدم عليه السلام ، كان أفضل من الملائكة ظنَّ إبليس أنه أفضل بالنارية ، وذلك خيال باطل لأن خيرية العبد وأفضليته ، إنما يكون باكتسابه الأعمال الصالحة ، واكتسابه بالخلال الحميدة،لا بكونه مخلوقا من النار، أو التراب والماء ، وإبليس كان من الجن دون الملائكة ، إن له نسلا وذرية والملائكة لا يتوالدون .

قوله : عليه السلام ارغد عيشه : ج : أي طيب حياته في سعة وخصب ؛ نفاسة عليه[٤] أي حسد عليه ومرافقة الأ برار عنى الملائكة .

فباع اليقين بشكه ، إستعارة ، يعني كان معيشته في الجنة على أحوال كان يعلمها يقينا ، وما كان يعلم كيف يكون معاشه في الدنيا اذا انتقل اليها وان كان خلق لأجلها .

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض .

٢ ــ في ض والمكلف يقدر على دفعه .

٣ ــ آل عمران : ١٧٨ .

٤ ــ في ض نفاسة اي حسدا .

قال الله تعالى: إني جاعل في الأرض خليفة[١]، ولو لم يأكل الشجرة لخرج من الجنة إلى الدنيا أيضا، ولكن على وجه أسهل مثلا بعد أن بنيْ له في الأرض دور وقصور ومساكن طيبة وجيران من الملائكة وقدر له من الارزاق ما يكفيه عفوا صفوا، فلما تناول الشجرة وفعل ما كان تركه أولى استحق التحول من دار الى دار وتغير لطفه.

فخرج من الجنة التي اعدت فيها الأسباب من الأرزاق والمساكن والجيران الى أرض وحشة، لا زرع فيها ولا ضرع ولا غطاء؛ ولا وطاء، ولا جليس ولا أنيس وكلتاهما[١] له في تلك الحال دار التكليف، إلا أن تكليفه في الثانية كان أشق. فكأنه رضى لمقامه في الدنيا ثمنا لمقامه في الجنة، رضى البايع بما يأخذ ثمنا لما أعطى وبالاغترار: أعاد الباء؛ لئلا يكون عطفا على عاملين مختلفين.

أخذ على الوحي ميثاقهم أخذ العهد إشارة إلى ما هو مقرر في العقول من دلائل التوحيد؛ والعدل وهو فطرة الله التي فطر الناس عليه اجتالتهم: وجالت الريح التراب أثارته.

ومعايش: لا يهمز لأن الياء فيها عين الفعل بخلاف المدائن فهمزتها بدل ياء زائدة واتر: أي تابع والوصب: المرض أو حجة لازمة إشارة الى من يقوم مقام الرسول.

أو محجة قائمة: أي طريقة، وعنى بها المعقولات والسنن، روي لا يقصر بهم: بضم الياء أي لا يعينهم: والغابر: هنا المستقبل؛ وهو من الأضداد، ولما دل الدليل القطعي على وجوب تنزه الأنبياء عن جميع المنفرات؛ وجب حمل كل ما ظاهره يخالف، ذلك على الوجه المطابق

١ ــ البقرة: ٣٠.

٢ ــ في ض: وكلتا هما في تلك الحال.

للحق؛ فاليقين والشك المذكور ان من آدم عليه السلام؛ يجب أن يكون متعلقا بمباح أو مندوب؛ والتوبة يحسن ممن لم يرتكب قبيحا على سبيل الانقطاع الى الله تعالى، ويكون وجه حسنها استحاق الثواب أو كونها لطفا له ولغيره.

ع: فباع اليقين بشكه: قيل كان الواجب على آدم ان يستدل بنهي الله؛ فيعلم شمول النهي لجنس الشجرة؛ فلما لم يفعل ذلك جعل (كأنه باع اليقين الذي كان واجبا عليه بظنه على اقتصار النهي على الشجرة؛ وقيل: لما أخبره تعالى بعداوة إبليس له بقوله: إن الشيطان لكما عدو مبين[١] كان الواجب عليه أن يتذكر عداوته في كل حال ولا يركن الى ظنه عند المقاسمة، فلما لم يفعل ذلك صار[٢]) كأنه ترك اليقين بعداوة إبليس بسبب ظنه.

قيل: إن ذلك مثل قديم للعرب، فيمن عمل عملا في غير وقته فلا يفيده، تمثل به أميرالمؤمنين عليه السلام؛ ولم يرد أنَّ آدم عليه السلام شك في أمر الله ودينه حاش عن ذلك؛ وتوبة الأنبياء لا يجري مجرى توبة أصحاب الجرايم؛ فان توبتهم إنابة الى العزايم من الرخص. والى الأجود من تركه فيكون طاعة يصلح بها ما فاته؛ والنهي في قوله تعالى: ولا تقربا هذه الشجرة[٣]، كالنهي في قوله: ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط[٤].

فان النهي قد يكون حتما مقرونا بالوعيد؛ وقد يكون محمولا على الترغيب والاستحباب وكذا الأمر اجتالتهم (أي عدلتهم وجالت الريح التراب

---

١ ــ الاعراف: ٢٢.
٢ ــ بين الهلالين ساقط في ض.
٣ ــ البقرة: ٣٥.
٤ ــ الاسراء: ٢٩.

اثارته[١]) أي اغترتهم وقيل استخفتهم حتى جالوا معها .

ليستأدوا : أي ليخطبوا رسل : تقديره رسله ؛ سمي له : أي سمي الله من بعده ؛ من مفعول ؛ أو غابر أي باق عرفه من قبله : من هنا فاعل من من سابق أي من[٢] نبي ع : خلصت ؛ هنا لازم .

قوله : وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة كان أهل الملل في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله اليهود والنصارى ؛ والمجوس ؛ والصابئين والدهرية ؛ وعبدة الأوثان والسمنية ؛ وأهل مكة ومن حولهم لا يدينون بدين إلا أن فيهم من بقي فيهم آثار حسان من ملة إبراهيم عليه السلام ؛ وفيهم من وحد وبشر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله كقس بن ساعدة[٣] وزيد بن عمرو بن نفيل[٤] وغيرهما ، وفيهم من سافر في البلاد وأخذ مذهب الدهرية كعقبة بن أبي معيط[٥] حكى الله تعالى عنه فقال : وما يهلكنا إلا الدهر[٦] ، وفيهم من عبدة الأوثان .

قوله بين مشبه لله بخلقه : هم النصارى والصابئون أو ملحد في اسمه : هم الدهرية أو مشير الى غيره : عبدة الاوثان ؛ وعبدة الكواكب من الصابئين .

١ــ بين الهلالين في ض .

٢ــ في ض : من ههنا فاعل من سابق .

٣ــ قس بن ساعدة عمرو بن عدي بن مالك الايادي بالضم بليغ مشهور وهو حكيم العرب وهو اسقف نجران واياد هو ابن نزار بن معد .

٤ــ زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوى ، كان يتعبد في الجاهلية ويطلب دين ابراهيم الخليل ، وكان لا يأكل مما ذبح على النصب ، ويقول : الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء ماء وانبت لها من الارض ثم تذبحونها على غير اسم الله .

٥ــ قال ابن ابي الحديد : عقبة بن ابي معيط هو العدو الازرق بمكة والذي كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله في نفسه واهله ، وأخباره في ذلك مشهورة ، فلما ظفر به يوم بدر ضرب عنقه وورث ابنه الوليد الشنآن والبغضة لمحمد وأهله فلم يزل عليهما الى ان مات .

٦ــ الجاثية : ٢٤ .

قوله : رخصة : الرخصة في الأمر خلاف التشديد، العزائم : الفرائض المضيقة والمرسل : في الأخبار ما يرويه أحد التابعين ؛ وفي القرآن ما يحتاج فيه إلى بيان صاحب الوحي من قولهم : غنم مرسل الىٰ الراعي .

قوله : وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم وفي السنة نسخه ، وواجب في السنة أخذه مرخص في الكتاب تركه .

اختلف في جواز نسخ الكتاب بالسنة المقطوع بها وبالعكس من ذلك ؛ والصحيح جواز الأمرين جميعا على ما أشار اليه اميرالمؤمنين عليه السلام ، وموضع استقصاء الكلام في ذلك كتب اصول الفقه .

من كبير أو عد عليه نيرانه : من قوله تعالى : من يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً[١] .

أو صغير أرصد له غفرانه : من قوله : الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة[٢] .

بين مقبول في أدناه موسع في أقصاه كقراءة سورة قصيرة في الصلاة أو طويلة وكان يتصدق عن كل عشرين دينارا بنصف دينار أو أزيد وكان يصوم من كل شهر ثلاثه أيام أو اكثر نسلت : أي مضت مسرعة ؛ من نسلان الذئب ؛ وقيل هو من النسل .

القرآن أهل كل مدة فيها نبي أو وصي أو طبقة من العلماء ، والسمات العلامات يومئذ أي يوم إذ كان كذا . فلما حذف الجملة نوّن إذ والملة المذهب .

وأهل الارض ملل : أي ذو ملل المشبّه : من يشبّه معبوده بغيره والملحد : المائل عن الاستقامة وملحد في اسمه أي يسميه بما لا يستحقه أو يسمي

---

١ ــ الفرقان : ٦٩ .
٢ ــ النجم : ٣٢ .

الاصنام باسمه كقولهم : اللات بدلا من الله . والعزى بدلا من العزيز، وامة كل نبي أتباعه ، ومن لم يتبع دين محمد وإن كان في زمانه فليس من أمته .

الهمل : الغنم ترعى بلا راع ، والعلم الجبل والراية ، وعنى بالدليل والعلم الكتاب والسنة .

والوصي المعصوم .

كتاب ربكم : بدل من ما خلفت وبين : قد جاء لازما ومتعديا ، والناسخ : هو الدليل الشرعي الذي يدل على زوال ، مثل الحكم الذي ثبت بدليل شرعي آخر مع تراخيه عنه ، وهذا الدليل الآخر هو المنسوخ ، والنسخ في اللغة أن تزيل امراً كان من قبل والعزيمة : الواجب من العزم ، وهو عقد القلب على الشيء ، تريد أن تفعله .

المخصوص والخاص : كل لفظ تناول شيئا بعينه لا يتعداه ، والعام : ما تناول لفظه شيئين فصاعدا والمثل : قوله سائر يشبه حال الثاني بالأول والمرسل : المطلق والمحدود : المقيد المظهر حده وغايته ، والمحكم : من القول ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا ، والمتشابه : ما يحتمل وجهين فصاعدا والغامض : المستور[١] .

الجهل في اللغة عدم العلم ، وفي العرف اعتقاد الشيء لا على ما هو عليه ، وها هنا المراد به اللغوي .

الفريضة : ما أوجبه الله وله حدود ومعالم ، وهي اخص من الواجب ، لأنها الواجب الشرعي ، والواجب : إذا اطلق يجوز حمله على العقلي ، والشرعي والكبيرة : خطيئة يكبر بالاضافة الى أصغر منها[٢] .

الصغيرة : خطيئة تصغر بالاضافة الى خطيئة اكبر منها ، والايعاد :

---

١ ـــ في ض : المستتر .

٢ ـــ هنا خلط واشتباه في النسخ وصححناها على النسخة القديمة .

الوعد بالشر وأرصد له: كذا أعده له ومثال الناسخ من القرآن قوله تعالى: اقتلوا المشركين[١]، نسخ قوله: لكم دينكم ولي دين[٢] وكقوله: فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين[٣]، نسخ قوله: ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وكقوله: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا[٤]، نسخ بقوله: والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج[٥]، وإن كانت تلك في القراءة مقدمة وإما رخصة فكقوله بعد تحريم الميتة: فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لأثم فان الله غفور رحيم، وكقوله بعد ذكر المحرمات فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه[٦].

قوله: اذا حللتم فاصطادوا[٧]، واذا قضيت الصلوة فانتشروا[٨]، نوع من الرخصة فكقوله: فأينما تولوا فثم وجه الله[٩] فانه مخصوص مع الاختيار لمن يصلي نافة على الراحلة، وكقوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس، والعين بالعين[١٠] فان ذلك مخصوص بأن يكون القتل عمداً والقاتل عاقلاً مميزاً والمقتول مكافياً له، وكل ما يصلح للعموم والخصوص في اللغة يقتضي العموم شرعاً إلا ما أخرجه الدليل.

أما غيره فكالأي التي فيها قصص الأنبياء وأممهم وأما أمثاله، فكقوله: مثلهم كمثل الذي استوقد نارا[١١]، ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء[١٢]، وأما مرسله فكقوله: فاغسلوا وجوهكم[١٣] فانه ما

---

١ ـــ التوبة : ٥ .
٢ ـــ الكافرون : ٦ .
٣ ـــ الانفال : ٦٦ .
٤ ـــ البقرة : ٢٣٤ .
٥ ـــ البقرة : ٢٤٠ .
٦ ـــ البقرة : ١٧٣ .
٧ ـــ المائدة : ٢ .
٨ ـــ الجمعة : ١١ .
٩ ـــ البقرة : ١١٥ .
١٠ ـــ المائدة : ٤٥ .
١١ ـــ البقرة : ١٧ .
١٢ ـــ البقرة : ١٧١ .
١٣ ـــ المائدة : ٦ .

ذكر له حدا وقيل هو المجمل كقوله : خذ من أموالهم صدقة[١]، فانه لا يجب أن يؤخذ كل صدقة بل صدقة مخصوصة ، وكقوله : أقيموا الصلاة ، فلو فعلنا كل صلوة لكنا فاعلين ما لم يرد الله منا .

الفرق بين المجمل والعام أن كل لفظ جعل لأجل ما أريد ولم يرد فهو مجمل كما تقدم ، وكل لفظ جعل لأجل ما أريد به فهو عموم كقوله : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، لو خلينا وهذه الآية لقلنا الوثني واليهودي والنصراني ، وكل من تناوله هذا الاسم بموجب اللفظ والمحدود ، كقوله : وأيديكم إلى المرافق ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر[٢].

المشابه : كقوله يد الله ، وجنب الله ، وجاء ربك ، والى ربها ناظرة ، والمفسر: كقوله فسبحان الله حين تمسون ، وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون[٣] وفسر بذلك ما أجمله في قوله : أقيموا الصلوة .

قوله بين مأخوذ ميثاق علمه : وذلك كالآي الواردة في التوحيد والعدل ، وصفاته تعالى ، وبعثة الرسول وطاعة أولي الأمر فان جميع ذلك يجب علمه بالنظر، وقيل : هو مثل معرفة الحلال والحرام ، المستفادة من الشرع .

وموسع على العباد في جهله : قيل هو كمعرفة حروف التهجي في أوايل السور يكفي في ذلك أن يعلم على طريق الاجمال أن ذلك لا يخلو من وجه حكمة[٤] إذ هو من فعل حكيم ، وقيل هو مثل قوله : إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث[٥]، الآية وقيل هو مثل قوله : ومنهم من لم نقصص عليك[٦]،

---

١ ـــ التوبة : ١٠٣ .
٢ ـــ البقرة : ١٨٧ .
٣ ـــ الروم : ١٨ .
٤ ـــ في ش : من وجه حكمته .
٥ ـــ لقمان : ٣٤ .
٦ـــ غافر : ٧٨ .

ويجوز أن يكون لكلتي الجملتين حكم واحد، والمراد أن في أحكام القرآن غوامض الفقه التي لا يجب معرفتها على العامة وإنما يجب على النبي والأئمة، إذ هم المرجوع إليهم في جميع ذلك.

وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه.

كقوله تعالى: يوصيكم الله في أولادكم، ولكم نصف ما ترك أزواجكم، ولهن الربع مما تركتم، ولأبويه لكل واحد منهما السدس[١]، فظاهر الآية يقتضي أن هؤلاء يرثون على كل حال لعموم الألفاظ ثم وردت السنة بأن الكفر والرق في الوارث والقتل عمدا على سبيل الظلم من الوارث يمنعه من الأرث فالآيات كالمنسوخة في حق هؤلاء بالسنة والتخصيص شرعا قريب من النسخ. وواجب في السنة أخذه مرخص في الكتاب تركه.

كقوله تعالى: وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم[٢]، فهذا رخصة في القصر. وقد وردت السنة بوجوب القصر على بعض الوجوه.

وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله: كآية النجوى: يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة[٣]، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، وهي: يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول، كان لي دينار، فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت ان اناجي رسول الله صلى الله عليه وآله، قدمت درهما فنسختهاالأخرى، وهي: أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجويكم صدقات، فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة.

قال عليه السلام: بي خفف الله عن هذه الامة، وقيل إن مثال ذلك

١ــ النساء: ١١.

٢ــ النساء: ١٠١.

٣ــ المجادلة: ١٢.

قوله تعالى : فأتموا اليهم عهدهم الى[١] مدتهم ، ثم قال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وقيل إنه مثل الهجرة قبل الفتح ، قال تعالى : إن الذين آمنوا وهاجروا[٢] ، وقال النبي صلى الله عليه وآله : لا هجرة بعد الفتح ، وقيل إنه كصلاة العيدين ، وصلاة الجمعة فانها لا يجب بعد تقضّى وقتها والتقدير وبين حكم واجب فحذف الموصوف .

وبين مقبول في أدناه وموسع في أقصاه : كقراءة القرآن والصلوة النافلة والصدقة الزايدة على الواجب وقيل المقبول في أدناه الاقتصار في الفقه على تعلم الفرائض منه والوسع في أقصاه التعمق في التفريعات ، والمندوب اليها من ساير علوم الدين وحل الشبه في ذلك .

(قوله عليه اسلام من كبير أو عد عليه نيرانه .

من قوله تعالى : ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا .

أو صغير أرْصد له غفرانه : من قوله : الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة) .

وفرض عليكم حج بيته .

ويروى عليهم إلى آخره يألهون أي يفزعون والمطيف هنا بمعنى الطائف (أجابوا اليه دعوته الضمير في اليه للبيت وفي دعوته لله تعالى أي قاصدين اليه[٣]) .

واعلم أن الحج مستجمع لعبادة النفس وعبادة المال وعبادة البدن وهو الطهور الاكبر والنسك الأعظم وبه يفارق المسلم أهل الملل ولذلك قال عليه السلام : من مات ولم يحج حجة الاسلام فليمت على أي حال إن شاء يهوديا

---

١ ــ التوبة : ٤ .

٢ ــ البقرة : ٢١٨ .

٣ــ بين الهلالين في ض .

أو نصرانيا ، والفريضة إذا كانت مؤقتة دل اختصاصها بوقت لها على فضلها وشرفها ونباهة حالها يستدعي من الموظف عليها فضل جهد في اقامتها .

من لابس عملا لا يلائم صورة التكبر وينافي أفعال الجبابرة من الاقبال على حجر أصم[١] بالتقبيل وعلى مواطن خالية من جواز الأطماع باجلال صار ذلك الفعل أتم رياضة على طرح الأنفة[٢] فان من أطاعته نفسه لوجه الله تعالى في توقير شيء لا ينفع ولا يضرّ ولا يعلم ولا يشكر فهو الى توقير من هو أعلى منه درجة من الأنبياء والملائكة أسرع وإلى هجران ما يستشعره من الجبرية اقرب .

الخلايق مهما تعودوا[٣] ذلك ومرنوا عليه يوفر كل منهم على صاحبه بحسب ما يستأهله ومتى فعلوا ذلك فيمن جل وصغر من البشر تولدت بينهم المحبة وشمل هماهم الوداد والمصلحة وما يقف على حقيقة هذا الأمر الا من وفق لتأمل الحقايق وسهل سبيله الى تتبع الحكم ولذلك قال الله تعالى : فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى[٤].

قد بين الله تعالى وجه الحكمة في أكثر الطاعات فقال في الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء[٥] والمنكر، وقال في الزكوة : خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها[٦]، وقال في الصوم : كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون[٧]، وقال في الحج : ليشهدوا منافع لهم[٨]، أراد منافع العاجل

---

١ ـ الاصم هو الذي لا يسمع واراد به الذي لا يهتدي ولا يقبل الحق .

٢ ـ انف من الشيء : اذا كرهه وشرفت نفسه عنه والانف : الحمية من الغيرة والغضب .

٣ ـ تعود الشيء : جعله عادة لنفسه .

٤ ـ البقرة : ١٩٧ .

٥ ـ النحل : ٩٠ .

٦ ـ التوبة : ١٠٣ .

٧ ـ البقرة : ١٨٣ .

٨ ـ الحج : ٢٨ .

والآجل وأخبر عن سوالف الأمم بقوله تعالى: لكل امة جعلنا منسكاً هم ناسكوه(١).

قال في الجهاد: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد(٢)، أخبر عن لزوم الجهاد سوالف الأمم بقوله تعالى وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثيرا(٣). ووقفوا مواقف أنبيائه.

أراد إبراهيم واسمعيل ومحمد عليهم السلام وقد روي عن مصاص بن عمرو الجرهمي جد ثابت بن اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام من قبل أمه أنه قال إني رأيت في يوم واحد سبعين نبيا من الشام فأطافوا(٤) بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة وعادوا، وروي أن موسى عليه السلام كان يطوف بذلك البيت وعليه شملة وداود أيضا في عهده وعن ابن عمر قال: كانت بالمأزمين من مِنىً دوحة سدر تحتها سبعون نبيا أي قطعت سدرتهم قال الشاعر: بين الحجون وبين السدر.

وتشبهوا الملائكة: التشبه بهم في الحج إما بالتنزه عن الرفث والفسوق والجدال وقضاء الشهوات في الاحرام كما أن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يقضون شهوة وأما بالحفوف حول الكعبة قال تعالى: وترى الملائكة حافين من حول(٥) العرش، وأما بالطواف لأن الملائكة يطوفون بالبيت المعمور، قبلة للانام سميت الكعبة قبلة لأن المصلي يقابلها وتقابله وقيل لأن الله تعالى يقبل صلوة من توجه اليها.

اجابوا اليه دعوته: الضمير في إليه للبيت وفي دعوته لله تعالى أي قاصدين اليه.

١ـ الحج: ٦٦.
٢ـ الحج: ٤٠.
٣ـ آل عمران: ١٤٦.
٤ـ في ض: قد طافوا بالبيت.
٥ـ الزمر: ٥٧.

٢ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ انصرافه من صفين

أَحْمَدُهُ ٱسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَٱسْتِسْلاَماً لِعِزَّتِهِ، وَٱسْتِعْصَاماً[١] مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ؛ إِنَّهُ لاَ يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلاَ يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ وَلاَ يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَاوُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاَصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمٰنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، وَتَخوِيفاً بِالْمَثُلاتِ وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ ٱنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ[٢] سَوَارِي الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَتَشَتَّتَ الأَمْرُ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ،

---

١ ـ في حاشية م : واعتصاما.

٢ ـ في روك : وروى وتزحزحت.

فَالْهُدَى خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ: عُصِيَ الرَّحْمنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدُرَسَتْ سُبُلُهُ[١]، وَعَفَتْ شُرُكُهُ: أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلاَمُهُ وَقَامَ لِوَاؤُهُ، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلاَفِهَا، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهَادٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ.

ومنها يعني آل النبي عليه الصلاة والسلام:

مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حِكَمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ: بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ.

ومنها يعني قوما آخرين:

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ، لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هذِهِ الاُمَّةِ أَحَدٌ، وَلاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً: هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ: إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ

١ ــ في حاشية م: ودرست رسومه.

الْوِلاَيَةِ، وَفِيهِمْ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ؛ الآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.

شرح

قوله عليه السلام أحمده استتماما لنعمته إلى آخره.

واستسلاما أي انقيادا فاقة أي حاجة ولا فعل لها وكفاية الله، عطفه تبارك وتعالى.

لا يئل أي لا ينجو فانه أرجح الضمير لما دل عليه. أحمده: من الحمد كقولهم: من كذب كان شرا له ان كان الكذب.

المصاص: الخالص يستوى فيه الواحد والجمع والاثنان والمؤنث.

الأهاويل: جمع أهوال وأهوال جمع هول كقول وأقوال واقاويل، ومدحرة أي مبعدة.

الصادع: البين الظاهر أو القاطع عن قولهم صدعت الفلاة، أي قطعتها.

المثلة: بفتح الميم وضم الثاء العقوبة والجمع المثلات.

والازاحة: الازالة وانجذم انقطع وتزعزعت: تحركت، وروي تزحزحت أي تنحت والسارية: الاسطوانة والنجر: الاصل والحسب والطبع وانهارت: انهدمت والدعامة: العماد، والشرك، جمع شراك وهو الطريق الدقيق (ينشعب عن جادة).

قيل شراك الطريق واضحه، وروي شركه والشركة (معظم الطريق ووسطه[1]) والجمع شرك عفت: درست والمنهل: المورد داستهم: وطئتهم

---

١ ـــ بين الهلالين ساقط في ض.

والانحناء الاعوجاج والفريصة: اللحمة بين الجنب والكتف. لا يزال ترعد من الدابة والثبور: الهلاك والخسران.

ج ـ استتماما لنعمته هي نعمة الآخرة وكذلك في قوله تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم[1]، الزيادة الجنة لأنها مضمونة مقطوع عليها (وزيادةنعمة الدنيا غير واجبة[2]) في خير دار يعني[3] الدنيا لأنها دار العمل أو مكة.

نومهم سهود وكحلهم دموع: بلاغة بلغت مداها يعني أنهم لا ينامون ويبكون إن نام غيرهم فهم سهود[4] فان اكتحل غيرهم بالاثمد[5] فكحلهم الدموع واللجأ: الملجأ.

موئل حكمه أي حكمته وولايته زرعوا[6] الفجور: يعني الخوارج جمع في هذا الكلام أقسام البلاغة التتميم والمكافات وقسما من المقابلة ولا يساعد امثال هذه الفصاحة إلا لمثل أميرالمؤمنين.

أما التتميم فذكر جميع المعاني التي بها يتم جودة الكلام والمكافأة في النشر شبه المطابقة في النظم والمقابلة مراعاة الاضداد والأشكال، كالأب والابن والأبيض والأسود والليل والنهار والأعداد والجهات.

إليهم **يفئ** الغالي، وبهم يلحق التالي: يعني أنهم أصحاب الحق ومعه ممن قصر في الحق فعليه أن يزيد في الاجتهاد حتى يلحق بصاحب الحق ومن تجاوز عنه فعليه أن يفيء اليه فان الحق بين المقصر والغالي.

ج ـ في خير دار: الكوفة وجيرانها أهلها، وقيل: الشام لأنها الأرض

---

١ ـ ابراهيم: ٧.

٢ ـ ساقط في ض.

٣ ـ في ض: يعني دار الدنيا.

٤ ـ سهد يسهد: ارق ولم ينم قل نومه.

٥ ـ الاثمد: حجر يكتحل به يعرفه علماء الكيمياء.

٦ ـ هنا خلط في النسخ ويختلف بعضها بعضا في التقديم والتأخير.

المقدسة وأهلها القاسطة من معاوية وأصحابه شر جيران .

نومهم سهود : أي لا ينامون يرتبون أمور معاوية هذا إن أراد أهل الشام ، وإن اراد أصحابه عليه السلام وهو الأقرب فالمعاني أنهم يبيتون خائفين ، ساهرين لقلة موافقتهم ، ويكون ذلك شكاية منه عليه السلام من أصحابه .

كحلهم دموع : نفاقا فان من تم نفاقه ملك عينيه .

عالمها ملجم : هو علي عليه السلام ، والتقيّ على كل حال ملجم عن الخنا والفحش ، وإذا كان بين نحره يكون أيضا ملجما عن الحق .

وجاهلها مكرم : معاوية وأمثاله ويجوز أن يكون يريد بخير ، دار ، الدنيا فانها سوق الآخرة ، وخير لمن عمل فيه ، وأكثر الخلائق فيها حيارى جهال .

لجأ أمره : أي أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله ، هم لما جاء به يقوي شرعه بهم ويؤخذ شرعه منهم ، ويلتجأ في حل المشكلات إليهم .

* * *

٣ـ وَمِنْ خُطْبَةٌ لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

وَهِيَ ٱلْمَعْرُوفة بالشِّقْشِقية

أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ[1]، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مُحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِن الرَّحَى: يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ؛ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً. وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ[2]، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصغيرُ، ويكْدَحُ فيها مؤمنٌ حَتّىٰ يلقىٰ رَبَّهُ[3]. فَرأيتُ أنَّ الصَبْرَ علىٰ هاتا أحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا؛ أَرَى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلاَنٍ بَعْدَهُ[4] (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الأَعْشَى)[5].

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ،

فَيَاعَجَباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرعَيْهَا! فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ

---

١ ــ ف ض وح: تقمصها ابن ابي قحافة.

٢ ــ في ر: والجذاء بالجيم والحاء.

٣ ــ في م: يلقى فيها ربه.

٤ ــ في ح وض: الى ابن الخطاب.

٥ ــ ساقطة من ح.

يَغْلُظُ[١] كَلْمُها، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا[٢]، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ ٱللهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ[٣]؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ؛ حَتَّى إذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَلهِ وَلِلشُّورَى! مَتَى ٱعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إلَى هٰذِهِ النَّظَائِرِ!! لٰكِنِّي أَسْفَفْتُ إذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إذْ طَارُوا؛ فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ[٤]، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ، إلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حُضْنَيْهِ، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ ٱللهِ خَضْمَةَ الإبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إلَى أَنِ انْتَكَثَ[٥] عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ. فَمَا رَاعَنِي إلاَّ وَالنَّاسُ إلَيَّ كَعُرْفِ[٦] الضَّبُعِ إلَيَّ: يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطَافِي[٧]، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ[٨]، وَمَرَقَتْ أُخْرَى[٩]، وَفَسَقَ آخَرُونَ[١٠] كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهِ حَيْثُ يَقُولُ: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ

١ـ في ر: يحطم كلمها وفي ك: في ناحية خشناء.
٢ـ في ك: يجفو مسها.
٣ـ في حاشية م: بتلون واعتياض.
٤ـ في ك: فمال رجل واصغى الى صهره.
٥ـ في ض وح: الى ان اتكث فتله.
٦ـ في ض: والناس كحرف الضبع.
٧ـ في ض وح ول: وشق عطفاي.
٨ـ في ك: فنكصت بالصاد.
٩ـ في ك: وروى وقسطت اخرى.
١٠ـ في ض وقسط آخرون.

لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بَلَى! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلٰكِنَّهُمْ حَلِيَتْ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ [١] زِبْرِجُهَا. أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ.

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا، فأقبل ينظر فيه، (فلما فرغ من قرائته) [٢] قال له ابن عباس رضى الله عنهما: يا أميرالمؤمنين، لو اطردت [٣] مقالتك من حيث أفضيت.

فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاسٍ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ.

قال ابن عباس: فو الله ما أسفت على كلام قط كأسفي على ذلِكَ الكلام [٤] أن لا يكون أميرالمؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث [٥] أراد.

١ــ في م: واراقهم زبرجها.
٢ــ ساقطة من ب وح.
٣ــ في ض وب: لو اطردت خطبتك.
٤ــ في ض وح: على هذا الكلام.
٥ــ في م: بلغ منه ما اراد.

شرح الخطبة المقمصة المعروف بالشقشقية[1]

قد وجدت لهذه الخطبة خاصة شرحا أملاه السيد الشريف الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين، علي بن الحسين[2] الموسوي قدس الله روحه فأوردته بحاله، وكماله فان كل الصيد في جوف الفراء.

قال: قوله: لقد تقمصها: أراد أنه لبسها واشتمل عليه كما يشتمل القميص على لابسه.

قوله: وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى.

أراد أن أمرها عليّ يدور وبي يقوم وأنه لا عوض عني فيها ولا بديل مني لها، كما أن قطب الرحى، وهو الحديدة الموضوعة في وسطها، عليها مدار الرحى، ولولا هي لما انتظمت حركاتها، ولا ظهرت منفعتها.

ينحدر عني السبيل: كلام مستأنف، أي أني عالي المكان بعيد المرتقى، لأن السبيل لا ينحدر إلا عن الأماكن العالية، والمواضع المرتفعة ثم اكد ذلك بقوله:

---

١ ـــ في ض: قال بعض الشعراء في هذه الخطبة:

كلام الامام امام الكلام ... كنشر الخزامئ وصوب الغمام

٢ ـــ علي بن الحسين بن موسى ابو القاسم المرتضى ذو المجدين علم الهدى، مجمع على فضله متقدم في علم الكلام والفقه واصول الفقه والادب والشعر واللغة. له مصنفات كثيرة وآثار مشهورة. اخذ عن الشيخ المفيد محمد بن النعمان البغدادي واخذ عنه الشيخ ابو جعفر الطوسي، وهو اخو الشريف الرضي جامع نهج البلاغة توفي سنة ٤٣٦.

ولا يرتقي[1] إلى الطير: لأنه ليس كل مكان علا عن استقرار السيل عليه . واقتضى تحدره عنه يكون مما لا يرقى إليه الطير، فان هذا يقتضي بلوغ الغاية في العلو والارتفاع .

لكني سدلت دونها ثوبا : أي ألقيت بيني وبينها حجابا يعني عزفت عنها . وتنزهت عن طلبها ، وحجبت نفسي عن مرامها وكذلك قوله :

وطويت : عنها كشحا : ومعنى الكلام إني أعرضت عنها . وعدلت عن جهتها ، ومن عدل عن جهة إلى غيرها فقد طوى كشحه عنها ، لأنَّ الكشح الخاصرة ، بيد جذا أي مقطوعة ، والجذ : القطع ويحتمل أن يروى جذاء بالزاء معجمة ، وهو القطع أيضا قال الطائي :

إن الجهالة أمها ولود * وأم العقل جزاء حايل

والطخية ؛ الظلمة وليلة طخياء مظلمة ، وهاتا : لغة يجري مجرى هذي وهذه ، وأحجى ؛ أولى ، والشجي ما اعترض في الحلق .

والتراث ؛ الميراث ، ولا يسمى الملك تراثا حتى يكون قد ورثه عن غيره ، وأراد بالتراث حقه من الامامة وخلافة الرسول عليه السلام الذي ورثه عنه عليه السلام بنصه وإشارته إليه .

نهبا : أي متقسما ومتوزعا ، متداولا .

فأدلى بها إلى فلان أي ألقاها إليه ، وأرسلها إلى جهته من قولهم ؛ أدليت الدلو اذا ألقيتها إلى البئر ، ومنه أدلى الرجل بحجته .

قوله فيا عجبا بينما يستقيلها في حيوته إذ جعلها لآخر بعد وفاته من دقيق المجانسة وشديد الموافقة ، لأن من يستقبل من الأمر على ظاهر الحال ، يجب أن يكون زاهدا فيه ، منقضبا منه ، متبرماً به . فاذا عقده لغيره ؛ ووصى

---

١ ــ في نسخ النهج التي بأيدينا : ولا يرقى الى الطير.

به ؛ الى سواه فهو على غاية التمسك به ؛ والتمحل[١] لأوقاره ؛ والتلبس لأوزاره .

لشد ما تشطرا ضرعيها : اي اقتسما منفعتها من الشطر الذي هو النصف ؛ والبيت الذي أنشده لأعشى قيس[٢] ؛ من قصيدة أولها :

علقم ما أنت إلى عامر * الناقض الأوتار والوتر

حيان أخو جابر رجل من بني حنيفة ، كان ينادم الأعشى ، وهو من سادات بني حنيفة[٣] فأراد ما أبعد ما بين يومي على كور المطية[٤] آدأب وأنصب في الهواجر[٥] والضائر ، وبين يومي وادعا قاراً[٦] متادما لحيان أخي جابر في نعمة وخفض وأمن وخصب .

روي أن حيان هذا كان شريفا معظما عتب على الأعشى كيف نسبه إلى أخيه وعرفه به فاعتذر بأن القافية ساقته الى ذلك ، فلم يعذره والغرض في تمثيله عليه السلام بهذا البيت تباعد ما بينه عليه السلام وبين القوم لأنهم فازوا بآرائهم ورجعوا بطلابهم وظفروا بما قصدوه واشتملوا على ما اعتمدوه وهو عليه السلام في اثناء ذلك كله محق في حقه مكدّ في نصيبه ، فالبعد كما

---

١ ـ تمحل الدراهم : انتقدها ، والاوقار جمع الوقر وهو الحمل الثقيل .

٢ ـ الأعشىٰ لقب جمع من الشعراء منهم ابوبصير ميمون بن قيس بن جندل الاسدي احد المعروفين من شعراء الجاهلية وفحولهم ، سكن الحيرة وله ديوان شعر ولامية معروفة .

٣ ـ حنيفة كسفينة لقب اثال كغراب بن لجيم بن صعب وهم قوم مسيلمة الكذاب منهم خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية وهي ام محمد بن علي بن ابي طالب عليه السلام المعروف بابن الحنفية توفي بالمدينة سنة ٨٢ ودفن بالبقيع .

٤ ـ كور بالضم : رحل الناقة باداته وهو كالسرج للفرس والجمع اكوار ، والمطية الناقة التي يركب مطاها اي ظهرها .

٥ ـ دأب في العمل اذا جد وتعب ، والنصب : التعب في الحديث فاطمة بضعة منى ينصبني ما انصبها اي يتعبني ما أتعبها ، الهجير والهاجرة : اشتداد الحر نصف النهار .

٦ ـ القر : البرد ويوم قر بالفتح : اي بارد .

تراه بينهم بعيد والاختلاف شديد والاستشهاد بالبيت واقع في موقعه، وارد في موضعه.

قوله عليه السلام: فصيرها في تاجية[1] خشناء يجفو مسها ويعظم كلمها.

إنما هو تعريض لجفا خلق الرجل الثاني للاول، وضيق صدره، ونفار طبعه.

قوله: كراكب الصعبة إن أسلس لها تقحم وإن أشنق لها خرم.

أي خرق أنفها لأن الذمام يكون متصلا بالأنف فاذا والى بين جذبه، لشدة إمساكه خرقه وخرم بمعنى خرق، وتقحم مثل عسف أي ورد ما يكره وروده من الموارد، ويأتي سلوكه من المقاصد، فبلى الناس؛ **وروي**؛ والخبط: السير على جادة **ومحجّة**.

الشماس: النفار، والتلون: التقلب والتبدل والاعتراض: هنا ضرب من التلون والتغير؛ وترك لزوم القصد والجادة يقال: مشى العرضة **أي** ترك القصد والمحجة؛ وسار في عرضها عاسقا خابطا.

أما تلويحه بل تصريحه، بذم الشورى والأنفة من اقترانه **بمن** لا يساويه: ولا يضاهيه فهو كثير التردد في كلامه عليه السلام؛ ثم أخبر بأنه فعل ذلك كله مقاربة؛ ومساهلة؛ واستصلاحا وسماحا.

فقال لكني أسففت إذا أسفوا: يقال أسف الطاير وسفّ **إذا** دنا من الأرض في طيرانه وأسف الرجل إلى الأمر **الدني** اذا دخل فيه بالالف لا غير.

فمال رجل لضعنه:

١ــ في اكثر نسخ النهج: فصيرها في حوزة خشناء.

هو سعد بن أبي وقاص الزهري كان منحرفا عن أميرالمؤمنين عليه السلام وهو أحد من قعد عن بيعته في وقت ولايته.

وأصغى آخر لصهره:

هو عبدالرحمن بن عوف الزهري كان بينه وبين عثمان مصاهرة معروفة، فعقد له الأمر ومال اليه، بالمصاهرة ولفظة هن يستعملها العرب في الأمور العظيمة الشديدة.

ثالث القوم، عثمان والنفج والنفخ بمعنى واحد والحضن الصدر والعضدان، وما يليها.

بين نثيله ومعتلفه أي بين الموضع الذي يروث فيه، والموضع الذي يأكل منه.

يخضمون مال الله: الخضم اقوى من القضم[١]، ويستعمل فيه للاشداق[٢]، ويكون في الأكثر للاشياء اللينة الرطبة، والقضم بمقاديم الأسنان، ويكون للاشياء اليابسة.

الانتكاث: الانتقاض، وانتكث الحبل تزايلت قواه، وتفرقت مدده ومنه نكث العهد لأنه فسخ له وحلّ لعقده.

واجهز عليه عمله: أي قتله فعله، والاجهاز لا يستعمل إلا في إتمام ما بدىء به من الخراج[٣] وغيرها، والبطنة: كثرة الأكل والسرف في الشبع، وذلك غير محمود في نجباء الرجال، وذوي الفضل منهم، كعرف الضبع: والضبع ذات عرف كثير والعرب تسمى الضبع عرفا لعظم عرفها[٤] ينثالون:

---

١ ــ القضم: الاكل باطراف الاسنان.

٢ ــ الاشداق: جوانب الفم.

٣ ــ الخراج بالضم كل ما يخرج بالبدن كالدمل.

٤ ــ العرف بالضم: الشعر النابت في محدب رقبة الفرس، والجمع عرف واعراف.

أي يتتابعون ويتزاحمون .

وطيء الحسنان : أراد الحسن والحسين عليهما السلام غلب في الاسم الكبير على الصغير ، والعطف : المنكب .

ربيضة الغنم : الرابضة[1] وإنما شبههم بالغنم لقله الفطنة عندهم ، وبعد التأمل منهم فالعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الذكاء .

قوله نكصت طائفة ومرقت اخرى وفسق آخرون :

روى نكثت طائفة وقسطت اخرى ومرقت آخرون قسطت أي جارت ، وعدلت عن الصواب ، ومرق أي خرج عن الحد ، ومن القسط والعرب تسمي السهم اذا لم يُصِبْ الغرض ومضى جانبا بأنه مارق ،

حليت الدنيا : أي تزينت من الحلي وروي حلت من حلاوة الطعم .

راقهم زبرجها : أي أعجبهم زخرفها ، وهو ماله ظاهر جميل معجب وباطن بخلاف ذلك وأصل الزبرج الغيم الرقيق الذي لا ماء فيه ، فهو يغر بظاهره ولا خير فيه .

قوله لو لا حضور الحاضر : يعني أن الفرض تعين وتوجه مع وجود من انتصر به على دفع المنكر ، ومنع الباطل ، واعتذر إلى من لا علم له من القعود في أول الأمر والنهوض في حرب الجمل وما بعدها لفقد الأنصار أولا وحضورهم ثانيا ، والكظة : البطنة وشدة الامتلاء من الطعام والسغب : الجوع .

والقيت حبلها على غاربها : أي تركتها وتخليت منها لأن الرجل اذا ألقى زمام الناقة على غاربها ، فقد بدا لها من إمساكها وزمها ، وخلى بينها وبين اختيارها ، ولهذا صارت هذه اللفظة من كنايات الطلاق ، والغارب أعلى العنق .

---

١ ــ الربيض :الغم نفسها ، والربض موضعها الذي تربض فيه .

ولسقيت آخرها بكأس أو لها : أي كنت استعملت في آخر الأمر ما استعمله في أوله وعفطت العنز، نثرت بأنفها كما ينثر الحمار وعفطت ضرطت وقوله : عفطة عنز يحتمل المعنيين.

الشقشقة : ما يخرجه البعير من فيه عند جرجرته وغضبه أو قطمه[١] أراد أنها سورة التهبت ثم خمدت ؛ ونشأت ثم وقفت».

لما اقتضى ابن عباس رضى الله عنه بقية الكلام ، وقد انقطع بما اعترضه ، وزال عن سننه ، اعتذر عليه في العدول عن تمامه بانقضاء سببه ، وانطفاء ناره ، وتلاشي دواعيه ؛ فان الكلام يتبع بعضه بعضا ويقتضي أوله آخره ؛ فاذا قطع المحل نظامه وخباضرامُهُ[٢].

قد حكى السيد المرتضى رضي الله عنه أن أبا عمرو محمدبن[٣] عبد الواحد غلام ثعلب روى عن رجاله في قوله عليه السلام : وطئ الحسنان أنهما الأبهامان وأنشد للشنفرى :.

مهضومة الكشحين حوماء الحسن.

وروي أنَّ أميرالمؤمنين عليه السلام إنما كان يومئذ جالسا محتبئاً وهي جلسة رسول الله صلى الله عليه وآله المسماة بالقرفصا وهي جمع الركبتين ، وجمع العطف وهو الذيل ، واجتمعوا ليبايعوه وزاحموه حتى وطئوا ذيله وإبهامه من تحته ، وهما إبهامان ، ولم يعن الحسن والحسين وهما رجلان كبيران كسائر الحاضرين ثم من أولاد أميرالمؤمنين وغيرهم ، فكيف وقدر وطؤهما

---

١ ــ القطم : الغضبان والجرجرة : صوت وقوع الماء في الجوف.

٢ ــ خبت النار : خمدت وسكنت وطفئت والضرام لهب النار.

٣ ــ محمد بن عبد الواحد ابوعمر الزاهد المطرز الباوردي غلام ثعلب اللغوي من ائمة اللغة واكابر أهلهاقال ابو علي التنوخي : ومن الرواة الذين لم يرقط احفظ منهم ابوعمر الزاهد : املى من حفظه ثلاثين الف ورقة في اللغة قال الخطيب : رأيت جميع شيوخنا يوثقونه ويصدقونه مات سنة ٣٤٥.

دون غيرهما .

ج ــ أرتأي : أي اجيل رأيي ، واليد المقطوعة كناية ، عن قلة الناصر.

طخية عمياء أي ظلمة لا يكاد يبصر فيها الدين ونكر لفظة مؤمن شياعا يستقيلها : أراد ما قاله الأول أقيلوني ولست بخيركم في جماعة : هو أصحاب الشورى الستة ، طلحة والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعدبن أبي وقاص ، وعثمان ، وعلي عليه السلام ، لصهره : كان عبدالرحمن بن عوف زوج ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأمها أروى بنت كريز وأروى ام عثمان .

قال عمر للناس : كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف ، قال العباس لعلي عليه السلام : ذهب الأمر منا ، فقال عليه السلام إني أدخل معهم في الشورى لأن عمرا استأهلني الآن للامامة ، وكان من قبل يقول : إن رسول الله ، قال : إن النبوة والامامة لا يجتمعان في بيت ، وإني لأدخل في ذاك إذ ترك هو بنفسه ما روى أولا .

وهن : كناية عن شيء وأصله هنو، نفج ثدي المرأة قميصها : أي رفعه ، والحضن : ما دون الابط إلى الكشح وهو الصدر والعضدان وما بينهما .

النثيل : الروث ؛ ويروى عطافي وهو الرداء أراد بالناكثه طلحة والزبير ، ومن معهما ، وبالمارقة الخوارج ، وبالفاسقة أو القاسطة ، معاوية وأصحابه .

ع ــ قال بعض الشعراء في هذه الخطبة :

كلام الامام إمام الكلام * كنشر الخُزامىٰ وصوب الغمام

أرتاي : إفتعل من الرأي أي ادبر وافكر جذا بالجيم والحاء أي مقطوعة عميا يجوز أن يكون من العمى ، وهو رمي الأمواج (القذى) أي طخية يرمى الناس إلى الهلاك كما يرمي الموج القذاة ، ومن ذلك قولهم : عمى البعير الزبد .

قيل : المراد به أن من يقع فيها يعمى عن طريق النجاة منها لشدتها

وصعوبتها كما قال تعالى : بلدا آمنا ، أي يأمن الانسان فيه .

ويكدح فيها مؤمن : أي يسعى ويدأب ولا يعطى حقه حتى بموت وروي ويدرج مؤمن شتان : الفراء[1] يخفض نونه ، وهو يعمل عمل الفعل وإن كان اسما ومعناه بعد ، وما صلة ، ويومي فاعل شتان ، ويوم حيان مرفوع معطوف على يومي ، وحيان وجابر ابنا السميربن عمرو ، كان حيان صاحب الحصن باليمامة ؛ وكان سيدا مطاعا يصله كلّ سنة كسرى[2] فكان في نعمة ورفاهية ، ولا يسافر أبدا وكان مصونا من وعثاء السفر .

فيقول : الأعشى حيان في حصن حصين ؛ ونعمة وأنا في سفر ومشقة وأول القصيدة :

شاقتك من قيلة أطلالها * بالشط فالوبر إلى حاجر

دارلها غير لا يأتها * كل ملث صوبه زاجر

والأعشى هذا هو ميمونبن جندل من بني قيس ، ويتمثل هذا البيت كل من كان في مشقة وعناء وتعب ، وغيره في راحة وخفض عيش .

قال ابن جني[3] : معنى البيت ما أبعد ما بين يومين مرا عليّ أحدهما يوم ركبت ناقتي ؛ وقاسيت مشاق الأسفار ؛ ويوم استقربي المكان عند حيان ؛ في خفض من العيش ، ودعة وكرامة ، وجايزة يمدحه بذلك ويشكر معروفه ، عنده . تشطرا : ويروى تشاطرا أي تناصفا ما في ضرعها .

---

١ ــ ابو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله الاسلمي الديلمي الكوفي تلميذ الكسائي وصاحبه كان ابرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الآدب ، حكى عن ثعلب انه قال : لولا الفراء ما كانت عربية لانه خلصها وضبطها ، مات في طريق مكة سنة ٢٠٧ .

٢ــ كسرى معرب خسرو وجمعه الاكاسرة وهم ملوك ايران قبل الاسلام .

٣ــ ابو الفتح عثمان بن جني كان ابوه جني مملوكا روميا لسليمان بن فهد الموصلي ، ولد ابن جني بالموصل ونشأ ببغداد ، كان من مشايخ السيد الرضي جامع نهج البلاغة ، وقد اثنى عليه علماء الادب وكان من احذق اهل الادب وأعلمهم بالنحو والتصريف له مؤلفات في النحو والادب مات سنة ٣٩٢ .

الحوزة : الناحية وأشنق البعير برأسه رفعه يتعدى ولا يتعدى وشنق لناقته وأشنق لها أي عاجها كذا في كتاب ينابيع اللغة وغيره .

خرم : قطع : وخرم عدل عن الطريق أيضا واعتراض : بالضاد والصاد معا وبالصاد غير المعجمة النشاط .

الشورى : القوم يتشاورون مصدر سمي به القوم كالنجوى .

فيالله : بفتح اللام لأنها لام الاستغاثة وللشورى بكسرها ؛ لأنها لام التعجب ، ويروي هن وهني على التصغير أي أمر حقير ؛ وقيل عظيم شديد .

الخضم : أكل الرطب والقظم : أكل اليابس فاختاروا الخاء للرطب لرخاوتها ، والقاف لليابس لصلابتها ، وقيل : الخضم الأكل بجميع الفم وراعنى : أي خوفني ينثالون : ينصبون .

ربيضة الغنم : مأواها أي أحاطوا بي بحيث لم يمكنني الخروج من بينهم إحاطة الربيضة بالغنم فقيل أراد بالربيضة الغنم ؛ ذكر المكان ، والمراد أهله ، ويروى احلولت الدنيا ويروى جليت بالجيم في الشاذ ؛ وكان من عادة أميرالمؤمنين عليه السلام اذا حلف أن يقول والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لانهما دليلان ظاهران على إثبات المحدث القديم القادر العالم الحكيم والحبة يروى بكسر الحاء وفتحها ويروى من عطفة عنز على شط بحر ويروي من جيفة عنز .

قوله من أهل السواد : سواد الكوفة والبصرة قراهما . سميت بذلك لأنها ترى من بعيد ؛ على لون السواد وقيل : لأن السواد المثال الكثير، سميت بذلك لكثرة ربوعها ؛ وغلاتها وثمارها وهدر البعير هديرا : ردد صوته في حنجرته قرت : أي استقرت هيهات : أي بعد .

١ـ عاج البعير : عطف رأسه بالزمام .

قال الأزهري[١] : اتفق أهل اللغة على أن تاء هيهات ليست بأصيلة[٢]، وأصلها هاء وقد يكون واحدا كعلقات، وجمعا كعرفات، ويكون واحدة وهمية وذكر فيه التنوين وتركه، فاذا نون كان نكرة واذا لم ينون كان معرفة وقيل انه معرفة في الحالين.

(قال صاحب المعارج) وجدت في الكتب القديمة أن الكتاب الذي دفعه اليه رجل من أهل السواد، كان فيه مسائل.

منها : ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان وليس نسب بينهما فأجاب أميرالمؤمنين عليه السلام فقال : هو يونس بن متى عليه السلام خرج من بطن الحوت، ولم يكن بينهما قرابة.

منها : ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام، فقال هو نهر طالوت حيث قال تعالى : إلا من اغترف غرفة بيده[٣].

منها : ما العبادة التي إن فعلها واحد استحق العقوبة، وإن لم يفعلها استحق أيضا العقوبة، فأجاب أميرالمؤمنين قال : هي صلوة السكارى.

منها : ما الطائر الذي لا فرخ له، ولا فرع ولا أصل، فقال : هو طائر عيسى عليه السلام، حيث قال تعالى : وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير[٤].

منها : رجل عليه من الدين ألف درهم وله في كيسه ألف درهم، فضمنه ضامن له ألف درهم فحال عليهما الحول فالزكوة على أي المالين تجب، فقال : إن ضمن الضامن باجازة من عليه الدين، فلا زكوة عليه وان ضمنه من غير اذنه واجازته والزكاة عليه مفروضة في ماله.

---

١ ــ ابو منصور محمد بن احمد بن الازهر الهروي الشافعي اللغوي كان رأسا في اللغة والتفسير له تصانيف مات سنة ٣٧٠.

٢ ــ في ش : باصلية.

٣ ــ البقرة ٢٤٩.

٤ ــ المائدة : ١١٠.

منها : حج جماعة ونزلوا في دار من دور مكة ، وأغلق واحد منهم باب الدار، وفي الدار حمامات فمتن من العطش قبل عودهم إلى الدار، فالجزاء على أيهم يجب ، فقال عليه السلام : على الذي أغلق الباب ولم يخرج الحمامات ولم يضع لهن ماء .

منها : شهد شهداء أربعة على محصن (بالزناء[١]) فأمرهم الامام ، برجمه ، فيرجمه واحد من الشهود ، دون الثلاثة ووافقه قوم أجانب ، فرجع عن شهادته من رجمه ، والمرجوم لم يمت ، ثم مات المرجوم ورجع الشهود الأخر عن الشهادة بعد موته ، فقال : ديته على من رجمه من الشهود ، وعلى من وافقه وتعيين من وافقه مفوض الى الشاهد الراجم .

منها : شهد شاهدان من اليهود على يهودي أنه أسلم . فقال : لا يقبل شهادتهما لأنهم يجوزون تغيير كلام الله وشهادة الزور، وإن شهد شاهدان من النصارى على نصراني ويهودي أو مجوسي أنه أسلم ، فقال يقبل شهادتهما لقول الله تعالى : ولتجدن أقربهم مودة الى قوله : وانهم لا يستكبرون[٢] ، ومن لا يستكبر لا يشهد الزور.

منها : قطع واحد يد إنسان ، والدم يسيل منه ، فحضر أربعة شهود عند الامام وشهدوا على من قطع يده أنه محصن زان ، فأراد الامام أن يرجمه فمات قبل الرجم ، فقال على من قطع يده دية يده فحسب ، ولو شهدوا عليه بأنه سرق نصابا لا يجب دية يده على قاطعها .

ش : في البيت وما يليه شبه عليه السلام تباعده ما بين اليومين يوم الاستقالة ويوم الاستنابة ، بتباعد ما بين يومي الأعشى يوم النعمة والسرور، في منادمة حيان ، ويوم الطوفان في البلد[٣] ، أو مكابدة الأحزان فعلى هذا

---

١ ــ ساقط في ض .
٢ ــ المائدة : ٨٢ .
٣ــ في ش : البلدان .

يقدر يومي مع حيان والحمل على الظاهر سائغ أي شتان ما بين يومي في المحنة ويوم حيان في النعمة أزهد: أي اقل من الزهيد، وهو القليل ويجوز أن يكون من قولهم: زهد فيه وعنه أي رغب عنه، ويكون أفعل بمعنى مفعول كما في قولهم أشغل من ذات النحيين[١].

* * *

١ ــ وفي المثل اشغل من ذات النحيين قال الجوهري: هي امرأة من تيم الله بن ثعلبة كانت تبيع السمن في الجاهلية فاتاها خوات بن جبير الانصاري فسلومها فحلت نحيا مملوءً، فقال امسكيه حتى انظر الى غيره فلما شغل يديها ساورها حتى قضى ما اراد وهرب: والنحي: جرة فخار يجعل فيها لبن.

٤ـ وَمِنْ خُطْبَةٌ لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاء، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ. وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ، وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ. رَبَطَ[١] جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ؛ مَازِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلاَ دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلاَ تُمِيهُونَ[٢]، الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ، عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ[٣] تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ[٤]، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ: أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ وَدُوَلَ[٥] الضَّلاَلِ، الْيَوْمَ تَوَافَقْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

---

١ ـ في ر: وروى ربط جنان على مالم يسم فاعله.

٢ ـ في حاشية م: ولا تمهون.

٣ ـ في ض غرب رأي امرء.

٤ ـ في م: منذر أيته.

٥ ـ في حاشية م: دولة الضلال.

الشرح

قوله عليه السلام بنا اهتديتم في الظلماء الى آخر الكلام.

قال أبو علي بن مسكويه[١]، خطبها أميرالمؤمنين عليه السلام بعد مقتل طلحة والزبير.

ج: تسنمتم[٢]، من السنام اي علوتم أي كنتم خاملي الذكر فشرفتم بنا.

سرار الشهر: آخر ليلة منه، ويخفي القمر ليلة: السرار، وربما كان ليلة، وربما كان ليلتين والفجر في آخر الليل كالشفق، في أوله أي[٢]، دخلتم في فجر الدين عن ظلمة الجاهلية عن السرار أي متخلصين عن السرار.

وقر سمع: على طريق الدعاء أي صمت أذن من لم يفهم الصارخة ولم يتدبر العبر، يقال وقر الله أذنه، ووقرت اذنه على ما لم يسمّ فاعله وقر اذنه بكسر القاف وفتح الواو لازم أي صم سمعه الخفي من الصوت والصيحة: العالي منه أي كيف يعتبر بكلامي من يغفل عن تدبر كلام الله تعالى فان من لا يراعي عظايم الامور لا يراعي صغايرها ثم دعا لمؤمن يكون قلبه أبدا على خوف ووجل[٣].

---

١ ــ ابو علي احمد بن محمد بن مكسوية الحكيم الخازن الرازي، الاصبهاني، كان من اعيان العلماء، واركان الحكماء، صحب الوزير المهلبي في ايام شبابه؛ له مؤلفات في الحكمة منها كتاب الفوز الاكبر وكتاب الفوز الاصغر، وكتاب الطهارة في علم الاخلاق وغيرها، مات سنة ٤٢٢.

٢ ــ في ض: بسببنا دخلتم.

٣ ــ الوجل: الفزع.

روي ربط: على ما لم يسم فاعله، أي ربط الله وثبت قلبا لا يزال يخفق من خوف العقاب، واذا روي ربط بفتح الراء فتقديره ربط قلب له وجيب[١]، من خشيته نفسه، وعزايمه على حذف المفعول.

ولم يفارقه الخفقان: صفة لجنان نبه عليه السلام أولا قريشا على عظم شأن آل محمد، فقال: إن من اهتدى منكم فبهدايتنا، ومن شرف بعز الاسلام فبدلالتنا ثم، ضرب مثلين لمن تغافل، ولم يتفكر، ودعا لمن استبصر وخشي، ثم ذكر مخاطبا لطلحة والزبير ومن حذا حذوهما من أتباع الجمل.

فقال: إني لم أزل أتفرس فيكم الغدر: وكان النبي صلى الله عليه وآله أخبرني بنكثكم العهد في العاقبة فكنت أنتظر ذلك وتوسمت: كذا تفرسته.

سترني عنكم جلباب الدين: أي حالت الديانة بيني وبينكم فلست آخذكم على ما أقهركم به، فكأني لاأراكم ولا ترونني، وروي ستركم عن عني جلباب الزينة، وهذا ظاهر، ومورد الرواية الأولى على الوعيد للقوم، في تثاقلهم عن نصرته، ومخالفتهم لأمره والمعنى منعتني ديانتي من أن أعرفكم بما اقوى عليه من وجوه تقويمكم وتأديبكم.

فانكم لا تستقيمون إلا بالخشونة والعنف كما قال في موضع آخر وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكن لا أرى إصلاحكم بافساد نفسي، ويجوز أن يكون المعنى أن الدين حكم بالاغضاء وسحب[٢]: ذيل العفو عليهم كما قال كم اغضي الجفون على القذى[٣]، إلـى آخره والتقيّ ملجم، فقوله سترني عنكم إما أن يكون على القلب أي ستركم عنى جلباب الدين

---

١ ــ وجب القلب يجب وجيبا: اذا خفق، وفي حديث علي عليه السلام سمعت لها وجبة قلبه: أي خفقانه.

٢ ــ يقال جاء يسحب ذيله: اي يمشي متبخترا.

٣ ــ القذى جمع قذاة وهو ما يقع في العين الماء والشراب من تراب او تبن او وسخ.

وغطى عليكم ولم يرخص في الكشف عنكم، وإما أن يكون على معنى أنه إذا سترهم عنه فقد ستره عنهم.

وبصرنيكم صدق النية: أي صدق نيتي، من قوله: المؤمن ينظر بنور الله، ويحتمل أن يكون المعنى إني لا أعرفكم كمالاتي، احترازا من الوقوع في جنبة تزكية النفس، ولو نظرتم بعين الانصاف، لعرفتموني، ثم حرضهم على طلب علوم الدين، ومعالمها منه، فذكر أنه عليه السلام مقيم لأجلهم، على طريق الحق في جوادّ يضل فيها الطريق، ولم يوجد دليل سواه فانه لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من يرشد إلى الدقيق من أمور الدين على الاجمال أو على التفصيل إلا هو.

وتحتفرون ولا تميهون: أي كلما بالَغْتُم في طلب معالم الدين، وعلم اليقين من غيري ما ازددتم إلا بعدا عن المطلوب، كمن يبالغ في الحفر ولا يجد الماء.

السنن: الطريقة والمضلة: بفتح الضاد وكسرها ما يضل فيه.

العجماء: صفة موصوف محذوف أي الكلمات العجماء.

عنى بها ما ذكره في هذه الخطبة، من الرموز تشبيها بالعجماء من الحيوان، وذلك أنه لا نطق لها في الحقيقة، ومع ذلك يستفيد الناظر فيها أعظم الفوائد فهي ذات بيان كما قيل: الأمور الصامتة الناطقة، هي الدلائل المخبرة والعبر الواعظة.

عزب رأى امرئ تخلف عني: أي بعد عن الحق فان من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ثم نبه على عصمته ووجوب طاعته[1]، فقال.

ما شككت في الحق منذ أريته: أنا أخاف على الأمة غلبة معاوية

---

١ ـــ في ض: ثم نبه عن عصمته وفرض طاعته.

وأمثاله كما خاف موسى عليه السلام غلبة الجهال والضلال، من فرعون وتابعيه.

اليوم توافقنا: أراد حين رجع الأمر إليه.

من وثق بماء لم يظمأ: من تمسك[١]، بمثلي في أمور دينه مع علمه بسابقتي وفضلي لم يحتج إلى غيري[٢].

ع: الواعية: الصارخة وقيل: المراد بها الكلمة الواعية، فاعل بمعنى مفعول، ورواية أبي الأغر الناعية من نعى ينعى.

كيف يراعي النبأة: أي كيف يسمع الصوت من أفسد سمعه صوت عظيم، ومن خواص الحواس أنه لا يدرك الأضعف مع الأشدّ.

ربط جنان: أي شد يقال فلان رابط الجأش وربيطه، أي شديد القلب كأنه يربط نفسه عن الفرار؛ وهذا دعاء منه، عواقب الغدر: الخزي والفضيحة.

سترني عنكم جلباب الدين: هو معنى قوله: الله تعالى أوليائي في قبالي لا يعرفهم غيري.

العجماء ذات البيان: هي لسان الحال والقرائن الشاهدة أو الأدلة والبراهين[٣]، أشفق: الألف ألف التفضيل.

غلبة الجهال: هم قوم موسى عليه السلام حيث حكى الله فيهم أنكم قوم تجهلون.

دول الضلال: فرعون وقومه حيث قال؛ وأضلّ فرعون قومه وما هدى،

---

١ ـ في الاصل: من تمسك بمثله.

٢ ـ في ض هنا زيادة وهي: وعندي أنه أراد ان صاحب الحق يكون مطمئن القلب ساكن النفس بريئاً عن الريب والشك بعيدا عن التخالج والاضطراب.

٣ ـ في ض: قال صاحب المعارج اشفق الخ وفي شرح هذه الخطبة في ض خلط وتقديم وتأخير.

تواقفنا بتقديم القاف .

من وثق بماء لم يظمأ لأنه يشرب قبل الظماء أو أراد أنه لا يكون واجد الماء كفاقده فان تخيله وتوهمه لفقدانه يضاعف ظمأهُ.

* * *

٥ــ وَمِنْ خُطْبَةٌ لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان ابن حرب في أن يبايعا له بالخلافة.

أَيُّهَا النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافرَةِ وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ ٱسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ. مَاءٌ[1] آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا. وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ. فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَا وَالَّتِي، وَٱللهِ لاَبْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ ٱنْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمْ ٱضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطُّوِيِّ الْبَعِيدَةِ.

---

١ ــ في ض وب وح: هذا ماء آجن.

الشرح

قوله عليه السلام: شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة الى اخره.

ج روي أنه لما تم في سقيفة بني ساعدة لأبي بكر أمر البيعة أراد أبو سفيان ابن حرب أن يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضا، فيكون في ذلك دمار الدين واندراسه؛ فمشى الى عباس بن عبد المطلب فقال له يا أبا الفضل: إن هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الأمر من بني هاشم، وجعلوه في رذل تيم وأنه ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ من بني عدي قم بنا حتى ندخل على عليّ ونبايعه بالخلافة، فأنت عم رسول الله وأنا رجل مقبول القول في قريش، فان دافعونا، عن ذلك قاتلناهم قتلا شديدا وقتلناهم الى آخرهم.

فأتيا أميرالمؤمنين عليه السلام، وقال له أبو سفيان يا أبا الحسن لا تغافل عن هذا الأمر، متى كنا تبعا لتيم الأرذال، وكان علي عليه السلام يعلم أنه لا يقول ذلك غضبا لدين الله، فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد شافهه بجميع ما يكون بعده بوحي من الله، وأمره بلزوم البيت والسكوت، لفقد، الأنصار، واحتراز من ازدياد الفساد.

فأجابه عليه السلام بهذا الكلام فسفن النجاة: هم أهل البيت لقول النبي صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

عرجت الشيء: عطفته، وعلى هذا فمفعول عرجوا محذوف أي عرجوا

أنفسكم ، وقيل : التعريج على الشيء الاقامة عليه فتقديره على هذا عرجوا على الاستقامة منصرفين عن المنافرة وهي المحاكمة في الحسب .

أفلح من نهض بجناح ؛ ورد مورد المثل عرض فيه بأنه لا ناصر له استسلم : أي انقاد ماء آجن : أي متغير منتن أراد به الدنيا ، وزخارفها البائدة ونعيمها الفانية ، وايناع الثمر : إدراكها .

اللتيا والتي : أي الداهية الكبرى[١] ، والصغرى ، وانس : أسرّ واندمج : دخل ، واستتر ، وبحت به : أظهرته والرشاء : الحبل والطوى : البئر المطوية بالحجارة .

ع : أفلح من نهض بجناح ؛ يعني خاض في أمر هو مستعد لَهُ[٢] ، وإن لم يكن مستعدا أسلم الأمر الى غيره لينجو عن تعب الطلب .

ماء آجن : استعارة عن أمر غير ملائم .

ولقمة يغص بها اكلها : استعارة عمّن يخوض في أمر لا ينتفع به ، ومن زرع بأرض غيره فلغيره أن يمنعه من سقي زرعه ، وعن حصاده وعن التصرف فيه فلابد من التفكر في العواقب في كلّ الأمور ، اللتيا والتي هما الداهية الكبيرة والصغيرة . وكنى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيها بالحية فانها اذا كثر سمها صغرت لأن السم يأكل جسدها ، وقيل ، الاصل فيه أن رجلا من جديس[٣] : تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها الشدايد وكان يعير عنها بالتصغير فتزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة فطلقها وقال :

بعد اللتيا والتي ، لا أتزوج أبدا فجرى ذلك على الداهية ، وقيل إن

١ ــ في ض : اي الداهية الكبيرة والصغيرة .

٢ ــ في ش : مستعد له .

٣ ــ جديس كامير قبيله كانت في الدهر الاول وانقرضت وجدس محركة بطن من لخم .

العرب تصغر الشيء العظيم كالدهيم[١]، واللميم[٢] وذلك منهم رمز وقال شاعر من جديس:

بعد اللتيا والتي ✽ طلقت جهلا طلتي

والانس بالموت من مقامات خلص الأولياء فان السعيد به يفتح به باب سعادته كما أن الطفل من الثدي يصل إلى غاية أمنيته.

اندمجت: روى بالخاء والجيم أما بالخاء فمن الدموخ وهو الارتفاع والاستيلاء، ودمخ اسم جبل وأما بالجيم فمن الدموج وهو الدخول والاستتار في الشيء ومن تأمل قوله عليه السلام.

بل اندمجت على مكنون علم وقوله ولا لفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز.

حق التأمل، وكان ممن يحصل ذوق الكلام عرف أنه لا يمكن التلفظ بمثل ذلك إلا لمن بلغ أقصى الغاية في العلم، والزهد، وكل الكمالات يندرج تحت هاتين الخصلتين اندمج في الشيء أي دخل فيه واستتر به، فكأنه قال: اندمجت في مظان العلم على مكنونه ،ويمكن أين يكون ضمن اندمج معنى استولى فعداه بعلي.

✽ ✽ ✽

١ ـــ الدهماء الفتنة المظلمة والتصغير فيها للتعظيم، ومن اسمائها الدهيم، زعموا أن الدهيم اسم ناقة كان غزا عليها سبعة أخوة فقتلوا عن آخرهم، وحملوا عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلا في كل داهية.

٢ ـــ اللمم : الجمع يقال : لممت الشيء المه لما اذا جمعته، اي اجمع ما تشتت من أمرنا وفي الحديث ان اللمم ما بين الحدين حد الدنيا وحد الاخرة، أي صغار الذنوب التي ليس عليها حد في الدنيا ولا في الاخرة.

٦ــ وَمِنْ خُطْبَةٌ لَهُ عَلَيْه السَّلَامْ

لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال .

وَٱللهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ[١]: تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا[٢] رَاصِدُهَا؛ وَلٰكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَٱللهِ مَازِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ[٣] مُنْذُ قَبَضَ ٱللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا .

١ ــ في م : لا اكون مثل الضبع .

٢ ــ في م : ويختلسها راصدها .

٣ ــ في م و ل : مستاثرا على غيرى مذ .

الشرح

قوله عليه السلام: لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم الى آخره.

ج: اللدم صوت الحجر، يقع على الأرض؛ وليس بالصوت الشديد عن الأصمعي[١] والضبع يدخل عليها في جحرها قوم ويقولون خامري[٢] أم عامر أبشري أم عامر، بلحم سمين وخبز كثير، وهو يتغافل وهم يعقدون الحبل في رجلها، وقيل إن الضبع إذا سمع اللدم خرج فاصطيد والمريب: ذو الريبة أي التهمة مستاثرا أي مختارا.

قال أبو عبيد[٣]: أقبل أميرالمؤمنين يريد العراق فأشار عليه الحسن بن علي أن يرجع، فقال والله لا أكون مثل الضبع يسمع للدم فيخرج فيصاد واللدم: صوت يسمع ما يقع على الأرض ليس بالشديد وهم أرادوا أن يصيدوا الضبع رموا في جحرها بحجر أو ضربوا بأيديهم باب الجحر، فتحسبه شيئا فتصيده، فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك، وزعموا أنها من أحمق الحيوانات العجم،

---

١ ـــ عبد الملك بن قريب مصغر بن عبد الملك البصري اللغوي النحوي، صاحب النوادر والملح كان ظريفا مفاكها خفيف الروح، مليح الطبع، كان في اوائل أمره معسرا شديد الفاقة حتى اتصل بالرشيد وحسن حاله، وكان شديد الحفظ يحفظ اثني عشر الف ارجوزة مات ٢١٦.

٢ ـــ خامري: أي استتري وام عامر وام عمرو وام عويمر: الضبع يشبه بها الاحمق ويروى عن علي عليه السلام انه قال: لا اكون مثل الضبع تسمع اللدم فتبرز طمعه في الحية حتى تصاد، وهي كما زعموا من احمق الدواب.

٣ ـــ القاسم بن سلام كظلام كان ابوه عبدا روميا من اهل هراة وكان ابوعبيد من المشاهير في اللغة والحديث والادب والغريب والفقه وصحة الرواية وسعة العلم؛ وكان امام عصره في كل فن له من التصانيف غريب القرآن وغريب الحديث وكان منقطعا الى عبد الله بن طاهر مات بمكة سنة ٢٢٣.

٦ـ وَمِنْ خُطْبَةٌ لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال .

وَٱللهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ(١) : تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا ، وَيَخْتِلَهَا(٢) رَاصِدُهَا ؛ وَلٰكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي . فَوَٱللهِ مَازِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ(٣) مُنْذُ قَبَضَ ٱللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا .

---

١ ــ في م : لا اكون مثل الضبع .

٢ ــ في م : ويختلسها راصدها .

٣ ــ في م و ل : مستاثرا على غيرى مذ .

الشرح

قوله عليه السلام: لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم الى آخره.

ج: اللدم صوت الحجر، يقع على الأرض؛ وليس بالصوت الشديد عن الأصمعي[١] والضبع يدخل عليها في جحرها قوم ويقولون خامري[٢] أم عامر أبشري أم عامر، بلحم سمين وخبز كثير، وهو يتغافل وهم يعقدون الحبل في رجلها، وقيل إن الضبع إذا سمع اللدم خرج فاصطيد والمريب: ذو الريبة أي التهمة مستاثرا أي مختارا.

قال أبو عبيد[٣]: أقبل أميرالمؤمنين يريد العراق فأشار عليه الحسن بن علي أن يرجع، فقال والله لا أكون مثل الضبع يسمع للدم فيخرج فيصاد واللدم: صوت يسمع ما يقع على الأرض ليس بالشديد وهم أرادوا أن يصيدوا الضبع رموا في جحرها بحجر أو ضربوا بأيديهم باب الجحر، فتحسبه شيئا فتصيده، فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك، وزعموا أنها من أحمق الحيوانات العجم،

---

١ ــ عبد الملك بن قريب مصغر بن عبد الملك البصري اللغوي النحوي، صاحب النوادر والملح كان ظريفا مفاكها خفيف الروح، مليح الطبع، كان في اوائل أمره معسرا شديد الفاقة حتى اتصل بالرشيد وحسن حاله، وكان شديد الحفظ يحفظ اثني عشر الف ارجوزة مات ٢١٦.

٢ ــ خامري: أي استتري وام عامر وام عمرو وام عويمر: الضبع يشبه بها الاحمق ويروى عن علي عليه السلام انه قال: لا اكون مثل الضبع تسمع اللدم فتبرز طمعه في الحية حتى تصاد، وهي كما زعموا من احمق الدواب.

٣ ــ القاسم بن سلام كظلام كان ابوه عبدا روميا من اهل هراة وكان ابوعبيد من المشاهير في اللغة والحديث والادب والغريب والفقه وصحة الرواية وسعة العلم؛ وكان امام عصره في كل فن له من التصانيف غريب القرآن وغريب الحديث وكان منقطعا الى عبد الله بن طاهر مات بمكة سنة ٢٢٣.

ويبلغ من حمقها أن يدخل عليها فيقال ليست هذه ام عامر فتسكت حتى يصاد.

فأراد أميرالمؤمنين أني لا أخدع كما يخدع الضبع باللدم يومي : أي يوم موتي وربما عبروا عن الشدة باليوم.

* * *

٧ــ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ[١] لِأَمْرِهِمْ مِلاكاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

١ ــ في م : اتخذوا الشياطين .

الشرح

قوله عليه السلام اتخذوا الشيطان ملاكا .

ع‍ـ ملاك الأمر بفتح الميم وكسرها ما يقوم به ويعتمد عليه فباض وفرخ : استعارتان ، عن التمكن ، ويقال : دب الصبي ودرج الشاب والدبيب حركة على الأرض خفيفة .

ج‍ـ ملاكا : أي مالكا لأمورهم ، والاشراك : جمع شريك كشريف وأشراف أو جمع شرك كجبل وأجبال ، والشرك حبالة الصياد ، الواحدة شركة .

دب : مشى مشيا رويدا ودرج : مشى كثيرا ، والخطل : المنطق الفاسد ، وانتصاب ملاكا إما لأنه مصدر فعل مقدر أو مصدر لا تخذوا من غير لفظه .

* * *

٨ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامْ

يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك .

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ؛ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ، وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ؛ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ .

٩ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامْ

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هٰذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ؛ فَلَسْنا نَرْعَدُ[١] حَتَّى نُوقِعَ، وَلَا نَسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ.

---

١ ــ في ض وح ول : ولسنا نرعد .

الشرح

قوله عليه السلام : وادعى الوليجة .

ج ــ هي الدخيلة والتورية وع : والوليجة : الرجل يكون في القوم ، وليس فيهم[1] يقبله يعني ادعى أنه ليس من الذين بايعوا بالقلوب ، وهذا كلام في غاية الكمال ، لأن من قال قولا وأقر بشي أخذ بقوله وإقراره ، وإن ادعى بعد ذلك أنه ما أقر عن نية صادقة ، فلا طريق لنا الى صدقه ، في القول الثاني فلابد من أن يحكم عليه بالقول الأول .

وقوله فيما خرج منه : أي في عقد البيعة ؛ وقيل ادعى الوليجة أي أمرا خفيا ؛ وهو الخوف ، أي قال بايعت ، مكرها خائفا فقال أميرالمؤمنين : نحن نأخذه بظاهر حاله . فان العبد يحكم بالظواهر ، ونطالبه باثبات ما ادعى من الخفي ، فان أثبته وإلا أخذناه بظاهر فعله .

الارعاد والابراق عبارتان عن التهديد والوعيد .

* * *

---

١ ــ في ش و ض : وليس منهم .

١٠ــ وَمِنْ خُطْبَةٌ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَٱسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجْلَهُ، وَإِنَّ بَصْيرَتي لَمَعي[1]: مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ. وَٱيْمُ ٱللهِ لَا أُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ! لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

الشرح

قوله عليه السلام: ما لبست على نفسي.

ع: يدل ذلك على نقاء سريرته وصفاء باطنه. وخلوص طويته[2] وطهارة ذاته.

قوله ولا لبس عليّ: يدل على كمال عقله وعلمه؛ وكثرة تجاربه، هذان اللفظان مجامع مكارم الاخلاق[3]، وقال بعض السلف: العاقل أن لا يخدعه أحد والمسلم أن لا يخدع أحدا.

وأيم الله: أصله وأيمن الله حذف نونه تخفيفا كما حذف من لم يك، وهو جمع يمين: وقيل ليس بجمع بل إسم وضع للقسم، وألفه ألف وصل عند

١ ــ في ض وح ول: وان معي لبصيرتي.

٢ــ الطوية: الضمير لانه يطوى على السر والطوية: النية.

٣ــ في ش: يجامعان مكارم الاخلاق.

أكثر النحويين، ولم يجئ في الأسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها، وهو مبتدأ محذوف الخبر أي أيمن الله قسمي، وقيل: إن ألفه ألف القطع ويطرح[١] في الوصل لكثرة الاستعمال، وفرط يفرط فرطا وفروطا سبق، وفرط ملا وكلاهما يحتمل هاهنا[٢].

والماتح: المستقي لا يصدرون[٣] عنه ولا يعودون إليه أي[٤] يهلكون.

قال صاحب المعارج: المراد بالحوض، حوض الكوثر أي أنا مستقيه قلت وهذا التأويل بعيد يأباه سياقة الكلام ج: يقال أفرطت المزادة أي ملأتها، والمعنى أن معاوية جمع أهل الشام، والله لأملأن لهم حوضا من الشر والحرب يتحسون منه لا يرجعون عنه، الى مثله ولا يخرجون عنه وهو استعارة على طريقة قول الشاعر:.

مخضت بدلوه حتى تحسى * ذنوب[٥] الشر ملىء أو قرابا

وفرطته تركته وتقدّمته[٦].

* * *

١ـ في ش و ض : وقد يطرح.

٢ـ في ض : وكلا المعنيين هنا.

٣ـ الصدر بالتحريك : رجوع المسافر من مقصده والشاربة من الورد.

٤ـ في ض : بل يهلكون فيه.

٥ـ مخض بالدلو: ضرب بها في ماء البئر لتمتلئ، والحسوة بالضم: الجرعة من الشراب بقدر ما يحسى مرة واحدة والحسوة: بالفتح المرة، والذنوب: الدلو العظيمة وقيل لا تسمى ذنوبا الا اذا كان فيها ماء والقراب خلاف البعد والبئر القريبة الماء.

٦ـ في ض : هنا حذف وخلط.

٧ـ في ح : فقال علي عليه السلام الهوى.

١١ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لابنه محمدبن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ! عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ، أَعِرِ ٱللهَ جُمْجُمَتَكَ، تِدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ، ٱرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وغُضَّ بَصَرَكَ، وَٱعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ.

الشرح

قوله عليه السلام تزول الجبال ولا تزل الى آخره.

ع ــ جمع في هذه الكلمات جميع آداب الحروب وهي الاعراض عن الادبار، تشبها بالجبال، فانها لا تزول عن مكانها.

العض على الناجذ يدفع ضرر كل ضرب يوافي الرأس، وثبات القدم سبب لانهزام العدو، وغض البصر يزيل الجبن، ورمي البصر أقصى القوم يشجع الفؤاد.

ثم قال: واعلم أن النصر من عند الله، كما قال الله تعالى: وما النصر الا من عند الله[1] (وتتبع هذا الكلام، كلام مقدم الأطباء، وهو وهو لابد في المعالجة من طبيب عالم حاذق أمين، ومريض صادق، مطيع وخادم يخدم

١ ــ الانفال: وآل عمران: ١٢٦.

المريض، مشفق مستبصر، ومع ذلك كله فالشافي هو الله تعالى[١]) ج: ولفظة أعر: تنبىء عن أن محمدا ابنه لا يقتل في تلك المحاربة، فانه تعالى يرد العارية سالمة.

ولا مناقضة بين قوله ارم ببصرك أقصى القوم وقوله: غض بصرك لأنه يقال رميت، ببصري أمرا[٢] وإن لم يكن ثم نظر؛ بل يكن بمعنى التبصر والتأمل[٣].

* * *

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض والكلام لا يناسب المقام.

٢ ــ في ش: امرا عظيما.

٣ ــ في ض هنا زيادة وهي: أي كان مستحفظا مستيقظا محتاطا في الاحتراز من جميع الاطراف مع غمض الطرف عن كثرة تقليبه وتحديقه فعل من تمكن منه الخوف والدهشة.

١٢ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهُ السَّلامْ

لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ[١]: أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هٰذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ.

الشرح

قوله: أهوى أخيك: أي حبه وولاؤه.

قوله: ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال:

مقتبس من قول النبي صلى الله عليه وآله المرء مع من أحب، ورعف الفرس[١] إذا سبق: ورعف به الباب أي دخل يعني يدخل في الوجود؛ وينخرط في سلك الزمان.

سيرعف بهم[٢] أي سيأتي رعف؛ أي سبق وتقدم ش: قلت: الأقرب نسباً إلى الفصاحة والأليق بنمط[٣] البلاغة والبراعة أن يكون قوله عليه السلام

١ــ في ض: قال صاحب المعارج رعف الفرس.

٢ــ في ض: قال صاحب المنهاج: سيرعف بهم.

٣ــ النمط: الطريقة.

سيرعف بهم الزمان[1]، من الرعاف وهو الدم الخارج من الأنف يقال منه أرعف الرجل يرعف، فيكون عليه السلام قد شبه الزمان بالأنسان، وما يوجد ويظهر من الخلق، في أوقات الزمان بما يخرج ويقطر من الرعاف من أنف الانسان.

(على هذا المنوال[2]) نسج الامام البارع مسعود[3] الصواني قدس الله روحه حيث قال: أنا الذي هدرت شقشقتي[4] بكتاب الأعلاق؛ حتى سار مسير الشمس في الآفاق وأرعف خيشوم القلم[5] بكل فراق، ترى في معارضته كلام الزمخشري[6].

* * *

١ـ في ض: ان يكن ذلك مستعار من الرعاف.

٢ـ بين الهلالين في ش و في ض: ومن ذلك قول القائل:

انا الذي ارعف خيشوم القلم ... بكل فلق وفرى منتظم

٣ـ مسعود بن علي بن احمد ابو المحاسن البيهقي فخر الزمان واوحد الاقران ومن لا ينظر الادب الا بعينه ولا يسمع الشعر الا باذنه صنف تفسير القرآن وشرح الحماسة، وصيقل الالباب في الاصول والتذكرة وغيرها وديوان اشعاره مجلد وله:

تكلف المجد اقوام وقد سئموا ... منه وانك مشغوف به كلف

كأنك الدرة الزهراء في صدف ... والناس حولك طرا ذلك الصدف

مات في الثالث والعشرين من المحرم سنة ٥٤٤.

٤ـ الهدير ترديد صوت البعير في حنجرته والشقشقة: شيء كالرئة تخرجه البعير من فيه اذا هاج.

٥ـ رعف الدم: سال من الانف ورعف الرجل خرج الدم من انفه والخيشوم: اقصى الانف.

٦ـ محمود بن عمر ابو القاسم الزمخشري، كان اماما في التفسير والنحو واللغة والادب واسع العلم، كبير الفضل متفننا في علوم شتى معتزلي المذهب، متجاهرا بذلك، ولد بخوارزم واخذ الادب عن ابن مضر الاصبهاني وابي الحسن النيسابوري وابي سعد الشقاني وغيرهم، سكن مكة ولقب بجار الله، ثم رجع الى خوارزم وله تأليفات كثيرة مشهورة مات سنة ٥٣٨ ومن شعره:

كثر الشك والخلاف وكل ... يدعي الفوز بالصراط السوي

فاعتصامي بلا اله سواه ... ثم حبي لأحمد وعلي

فاز كلب بحب اصحاب كهف ... كيف اشقى بحب آل نبي

١٣ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في ذم أهل البصرة

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ: رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ، أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ[1] مِنْ رَبِّهِ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ آللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا.

وفي رواية: وَآيْمُ آللهِ لَتغْرِقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ.

وفي رواية: كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

١٤ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان

وَآللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، ومُلِكَ بِهِ الإِمَاءُ،

---

١ ـ في م: برحمة ربه.

لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْه أَضْيَقُ.

أرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأُكْلَةٌ لآكِلٍ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

الشرح

قوله عليه السلام: كنتم جند المرأة واتباع البهيمة.

ع: البهيمة: المبهمة عن العقل، وهي كل ذي أربع من دواب البر والبحر.

أخلاقكم دقاق: قيل الدق أصل واحد يدل على الصغر والحقارة أي أخلاقكم رذايل؛ ورجل دقيق، قليل الخير وعهدكم شقاق: أي خلاف وعداوة.

وماءكم زعاق: أي ملح شديد الملوحة، وإنما انبهم[1] عليه السلام به، مع أن ذلك من فعل الله تعالى بسوء اختيارهم في اتخاذهم ذلك الموضع مسكنا، مع أن أرض الله واسعة وشرب الملح من الماء يستعقب أمراضا كثيرة على ما ذكره الأطباء ففي هذا الكلام من أقسام البلاغة، الأرداف هو أن يدل لفظ على معنى يلزمه معنى آخر كما يقال للمضياف المِطعَامُ، فلان لا يخمد ناره، وهو كثير الرماد أي ناره أبدا موقدة بسبب طبخ أطعمة الضيفان.

قوله عليه السلام ماؤكم زعاق ارداف لطيف يدل على سوء اختيارهم وقيل: إنه استعارة عن ماء الوجه أي جاهكم كدر ناقص.

---

١ ـ التانيب: المبالغة في التوبيخ والتعنيف.

قوله : المقيم بين اظهركم مرتهن بذنبه .

(ذنبه : هو اقامته فيما بينهم وهذا) يدل على أن الاحتراز من قرناء السوء من أهم الأمور وان صاحب الأخلاق الردية يضرّ جليسه .

قوله : كأني بمسجدكم : إشارة الى ما أخبره النبي صلى الله عليه وآله عن الغيب في سبب هلاك البصرة وخرابها بوحي من الله .

فانتم غرض لنابل : وما بعده كلمات تجري مجرى الأمثال فيمن هو سلس القياد[١] في الشر عسر القياد في الخير؛ ويطمع في الاستيلاء عليه كلّ طامع .

والأكلة بالضم : اللقمة والطعمة أيضا ذكر الضمير في رغا وعقر، لأن المراد من البهيمة الجمل؛ عَيّرَهُمْ بملوحة الماء عقوبة لهم لا عيبا بذلك عليهم .

المقيم بين اظهركم مرتهن بذنبه ذنبه : هو إقامته فيما بينهم، والشخوص : الذهاب .

والجؤجؤ : الصدر : وجثم الطاير تلبد بالأرض ، ولجة البحر : معظمه .

بعيدة من السماء : لا يسمع دعاء أهلها وقريبة من الماء : لغرقها وأهلها سفهاء يتخذهم كل ذي نبل مرمى لمطلبه[٢] .

* * *

---

١ ــ السلس : السهل اللين المنقاد والقيد سمة معروفة وصورتها حلقتان بينهما مدة يكون للفرس .

٢ ــ في ض : هنا زيادة في هي : مرمى لطلبه قطائع عثمان جمع قطيعة وهي طائفة من ارض الخراج .

١٥ــ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامْ

لما بويع بالمدينة

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ، إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ حَجَزَهُ[1] التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ. أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ ٱللهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ؛ وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا، وَٱللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[2]، وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهٰذَا الْمَقَامِ وَهٰذَا الْيَوْمِ؛ أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ؛ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ، فَلَئِنْ أَمَرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ، وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ.

---

١ ــ في ض وح وب : حجزته التقوى .

٢ ــ في ك : ما كتمت وسمة بالسين وفي ع و ر : وروي وشمة بالشين .

قال الشريف : أَقُولُ : إنَّ فِي هٰذَا الْكَلاَمِ الأَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ الإِحْسَانِ مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ الإِسْتِحْسَانِ ، وَإِنَّ حَظَّ الْعَجَبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ الْعَجَبِ بِهِ ؛ وَفِيهِ - مَعَ الْحَالِ الَّتِي وَصَفْنَا - زَوَائِدَ مِنَ الْفَصَاحَةِ لَا يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ ، وَلَا يَطَّلِعُ فجّها إِنْسَانٌ ، وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هٰذِهِ الصِّنَاعَةِ بِحَقٍّ ، وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ . (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) .

شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ ، سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا ، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا ، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى . الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ[1] وَآثَارُ النُّبُوَّةِ ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ ؛ هَلَكَ مَنِ ٱدَّعَى ، وَخَابَ مَنِ ٱفْتَرَى مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ . فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَلَا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ .

---

١ ـ في ر : وروي عليها في الكتاب وعليها آثار النبوة .

الشرح

قوله عليه السلام ذمتي بما أقول به رهينة إلى آخره.

ج ـ الذمة العهد والأمان ويكنى بها عن العنق، يقال: هو في عنقي وذمتي، وما مصدرية أو موصولة.

والزعيم: الكفيل أي أنا ضامن لجميع ما أدلكم عليه، إنه حق كأنه عليه السلام رغبهم في استماع[١]، كلامه وتدبره، ثم نبههم على أحوال من تقدمهم من الجبابرة والفسقة كيف أهلكهم الله تعالى وإن كل من ظهر له الاعتبار عما بين يديه أي قدامه من العقوبات منعه تقوى الله عن الدخول في كل شبهة.

ثم قال تبلبلن: أي لتحركن بالشدايد والنوائب تحريكا شديدا.

لتغربلن في كل نازلة وحادثة عظيمة كغربلة الدقيق، قيل: البلبلة الهم والغربلة: الهلاك، ولتختلط اختلاط القدر اذا جاشت[٢]. حتى يصير كل رذل سيدا عليكم وكل عزيز ذليلا ووسمة: أي سمة وروي بالشين معجمة اي كلمة حلف أنه ما كتم شيئا قليلا حق وباطل.

أي هذا حق وذلك باطل، على تقدير حذف المبتدأ أو في الدنيا حق وباطل على تقدير حذف الخبر، أمر اي كثر. لربما ولعل: أي لربما يكثر الحق ولعل دولته ترجع.

---

١ ـ في ش: استماعهم.

٢ ـ جاشت القدر: غلت وجاشت البحر: هاج واضطراب.

وقوله لقديما فعل: قيل فعل هنا بمعنى انفعل كما يقال جبرت جبرا أي انجبر.

قوله ساع سريع نجا: على وتيرة قوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه[١]، الآية على طبقات ثلاث، إما ساع مسرع[٢] في الطاعات، فهو ناج أو مقصر في الواجبات؛ فهو هالك، أو طالب للخير يتباطأ[٣] فيه فهو راج فالأول المعصوم؛ والثاني الكافر، والثالث من خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليه، مضلة: أي يضل فيها الجادة: ما عليه المعصوم، وروي ما في الكتاب.

ومنفذ السنة: طريق الشريعة.

من أبدى صفحته للحق. أي من تجرد لاظهاره وتشمر لتمشيته عند الجهال سعوا في هلاكه وسنخ أصل: مثل كرى النوم[٤].

ع ــ رهينة أي مرهونة وأنا به زعيم: أي أنا بما أقول كفيل، أي ليس في قولي كذب ولا في وعدي خلف صرح: لازم ومتعد.

المثلات: العقوبات حجزه: منعه تقحم في المكروه: وقع فيه؛ يعني عرفان حقائـق الأمور الدنياوية؛ يمنع عن الوقوع في الشبهات.

قوله: إن بليتكم قد عادت: كقول النبي عليه السلام إن الزمان قد استدار كهيئته يعني اقاسي من بليتكم مثل ما قاسى[٥] النبي عليه السلام في ابتداء مبعثه من قومه؛.

البلبلة: الاختلاف والتفرق ووسواس الصدر أيضا.

---

١ ــ فاطر: ٣٢.

٢ ــ في ش: ساع يسرع.

٣ ــ تباطأ في سيره: تأخر.

٤ ــ الكرى النوم؛ وكرى الرجل: نعس، والكرى: الناعس.

٥ ــ قاسى الالم: كابده وعالج شدته.

الغربلة : التقطيع والمغربل : المقتول المنتفخ ، والسوط : خلط الشيء بعضه ببعض ، وسمي ما يضرب به سوطا لأنه يخالط الجلد أو يسوط اللحم بالدم ، أي يغير اموركم حتى يعود الوضيع رفيعا والتبيع متبوعا .

الوشمة : الكلمة : والوشمة القطرة والوشمة والوشيمة : العداوة والشر؛ ويقال : أمر ماله أي كثر ونما أمر أمره أي اشتد .

رب : وان كان للقليل إلا انه غلب عليه الاستعمال بمعنى الكثرة .

قوله لقل ما أدبر شيء فاقبل كلام رصين فان الفائت لا يستدرك .

اليمين والشمال مضلة : والطريق الوسطى هي الجادة .

التعطيل والتشبيه ضلالتان ، والتوحيد هو الجادة ، والغلو والتقصير ضلالتان ، والانصاف هو الجادة ، ومن استولت عليه الشهوة بهيمة ، ومن خمدته شهوته عنين[١] ، والوسط أصلح ومن استولى عليه الغضب شيطان ، وضعيف الغضب لاحمية له ولا دين لمن لاحمية له . والمتوسط من الذين يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم[٢] .

سمي السبيل[٣] ، طريقا لأنه شيء تعلو الأرض فكأنها طورقت به ، وحصفت[٤] ، وقيل : لأن الاقدام لبنته[٥] ، بالطرق فيه والطريق يذكر ويؤنث ، فاذا ذكر فجمعه أطرقةٌ ، فاذا أنث فطرق .

باقي الكتاب : تقديره عند الكوفيين الكتاب الباقي ، وعند البصريين الباقي من الكتاب ، كقولهم : زلال الماء .

---

١ ــ العنين كسكين : من لا يأتي النساء عجزا اولا يريدهن ، وفي ض : ومن خمدت شهوته .

٢ ــ المائدة : ٥٤ .

٣ ــ في ض : انما سمي السيل .

٤ ــ حصف الامر : احكمه : والحصيف : المحكم العقل وفي ض : خصصت .

٥ ــ اللبن بالفتح : الضرب الشديد يقال : لبنه بالعصا لبنا من حد ضرب اذا ضربه بها .

ذات بينكم : أي حقيقة وصلكم ، كذا في الغَريبين.

التقوى : هنا التوحيد ، كما قيل : في قوله : امتحن الله قلوبهم للتقوى ، في سورة الحجرات ، كقوله في سورة النساء : إن اتقوا الله ، قيل : أي وحّدوا ، والتقوى : الاخلاص في قوله تعالى : فانها من تقوى القلوب .

هلك من إدعى : أي ادعى ما ليس له ، وقيل : من ادعى مطلقا لأنّ الدعوى عجب : هلك عند جهلة الناس : أي سقط قدره عندهم ، ولا يريد بالهلاك الموت ، والهلاك : السقوط من قولهم : أهتلكت القطاة[1] ، خوف البازي أي رمت بنفسها .

سنخ أصل : أي رسوخ أصل من قولهم سنخ في العلم سنوخا أي رسخ فيه .

والتوبة من ورائكم : أي أمامكم قال تعالى : وكان وراءهم ملك .

ولا يظمأ عليها زرع قوم : أي على التقوى مأخوذ من قوله تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب[2] .

ولا يحمد حامد إلا ربه ، ولا يلم لائم إلا نفسه .

من قوله تعالى : ما أصابك من حسنة ، فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك .

* * *

١ــ القطاة : طائر في حجم الحمام يضرب بها المثل في الاهتداء فيقال : اهدى من القطاة ، والبازي : طير من الجوارح يصاد به والباز فارسية .

٢ــ كذا في الاصل وش و في ض : كقولهم زلال .

٣ــ الطلاق : ٣٧ .

١٦ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

إنَّ أَبْغَضَ الْخَلائِقِ إلَى ٱللهِ رَجُلانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ ٱللهُ إلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلامِ بِدْعَةٍ، وَدُعَاءِ ضَلالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمنِ ٱفْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمنَ ٱقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِه. وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الأُمَّةِ غارٌّ فِي أَغْبَاشِ[1] الْفِتْنَةِ، عَمٍ بِمَا فِي عِقْدِ الْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَاقَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إذَا ٱرْتَوَى مِنْ ماءٍ آجِنٍ[2]، وَٱكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ[3]؛ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ؛ فَإنْ نَزَلَتْ بِهِ إحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثّاً مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ: لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ

١ ــ في ح : عاد في اغباش وفي م : اغطاش وفي ك : غاد في اغطاش .
٢ ــ في ن وح وب ول وش : من آجن .
٣ ــ في ن و ك : واكثر من غير طائل .

أَخْطَأَ: فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالاَتٍ عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ يُذْرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاء الرِّيحِ الْهَشِيمِ لَا مَلِيءٌ وَٱللهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، (وَلاَ هُوَ أَهْلٌ لَمَا فُوِّضَ[1] إِلَيْهِ) لاَ يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلاَ يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مِنْه[2] مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرٌ ٱكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وَتَعِجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ إِلَى ٱللهِ[3] أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً، وَيَمُوتُونَ ضُلَّالاً لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَ سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً وَلاَ أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ.

---

١ ــ ساقطة من م ول وش.

٢ ــ في ض وح: ما بلغ مذهبا لغيره.

٣ ــ في م ول: اشكو الى الله وفي ن وح وش الى الله من معشر.

الشرح

قوله عليه السلام: إن أبغض الخلائـق إلى الله تعالى رجلان إلى آخره.

عـ جائر عن قصد السبيل أي مائـل عن الطريق المستقيم، والبدعة: الحدث في الدين بعد الاكمال وقيل: هي من قول العرب أبدعت الراحات أي كلت، سميت بذلك لكلالة تركب صاحبها عند المجاعة: والمباحثة، حمال خطايا غيره، من قول النبي صلى الله عليه وآله: من سنّ سنة سيئـة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن قول العرب: زلة العالِم زلة العالَم.

قمش: جمع أقماش أغباش الفتنة: ظلمها، وروي أغطاش والمعنى واحد قال الله تعالى: واغطش ليلها، ويروى غاد.

الهدنة الصلح، وأصلها السكون، وفي المثل هدنة على دخن أي سكون على غل.

من آجن: أي ماء آجن[1]، أشباه الناس: أقوام صورهم: صور الانسان وأخلاقهم أخلاق البهائم، والسباع، بكر: ابتداء طائـل: أي فضل.

العنكبوت: فعللوت والغالب عليها التأنيث، وقيل: إنه ثلاثي الأصل من العكوب، وهو الغبار لأن نسجها شبه الغبار، وقيل: هو من العكب. على مثال هجف، وهو القصير الضخم، ونسج العنكبوت، مثل لكل شيء واه قال

---

١ ـــ ماء آجن: اي المتغير الطعم.

الله تعالى : وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت[1].

الخبط : يدل على وطأ وضرب ، وهذا الفصل من قول النبي صلى الله عليه وآله إن من العلم جهلا ، يعني أن يتعلم ما يحتاج إليه ويدع ما يحتاج إليه لدينه ، وسعادة عاقبته .

العشوة : أن تركب أمرا على غير بيان ، يقال أوطأتني عشوة أي أمرا ملتبسا .

لم يعض علىٰ العلم بضرسٍ قاطع : استعارة مليحة عن نفي الاستعداد او الآلة .

الهشيم : من النبات اليابس المتكسر[2] ، والشجرة البالية ، وذرت الريح التراب وأذرته سفته[3].

يذري الروايات : أن يفتري الأكاذيب بلا تفكر في العواقب ، لاملي : أي لا هو ملي ولا يحسب العلم : من الحساب .

العج : رفع الصوت استعارة في الشكاية الى الله من معشر أي اشكو[4].

قوله في القرآن ظاهر انيق اى حسن معجب وباطنه عميق اى لا يعرف تأويله الا الله والراسخون في العلم .

ج ـــ أصل الفتن الاحراق موضع : مسرع غاد : غافل .

الغبش : ظلمة آخر الليل في عقد الهدنة : كأنه إشارة الى ما كان عنه عليه السلام في زمن المهادنة ، مع القوم من ترك التكبر ، ظاهر الصلاح كان يراه . من جمع : منون ، وما بعده صفة له وإن روي على الاضافة فله وجه ، وهو أن يضمر ان الناصبة فكأنه من جمع ما أن قل أي من جمع ما قليله خير من كثيره ، فيكون من باب قولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه .

---

١ ـــ العنكبوت : ٤١ .

٢ ـــ في ش : المنكسر .

٣ ـــ سف الطائر او السحاب : مر على وجه الارض .

٤ ـــ في ض : اشكو من معشر .

وأكثر: روي اكتنز أي اتخذ كنزا، لا يحسب: من الحسبان والظن، وروي بضم السين من الحساب.

ولا يرى: لا يعلم، ويجوز أن يكون من الرأي، ولا يرى أي لا يظن.

* * *

١٧ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلاَفِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ إمامِهِم الَّذِي[1] ٱسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ! أَفَأَمَرَهُمُ ٱللهُ تَعَالَى بِالاخْتِلاَفِ فَأَطَاعُوهُ؟ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ؟ أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إتْمَامِهِ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى؟ أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ، وَٱللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وَقَالَ: (فِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ) وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَنَّهُ لاَ ٱخْتِلاَفَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلاَفاً كَثِيراً). وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إلَّا بِهِ.

---

١ ـ في ض وح ول وش: عند الامام الذي.

الشرح

قوله في القرآن ظاهره أنيق: أي حسن معجب وباطنه عميق، أي لا يعرف تأويله إلا الله والراسخون في العلم.

* * *

١٨ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال: يا أميرالمؤمنين هذه عليك لالك فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال:

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَّي مِمَّالِي! عَلَيْكَ لَعْنَةُ ٱللهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، حَائِكٌ بْنٌ حَائِكٍ مُنَافِقٌ ٱبْنُ كَافِرٍ وَٱللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالإِسْلاَمُ أُخْرَى فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ، وَإِنَّ ٱمْرَءاً دَلَّ[1] عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمْ الْحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ.

[قال السيد الشريف: أراد بقوله: دل على قومه السيف: ما جرى له مع خالدبن الوليد باليمامة، فانه غرَّ قومه ومكربهم حتى أوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عُرف النار وهو اسم للغادر عندهم].

١ ـ في ش: فان امرءً دلّ.

الشرح

قوله عليه السلام للأشعث حائك ابن حائك ع : يقال حاك يحيك حيكا وحيكانا وحياكة أي حرك منكبيه[١]، ومجج بين رجليه في المشي يقال منه، رجل حائك وامرأة حائكة وحياكة أي متحيزة قال القمقام الأسدي :

جارية من شعب ذي رعين * حياكة تمشي بعلطتين[٢] .

كان الأشعث من أبناء ملوك كندة، ولم يكن ناسج الثوب، وإنما نبه[٣]، أميرالمؤمنين عليه السلام بمشية المخانيث والتخنيث، فعبر عن هذا الفعل الشنيع باستعارة دالة عليه ويدل على حسبه ووجاهته في قومه، قول أميرالمؤمنين .

فما فداك في واحدة منهما مالك ولا حسبك .

قيل : بل كان الأشعث وأبوهُ ينسجان برود اليمن، وإن صح ذلك فأميرالمؤمنين عليه السلام إنما عَـيَّـرَ بأخلاق خسيسة تتبع هذه الحرفة التي جوزها الشرع، ومن أخلاق الحوكة الكذب، فقال بعض المحققين : الحياكة حرفة خسيسة، والحائك والغزال، والقطان، والمعلم ضعفاء العقول، لأن

---

١ ــ مج لعابه : اذا قذفه وقيل : لا يكون مجاحتى يباعد به .

٢ ــ البيت في تاج العروس في مادة رعن وذو رعين كزبير ملك حمير ورعين حصن له او جبل فيه حصن ؛ والعلاطان والعلطتان : الرقمتان اللتان في اعناق القماري، وفي الاساس انه من العلاط بمعنى السمة وتقول : ما املح علاطيها .

٣ ــ في ض : نبه .

معاملتهم ومخالطتهم مع النساء والصبيان ، وعقول النساء ضعيفة ، والصبيان لا عقول لهم ، ومن كان اختلاطه مع ضعفاء العقول كان ضعيف العقل .

قلت : وقد وجدت[١] ، خط بعض الثقات عن الصادق أنه قال عقل أربعين معلما عقل حائك ، وعقل حائك عقل امرأة والمرأة لا عقل لها ، وعن موسى بن جعفر: لا تستشيروا المعلمين ، ولا الحاكة فان الله قد سلبهم عقولهم ، وأمحق عليهم مكاسبهم ، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع غزلا الى حائك من بني النجار لينسج له صوفا ، وكان عليه السلام يطلبه ويأتيه متقاضيا ، ويقف على بابه ويقول :

ردوا علينا ثوبنا حتى نتجمل به في الناس ، والحائك يكذب ، ويعده مواعيد عرقوبية[٢] ، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتم له هذا النسج .

قال الامام الوبري : هذه إشارة إلى دناءة حرفته وحرفة أبيه وإنما يعير الانسان بدناءة الحرفة ، وذمامة الخلقة ، وخسة الهمة ، لكن هذه المذمة تبع لكفره ونفاقه ، وأما المؤمن النقي فلا يجوز تعييره بذلك ، وعلى هذا قال تعالى : ولا تطع كل حلاف مهين- إلى : عتل بعد ذلك[٣]، زنيم وقيل : الحائك[٤] ، مأخوذ من حاك الشعر ، فالحائك الشاعر الذي يكسب بالشعر

١ ــ في ش : ولذلك روى عن جعفر الصادق .

٢ ــ عرقوب بن معبد رجل من العمالقة ، كانَ وعد رجلا ثمر نخلة فجاءه حين اطلعت ، فقال : حتى تصير بلحا ، فلما ابلحت قال : دعها حتى تصير بسرا : فلما ابسرت قال دعها حتى تصير رطبا ، فلما ارطبت قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما اتمرت عمد اليها من الليل فجدها ولم يعطه منها شيئا : فصارت مثلا في اخلاف الوعد قال كعب :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدها الا الأباطيل .

٣ــ القلم : ١٣ والمهين من الاهانة اي لا يهين احدا من الناس والعتل : الشديد الجاني والفظ الغليظ من الناس الزنيم : هو الدعيّ في النسب الملحق بالقوم وليس منهم .

٤ــ في ض : ههنا .

مالا ، وهو كسب خبيث ، وعلى التأويلين الأخيرين فالحائك من حاك الثوب حوكا وحياكة .

أما قوله عليه السلام : لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى .

قد ذكر أن الأشعث[1] بن قيس كان ملك **حضرموت**، وقد منع أهل **حضرموت** الصدقات فأتاهم مهاجربن[2] أبي أمية ، وحارب الأشعث وأظهر الاشعث **الارتداد** فطرد مهاجر الاشعث وبني كندة من **حضرموت**، فالتجأ الاشعث مع قومه الى حصن حصين في البادية ، فقصد مهاجربن ابي امية وعكرمة بن أبي جهل[3] ، الأشعث ، وقتلا من وجدا من قوم الأشعث ، وطلب الاشعث الأمان لنفر من قومه[4] ، وكتب أساميهم وما كتب اسمه وأمنه[5] ، المهاجربن الوليد .

فخرج الأشعث من الحصن وسلم قومه إلى المهاجر حتى قتلهم جميعا ، وما أبقى منهم نافخ ضرام[6]، ولا قائد زمام ، وقال المهاجر للاشعث (هات كتاب الامان فعرض عليه[7]) ، كتاب الأمان فقال المهاجر ليس فيه

١ــ في ض : فذكر ان الاشعث .

٢ ــ مهاجربن ابي امية القرشي المخرومي أخوأم سلمة لابيها وامها كان اسمه الوليد فكرهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسماه المهاجر وارسله الى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن ، واستعمله رسول الله صدقات كندة والصدف وهو الذي فتح حصن النحير بحضرموت مع زياد بن لبيد وسيرالاشعث بن قيس الى ابي بكر اسيرا وله في قتال الردة باليمن اثر كبير.

٣ــ عكرمة بن ابي جهل بن هشام القرشي المخزومي ، اسلم بعد الفتح بقليل وكان شديد العداوة لرسول الله صلى عليه وآله ومن اشبه اباه فما ظلم ، ولما فتح رسول الله مكة هرب منها ولحق باليمن ، وكان رسول الله امر بقتله ثم رجع من اليمن فاسلم ، ثم سار الى الشام مع جيوش المسلمين ايام ابي بكر فقتل باجنادين .

٤ــ في ض : الامان لنفر من قومه .

٥ــ في ض : وآمنه المهاجر.

٦ــ الضرام : لهب النار، واضرم النار : اذا اوقدها .

٧ــ بين الهلالين في ض .

اسمك . وأنك مقتول فتكلم في حقه عكرمةبن أبي جهل حتى حمله المهاجر مقيدا الى المدينة فهذا معنى قوله .

دل على قومه السيف : فانه سلم قومه الى المهاجر وما طلب الأمان إلا لثلاثة من قومه :

وقوله عليه السلام والاسلام أخرى : وذلك أن الأشعث ارتد بعد الاسلام حتى أسره خالدبن الوليد وبعثه مقيدا إلى المدينة فاطلق ، فارتد مرة أخرى ، ونحر كل إبل منه رآه (وسبب ذلك أن الأشعث تزوج بأم فروة بنت أبي قحافة فخرج الأشعث من مجلس العقد ، ودخل السوق واخترط[1]، السيف ونحر كل بعير رآه[2]) ، وذبح كل غنم استقبله ودخل دارا من دور الأنصار فصاح الناس وقالوا ارتد الأشعث ثالثا فأشرف الأشعث على السطح وقال :

يا أهل المدينة إني غريب ببلدكم وأولمت بما نحرت وذبحت ، فليأكل انسان ما وجد ، وليغدوا اليَّ من كان له عليّ حق حتى أرضيه ، وفعل ذلك فلم يبق دار من دور المدينة إلا وأوقد فيها بسبب تلك اللحوم ، فضرب أهل المدينة به المثل قالوا أَوْلَمْ من الأشعث ، وقال فيه الشاعر:

لقد أولمَ الكندي يوم ملاكه * وليمة جمال لثقل العظائم

وقال[3]، ولم أقرأ في تاريخ أن الأشعث كان مع خالد في محاربة مسيلمة ، على أن السيد لم يخبر إلا عن دراية واتقان .

عرف النار: قيل : هو من عرف الفرس لأنه يستر العنق والغادر يستر نار مكره ، وقيل العرف . الرمل المرتفع ، وهو يستر ما وراءه والغادر يستر ما وراءه من نار المكر .

اللعن : الطرد والابعاد ، ولعنة الله إبعاده عن رحمته وجنته وصفه عليه

١ـــ اخترط سيفه : اي سله من غمده .

٢ـــ بين الهلالين ساقط في ب .

٣ـــ يعني الامام الوبري .

السلام بمجامع الرذائل اللعن، ودناءة الهمة، وركاكة الرأي، وخبث الكسب، والنفاق والانتساب إلى كافر، وذلك يدل على أن الاصل موثر في الخير والشر بالعجز والفشل حيث قال أسر مرتين ثم بالبخل وترك الجزم، حيث قال:

فما فداك مالك ولا حسبك: ثم بالغدرج: الحياكة عيب عند أهل الدنيا والشرف فكأنه عليه السلام قال: أنت عندي معيب من حيث نفاقك، وعند أهل الشرف في الدنيا معيب أيضا من حيث حرفتك، والحسب، الشرف والمقت: البغض:

* * *

١٩ ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

فَإنَّكُمْ لَوْ[١] عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَلٰكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَاقَدْ عَايَنُوا[٢]، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ، وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إنِ اهْتَدَيْتُمْ، بِحَقٍّ[٣] أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إلَّا الْبَشَرُ.

الشرح

قوله عليه السلام فانكم لو عاينتم إلى آخره.

ع ــ وهلتم الوهل بالتحريك الفزع، يقال: وهل بالكسر وقريب ما يطرح الحجاب: من قوله: **فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**[٤] ش: **وقريب ما** يطرح ما مصدرية وهي وما بعدها في موضع المصدر، والمصدر مرفوع على الابتداء، وقريب خبره.

* * *

١ ــ في ح ول وش: فانكم لوقد عانيتم.
٢ ــ في ش: ما عاينوا.
٣ ــ في ح: وبحق اقول.
٤ ــ ق: ٢٢.

٢٠ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

فَإِنَّ ٱلْغَايَةَ أَمَامَكُمْ وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ ٱلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ؛ تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا تَنْتَظِرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرَكُمْ.

قال الشريف: أقول: إن هذا الكلام لو وزن، بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، بكل كلام لمال به راجحاً، وبَرَّز عليه سابقا. فأما قوله عليه السلام «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعا ولا أكثر محصولا وما أبعد غورها من كلمة، وأنقع نطفتها من حكمة، وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها

الشرح

قوله: تخففوا تلحقوا:

ع ــ من وقعت سفينته في لجة البحر، وهبت الرياح العواصف وأضطربت الأمواج فلابدله من التخفيف وإلقاء الأمتعة في الماء حتى ينجوا لأن النجاة في تلك الحال أبعد من الهلاك؛ وقلب المؤمن أشد اضطرابا من السفينة وأمواج التخيلات والتوهمات أعظم التطاما من أمواج البحر والتخفف الحقيقي خلو القلب من حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات، وضدها التخفف، ما قال الله تعالى:

قل إن كان آباؤكم وأبناوكم[1] الآية وهذه الألفاظ علوية علوية[2] ملح كنوافث السحر[3]، وفقر كالغنى بعد الفقر، ومواعظ تقود[4] المستمعين الى الاذعان ويجري في القلوب جري الماء في عروق الاغصان لو تليت على الحجارة، لا نفجرت منها عيون الماء، وعلى الكواكب لانتثرت من آفاق السماء.

* * *

١ ـ التوبة : ٢٤.
٢ ـ في ض هنا زيادة وهي : علوية علوية ومعاني قدسية نبوية.
٣ ـ النفث بالضم هو شبيه بالنفخ وفي الحديث أن روح القدس نفث في روعي : أي أوحى والقى.
٤ ـ قاد البعير : جره خلفه وفي حديث علي عليه السلام قريش قادة ذادة : اي يقودون الجيوش.

٢١ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَلاَ وَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ، وَٱسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ. لِيَعُودَ ٱلْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ ٱلْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ. وَٱللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلاَ جَعَلُوا ٱبْيني وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً. وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ[1] تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ؛ فَلَئِنْ كُنْتُ[2] شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُوني[3] فَمَا ٱلتَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ! يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ!! يَا خَيْبَةَ ٱلدَّاعِي! مَنْ دَعَا؟ وَإِلَامَا أُجِيبَ[4]؟ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ؛ فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ ٱلسَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ ٱلْبَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ، وَمِنَ ٱلْعَجَبِ[5] بَعْثَتُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ! وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ، هَبِلَتْهُمُ ٱلْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلاَ أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِيْنِي.

---

١ ــ في ش : حقا تركوه .

٢ ــ في ش : فان كنت شريكهم .

٣ ــ في ش : كانوا تركوه .

٤ ــ في ض وج : الى م اجيب .

٥ ــ في ض و ب : من العجب بعثهم .

الشرح

قال عليه السلام: ألا إن الشيطان قد ذمر حزبه الى آخره.

ذمره أي حثه، الجلب والاجلاب: الذين يجلبون النعم للبيع، النصف: الاعتدال.

فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه يفيد أن من شارك إنسانا في أمرٍما فليس له الانكار عليه فيه، أما قد فطمت أي فطمتهم يا خيبة الداعي من دعا:

هذا تعجب من دعاء أهل الشام إلى محاربته، ونسبتهم إليه دم عثمان، وهو بريء الساحة عنه، هبلته أمه: ثكلته.

الهبول: الهابلة أي الثاكلة[1] وروي إلام اجيب أي إلى أي شيء اجيب هذا الداعي.

من دعا: استيناف ومعناه التحقير، وروي اجيب للمتكلم.

* * *

---

١ ــ الثكل: فقد الولد.

٢٢ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَقَطْرِ ٱلْمَطَرِ[١]: إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، فَإِذَا[٢] رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ، فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَتُغْرى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ؛ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ[٣] أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ[٤] عَنْهُ بِها الْمَغْرَمُ، وَكَذٰلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ ٱللهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِمَّا دَاعِيَ ٱللهِ فَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ ٱللهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ، إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا[٥] ٱللهُ لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ ٱللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَٱخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ، وَٱعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ ٱللهِ يَكِلُهُ ٱللهُ إِلى مَنْ عَمِلَ[٦] لَهُ نَسْأَلُ ٱللهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايَشَةَ

١ ــ في ض و ب : كقطرات المطر.
٢ ــ في ح : فان رأى.
٣ ــ في ر : وروى ينتظر من الله أول.
٤ ــ في ض و ب : ويرفع بها عنه.
٥ ــ في ش : وقد جمعها الله.
٦ ــ في ض : لمن عمل له.

السُّعَدَاء، وَمُرَافَقَةَ الأَنْبِيَاءِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ، عَنْ عَشِيرَتِهِ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ، وَأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ[1] بِهِ. وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ.

ومنها: أَلَا لَا يَعْدِلَنْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ؛ وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ[2].

قال الشريف: أقول: الغفيرة ههنا الزيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الجم الغفير، والجماء الغفير. ويروى «عفوة من أهل أو مال» والعفوة الخيار من الشيء، يقال: أكلت عفوة الطعام، أي: خياره، وما أحسن المعنى الذي أراده عليه السلام بقوله: «ومن يقبض يده عن عشيرته إلى تمام الكلام» فَإِنَّ الْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا احْتَاجَ إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَاضْطَرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ، وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَافُدَ الأَيْدِي الْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهُضَ الأَقْدَامِ الْجَمَّةِ.

١ــ في ش: ان نزلت به.

٢ــ في م: من قومه المحبة.

الشرح

قوله عليه السلام إن الأمر ينزل من السماء إلى الارض الى آخر:

ع ـــ الغفيرة: الشيء الهين الذي يغتفر في جنب غيره أي يحتقر[١] وفلان ليس فيه غفيرة أي لا يغفر ذنبا وقال السيد: الغفيرة هنا الكثرة والزيادة من الجم الغفير، وكلاهما محتمل الفالج الفائز[٢] قال الراجز:

لما رأيت فالجا قد فلجا * الياسـر المقامـر[٣]

قال أبو عبيد: الياسرون هم الذين يتقامرون[٤] على الجزور، وإنما كان هذا في أهل الشرف منهم وكانوا يفتخرون به قال الأعشى ..

المطعمو الضيف إذا ما شتوا * والجاعلو القوت على الياسر

أي يجعلون أقوات الفقراء على المقامر يصفهم بالسخاء والكرم.

فقوله عليه السلام: كالياسر الفالج، يعني هو بين خيرتين إما المصير إلى ما يحب من الدنيا فهو بمنزلة المعلى وغيرها من القداح التي لها حظوظ، أو بمنزلة التي لا حظوظ لها يعني الموت، ويحرّم ذلك في الدنيا وما عند الله خير له.

ليست بتعذير: أي ليست فيها تقصير رياء وسمعة: أي ليراه الناس ويسمعوا به.

---

١ ـــ في الاصل: محتقر.

٢ ـــ كذا في النسختين وفي اكثر نسخ النهج: الفالج الياسر.

٣ ـــ كذا.

٤ ـــ في ض بهم الذين مقامرون.

الحيطة : الحياطة ولسان الصدق : الثناء والذكر الجميل ، وهو خير من المال لأنه يبقى بعده ، ويورثه الترحم والدعاء والمال ينتقل إلى غيره وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون بها .

يجعله الله أي يخلقه ولين الحاشية : استعارة عن حسن الخلق والمواساة .

ج ـ يريد أن الرزق إنما يزيد وينقص على ما يقتضيه المصالح ، فلا ينبغي لأحد ان يحسد ذا مال كثير .

قوله غفيرة : أي كثرة ويروى عفوة ، والعفوة الخيار من الشيء ، وداعي الله : الوفاة وانما سأل منازل الشهداء ولم يسأل الشهادة ، لأن المقصود من الشهادة الثواب والدرجات الحاصلة بها ، ولأن سؤال القتل ليس يحسن ، فان فيه ضعفا لأهل الاسلام وقوة لأهل الكفر .

الخصاصة : الفقر والخلل وأن يسدها بدل الاشتمال من القرابة .

* * *

٢٣ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ: وَخَابَطَ الْغَيَّ، مِنْ إدْهَانٍ وَلَا إيهَانٍ، فَاتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ، وَفِرُّوا إلى ٱللهِ مِنَ ٱللهِ، وَٱمْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ. فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلاً، إنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً.

الشرح

ج ــ الادهان: المداهنة، والايهان: من الوهن فروا إلى الله[١]: أي اهربوا بالتوبة من عقابه إلى رحمته بما عصبه بكم أي شده[٢] وجعله كالعصابة لكم وهو التكليف، والفلج: الظفر.

ع: خابط الغي: وطئه ولازمه من غير معرفة[٣]، وما للنفي وقيل الكريم يهادن ولا يداهن عصبه: ربطه.

فعلي ضامن لفلجكم: مثل هذا الكلام، لا يصدرُ إلا عن يقين تام[٤] ومن أحق بذلك من سيد الأنام الذي قال، وحق له أن يقول: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

* * *

١ ــ في ض: فروا الى الله من الله. ٣ ــ في ض: غير معرفة منه.
٢ ــ في ض: اي ربطه وشده. ٤ ــ في ض: يقين تام ومعرفة كاملة بلغت حيث قال لو كشف الغطاء.

٢٤ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن، وهما عبيد اللهبن عباس وسعيدبن نمْرَان لما غلب عليهما بُسْرُبن أبي أرْطَاة، فقام عليه السلام على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي، فقال :ـ

مَا هِيَ إلاَّ الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا، إنْ لَمْ تَكُوني إلاَّ أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيْرُكِ . فَقَبَّحَكِ ٱللهُ.

وتمثل بقول الشاعر

لَعَمْرُ أَبِيكَ ٱلْخَيْرِ يَا عَمْرُوإنّني عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا ٱلإنَاءِ قَلِيلِ

ثم قال عليه السلام:

أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ ٱطَّلَعَ ٱلْيَمَنَ، وَإنِّي وَٱللهِ لأَظُنُّ أنَّ هٰؤُلاَءِ ٱلْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ: بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إمَامَكُمْ فِي ٱلْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إمَامَهُمْ فِي ٱلْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ ٱلأَمَانَةَ إلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ وَبِصَلاحِهِمْ فِي بِلادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ. فَلَوِ ٱئْتَمَنْتُ

أَحَدُكُمْ عَلَى قُعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعَلاقَتِهِ! اَللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي، اَللَّهُمَّ مُثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ اَلْمِلْحُ فِي اَلْمَاءِ، أَمَا وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرْسِ بْنِ غَنْمٍ.

هُنَالِكَ، لَوْ دَعَوْتَ، أَتَاكَ مِنْهم فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ اَلْحَمِيمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر.

قال الشريف: أقول: الأرمية جمع رمي وهو السحاب، والحميم ههنا: وقت الصيف، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفوفا لأنه لاماء فيه. وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء، وذلك لا يكون في الأكثر إلا زمان الشتاء، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا، والإغاثة إذا استغيثوا، والدليل على ذلك قوله هنالك لو دعوت أتاك منهم.

الشرح

قوله عليه السلام: ما هي إلا الكوفة أقبضها الى آخره.

ع ـ الضمير، إما للخلافة والولاية، أو للكوفة الاعصار: ريح يثير الغبار ويرتفع الى السماء كأنه عمود، وقيل: ريح يثير سحابا ذات رعد وبرق، وتقدير البيت: من وضر قليل من هذا الاناء.

والوضر: ما يشمه الانسان من ريح يجده من طعام فاسد، ويقال لبقية الهنا: الوضر والاناء شجر على بقية قليلة من هذا الشجر أو عرق فاسد منه[١].

تمثل عليه السلام بذلك وأراد أنه إن لم يبق لي من الولاية في زمن الخلافة، إلا الكوفة فأنا بمنزلة هذا الشاعر الذي لم يبق له إلا ما ذكر من الوضر.

أداله: جعله ذا دولة القعب: قدح من خشب مقعر يكون غليظا علاقة القوس والقزح[٢] والسوط بكسر العين، وعلاقة الخصومة والحب بفتحها.

قوله أبدلهم بي شرا مني.

---

١ ـ في ض: وروى من ذى الاناء يعني الذي في الاناء وهو اللبن وآلاء شجر اي انا على بقية قليلة من هذا الشجر.

٢ ـ في الحديث لا تقولوا قوس قزح فان قزح من اسماء الشياطين، قيل سمي به لتسويله للناس وتحسينه اليهم المعاصي من التقزيح وهو التحسين، وقيل من القزح وهي الطرائق والالوان التي في القوس الواحدة: قزحة، او من قزح الشيء: اذا ارتفع كأنه كره ما كانوا عليه من عادات الجاهلية.

قيل لما دعا أميرالمؤمنين عليه السلام بهذا الدعاء ولد الحجاج[١] بن يوسف الثقفي في تلك الساعة وقد فعل الحجاج بأهل الكوفة ما يليق بجزائهم وكان الحجاج عقوبة لهم، وإنما قال شرا مني وإن كان عليه السلام منزها عن كل شر لأنه أراد على زعمهم ورأيهم[٢].

مث قلوبهم: أي أذبها، وروي أنه عليه السلام قال في هذه الخطبة: ألللهم سلط عليهم غلام ثقيف.

بني فراس بن غنم: بفتح الغين وسكون النون، وغنم أبو حي من تغلب، وهم رماة شجعان نصارى، فقوله: بكم أي يبدلكم.

أرمية الحميم: الرمي[٣] السحابة العظيمة القطر الهديدة الوقع من سحائب الصيف والخريف، (والجمع أرمية) والحميم المطر في القيظ يضرب بذلك المثل في سرعة الاجابة.

قال المبرد[٤]: بسربن أرطأة هذا أحد بني عامربن لؤي وكان قايدا من قواد معاوية، وكان علي عليه السلام يستنفر الناس إلى الجهاد نحو معاوية فيتثاقلون حتى تحرك معاوية من الشام.

قوله ما هي: ما المملكة إلا ملك الكوفة أتصرف فيها، ثم التفت من

---

١ ــ الحجاج بن يوسف الثقفي من كبار قواد عبد الملك بن مروان اشتهر بمحبته لسفك الدماء، وكان يعلم الصبيان بالطائف ثم لحق بروح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان ولي العراق ولما دخل الكوفة خطب للناس فقال: وأنى لأ رى رؤساقد اينعت وحان قطافها واني لانظر الى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى له اخبار كثيرة مبسوطة في كتب التواريخ والسير.

٢ ــ في ض: ورايهم وعتقادهم.

٣ ــ في ض: الارمية جمع رمى وهي السحابة العظيمة.

٤ ــ ابو العباس محمد بن يزيد الازدي الثمالي البصري المعروف بالمبرد، النحوي اللغوي، كان اماما في النحو واللغة قال الخطيب: شيخ اهل النحو، وحافظ علم العربية، سكن بغداد وروى بها عن ابي عثمان المازني وابي حاتم السجستاني، حسن المحاضرة مليح الاخبار له كتب وآثار مات ٢٨٥.

الغيبة الى الخطاب فقال ان لم يكن لنا من هذا الدنيا إلا أنت مع هذه الفتن العظيمة ، فلا كنت ، والاعصار الريح كما سبق ، ويكنى بالريح عن الدولة .

ج ـ الوضر ؛ الدسم والدرن وروي في البيت من ذى الاناء يعني الذي في الاناء وهو اللبن يقال : ضربه حتى ألقى ذا بطنه أي رجيعه وقال الراعي .

ولما قضت من ذي الاناء لبانة ٭ أرادت إلينا حاجة لا نريدها

وطلبه عليه السلام بدلا منهم يجوز أن يكون في الدنيا بأن يهيىء الله ويوفق قوما صلحاء يجتمعون إليه أو يكون ذلك تمنيا لما بعد الموت من صحبة النبي صلى الله عليه وآله .

قوله شرامني : يعني في اعتقادهم ، قال تعالى : أفمن يلقى في النار خيرأم من يأتي آمنا يوم القيامة[١] ، وقال أذلك خير أم جنة الخلد[٢] ، وروي أنه لما دعا عليه السلام بهذ الدعاء ولد بعد ذلك من قريب الحجاج بن يوسف وطريقته في الكوفة وغيرها من الظلم والاهلاك معروفة ، وبنو فراس بن غنم قيل : هم أهل الروم ، وقيل غيرهم والبيت لأبي جندب الهذلي يخاطب إمرأة وأول الأبيات .

ألا يا أم زنباع أقيمي ٭ صدور العيس نحو بني تميم

٭ ٭ ٭

١ ـ فصلت : ٤ .

٢ ـ الفرقان : ١٥ .

٢٥ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إنَّ ٱللهَ بَعَثَ[١] مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيراً لِلْعَالِمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

ومنها. فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَنِ الْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ، وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ.

ومنها: وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى ٱلْبَيْعَةِ ثَمَناً، فَلا ظَفِرَتْ يَدُ المُبَايِعِ[٢]، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شُبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا، (وَٱسْتَشْعِرُوا ٱلصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى ٱلنَّصْرِ[٣]).

---

١ ـ في ش: ان الله سبحانه بعث.

٢ ـ في ض وح وب: يد البايع.

٣ ـ ساقطة من ن ول وش.

الشرح

قوله عليه السلام إن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين إلى آخره.

ع- قوله معشر العرب: أي يا معشر العرب.شر دين: يعني عبادة الأصنام فانها شر من كل دين، فيه كتاب ونبي[1].

في شر دار: أي في بلاد لا نبات فيها ولا فاكهة، ولا طعام ولا لباس، وقيل الدار القبيلة في قول النبي صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بخير دور الأنصار، ودارات العرب ست عشر دارة: وقيل أراد بمعشر العرب أهل الكوفة، وهم من خثعم وطي وهم لا يعظمون في الجاهلية الكعبة (والحرم[2]) والأشهر الحرم.

طعام جشب: ومجشوب أي غليظ خشن لا أدم معه.

قوله على أخذ الكظم الكظم: مخرج النفس يقال أخذت بكظمه أي منعت نفسه أن يخرج.

العلقم: أصول الحنظل وفي القرا بادين الكبير العلقم قثاء الحمار، وله مرارة لذاعة، وإنما خصصت من بين سائر المرارات لأنه مفجر للجراحات ويقئي (ويسهل[3])، ويهلك الجنين.

١ ـ كذا.
٢ ـ ساقط في ض.
٣ ـ ساقط في ض.

قوله ولم يبايع حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا .

أراد عمروبن العاص شرط على معاوية أن يفوض إليه ولاية مصر حتى بايعه[١]، فوقع بينهما تدافع حتى ضمن له ذلك .

ج_ المبايع : عمرو، والمبتاع : معاوية .

وحيات صم : يجوز أن يريد الأعداء، ويكنى عن الداهية بالحية ويوصف الداهية بالصماء، كأنه مقتبس من سورة لايلاف قريش معصوبة : أي مشدودة، والشجى : ما ينشب[٢]، في الحلق من عظم وغيره والعلقم : ثمر الحنظل والأهبة : العدة .

* * *

١ _ في ش وض : يبايعه .

٢ _ نشب في الشيء : اذا وقع مخلص له منه .

٢٦ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ فَتَحَهُ ٱللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوَى، وَدِرْعُ ٱللهِ ٱلْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ ٱلْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ[١] أَلْبَسَهُ ٱللهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ، وَشَمْلَةَ ٱلْبَلاءِ، وَدِيِّثَ بِالصَّغَارِ وَٱلْقَمَاءِ[٢]، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْهابِ[٣]، وَأُدِيلَ ٱلْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ، وَسِيمَ ٱلْخَسْفَ، وَمُنِعَ ٱلنَّصَفَ، أَلاَ وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ[٤] هٰؤُلاَءِ ٱلْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرًّا وَإِعْلاَناً، وَقُلْتُ لَكُمْ: أُغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَٱللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَواكَلْتُمْ، وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ، وَهٰذَا[٥] أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا

---

١ ـ في ش فمن تركه البسه الله.

٢ ـ في ح وض: والقماءة.

٣ ـ في ن: على قلبه بالاسداد.

٤ ـ في ش: الى حرب هؤلاء.

٥ ـ في ش: فهذا اخو غامد قد وردت.

وَقَلاَئِدَهَا وَرِعَاثَهَا[١]، مَا تَمْتَنِعُ[٢] مِنْهُ إلَّا بِالإِسْتِرْجَاعِ وَالإِسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ، وَلاَ أُرِيقَ له دَمٌ[٣]. فَلَوْ انَّ امْرَءاً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسِفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً؛ فَيَاعَجَباً - وَاللهِ - يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ اجْتِمَاعُ[٤] هٰؤُلاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً، حِينَ صِرتُمْ غَرَضاً يُرْمَى؛ يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلاَ تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ؛ فَاذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ[٥] إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ هٰذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ، أَمْهِلْنَا ينسلخ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هٰذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ[٦] عَنَّا الْبَرْدُ، كُلُّ هٰذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ (فاذا كنتم من الحرِّ والقرِّ[٧]) فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ، يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَ رِجَالَ! حُلُومُ الأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ! مَعْرِفَةٌ وَاللهِ جَرَّتْ نَدَماً، وَأَعْقَبَتْ سَدَماً[٨] قَاتَلَكُمُ اللهُ!! لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلاَنِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ[٩]: إِنَّ ابْنَ أَبِي

١ـ في ح : ورعتها.
٢ـ في م و ب : ما تمنع.
٣ـ في ض وح غ ولا اريق لهم دم.
٤ـ في ش من اجتماع.
٥ـ في م : في السير في الشتاء.
٦ـ في ش : يسبخ عنا البرد.
٧ـ ساقطة من م و ب.
٨ـ في م : واعقبت ذمما وفي ك و ر: واعقبت ندما وفي ل و ش واعقبت ذما.
٩ـ في ح : حتى لقد قالت قريش.

طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ ، وَلٰكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ .

لِلّٰهِ أَبُوهُمْ !! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً ، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي ؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا ، وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، وَهَا أَنَاذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ ، وَلٰكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ !!

الشرح

قوله عليه السلام أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة الى آخره .

ع ـ وذلك لأنه لا يجاهد إلا من انقطعت علائقه من الدنيا وسلم نفسه إلى الله تعالى ، وديث : أي ذلل ومنه الديوث الذي لا غيرة له وذللته محارمه حتى يتغافل عن فجورهن والقماء : الصغار والذل[1] .

على قلبه بالاسهاب : هو ذهاب العقل يقال رجل مسهب أي ذاهب العقل وروي بالأسداد وهو جمع السد وهو الحاجز .

وسيم الخسف : أي كلف الذل ويقال سمته خسفا أي أوليته إياه ، وروي وسيماء الخسف أي علامة الخسف .

والنصف : الانصاف ، وعقر الدار: أصلها وهو محلة القوم : وأهل المدينة يضمونها وشنت : أي صبت .

تواكل القوم : وكل كل منهم الأمر إلى الآخرين ، وأحال به عليهم (قال الحطيئة[2] .

أمور إذا واكلتها لا تواكل) .

---

١ ـ في ض هنا زيادة وهي : وقيل القمأة قبع في صغر رجل مسهب اي ذاهب العقل .

٢ ـ الحطيئة لقب جرول الشاعر العبسي لدمامته ، وقيل كان يلعب مع الصبيان فسمع منه صوت فضحكوا ، فقال : مالكم انما كانت حطيئة فلزمته نبزا و بين الهلالين ساقط في ض .

أخو غامد: رجل من اليمن من بني غامدبن نصير من الازد والأنبار بلدة[١]، على فراسخ من الكوفة ينسب إليها الذربات قال الشاعر:

كـأنـهـا مـن بـدن وأبـقـار * دبت عليها دربات الأنبار.

المسالح: مواضع الأسلحة والمسلحة قوم ذو سلاح، ثم اطلق المسالح على مواضع الخوف.

المعاهدة: روي بكسر الهاء وفتحها يعني التي لها مع المسلمين عهد، والحجل: الخلخال.

الرعاث: القرطة جمع رعثة.

وقبحا له: أي بعدا وترحا: أي حزنا وأسفا أي تحسرا أو غضبا.

حمارة القيظ: بتشديد الراء شدة حره والجمع حمار، وربما خفف الراء لضرورة الشعر.

يسبخ عنا الحر: روي بفتح الباء وكسرها أي يخفف ويفتر[٢].

صبارة القر: بتشديد الراء شدة البرد، وروي القر بفتح القاف:

ربات الحجال: النساء قلت: ولي قصيدة غراء في مدح بعض أولاد على عليه السلام قلت فيها:

وأنت إذا ركبت فشوش حرب * بحيث تجول ربات الحجال.

وأنت إذا منحت وكل بحر * بجنب نداك مقصر النوال.

نوالك ليس يسبقه سؤال * كان عليك ذنبا في السؤال

---

١ ـ الانبار مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ وكانت الفرس تسميها فيروز سابور وال اول من عمرها سابور بن هرمز ذو الاكتاف ثم جددها ابو العباس السفاح و بنى بها قصورا واقام بها الى ان مات، قال في معجم البلدان: الانبار حدبا بل سميت به لانه كان يجمع بها انابير الحنطة والشعير والقت والتين قال الشاعر:

كـأنـهـا مـن بـدن وابـقـار دبـت عـلـيـهـا ذربـات الانـبـار

٢ ـ المفتر: الذي اذا شرب احمى الجسد وصار فيه فتور وهو ضعف وانكسار.

والحجال: الخلاخل، وعقول النساء: استولى عليها الحرص والشهوة والخوف.

والسدم: تغير يحصل من الندم والنغبة: الجوعة والتهمام[١]، من الهم وأنفاسا: نصب على الحال أي نفسا نفسا.

لله أبوهم: اصل هذه الكلمة المدح بطريق تخصيص الأب بالاضافة إلى الله تعالى، وذرف: على الشيء زاد عليه.

ج ـ القمأة: قبح مع صغر قال أبو محمد الأسود الغندجاني[٢]، وكان ممن جمع كلام علي عليه السلام أيضا أخو غامد اسمه سفيربن عوف وهو صاحب معاوية أغار على عسكر أميرالمؤمنين عليه السلام بعد صفين، والمسلحة كالشعر والمرقب.

المعاهدة: الذمية التي أخذت العهد والأمان والقلب: السوار، والاسترجاع: قوله تعالى: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فيا عجبا: أي يا عجبي أو يا عجباه، على الندبة وعجبا: بعده نصب على المصدر

قبحا: أي بعدا عن الخير والقيظ: من الصيف ما حرَّ وقته، وروي يسبخ: على ما لم يسم فاعله وذلك مما حكي عن الأصمعي، أنه قال يقال سبخ الله عنك الحمى أي خففها، فدعت عائشة على سارق سرقها، فقال النبي عليه السلام وتسبخي عنه بدعائك اي لا تخففي عنه اسمه وأما سبخ الحر فانه لا يتعدى أي خف وفتر: ويجوز أن يكون متعديا ومفعوله محذوف أي يسبخ عنا الحر نفسه ويؤكده الرواية على ما لم يسم

---

١ ـ في ص: التهمام تفعال.

٢ ـ الحسن بن احمد ابو محمد الاعرابي المعروف بالاسود الغند جاني صاحب التصانيف في الادب والغندجان بالضم ثم السكون وكسر الدال وجيم وآخره نون بليدة بارض فارس في مفازة قليلة الماء.

فاعله .

انسلخ : أي مضى وحلوم الاطفال : مبتدأ محذوف الخبر أي لكم ذلك .

واعقبت ندما : أي أورثته وسدما : أي تحيرا وفي الصحاح السدم : الندم والحزن .

قاتلكم الله : ليس بدعاء عليهم انما هو نوح تعجب .

أنفاسا : حال من[1] ، النغب : أي مرة بعد مرة ، والنفس أيضا الجرعة ، يقال أكرع في الاناء ، نفسا أو نفسين أو جرعة أو جرعتين ، والجمع أنفاس مثل سبب وأسباب ونغب : إما مفعول ثاني لجرعتموني أومصدرله من غير لفظ ، وجمع على طريقة قوله تعالى : ويظنون بالله الظنونا .

وقوله لله أبوهم : دعاء بالخير ، ولكن فيه تهكم ، وقيل هو تعجب منهم وليس بدعاء ذرفت أي زدت قليلا على الستين سنة ، وذرف الدمع اذا مطر قليلا .

* * *

١ ـ في ش : انفاسا نصب على الحال اي نفسا نفسا .

٢٧ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَمَّا بَعْدُ، فَإنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَإنَّ الآخِرَةَ قَدْ (اقبلت[1]) أَشْرَفَتْ بِاطِّلاَعٍ؟ أَلاَ وَإنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ؛ أَفَلاَ تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟ أَلاَ عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ؟ أَلاَ وَإنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ[2] نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ، وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ وَضَرَّهُ أَجَلُهُ، أَلاَ فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ؟ أَلاَ وَإنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلاَ كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا أَلاَ وَإنَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعْهُ[3] الْحَقُّ يَضْرُرْهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى يَجُرَّبِهِ الضَّلاَلُ إلَى الرَّدَى، أَلاَ وَإنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَإنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ، تَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ أَنْفُسَكم بِهِ غَداً.

قال الشريف: أقول: لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا

---

١ ــ ساقطة من ب.

٢ ــ في ح وض: فقد نفعه. ٣ ــ في م: من لم ينفعه الحق.

١ ــ في ض وح: فقزودوا في ب: فتزودوا من الدنيا ما تحرزون وفي ش حاشية م: تحوزون.

ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعا لعلائق الآمال، وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار، ومن أعجبه قوله عليه السلام «أَلاَ وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ» فإن فيه ـ مع فخامة اللفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق التمثيل، وواقع التشبيه ـ سراً عجيباً، ومعنى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام: «والسبقة الجنة، والغاية النار» فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل «السبقة النار» كما قال «السبقة الجنة»؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب، وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا في النار نعوذ بالله منها، فلم يجز أن يقول «والسبقة النار» بل قال «والغاية النار»؛ لأن الغاية ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء ومن يسره ذلك، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل، قال الله تعالى: (قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار) ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال: سبقتكم ـ بسكون الباء ـ إلى النار، فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد. وكذلك أكثر كلامه عليه السلام (وفي بعض النسخ، وقد جاء في رواية أخرى «والسبقة الجنة» ـ بضم السين ـ والسبقة عندهم: اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض، والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم، وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود[1]).

١ـ ساقطة من ش.

الشرح

قوله عليه السلام ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق.

إن جعلت اليوم ظرفا، فالمضمار منصوب اسم إن والظرف في موضع الخبر، وجائز أن يخرج اليوم عن الظرفية ويجعله اسم إن ويرفع المضمار على الخبر، لأنه عبارة عن مدة زمان التضمير، وكذا في قوله: وغدا السباق.

روي والسبقة والغاية: بالرفع والنصب، وقيد السبقة بالجنة والغاية النار، لأن السبق يكون باختيار ورغبة صادقة، والغاية ربما يكون على غفلة وكره يجرّ به :أي يعدل به.

ج ــ الأحسن أن يجعل اليوم ظرفا والمضمار اسم إن وكذا فيما بعده وسمي مضماراً لأنه يضمر فيه الخيل وتضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوة وذلك في أربعين يوما، وهذا المدة يسمى المضمار وكذا الموضع الذي يضمر فيه الخيل، والضمر الهزال وخفة اللحم، فك الادغام في لم يضرر لأنه لغة أهل الحجاز وهو أفصح.

هاربها: حقه الهارب منها إلا أنه نزع الخافض كما في قوله تعالى: واختار[1] موسى قومه، والضمير ان لموصوفي الكاف: الذي هو بمعنى مثل أي لم أر طلبة او نعمة مثل الجنة نام طالبها، ولا كريهة أو نقمة مثل النار نام الهارب منها والظعن: السفر.

---

١ ــ الاعراف: ١٥٥.

٢٨ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱلْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلاَمُكُمْ يُوهِي ٱلصُّمَّ ٱلصِّلاَبَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ ٱلْأَعْدَاءَ! تَقُولُونَ فِي ٱلْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ ٱلْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ وَلاَ ٱسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ دِفَاعَ ذِي ٱلدَّيْنِ ٱلْمَطُولِ لاَ يَمْنَعُ ٱلضَّيْمَ ٱلذَّلِيلُ. وَلاَ يُدْرَكُ ٱلْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ ٱلْمَغْرُورُ وَٱللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَبِكُمْ[1] فَازَ وَٱللهِ بِالسَّهْمِ ٱلْأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ، فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ أَصْبَحْتُ وَٱللهِ لاَ أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلاَ أُوعِدُ ٱلْعَدُوَّ بِكُمْ مَابَالُكُمْ! مَادَواءُكُمْ! مَاطِبُّكُمْ! ٱلْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ! أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ[2]؟ وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ[3]؟ وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!

---

١ ـ في ض وح : ومن فاز بكم فقد فاز وفي كـ : وروى بالقدح اخيب .

٢ ـ في ل وش : اقولا بغير علم .

٣ ـ في ش وحاشية م و كـ : وعفة من غير ورع .

الشرح

قوله عليه السلام أيها الناس المجتمعة ابدانهم الى آخره.

ع ــ يوهي: يضعف كبت: بفتح التاء وكسرها وتاؤها، هاء في الاصل فصارت تاء في الوصل.

حيدي حياد: أمر الخيل بالحيدودة أي حيدي[1]، أيتها الخيل، أعاليل: جمع اعلولة وهي التعلل أي التسلي.

أضاليل: جمع أضلولة من الضلال.

دفاع: أي تدافعون دفاع.

فاز بالسهم الأخيب: وروي بالقدح الأخيب (أي بمالا نصيب له من سهام القمار[2])، وأعظم القدح عندهم المعلى وفيه سبعة فروض، ثم المسبل وفيه ستة فروض ثم الحلس وفيه خمسة، ثم الناقس وفيه أربعة، ثم الضريب وفيه ثلاثة، ثم التوأم وفيه فرضان، ثم القذف فيه فرض، وهو أدناها.

قال عروة بن الورد: وذكر القداح:

هوالسيد المعلوم لابنه حوشب * مجير المنايا والمجير على الحرم
أتت بالمعلى وهو أول سوره * وبالمسبل الثاني وبالحلس والتوْم

١ ــ حاد عن الشيء الطريق يحيد: اذا عدل وفي خطبة على حيدي حياد: أي ميلى.

٢ ــ بين الهلالين ساقط في ض

وجاءت بقدح والضريب ثلاثة * وفي النافس المعلوم بالكف والقدم

وقد يسمى الضريب الرقيب أيضا شبه عليه السلام أصحابه في إستعصاتهم عليه وقلة مؤاتاهم له بذلك: فقال: لا حظ لي في صحبتكم كما لا حظ للياسر في القدح الخائب.

بأفوق ناصل: أي بسهم منكسر لا نصل فيه على تقدير موصوف محذوف، وأصح الروايتين وعفة من غير ورع[1].

ج— يوهي الصم الصلاب: أي يضعف الحجارة الشديدة، والجبال الصلبة.

حيدي حياد: أي جانبي منا أيتها الحرب والمحايدة: المجانبة، وهو مثل، فيحي فياح: وحياد وفياح كلاهما اسم للغارة، على زنة قطام وفيحي: أي اتسعي، وقيل حياد إسم للأمر فكأنه أمر مرتين بلفظتين مختلفتين.

وأعاليل: خبر مبتدأ محذوف أي إعتلالاتكم في مدافعة الحرب علل باطلة، وأعاليل جمع أعلال يقال اعل اذا جاء بعلة وصار صاحب علة.

والأضاليل: جمع أضلال وقيل أعاليل جمع جمع العلة وكذا الأضاليل.

بأفوق: أي بسهم مكسور الفوق ناصل: أي خرج نصله ورجع فلان بأفوق ناصل، أي بحظ غير تام.

ما طبكم: أي عادتكم أقولا بغير علم: وروي أقوالا وهو أصح شي: وانتصابه بفعل مضمر، وكذلك ما بعده أي تقولون ذلك وتظهرونه من أنفسكم.

* * *

١ — في ض: وغفلة من غير ورع وروى عفة.

٢٩ــ ومن خطبة له عليه السلام

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنّي، وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ: إِسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ، وَلِلّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ.

الشرح

قوله عليه السلام لو أمرت به لكنت قاتلا إلى قوله غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من انا خير منه ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني.

ع‍ــ اي ليس لمن نصره فخر بنصرته يعني بقوله خذله من أنا خير منه، ولا لمن خذله أن يتلهف[1]، على خذلانه والمراد ليس لمن نصره مثل مروان أن يقول خذله طلحة والزبير، وأنا خير منهما، لأن النبي قال لطلحة: وجبت لك الجنة، وقد طرد مروان بن الحكم فما حصلت فضيلة لمروان، بسبب نصرته وليس لطلحة أن يفضل مروان على نفسه بسبب نصرته عثمان وخذلان طلحة اياه[2].

---

١ ــ تلهف عليه: حزن عليه وتحسر.

٢ ــ بين الهلالين ساقط في ض وفيه زيادة وهي: تبرأ عليه السلام من قتل عثمان ومن نصره جميعا واذا لم يكن ناصرا له ولا قاتلا لم يبق الا الخاذل؛ ثم طفق يعتذر للخاذل، فقال وليس لناصره ان يفضل نفسه على خاذله ولا لخاذله ان يفضل ناصره على نفسه.

لأنه باساءة الاثرة ما استحق النصر ولم يكن المقاتل ان يقتله ايضا، فكان ما فعله الخاذل اولى بالحزم، ←

قال الامام الوبري : معناه من انتصب لانتصار عثمان بعد قتله ، لا يمكنه أن يقول إن عليا عليه السلام خذل عثمان فلم ينصره ونحن نصرناه فنحن خير من علي ، وذلك لأن عليا ما خذل عثمان ورمى الى داره منديله ونادى بصوته ، وقال : ايعلم أني لم اخنه بالغيب ، وعرض عليّ على عثمان نصرته ودفاعه فأبى عثمان القتال بسبب الدفاع عنه ، وقال : لأن اقتل قبل سفك الدماء احب الي من أن أقتل بعد سفك الدماء .

قال لغلمانه : من وضع سلاحه منكم ، ولم يقاتل فهو حر لوجه الله ، ومن خذله أي خذل عثمان ولم يهتم بشأنه لا يمكنه أن يقول نصره عليّ فلكونه ناصرا هو خير من خاذله لأن عليا لم يسل السيف بسبب الدفاع لأن عثمان لم يستنصر ولم يقبل نصرته .

استأثر فأساء الأثرة :

قال الوبري أيضا : يعني فرض الأعمال الى بعض قرابته صلة للرحم ، وأن بعض اقاربه ما رعى حق هذا العمل ولم ينصف .

وجزعتم فأساتم الجزع :

لأن الغاغة استدكوا ذلك وغيره من الأمور وخاطبوا بها عثمان ، واعتذر عثمان بعذر ظاهر ، فقتلوه بسبب ذلك ، وليس للرعية قتل من هو إمام وخليفة عندهم باجماع الامة ج‍ـ نفى عليه السلام عن نفسه أنه كان ناصرا له أو خاذلا إياه وذلك أن الناصر له مروان بن الحكم ، والخاذل عبدالله بن مسعود

يطابق هذا ما ذكره عليه السلام في خطبة الخميس قال قال فصبرت عليكم حتى اذا نقمتم على من آثرتموه على عثمان فقتلتموه .

خذله اهل بدر وقتله اهل مصر والله ما امرت ولا نهيت عنه ، ولو امرت به لكنت قاتلا ولو نهيت عنه لكنت ناصرا فهو عليه السلام بهذا البيان الشافي كشف الغطاء عن وجه الامر فنسب القتل الى مصر والخذلان الى اهل بدر الذين هم اهل السابقة والفضل ، ولم يكن اهل مصر خيرا من اهل بدر الذين فيهم القدوة ، وكان ينبغي ان يكون بهم الاسوة .

مثلا .

فمروان لا يستطيع ان يقول خذله من أنا خير منه لأن مروان ليس خيرا من عبد الله ولا مثله ، ولا عبد الله يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني لأن مروان ليس خيرا من عبد الله ، فقد صح أنه ورد مورد التبري من دمه ونفى أنه كان له أو عليه .

قال بعض النقاد : إن هذه كلمة قرشية يعني أنه عمي عليهم ، والمعنى من خذله ومن نصره ليس خيريتهما بخذلانه ولا بنصرته ، والسامعون حسبوا أنه يتبرأ من كونه ناصرا له أو خاذلا (وقيل إن كلامه هذا إلى آخره يدل على خذلانه له لا سيما[1]) .

قوله : استأثرفأساءَ الاثرة (الاثرة اسم لما يستأثر[2]) اي اختار لنفسه أمرا فاساء الاختيار حيث استبد بما لم يكن له وأنتم أسأتم الجزع فان هذا كان ينبغي منكم له قبل قتله ، والاثرة بالتحريك اسم لما يستاثر.

ش ــ قد وجدت قديما في بعض الكتب لهذا الكلام سببا وحديثا كلم به إنسان أميرالمؤمنين عليه السلام وانساني مرور السنين والأعوام اسم المتكلم ولفظ الكلام ، إلا أن الذي علق بخاطري من معناه وفحواه ، أن ذلك المتكلم أنكر كل الانكار على من قعد عن نصرة عثمان ، وعن محاربته ، وأن الفتنة الحاصلة كلها راجعة الى الخاذل وأنه كان يعرض بذلك أميرالمؤمنين عليه السلام .

لأنه وخواصه من خيار الصحابة على زعم المتكلم لو قاموا بنصرة عثمان على الظاهر لما اجترأ عليه الطغام[3] كل الاجتراء ولما التبس على الناس أن

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض .

٢ــ بين الهلالين في ض .

٣ــ في حديث على طغام الاحلام : اي من لا عقل له ولا معرفة وقيل هم اوغاد الناس واراذلهم .

خذلانه من المعاصي الكبار، ولو كان هولاء الخاذلون يرون أن محاربته وقتله وقتاله هو الحق والصلاح، فكان يلزمهم التقدم فيه والتحريض عليه كان بحيث لا يقع فيه الاختلاف الكثير، والالتباس الشديد: فلم يأتوابأحدالأمرين بل نفضوا[1] أيديهم وتركوا الناس في عمياء مظلمة.

فأجابه عليه السلام بتلويح لا تبصريح لأنه كان إذ ذاك في مكان يلزمه التوقي، فقال إن من كان خاذلا يعني نفسه فليس أن يتفضل ويتفوق عليه لان الذي ادعيته بزعمك خاذلا وهو أنا هو أفضل الجميع لسابقته وفرض طاعته، ووجوب اتباعه على الجمهور، ببيان الرسول عليه السلام في مواطن كثيرة، نحو قوله صلى الله عليه وآله يدور الحق مع علي حيث ما دار وبقوله إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا تمام الخير، وبغير ذلك من الآي والاثار.

فكان يلزم الكل الانقياد لأمر ولي الأمر والاقتفاء لأثره في أقواله وأفعاله حتى القتال مع من قاتل والنصرة لمن نصر والخذلان لمن خذل. والسائل تصور أن عليا عليه السلام كان يلزمه متابعة الناس ومشايعتهم، والانخراط في سلكهم والأمر بالضد من ذلك فقلب حقيقته وعكس صورته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم، قد صرح عليه السلام بما ذكرناه بظاهر البيان من تبرئته نفسه عن النصر والخذلان بما صدر به هذا الكلام.

قوله: لو أمرت به لكنت قاتلا أو نهيت عنه لكنت ناصرا:

ولا خفاء أن ذلك بما ذكرناه من المعنى أليق وله أوفق، والله الموفق[2]).

* * *

١ــ نفضوا: حركوا والاصل في النفض الحركة.

٢ــ بين الهلالين ساقط في ص.

٣٠ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل

لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإنَّكَ إنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ. وَلٰكِنِ ٱلْقَ الزُّبَيْرَ فَإنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ٱبْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا.

قال الشريف: أقول: هو أول من سمعت منه هذه الكلمة، أعني «فما عدا مما بدا».

الشرح

قوله عليه السلام لا تلقين طلحة إلى آخره .

ع_ عاقصا قرنه : العقص يدل على التواء في شيء يقال لمن له اضطراب وعقد ، وتردد في رأيه هو عاقص قرنه عريكة : أي طبيعة فما عدا مما بدا : أي ما عداك مما بداك أي ما صرفك عني مما بدالك مني . أو ما صرفك عما كان بدالك من نصرتك . التيس الأعقص الذي التوى قرناه على أُذنيه من خلفه ، وقد عقص بالكسر أي اعوج وصف بذلك خشونة جانب طلحة واستصغاره عظائم الامور وتحيره وطغيانه .

والعريكة بقية السنام (وقيل الطبيعة[1]) يقال لانت عريكته اي انكسرت نخوته ، وكانت والدة الزبير صفية[2] بنت عبد المطلب وكان علي عليه السلام ابن خال الزبير فما عدا مما بدا أي ما الذي منعك مما قد بدا منك من البيعة ؛ من قبل أو ما الذي عاقك ، وشغلك مما كان بدالك من نصرتي[3] .

* * *

١ ـــ بين الهلالين في ض .

٢ ـــ صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وام الزبير بن العوام وشقيقة حمزة اسلمت وهاجرت ، وهي التي قتلت رجلا من المشركين في غزوة الخندق في قصة مشهورة مع حسان بن ثابت المذكورة في كتب السيرة وتراجم الصحابة : توفيت سنة ٢٠ ودفن بالبقيع .

٣ ـــ في ض هنا خلط واسقاط .

٣١ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّا قَدْ أَصْبَحنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ شديد[1] يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ عُتُوّاً، لاَ نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلاَ نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلاَ نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تُحِلَّ بِنَا فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مُنْهُمْ مَنْ لاَ يَمْنَعُهُمُ الْفَسَادَ (في الارض)[2] إلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ، وَكَلاَلَةُ حَدِّهِ، وَنَضِيضُ وَفْرِهِ؛ وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ، لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ. وَلَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَلاَ يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا: قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سَتْرَ اللهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ اقْعَدَهُ[3] عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ. فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى

---

١ ــ في ض و ب : وزمن كنود .

٢ ــ ساقطة من ب .

٣ ــ في ح و ب : من أبعده .

بِاسْمِ ٱلْقَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ ٱلزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذٰلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلاَ مَغْدًى. وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ ٱلْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ ٱلْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ؛ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَثَكْلاَنَ مُوجَعٍ. قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ ٱلتَّقِيَّةُ، وَشَمَلَتْهُمُ ٱلذِّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ[1] ضَامِزَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، وَقَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقُهِروا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا. فَلْتَكُنِ ٱلدُّنْيَا[2] أَصْغَرُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُثَالَةِ ٱلْقَرَظِ وَقُرَاضَةِ ٱلْجَلَمِ، وَٱتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَٱرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً؛ فَإِنَّهَا رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

قال الشريف: أقول: هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية، وهي من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه، وأين الذهب من الرغام، والعذب من الأجاج؟ وقد دل على ذلك الدليل الخرّيت، ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ؛ فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين، وذكر من نسبها إلى معاوية، ثم قال: هي بكلام علي عليه السلام أشبه وبمذهبه في تصنيف الناس، وبالإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف ـ أليقُ قال: ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ومذاهب العباد؟؟!!

١ـ في حاشية م: **افواههم** غامرة في ك وش: ضامرة بالراء المهملة.

٢ـ في ض وح: فلتكن الدنيا في اعينكم اصغر.

الشرح

قوله عليه السلام أيها الناس إنا قد أصبحنا في دهر عنود الى آخره.

ع ــ نضيض وفره: أي قلة مالة والنضيض: الماء القليل، وقيل النضيض: الرابح الحاضر.

أشرط نفسه لكذا أي أعدها له وسمي الشرط شرطا لأنهم جعلوا لأنفسهم عدة، وعلامة يعرفون بها، ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمنا لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة[١] فمن باعها بالدنيا فهو مغبون، يطلب الدنيا بعمل الآخرة من العلم والعبادات الظاهرة.

طامن واطمان: بمعنى ووزن طامن فعلل واطمان مقلوب عنه ووزنه افعلل هذا قول سيبويه[٢] وقال الحرمي: طأمن على وزن فعلل، واطمان افعلل على الظاهر، وهذا ضعيف لأن المتجرد من الزيادة أولى أن يكون أصلا.

واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية.

في كتاب المضاف والمنسوب[٣]: ستر الله الاسلام والشيب والكعبة وضمائر صدور الناس، يعني جعل ظاهر الاسلام[٤] وما يجنه. صدره بحيث

---

١ ــ التوبة: ١١١.

٢ ــ ابو الحسن عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البيضاوي البصري المشهور بسيبوية، كلامه وكتابه معروف في الافاق قال السيد بحر العلوم ان المتقدمين والمتأخرين وجميع الناس في النحو عيال عليه، اخذ عن الخليل ويونس، ورد بغداد وناظر مع الكسائي توفي بشيراز سنة ١٨٠ وقبره مشهور.

٣ ــ المضاف والمنسوب للثعالبي النيسابوري.

٤ ــ في ض: جعل ظاهر اسلامه في الجنة.

لا يطلع عليه مخلوق وسيلة وطريقا الى معصية الله.

ضئوولة نفسه: أي ضعفها (والضؤلة النحافة والهزال[١]) وانقطاع سببه: ماله وعونه، قصرته: حبسته.

وليس من ذلك في مراح ولا مغدى:

بفتح الميم أي موضع يروح فيه ويغدو أي لاحظ له فيه ناد: أي نافر، فهم في بحر أجاج: أي لا يلتذون بالدنيا كما لا يلتذ الصدف الذي هو ساكن البحر الأجاج بمائه ضامرة: أي ساترة خفية، من الضمير، ويروى ضامزة بالزاء أي مشدودة بالسكوت.

وقهروا حتى ذلوا: أي لا ينتقمون، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، وحثالة كل شيء: رديه والقرظ: نبات يدبغ به الأديم وحثالته ما يسقط منه والجلم: جلمة الجزور لحمها وجملة الشاة مسلوختها (بلا حشو ولا قوائم[٢]) والجلم واحد الجلمين وكلامه عليه السلام يحتمل جميع ذلك.

والقراضة: ما سقط بالقرض وأرفضوها دميمة[٣]: غير معجمة من دممت الثوب أي طلبته أي صبغ كان يعني اتركوها على طريقة مرت من النعمة والبؤس الخريت: الدليل الهادي العظيم.

ج ــ دهر عنود: هو المائل عن الحق وصف الدهر به على طريقة نهاره صائم وليله قائم، أي عنود أهله والقارعة: الداهية التي تقرع وأوبق اهلك والحطام[٤]: مال الدنيا وانتهر: اختلس.

والمقنب: الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين، ويفزعه

---

١ ــ بين الملالين في ض.

٢ ــ ساقط في ض.

٣ ــ في ض هنا زيادة وهي: ذميمة بالذال المعجمة ظاهر وقال صاحب المعارج دميمة غير معجمة الخ.

٤ ــ في ض: الحطام عرض الدنيا فعال من حطم أي كسر.

يعلوه وطأ من خفض وشمر قصر، وزخرف أي زين وموّه وزور أصل الزخرف الذهب شبه به ما ذكرناه الضؤلة النحافة، والهزال.

تحلّى وباسم القناعة: اتخذها حلية وليس من ذلك في مراح ولا مغدي: أي لا يكون عليه أثر الزهد في وقت الرواح ولا في وقت الغدو أي أبدا كقوله تعالى، ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أي دائما، وقيل المغدى والمراح كناية عن حالة الصبا والشيب مقموع: أي مقهور والمكعوم: الذي شد فوه يعني الممنوع من الكلام.

والضامزة بالزاء الساكنة قال[١] وسبب نسبة بعض الناس هذه الخطبة وأمثالها من كلامه عليه السلام إلى معاوية أنه كان يبعث بعض أصحابه الشاميين إلى الكوفة لتحفظ خطبة يخطبها علي عليه السلام يوم جمعة فيخطب هو بها في جمعة أخرى فالالتباس من هاهنا وقع قلت: ولي في هذا نظر[٢].

* * *

١ ــ في ض: قال صاحب المنهاج.
٢ ــ في شرح هذه الخطبة في ض خط وحذف.

٣٢ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

عند خروجه لقتال أهل البصرة

قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت: لا قيمة لها. فقال عليه السلام: والله لهي أحب إلى من إمْرَتِكُمْ إلا أن أقيم حقا، أو أدفع باطلا، ثم خرج فخطب الناس فقال:ـ

إنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَٱطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ أَمَا وَٱللهِ إنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ[١] بِحَذَافِيرِهَا: مَا عَجَزْتُ وَلاَ جَبُنْتُ[٢] وَإنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا فَلأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ[٣] حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ مَالِي وَلِقُرَيْشٍ! وَٱللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وَإنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ؛ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ[٤]!

---

١ ــ في ض وح وف ون حتى ولت وفي ر: حتى توليت.

٢ ــ في ض وح وع: ما ضعفت ولا جبنت.

٣ ــ في ض وش: فلا بقرن الباطل وفي ر: وروى: لا ثقبن.

٤ ــ في ح: هنا زيادة وهي والله ما تنقم منا قريش الا ان الله اختارنا عليهم فادخلناهم في حيزنا فكانوا كما

←

الشرح

ومن خطبة له عليه السلام بذي قار.

ع ــ هو منزل فيه بئر يقال لمائه : ذو قار لأنه أسود شبه القير وكانت فيه محاربة مع[1] بني شيبان بسبب ودايع النعمان بن المنذر ملك العرب وبين أياس بن قبيصة نايب كسرىٰ أبرويز، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين انهزمت الفرس وغلب العرب هذا أول يوم فيه انتصف العرب من العجم وباسمى نصروا[2].

قوله : ليس أحد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة .

كان أكثر العرب لا دين لهم إلا أنهم كانوا يتمسكون بأشياء بعضها شرايع إسمعيل ، وبعضها رسوم لهم حذافير الشيء : أعاليه ونواحيه ، يقال أعطام الدنيا بحذافيرها أي بأسرها ، ألواحد حذفار.

ج ــ إن كنت لفي ساقَتِها : إن مخففة من الثقيلة أي أن الأمر والشأن ساقتها الضمير للحرب ويجوز أن يكون للنبوة والبعثة التي يدل عليها .

قوله : أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله أو ضمير الدعوة النبوة وان لم يجرلها ذكر وساقة الجيش : مؤخره جمع سائق ، وولت أدبَرْت ، وروي تولت أي أعرضت لأنقبن : روي بالنون والثاء وهما بمعنى .

قال الاول :

ادمت لعمري شريك المحض صابحا ... واكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن ... عليا وخطنا حولك الجرد والسمرا

١ ــ في ض : بين بني شيبان .

٢ ــ في ض : من المعجم وباسمى نصروا .

٣٣ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلَامْ

في استنفار الناس إلى أهل الشام

أُفٍّ لكُمْ، لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ!! أرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ عِوَضاً؟ وَبِالذُّلِّ مِنَ ٱلْعِزِّ خَلَفاً؟ إذَا دَعَوْتُكُمْ إلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، وَمِنَ ٱلذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ. فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونَ، مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ ٱللَّيَالِي، مَا أَنْتُمْ[1] بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلاَ زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إلَيْكُمْ مَا أَنْتُمْ إلاَّ كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ ٱنْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ، لَبِئْسَ- لَعَمْرُ ٱللهِ- سَعْرُ نَارِ ٱلْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَلاَ تَكِيدُونَ، وَتَنْتَقِصُ[2] أطْرَافُكُمْ فَلاَ تَمْتَعِضُونَ لاَ يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غُلِبَ وَٱللهِ ٱلْمُتَخَاذِلُونَ، وَٱيْمُ ٱللهِ إنِّي لأَظُنُّ بِكُمْ، أَنْ لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَى وَٱسْتَحَرَّ ٱلْمَوْتُ قَد ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ ٱلرَّأْسِ[3]. وَٱللهِ إنَّ ٱمْرَءاً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ،

١ ــ في ض وح: وما انتم.

٢ ــ في ب وش: وتنقص وفي ع: وينتقض اطرافكم.

٣ ــ في م: انفراج الرأس من الجسد.

وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ؛ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ فَأَمَّا أَنَا فَوَ ٱللهِ[١] دُونَ أَنْ أُعْطِي[٢] ذاك ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ ٱلْهَامِ، وَتَطِيحُ ٱلسَّوَاعِدُ وَٱلْأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ ٱللهُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حقاً، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ: فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ[٣] فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلاَ تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعَلَّمُوا، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ.

١ــ في ف : فاما انا والله .

٢ــ في ض وح وب : ذلك وفي ب : فذاك ضرب .

٣ــ في م : فاما حقكم فالنصيحة لكم .

الشرح

قوله عليه السلام اف لكم أي قذرا لكم (وتضجرا منكم[١]) جواري أي جوابي والالس: اختلاط العقل، وقد ألس الرجل فهو مألوس أي مجنون سجيس الليالي: أي أبدا.

ع_ والزافرة: أعوان الرجل والجمع الزوافر، لا تمتعضون: أي لا تغضبون حمس الوغى: اشتد الحرب استحر: اشتد انفراج الرأس مثل.

قال ابن دريد[٢]: معناه أن الرأس اذا انفرج عن البدن لا يعود إليه ولا يقوم عضو آخر مقامه، وصار البدن جيفة لا يتهيأ لأمرٍ ما، ولا يكون بعد اتصال، أي انفرجتم انفراجا لا إتصال بعده، وقال[٣] المفضل: الرأس اسم رجل ينسب إليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت الرأس وفيها يباع الخمور قال حسان[٤]:

١_ بين الهلالين في ض.

٢_ ابو بكر محمد بن الحسين بن دريد مصغرا الأزدي القحطاني البصري الامامي عالم اديب فاضل، شاعر نحوي لغوي، اخذ عن الرياشي وابي حاتم السجستاني وغيرهما وكان اسع الرواية لم ير أحفظ منه، وقام مقام الخليل بن احمد واورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين توفي سنة ٣٢١.

٣_ المفضل مشترك بين عدة من اهل الادب واللغة والظاهر انه مفضل بن محمد المعري ابو المحاسن القاضي الاديب النحوي ويمكن ان يكون المقصود المفضل بن محمد الراغب الاصفهاني صاحب المصنفات في اوائل المائة الخامسة.

٤_ حسان بن ثابت الانصاري الخزرجي شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان رسول الله ينصب له منبرا في المسجد يفاخر عن رسول الله، ويقول الرسول: ان الله يؤيد حسان بن ثابت بروح القدس ما نافح عن رسول الله، اخباره كثيرة ومات سنة ٥٠.

كان سبيئة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء

هذا الرجل قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد وخلى قومه وقيل: الرأس القوم[١] الأعزاء والرجل العزيز قال عمروبن[٢] كلثوم.

يرأس من بني جشم بن بكر.

فعلى هذا يكون معناه انفرجتم عني انفراج الاعزاء الذين لا يبالون بمفارقة أحد، وأول من قال ذلك اكثم بن[٣] صيفي في وصية له: يا بني لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس فانكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ.

تطير منه فراش الهام: قال الجوهري: فراش الهام عظام رقاق يلي القحف[٤] زعم العرب أن القتيل الذي لا يدرك بثاره، يصير هامة فتزقوأ وتقول اسقوني اسقوني.

يُعبّر عن ذلك[٦] بفراش الهائم والفراش ما يطاير[٧] في السراج، وقال قوم: آلة العقل. الدماغ وفيها من القوى الحس المشترك، والخيال والوهم والمفكرة والحافظة، وغيرها، ويعبر عن تلك القوى بالفراش.

طاح الشيء يطوح ويطيح: هلك وسقط يرتج: يغلق والعمه: التحير والتردد أي لا يفهمون كلامي، ولا يسمعون اليه.

ما أنتم بركن: أي لستم بيد واحدة على من سواكم، وقيل: تقريره ما

---

١ ـــ في ض: الرأس الرجل العزيز.

٢ ـــ عمرو بن كلثوم من بني تغلب جاهلي قديم قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة في قصة ذكرها ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ومن اولاده كلثوم بن عمرو، كان كاتبا في الرسائل وشاعرا مجيدا ذكره ابن المعتز في طبقات الشعراء.

٣ ـــ اكثم بن صيفي احد حكام العرب مشهور.

٤ ـــ قحف الرأس هو الذي فوق الدماغ وقيل هو ما انفلق من جمجمته وانفصل.

٥ ـــ زقايزقوا: اذا صاح وكل صائح زاق.

٦ ـــ في ض: فعبر عن ذلك.

٧ ـــ في ض: يتطاير.

أنتم بذوي ركن بمكانكم[١] الى الجهاد ويمال بكم ركن عدو، وزوافر بالنصب عطف على موضع بركن، وبالجر على لفظه، والسعر مصدر سعرت النار والحرب هيجتها وصف بالمصدر وروي سعر وهو جمع سعير انفراج الرأس: أي انفراج عظائم الرأس وإنها اذا انفرجت وانشقت لا تلتئم وقيل يعني انفرجتم عني رأسا أي قطعا فلما أعاد ذكره صار معرفا.

قيل: معنى انفراج الرأس من ادنى رأسه الى غيره ثم انفرج رأسه عنه والوجه الأول عربي والعرق: اخذ ما على العظم من اللحم وأكله، والهشم الكسر، والفرى القطع على وجه الصلاح، والافراء على وجه الفساد، وقوله عليه السلام روي على اللغتين والمشرفية سيوف منسوبة الى مشارف قرى باليمن (وقال أبو عبيد: قرى من أرض العرب فذلك من الريف[٢]).

* * *

١ــ في ض: ما أنتم بركن اي بمعتمد عليه ويقيد بنصرته.

٢ــ الريف: كل ارض فيها زرع ونخل، وقيل: هوما قارب الماء من ارض العرب ومن غيرها وبين الهلالين ساقط في ض.

٣٤ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

بعد التحكيم

الْحَمْدُ لِلّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ، وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ[١] لَهُ) لَيْسَ مَعَهُ إِلهٌ غَيرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ[٢] الحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ[٣] مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ؛ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ[٤] الجفاة وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ :ــ

أَمَرْتُكُم أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى   فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الْغَدِ

---

١ ــ ساقطة من م وف ون ول وش.

٢ ــ في ض وب : تورث الحيرة.

٣ ــ في ش : ونحلت لكم وفي الهامش : ونخلت.

٤ ــ في ب : المخالفين الجناة.

الشرح

قوله عليه السلام الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح الى آخره.

ع: أي بالأمر الصعب[١] يعني أمر التحكيم، وفحوى الكلام أنا أحمد الله، ولا أغفل عن ذكره ولا أجزع مع أني مبتلى بشدة وكابة[٢] ومصايب.

لو كان يطاع لقصير أمر: مثل قديم للعرب ومن قصته أن جذيمة الأبرش ملك العرب خطب الزبا وهي ملكة الجزيرة[٣] فأمرته الزبا بالقدوم عليها فزين نصحاء جذيمة له ذلك الأمر، وتابعوه. فخرج جُذيمة في ألف فارس وخلف ساير جنوده مع ابن اخته عمروبن عديّ وكان لجذيمة مولى يقال قصيربن سعد اللخمي وكان مخالفا لرأي جذيمة في الاقدام على الزبا.

فلما وصل جذيمة الملك إلى منزل قريب إلى الجزيرة، استقبلته جنود الزبا مع الأسلحة والعدة، وما ترجلوا لجذيمة وما عظموه فقال: قصير لجذيمة انصرف فانها امرأة، ومن عادة النساء الغدر والمكر، فما قبل جذيمة قوله، فقال قصير: لا يطاع لقصير أمر فصار مثلا وأخذت الزبا جُذيمة وقتلتهُ يضرب المثل فيمن رأيه صائب ولكن لا يقبل قوله.

---

١ ــ في ض: عني بالامر الصعب امر التحكيم.

٢ ــ الكآبة: تغير النفس بالانكسار من شدة الحزن والهم.

٣ ــ جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل ولها رُستاق مخصب واسع الخيرات وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة الا من ناحية واحدة شبه الهلال، ثم عمل هناك خندق اجري فيه الماء ونصبت عليه رحى فاحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق.

وضن الزند بقدحه: استعارة عمن يبخل بفوائده اذا لم يجد لها قابلا عارفا بحقها ويروى ظن بالظاء أي أتهم وأما الشعر، فلدريدبن الصمة غزاأخوهُ عبد اللهبن الصمة بني بكربن هوازن غطفان فلم يصده عن وجهه شيء حتى غنم وساق الابل، فلما كان بمنعرج اللوى أقام وقال: والله لا ارجع حتى أنتفع[١] وأجيل السهام.

فقال له دريد أخوه وكان معه: لا تفعل[٢] فان القوم في طلبك فابى ولجّ وأقام ونحر النقيعة[٣] وقد أقعد له رجلا ربيئاً، فقال عبد الله لربيئة[٤]: انظر ما ترى فقال أرى خيلا عليها رجال كانهم صبيان، رماحهم بين آذان خيولهم، فقال: هذه فزارة فالتقى القوم، وكان دريد نهاه أن يقيم.

قال إن القوم سيطلبونك ويتبعونك، ولن يفوتك النقيعة، فطعن عبد اللهبن الصمة فاستغاث بأخيه فاقبل عليه أخوه دريد فنهنه[٥] عنه القوم حتى طعن دريد، وصرع وقتل عبد الله، ولما كان آخر النهار مرّ بدريد النهرمان العبسيان، فعرفه أحدهما فطعنه قال دريد: وقد أصابتني جراحة فاحتقن[٦] الدم فلما طعنني ذهرم خرج الدم واسترحت.

فاذا جن الليل مشيت وأنا ضعيف قد نزف الدم[٧] فوقعت بين عرقوبي جمل الظعينة[٨] فنفر الجمل فعرفتني الظعينة، وأعلمت الحي بمكاني فغسل

١ ــ اجل اجلا: تاخر فهو نقيض العاجل واجل لاهله اجلا: كسب وجمع وجلب واحتال.

٢ ــ في ض: لا تغفل.

٣ ــ النقيعة: طعام يصنع للقادم من السفر، وكل جزور جزرت للضيافة.

٤ ــ الربيئة: العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلايدهمهم عدوولايكون الا على جبل أو شرف ينظر منه ويربأ أهله: أي يحفظهم من عدوهم.

٥ ــ نهنه: منع وكف.

٦ ــ احتقن الدم: اجتمع في الجوف من طعنة جائفة.

٧ ــ في ض: نزفتي الدم.

٨ ــ الظعينة: الراحلة التي يرحل ويظعن عليها اي يسار، والظعينة، الهودج او المرأة في الهودج.

عني الدم وزودت[١] سقاء وزاداء فنجوت وكانت الظعينة في سيارة من هوازن، فقال دريد في ذلك :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

أي لم يجدوا في أبيات بعده ويقال في المثل أعصي من أبي ذفافة[٢] وهو عبد اللهبن الصمة فشبه أميرالمؤمنين عليه السلام نصيحته بنصيحة دريد وغفلة قومه وعصيانهم بغفلة عبد اللهبن الصمة وعصيانه، وانما قال عليه السلام : أخو هوازن لأن دريدبن الصمة من بني جشم بن معاوية بن بكربن هوازن .

قال الله تعالى : واذكر أخا عاد، وهو كان بالنسبة إلى عاد كما كان دريد بالنسبة الى هوازن، يقال : فلان أخو فلان أي منسوب إليه .

ج ــ الخطب الفادح : الأمر العظيم الثقيل، يقال : فدحني الأمر أي ثقلني .

نخلت لكم مخزون رأي أي أخلصته، وقصير ابن عم جذيمة الأبرش[٣] الذي قتل أبا الزبا الملكة، ثم بعثت الى الابرش راغبة إليه أن يتزوج بها ويجيء إلى ولايتها يبني هناك بها. فأشار إليه قصير أن لا تجعل الموتورة[٤] من لباسه[٥] فابى إلا التزوج بها. فقال قصير: اذا استحضرها، ولا تخرج إلى بلدها فقال اخرج البتة .

---

١ ــ في الحديث فجعنا تزاودنا، اي ما تزودناه في سفرنا من طعام، والزاد ما يحمل المسافر في سفره من طعام وغيره مما يحتاج اليه .

٢ ــ في ض : اعصى من ابى دقاقة .

٣ ــ في ض جذيمة بن الابرش ملك العرب .

٤ ــ الموتورة : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، الوتر: الجناية التي يجينها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي وفي الحديث : انا الموتور الثائر اي صاحب الوتر الطالب بالثار.

٥ ــ في ض : الموتورة من لباسك .

فقال قصير: إذا دخلتها فان رأيت عسكرها واقفين في سماطين[١] فلا تدخل فيما بينهما فابى قبول نصيحته، فخرج إليها فاهلكته، أي لو أطيع رأي من جملة آراء قصير لنفع.

فضرب أميرالمؤمنين عليه السلام هذا المثل لأصحابه الذين كلفوه ترك حرب معاوية بصفين واستدعاء الاشتر حال مقاتلته مع الشاميين، وقد أحس معاوية بظفر علي عليه السلام فامر برفع المصاحف على الاسنة، فقال أميرالمؤمنين اصطبروا ساعة فقال أصحابه: إن لم تدعُ مالكا نقاتلك ثم كلفوه الحكمين فابى علي عليه السلام.

فقالوا، لابد فقال: أبعث عبد الله بن العباس، فقالوا: لا فانه ابن عمك تبعث أبا موسى الأشعري[٢] ومعاوية يبعث عمروبن العاص إلى الكوفة لابد من هذا، فقال أميرالمؤمنين لا أجعله حكما إنما أجعل القرآن حكما بيني وبينه فابوا عليه إباء المخالفين وأراد بالناصح نفسه أي ما استصويت أن أنصحهم بعد عصيانهم وإتهامهم إياي.

* * *

١ـ السماط: الجماعة من الناس والنخل، والمراد هنا الجماعة الذين كانوا جلوسا عن جانبيه.

٢ـ عبد الله بن قيس ابو موسى الاشعري كان واليا على البصرة في ايام عمرو عثمان وكان عامل امير المؤمنين علي على الكوفة، وكان يخذل اهل الكوفة عن حرب الجمل ويأمرهم بوضع السلاح والكف، عن القتال، فاعتزل عن الكوفة، وكان رجلا مغفلا وقصته في امر الحكمين مع عمرو بن العاص مشهورة.

٣٥ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاْمْ

(في تخويف أهل النهروان)

فَأنَا نَذِيرُكُمْ أنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأثْنَاءِ هٰذَا النَّهْرِ، وَبِأهْضَامِ هٰذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ وَٱحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رأيِي إلَى هَوَاكُمْ، وَأنْتُمْ مَعَاشِرُ أخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الأحْلاَمِ وَلَمْ آتِ ـ لاَ أبَالَكُمْ ـ بُجْراً[1]، وَلاَ أرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا.

أقول: الخطاب للخوارج الّذين قتلهم عليه السلام بالنهروان، وقد كان القضاء الالهيّ.

١ ــ في ن وع: لا ابالكم عر اوفي ر: روى غرا ويروي نكرا وهجرا.

الشرح

قوله عليه السلام: وأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى إلى آخره.

ع— أي باصباحكم، وأن مع الفعل المستقبل في تقدير المصدر والأهضام. بطون الأودية، وهي ما انخفض عنها واحدها هضم والغائط: المطمئن من الأرض على غير بينة أي على التقليد.

صرفت رأيي إلى هواكم: سمى ما عنده رأيا لأنه صادر عن الدين والعقل، وما عندهم هوى لأنه نتيجة الشهوة والجهل، طوحت: أي رمت وبعدت احتبلكم: صادكم بالحبالة.

أخفاء الهام: يقال في الكنايات: فلان خفيف الهامة[1]، اذا كان نزقا طياشا[2]، وسفهاء الأحلام: السفه ضد الحلم والعرب يضيف الشيء إلى ضده اثباتا للمضاف ونفيا للمضاف إليه، والسفه القلة والحقارة.

يقال: تسفهت الشئ استحقرته لا أبالكم: قيل هذه الكلمة تعريض للمخاطب بأنه من سفاح لا نكاح (قلت[3])، الأولى أن يكون قولهم: لا أبالك على طريق الدعاء أي لا يكن لك أب يربيك ويظهر نسبك: ويدفع

١ ـــ الهامة: رأس كل شيء وقيل ما بين حرفي الرأس وقيل وسط الرأس ومعظمه من كل شيء، وقال ابوزيد اعلى الرأس وفيه الناصية والقصة وهما ما اقبل من الجبهة من شعر الرأس وفيه المفرق وهوفرق الرأس بين الجنبين الى الدائرة.

٢ ـــ نزق الرجل: نشط وخف عند الغضب وطاش: ذهب عقله.

٣ ـــ فاقد في ض.

عنك عارا وشنارا ، ويورثك شرفا وافتخارا وحق القرابة أن لا يثبت إلا في حال الاضافة إلا أنهم جعلوا اللام الظاهرة لفظا في حكم اللام المقدرة معنى في أحد نوعي الاضافة الحقيقية ، وقد يقال لا أباك ولا أب لك .

البجر: الأمر العظيم والشر، ويروي نكرا وهجرا وعرى أي عيبا وصرفت رأيي : الى هواكم أي كنت رأيت في الابتداء قتالهم بشرط موافقتكم ، فلما أبيتم إلا الحكومة تغير عزمي ، ولا عجب أن يفعل العاقل في كل وقت ما يقتضيه الوقت كما قيل : البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها ، ولا أردت بكم ضرا لأن مرادي في الدنيا ظفركم وفي العقبى نيلكم درجة الشهادة وفوزكم .

ج ـ نذير: أي منذر ومخوف وثني الوادي : منعطفه[١] ، وأبيتم : منعتم والمنابذ : النابذ[٢] ، للعهد ولم آت بجرا : أي لم افعل عجبا ، وروي هجرا أي كلاما قبيحا ، وروي عرا وهو قرحة تخرج في مشافر[٣] الابل فتكوى لئلا تعدي (يعني عيبا) .

* * *

١ ـ منعطف الوادي : منحناه ومنعرجه .

٢ ـ نبذت الشيء : اذا رميته وابعدته ونبذ خاتمه : اي القأ من يده .

٣ ـ الشفر بالضم وقد يفتح : حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر .

٣٦ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهُ السَّلامْ

يجري مجرى الخطبة

فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ[1] تَقَبَّعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَمَنَّعوا وَمَضَيْتُ بِنُورِ ٱللهِ حِينَ وَقَفُوا. وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوتاً، وَأَعْلاَهُمْ فَوتاً فَطِرْتُ[2] بِعِنَانِهَا، وَٱسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لاَ تُحَرِّكُهُ ٱلْقَوَاصِفُ، وَلاَ تُزِيلُهُ ٱلْعَوَاصِفُ: لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ، ٱلذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ لَهُ، وَٱلْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ ٱللهِ قَضَاءَهُ[3]، وَسَلَّمْنَا لِلّٰهِ أَمْرَهُ، أَتُرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ وَٱللهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا ٱلْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

---

١ ــ في ش : وتلطفت حين وفي ن ول وف : حين تعتعوا.

٢ ــ في ك ور : فطرت لعنانها وروى فظفرت بعنانها.

٣ ــ في ش : قضاه.

الشرح

قوله عليه السلام : فقمت بالأمر حين فشلوا الى آخره .

ع ـ تقبع : أي ردد[١] ، وقيل عجز عن الكلام .

طاعتي سبقت بيعتي : أي طاعتي لله ولرسوله .

قال الوبري : أي طاعتي للخلفاء قبلي سبقت بيعتي وقيل : طاعتي لرعيتي بسبب رعاية حقوقهم ، وما يجب عليَّ وإذا الميثاق في عنقي لغيري : قيل يعني ميثاق الله ، حيث قال : واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب[٢] ، وتقدم معنى الميثاق ، وقيل : الميثاق العهد والأمر ، أي صرت تحت أمر غيري قبل .

ج ـ تطلقت : أي كنت طليق اللسان حين تقبعوا : أي ترددوا في الكلام من حصر[٣] ، وعي يقال تقبعت الرجل أي أقلقته[٤] وروي تعتعوا وهو مطاوع تقبع[٥] ، وروي تطلعت أي اطلعت على باطن الأمر والفوت : السبق أي فت القوم فوتا عاليا مع انخفاض صوتي بعنانها : الضمير للحرب .

واستبددت برهانها : أي انفردت بالمراهنة عليها لما جعل للحرب عنانا

---

١ ـ في ض : تردد .

٢ ـ آل عمران : ١٨٧ .

٣ ـ حصره : اذا حبسه ، والحصر هنا بمعنى الضيق والعي : الجهل ، والعجز وفي حيث الهدى فاز حفت عليه بالطريق فعي بشأنها : أي عجز عنها اشكل عليه امرها .

٤ ـ القلق : الانزعاج وقلق الشيء : حركة وقلق : اضطرب .

٥ ـ تعته : اقلقه وازعجه وفي ض : روى يتعتعوا .

استعارة جعلها من كونه يراهن عليها ، وروي لعنانها : أي سارعت إلى الحرب لأخذ عنانها وروي فظفرت بعنانها ، وقيل الضمير لفرسه الذي كان يحارب عليه .

القواصف : الرياح الشديدة في البحر، والعواصف : في البر، والمهمز: العيب ، والمغمز: المطعن أتراني : بضم التاء أي تظنني .

فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي : لأنه كانت[1]، طاعته واجبة عليهم مذ يوم[2]، الغدير، وصارت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أوجب وبيعتهم له كان بعد قتل عثمان .

وإذا الميثاق في عنقي لغيري .

أي بيعة غيري في عنقي ، يعني ما أكره عليه من البيعة والميثاق : العهد .

ش ـ وكنت أخفضهم صوتا وأعلاهم فوتا :

يحتمل أن يريد بذلك أني كنت أغضى[3]، على ذهاب حظي[4]، وحقوقي الواجبة ، ولا أظهر النزاع والخصومة ، في ذلك وان كان ما فاتني منه أعظم وأرفع مما فات غيري[5].

قوله فاذا طاعتي سبقت بيعتي :

فانه عليه السلام لما نبه في صدر هذا الكلام على فضله وسابقته ،

---

١ ـ في ض : لان طاعته كانت واجبة .

٢ ـ يوم الغدير من الايام المعروفة ، ذلك اليوم الذي نصب رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام اماما للمسلمين وخليفة عليهم وقال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .

٣ ـ اغضى على الامر : سكت وصبر ويقال : اغضى على القذى : اذا صبر وامسك عنه عفوا .

٤ ـ في ض : وضياع حقي .

٥ ـ في ض : فات غيري لرعاية المصالح والتوقي من المفاسد .

وتبريزه[1]، على من سواه وأن ذلك يوجب على الجميع طاعته، والانقياد لأمره قال: فاذا الأمر بالعكس من ذلك فكأنه قال: فاذا طاعتي لغيري سبقت بيعتهم إلى أني صرت أطيع من كان يلزمه أن يبايعني واذا عقد بيعتهم في عنقي اذ حملوني على ذلك وكان يلزمهم مبايعتي.

* * *

١ ــ برز الرجل في العلم: فاق اصحابه و برز برازة فاق فضلا او شجاعة.

٣٧ــ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامْ

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ ٱلشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ ٱلْحَقَّ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ ٱللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ ٱلْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ ٱللهِ فَدُعَاؤُهُمْ[1] ٱلضَّلاَلُ، وَدَلِيلُهُمُ ٱلْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ ٱلْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلاَ يُعْطَي ٱلْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

الشرح

قوله عليه السلام وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق :

عـ الشبهة : ما يشبه الحق من وجه والباطل من وجه، آخر.

فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين :

العالم بالحق إذا وردت عليه شبهة يصرفه علمه بالحق عن حسن ظنه بالشبهة، فيقف عندها ولا يعتقد فيها الحق، فان كان من أهل الجملة كفاه ذلك، وان لم يعلم حلها، وإن كان من أهل التفضيل، فانه يهتدي الى حلها عن قريب بشكه فيها، وأول مراتب العلم الشك وأما اتصال المبطل فجهله بالحق يدعوه الى حسن الظن بالشبهة.

فأول ما يتخيل له الشبهة يعتقدها دلالة وحقا، ويزداد بعدا عن الحق

---

١ ــ في ض وح وب : فدعاؤهم فيها الضلال.

كلما ازداد نظرا في الشبهة، لجهله في ابتداء الحق، وقيل معنى ضياؤهم فيها اليقين: أنه يعن لأولياء الله خلسات[١] لذيذة من اطلاع نور اليقين، عليهم لأنها بروق تتفق[٢].

فما ينجو من الموت من خافه.

ليست الأمور تجري على مقتضى شهوة الانسان ونفاره[٣]، والموت نازل لابدَّ له منه والعاقل لا يخاف أمرا لابد من نزوله به، والبقاء في الدنيا مستحيل، والعاقل لا يعتقد المحال ممكنا.

ج ـ السمت: الطريقة الحسنة، ولما وعظ عليه السلام في أول الكلام عقبه بذكر الموت كأنه قال بادروا الموت فانه لا ينجو منه من خافه[٤]).

* * *

١ ـ الخلسة من مصطلحات العرفاء وهي حالة بين النوم واليقظة، التي توجد بعد الاوراد والاذكار للعرفاء السالكين وفي هذه الحالة ينقطع الذاكر عن الدنيا ومشاغلها، والخلسة في اللغة: الفرصة المناسبة وفي ض جلسات.

٢ ـ في ض: كانها بروق تصبب السمت الطريقة الحسنة.

٣ ـ تنافر الرجلان: اذا تفاخرا، ثم حكما بينهما واحدا، المنافرة: المحاكمة والمفاخرة.

٤ ـ بين الهلالين ساقط في ض.

٣٨ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

مُنِيتُ بِمَنْ لاَ يُطِيعُ إذَا أَمَرْتُ، وَلاَ يُجِيبُ إذَا دَعَوْتُ، لاَ أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاَ حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً، فَلاَ تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً، وَلاَ تُطِيعُونَ لِي أَمْراً، حَتَّى تَكَشَّفَ ٱلْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ ٱلْمَسَاءَةِ، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَأْرٌ، وَلاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ؛ دَعَوْتُكُمْ إلَى نَصْرِ إخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ ٱلْجَمَلِ ٱلْأَسَرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ ٱلنِّضْوِ ٱلْأَدْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ).

الشرح

قوله عليه السلام منيت بمن لا يطيع اذا أمرت الى آخره.

ع ـ تحمشكم: أي تغضبكم. وتحمشكم: أي تعرضكم تكشف الأمور عن عواقب المساءة: بلاغة فيها حكم الجرجرة: ما يردده البعير في حنجرته، قال الأغلب[1].

جرجر في حنجرة كالحب.

---

١ ـ الاغلب شعراء ورجاز ازدي وكلبي وعجلي فالكلبي اسمه بشر بن حرزم والازدي هو ابن نباته.

بعير جرجار، مثل ثرثر الرجل، فهو ثرثار[١]، والأسر: جمل بكر كرته[٢]: دبرة بين السرور قال الشاعر:

ان جنبي عن الفراش لناب * كتجافي الأسر فوق الظراب[٣].

قال ذلك الكلام حين دعا قومه إلى القتال، فلم يأت منهم إلا ثلة، متذائب: مختلف في القول والرأي يقال: تذاءبت الريح أي اختلف وجاءت مرة كذا و مرة كذا أخذ من فعل الذئب لأنه يأتي كذلك.

منيت: أي ابتليت، والمتغوث: الذي يقول: واغوثاه يقال غوث الرجل وتغوث، والجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته، والنضو: البعير المهزول، والأدبر: الذي به دبر.

* * *

---

١ ــ الثرثارون: هم الذين يكثرون الكلام تكلفا وخروجا عن الحق، والثرثرة: كثرة الكلام وترديده.

٢ ــ الكركرة بالكسر: زور البعير الذي اذا برك اصاب الارض وهي نائتة عن جسمه كالقرصة والدبر بالتحريك: الجرح الذي يكون في ظهر البعير.

٣ــ في ض هنا زيادة بعد الظراب وهي والظراب: الروابي الصغار جمع الضرب.

٣٩ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في الخوارج لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله؛ قال عليه السلام.

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا[1] باطِلُ!! نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ لِلهِ، وَلٰكِنْ هٰؤُلاَءِ يَقُولُونَ: لاَ إِمْرَةَ[2]، وَإِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ ٱللهُ فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحُ مِنْ فَاجِرٍ.

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال:

حُكْمَ ٱللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.

وقال:ــ أَمَّا الإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ؛ وَأَمَّا الإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ.

---

١ ــ في ض وب: كلمة حق يراد بها الباطل.

٢ ــ في ض وب: لا امرة الا لله.

الشرح

قوله عليه السلام لابد للناس من أمير بر أو فاجر.

قال الامام الوبري[١]، الأمير لا يحسن نصبه حتى يكون برا، وأما الفاجر فلا يحسن، فأما انتصابه بنفسه وتولية الأمور واستيلائه كله محظور، ولكن الناس في ولايته قد يكفون عن المظالم، وتعادى بعضهم لبعض، واستيلاء بعضهم على بعض، ففي ذلك سد لأبواب الفساد عن الرعية، وهذا كقول النبي صلى الله عليه وآله: إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بقوم لاخلاق لهم في الآخرة.

قال قوم: لا تمتع بالوجود للانسان الا عند المشاركة، فالواحد لا يكفي صنعة مأكولة ومشروبة وملبوسة بل يحتاج أن يعمل كلّ لكل يتكافون فيه، وذلك بتمدن واجتماع على أحد، واعطا[٢]، يفترض لأجله العدل الذي لا ينفك عن الاصطلاح والتواطؤ[٣]، فان كلا يرى ما له على غيره عدلا وما لغيره عليه غير عدل: بل يحتاج الى متميز عن الناس والاتباع كلهم بخواص يذعنون له بها.

فذلك معنى قول أميرالمؤمنين لابد للناس من أمير بر أو فاجر، وهذا من مقتضى طبيعة الانسان لا من طريق الدين والشرع، فان الدين لا يرضى إلا

---

١ ـــ في ض: قال الوبرى: لا يحسن نصبه.

٢ ـــ كذا في النسخ.

٣ ـــ المواطأة: الموافقة وحقيقته كان كلا منهما وطئ ما وطئه الآخر.

برا ، ثم إنه عليه السلام عد خصال السلطان فقال :

يبلغ الله فيها الأجل : ويروي الآجل ويجمع الفيئ ويذبّ عن الحوزة ، بقتال العدو ، ويأمن به السبل : فلا ينقطع أسباب المعاش بسبب التجارة ، ونقل الأطعمة من مكان إلى مكان ، ويأخذ حق الضعيف من القوى .

ج ــ الأمير البر : الحجة المعصوم ، من قبل الله تعالى ، وفي زمان الغيبة يؤيد الله هذا الدين بالرجل الفاجر ، وقوله : ويبلغ الله فيها الأجل : بيانه في الرواية الأخرى ، وهي إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته ، وتحكيم الخوارج المراد به هنا قولهم : لا حكم الا لله : وأول من قاله البرك بن عبد الله وبرك لقب له واسمه الحجاج ، وكان من رؤساء الخوارج .

* * *

٤٠ ــ وَمِنْ خُطْبَة لَه عَلَيْه السَّلامْ

إنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلاَ أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ. وَما يَغْدِرُ[١] مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ. وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ، اتَّخَذَ[٢] أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ؟ قَاتَلَهُمُ اللهُ! قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ[٣] بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ.

الشرح

قوله عليه السلام إن الوفاء توأم الصدق.

ع ــ الوفاء الصبر على انجاز[٤] ما وعده ما دام ذلك الانجاز مقرونا بتعب ومشقة، وينتفع بذلك جميع الناس، وانتفاع الملوك بذلك اكثر لأن من عرف بالوفاء صار مقبول القول، فلذلك قال عليه السلام الوفاء توأم الصدق.

الحول القلب: الداهي الذي يحتال في الأمور وتقلبها ظهر البطن لا حريجة: أي لا حرج.

* * *

١ ــ في ض: ولا يَغدُر.

٢ ــ في ض وب وح: في زمان قد اتخذ.

٣ ــ في م وش: فيدعها رأي العين.

٤ ــ انجز وعده: اذا احضره ونجز: اذا حصل وحضر.

٤١ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامْ

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ آثْنَانِ: آتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا آتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ. أَلاَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ[١] حَذَّاءَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ آصْطَبُهَا[٢] صابُّها، أَلاَ وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ[٣] وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابٌ، وَغَداً حِسَابٌ وَلاَ عَمَلٌ.

الشرح

قوله عليه السلام إن أخوف عليكم ما أخاف إثنان الى آخره.

ع ـ اتباع الهوى: يصد عن الحق، لأن من استولى عليه الهوى، لم يكن عقله مطاعا، فلا يقوده إلى الحق، وطول الأمل. يستغرق ظاهره وباطنه في الأمور الدنياوية، فيعرض وجهه عن أمور الآخرة، يقال قطاة[٤] حذا إذا خف

١ ـ في م ون: قد ولت جذاء بالجيم وفي ر: قد ولت حذاء و بخط الرضي على حاشية الاصل، الحذاء بالحاء.

٢ ـ في م: اصطبها صاحبها.

٣ ـ في م: فان لكل ولد.

٤ ـ القطاة: طائر في حجم الحمام يضرب بها المثل في الاهتداء فيقال: اهدى من القطاة.

ريش ذنبها ، ويمين حذّاءإذاحلف صاحبها بسرعة ويروي بالحاء والجيم ورحم جذاء لم توصل .

فقوله ولت جذاء : أي سريعة خفيفة ، لم توصل بعد ، ولكل منها بنون : ابن الشي ء صاحبه المهتدي لاسبابه يقال فلان ابن بحذة هذا الأمر وكل شي ء عرف بشي ء ونسبت اليه فيقال هو ابنه قال الكميت :

فنحن بنو الاسلام ندعى وننسب .

فان كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة : قيل إن كل ولد يدعى يوم القيامة ، منسوبا الى أمه فيدعي الكفار الفجار بأنهم أبناء الدنيا ، ويدعي المؤمنون بأنهم أبناء الآخرة ، وقيل الأم الأصل والمأوى كقوله تعالى : فأمه هاوية[١] أي مأواهُ، فقوله : سيلحق بأمه أي بمأواه ، وقيل الأم علم المفازة[٢] ، بل العلم الذي يتبعه الجيش ، أي كل ولد سيلحق بمن يقتدي بأعلامه ، وقيل : أم القوم رئيسهم أي كل امرىءٍ : سيلحق برئيسه .

اليوم عمل ولا حساب : أي اليوم تكليف بلا جزاء ، وغدا جزاء بلا تكليف : والحساب اليسير جزء من الثواب ، قال الله تعالى : فسوق يحاسب حسابا يسيرا[٣] .

ج ـــ (بخط الرضي على حاشية اصله الحذاء السريعة ومن الناس من يروي جذا بالجيم أي قد انقطع درها وخيرها[٤]) وعن الفراء يقال رحم جذاء وجذا إذا لم توصل بالجيم والحاء معا .

ش ـــ اصطبها : أصله أصتبها افتعل من الصب ، قلب التاء طاء لمجاورة الصاد .

---

١ ـــ القارعة : ٩ .

٢ ـــ المفازة : البرية القفر الجمع المفاوز سميت بذلك لانها مهلكة من فوز اذا مات ، وقيل : سميت تفاؤلا من الفوز: النجاة .

٣ ـــ الانشقاق : ٨ .

٤ ـــ بين الهلالين ساقط في ض .

٤٢ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وقد أشار عليه اصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية.

إنَّ ٱسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إغْلاَقٌ لِلشَّامِ، وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إنْ أَرَادُوهُ. وَلٰكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لاَ يُقِيمُ بَعْدَهُ إلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً. وَالرَّأْيُ مَعَ[1] الْأَنَاةِ فَأَرْوِدُوا، وَلاَ أَكْرَهُ لَكُمُ الْإعْدَادَ وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هٰذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ، وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرلِي إلَّا الْقِتَالَ[2] أَوِ الْكُفْرَ (بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله[3]) إنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً، وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالاً، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا.

---

١ ــ في ض وب ون : والرأي عندي مع الاناة.

٢ ــ في ن : فلم ار الا القتال وفي ح : فلم ارفيه الا القتال.

٣ ــ ساقطة من ب ول وش وفي ن : بما انزل على محمد وفي ع : بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وآله.

الشرح

قوله عليه السلام ان استعدادي لأهل الشام وجرير عندهم.

ع ــ بعث أميرالمؤمنين عليه السلام جريربن عبد الله[1] إلى الشام وكتب الى معاوية إنني قد عزلتك، ففوض الأمر إلى جرير والسلام، وقال للجرير: صن نفسك عن خداعه فان سلم اليك الأمر وتوجه تلقائي فأقم أنت بالشام وإن تعلل ومتى فارجع، فلما عرض جرير الكتاب على معاوية قال معاوية: حتى أشاور أهل الشام: وأفعل كذا وكذا وتعلل وأراد مخادعة جرير: فانصرف جرير عنه فكتب معاوية بعد انصراف جرير على ظهر كتاب عليّ من ولاك حتى تعزلني والسلام؛ وبعث الكتاب إلى علي عليه السلام.

قوله وأوجد الناس: أي أغضب.

فلم أر لي إلا القتال أو الكفر: قال الوبري يجوز أن يكون المراد بذلك أن النبي صلى الله عليه وآله أمرني بقتال هؤلاء وأضطررت الآن إلى ذلك. فان قاتلت فهو الواجب، وان لم أقاتل فأكون كالرادّ على رسول الله، وقيل: المراد بذلك أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر عن الغيب معجزة له فقال: إن عليا يقاتل القاسطين والناكثين؛ فلو لم يقاتل عليّ أو أراد ان لا يقاتل كان

١ ــ جرير بن عبد الله البجلي، اسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بأربعين يوما وكان حسن الصورة، وكان له في الحروب بالعراق والقادسية وغيرها اثر عظيم، وكانت بجيلة متفرقة فجمعهم عمر بن الخطاب وجعل عليهم جريرا: وكان جرير عام عثمان على همدان: ولما قتل عثمان واتى علي بن ابي طالب عليه السلام الكوفة فاستدعى جريرا وارسله الى معاوية، ثم رجع الى الكوفة وذهب الى قرقيساء وسكنها ومات بها.

حاشاه قاصدا مائلا إلى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله والقصد والميل الى تكذيب رسول الله كفر.

قيل: الكفر: جحود النعمة والخلافة عند قوم نعمة فأراد عليه السلام بالكفر تضييع شرائط الخلافة، وجحود نعمتها.

ج‍ـ جرير هو البجلي الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله خلوا بين جرير والجرير حين أراد جماعة أن يحدوا بناقة رسول الله[١]، لا تناقض بين قوله:

إن استعدادي بحرب أهل الشام إغلاق للشام، وبين قوله: لا أكره لكم الاعداد: لأن استعداده واعدادهم غيرّ ان والاعداد كسب شيء ووضعه عدّة فقط، والاستعداد تهيؤ شيء لأمر على الظاهر والاستعداد منسوب إليه عليه السلام والاعداد الى أصحابه، أرودوا: أي ارفقوا.

ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه:

أي تحققت في المعرفة به وذكر الأنف والعين مثل لأن المعترف من عادته أن يمعن في النظر الى الأنف والعينين، وهما من محاسن الوجه، عنى بالوالي عثمان، واوجد[٢]: غضب، ونقم عليه[٣]، عتب عليه السلام، ينقم ونقم ينقم لغة فيه، ونقمته كرهته.

(ش‍ـ اوجد الناس مقالا: يحتمل أن يريد أنه أوقع فيما بينهم اختلاف الكلمة وحملهم على أن يبسطوا فيه الألسنة وناولهم أزمة التشنيع بآثاره الشنيعة وحقيقته جعلهم واجدين فيه مجالا لتشنيع المقال[٤]).

١ ـ في ض: قبل ولا تناقض.

٢ ـ في ض هنا زيادة وهي: واوجد الناس اي غضب هكذا ذكر الشارحان وعندي ان معنى قوله عليه السلام اوجد الناس مقالا جعلهم واجدين مقالا فيه اي مكنهم من التعرض للاعتراض عليه باساءة الاثرة.

٣ ـ في ض: نقم عليه ينقم أي غضب.

٤ ـ بين الهلالين ساقط في ض.

٤٣ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أميرالمؤمنين عليه السلام وأعتقه، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام :ـ

قَبَّحَ ٱللهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ[١]، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ وَٱنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ[٢].

الشرح

(قول السيد في حديث مصقلة) خاس به : أي غدر وخاس بالعهد : اذا نكث.

ع ـ كان أميرالمؤمنين[٢]، عليه السلام وجه معقل بن قيس الرياحي الى المرتدين بسيف البحر[٣]، فقتل المقاتلة وسبي الذرية وأقبل فنزل أردشير

١ ـ في ب : فعل السادات.

٢ ـ في م وحاشية ف : بماله موفورة.

٣ـ بين الهلالين ساقط في ض.

٤ـ في ض : ومن حديث مصقلة ان امير المؤمنين عليه السلام الخ.

٥ـ السيف بالكسر خاصة ساحل البحر والجمع اسياف والسيف : ساحل الوادي او لكل ساحل سيف :

خره[١]، وبها مصقلة بن هبيرة، فصاح السبي امنن علينا فاشتراهم مصقلة بثلثمائة ألف وأعتقهم وأدى مائتي ألف، ثم هرب الى معاوية فذكر أميرالمؤمنين هذا الكلام وأنفذ العتق فقال مصقلة:

تركت نساء الحي بكربن وائل * وأعتقت سبيا من لؤي بن غالب:

وفارقت خير الناس بعد محمد * لمال قليل لا محالة ذاهب:

قتل معقلا هذا بعد ذلك المستورد الخارجي بعدأن ضربه معقل فمات منه.

ج ــ اشترى مصقلة بن هبيرة سبيا من بني ناجية بألف ألف درهم وهم النصارى وقد ارتدوا ولم يف ماله بذلك وطالبه أميرالمؤمنين عليه السلام به وكان عاملا من جهة أميرالمؤمنين على المدائن ثم على الأنبار.

فدخل مصقلة على أميرالمؤمنين وقال: ما ضرك لو كانت هذه التكرمة منك وان مالي لا يفئى بذلك وإن عثمان بن عفان كان يهب للأشعث بن قيس كل سنة من مال أذربيجان مائة الف درهم وأنا أشرف من الأشعث وأجود منه.

فقال أميرالمؤمنين: لا حظ لي في هذا المال والمال للمسلمين، فلا بدّ من أدائه، فقال مصقلة: أمهلني فأمهله أميرالمؤمنين عشرة أيام ففر إلى الشام فأمر أميرالمؤمنين بتخريب داره بالمدينة فبنى معاوية له دارا بدمشق وأكرمه وأنعم عليه.

فعل فعل السادة: يعني أعتق السبي قبح الله: أبعد وبالتشديد[٢] سمج.

* * *

والسيف الطويل ساحل طويل جدا كانه قطع بالسيف مسيرة مائة فرسخ وهو ساحل بحر البربرة مما يلي مقدشوه.

١ــ اردشير خره: بالفتح ثم السكون وفتح الدال وهو اسم مركب معناه بهاد اردشير واردشير ملك من ملوك الفرس وهي من اجل كور فارس واكثرها ممتد على البحر، شديدة الحر: كثيرة الثمار؛ قصبتها سيراف.

٢ــ كذا في النسخ، وفي ض: وقبح الله أبعد و بالتزيد سمج.

٤٤ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

الْحَمْدُ للهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلاَ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلاَ مُسْتَنْكَفٍ مِنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلاَءُ، وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضْرَةٌ[1]، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ، وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ، فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، وَلاَ تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلاَ تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلاَغِ.

١ ــ في ض : حلوة خضراء وفي ش : حلوة خضراء قد عجلت.

الشرح

قوله عليه السلام الحمد لله غير مقنوط من رحمته .

ع ــ لا تبرح منه : وروي لا تبرح بالضم والفتح والضم أولى يقال أبرح الرجل : إذا جاء بالبرح وهو العجب فهو مبرح ، قال الأعشى :

أقول لها جد الرحيل أبر * حت رياً وأبرحت جارا

أي اعجبت وبالغت مني أي قدر حلوة خضرة ، الحلاوة : طعم ملائم للذوق والخضرة : ملائم للنظر، يعني فيها تمتع من طريق الظاهر والباطن .

عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر.

اشارتان إلى معايب الدنيا .

ج ــ لا تبرح : أي لا تزول ، والجلاء : الخروج من الوطن والبلاغ والبلغة : ما يتبلغ به من العيش أي يكتفي به والكفاف من الرزق : القوت وهو ما كف عن الناس أي أغنىٰ .

* * *

٤٥ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامْ

عند عزمه على المسير إلى الشام

اللّهُمَّ إنِّي أَعُوذُبِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ[1] وَالْمالِ (والولد[2]). اللّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَلاَ يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لاَ يَكُونُ مُسْتَصْحَباً، وَالْمُسْتَصْحَبَ لاَ يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً .

الشرح

وعثاء السفر: شدته .

والوعثاء : الرمل اللين في الأصل ويكنى بها عن الصعوبة لأن المشي في الرمل اللين متعذر والكآبة الحزن .

المستخلف لا يكون مستصحبا : إشارة إلى أن الله تعالى منزه عن المكان ويحيط حفظة وكلائه بعباده في السفر والحضر إذا توكل عليه .

* * *

١ ـ في ب : وسوء المنظر في النفس .

٢ ـ ساقطة من ن وف وب وش .

٤٦ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهُ السَّلامْ

في ذكر الكوفة

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلاَزِلِ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سوءً إِلَّا ٱبْتَلاَهُ ٱللهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ.

الشرح

قوله عليه السلام: كأني بك يا كوفة تمدين مدّ الاديم العكاظي:

ع ــ هذا إخبار عن الغيب، وقد سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو كان معجزة له عليه السلام وكرامة، وعكاظ: سوق للعرب بناحية مكة، كانوا يجتمعون كل سنة ويقيمون شهرا ويتبايعون ويتناشدون شعرا ويتفاخرون قال أبو ذؤيب[1]:

اذا بني القباب على عكاظ * وقام البيع واجتمع الألوف

فلما جاء الاسلام هدم ذلك، وأديم عكاظي منسوب إليها، يعني تجزز الكوفة كما تمد الأديم[2] للجز والقد والقطع، وتعركين بالنوازل: أكثر

١ ــ خويلد بن خالدأبوذؤيب الهذلي أحد بني مازن بن معاوية بن تميم غزا المغرب فمات هناك ودفن بافريقية وأبو ذؤيب الأ يادي شعراء.

البلاء الذي وقع في الاسلام كان مبدأه من الكوفة ، فمن الجبابرة الذين ابتلاهم الله بشاغل فيها زياد[١] ، وقد جمع الناس في المسجد ليلعن عليا لعن الله مبغضي عليا لعنا أبدا سرمدا لا انقطاع له .

فخرج الحاجب ، وقال : انصرفوا فان الأمير مشغول وقد أصابه الفلج في هذه الساعة وابنه عبيد الله بن زياد[٢] وقد أصابه الجذام ، وعبد الله بن مطيع[٣] وقد اهتر[٤] والحجاج بن يوسف وقد تولدت الحيات في بطنه ، حتى هلك ، وعمرو بن هبيرة[٥] وابنه يوسف وقد أصابهما البرص وخالد القسري[٦] وقد

---

١ ـ زياد بن ابيه لا يعرف له صحبة مع انه ولد عام الهجرة ، وهو زياد بن سمية ويقال له زياد بن عبيد ايضا ، فلما استلحقه معاوية وزعم أنه أخوه قيل زياد بن أبي سفيان ، وكان زياد قوي المعرفة ، جيد السياسة ، وكان من شيعة علي عليه السلام ولما استلحقه معاوية صار أشد الناس على آل علي وشيعته وهو الذي سعى في قتل حجر بن عدي له اخبار كثيرة ومظالمه عديدة مات سنة ٥٣ .

٢ ـ عبيد الله بن زياد بن أبيه عامل يزيد بن معاوية على الكوفة وهو الذي أمر بقتل الحسين عليه السلام وأولاده واخوانه واصحابه ، رضوان الله عليهم ، وأخبار عبيد الله عليه اللعنة والعذاب مع أهل البيت عليه السلام معروفة .

٣ ـ عبد الله بن مطيع العدوي القرشي ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وروى عن ابيه وعنه إبناهُ ابراهيم ومحمد والشعبي ، وهو الذي قال للحسين بن علي عليهما السلام حين خروجه من المدينة الى العراق : فاياك ان تقرب الكوفة فانها بلدة مشؤومة بها قتل ابوك وخذل أخوك ، الزم الحرم فانك سيد العرب لا يعدل بك اهل الحجاز احدا .

كان من رجال قريش جلداً و شجاعة وكان على قريش يوم الحرة ، واستعمله ابن الزبير على الكوفة فأخرجه المختار منها مع ابن الزبير في سنة ٧٣ ، وقتل ونقل رأسه مع رأس ابن الزبير الى المدينة .

٤ ـ اهتر الرجل : فقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن .

٥ ـ عمر بن هبيرة الفزاري من قواد بني امية ، استعمله عمر بن عبدالعزيز على الجزيرة كان ابتداء أمره أنه قدم من البادية من بني فزارة وكان يقول : لأرجو أن لا تنقضي الأيام حتى اسير إلى العراق ثم سار إلى غزو الروم ، ثم اتصل بالحجاج بن يوسف وعزم شأنه بالشام وصار من خواص الأمراء في الدولة الأموية الجائرة ولاه يزيد بن عبد الملك العراق ، ثم عزله هشام بن عبد الملك عنها .

٦ ـ خالد بن عبد الله البجلي القسري امير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك الأموي وأمه كانت نصرانية ، وكان معدودا من خطباء العرب ، وكان خالد يتهم في دينه و بنى لامه كنيسة تتعبد فيها وفي ذلك يقول

←

حبس وطولب حتى مات جوعا .

أما الذين رماهم الله بقاتل فعبيد اللهبن زياد ، ومصعببن الزبير[١] والمختار الثقفي[٢] ، وأبو السرايا[٣] وغيرهم قتلوا جميعا ويزيدبن المهلب[٤] قتل على اسوأ حال .

* * *

→

الفرزدق يهجوه :

الا قبح الرحمان ظهر مطية اتتنا تهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من كانت امه تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها الصليب لأمه ويهدم من بغض منار المساجد

ثم عزله هشام بن عبد الملك وأخذ خالدا وعماله وحبسه وحاسبه وعذبه ثم قتله ، قيل إنه وضع قدميه بين خشبتين وعصرها حتى انقصفتا وكان ذلك في المحرم سنة ١٢٦ ، وأخباره كثيرة .

١ ـ مصعب بن الزبير بن العوام أمير العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير حين خرج بمكة وادعى الخلافة وهو الذي قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي بالكوفة ، وقتله عبد الملك بن مروان بدير الجاثليق عند نهر دجيل بالعراق سنة ٧١ .

٢ ـ المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي خرج بالكوفة بعد يزيد بن معاوية ، وقتل خلقا كثيرا من الذين قاتلوا الحسين بن علي عليهما السلام وشركوا في دمه مثل عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وأخباره كثيرة .

٣ ـ السري بن منصور المعروف بأبي السرايا كان يكري الحمير، ثم قوى حاله فجمع نفرا فقتل رجلا من بني تميم بالجزيرة فطلب واختفى ، فكان يقطع الطريق ، ثم أتصل بأمراء العساكر ودخل في الحروب واشتهرت شجاعته إلى أن خرج في أيام المأمون وحارب الفضل بن سهل وله اخبار راجع كتب التواريخ .

٤ ـ يزيد بن المهلب الازدي عامل خراسان في الدولة المروانية وهو الذي فتح طبرستان وجرجان ثم ولي العراق في زمن سليمان بن عبد الملك ثم عزله عمر بن عبد العزيز وأخذه وأوثقه ، ثم هرب من السجن ولحق بالبصرة فغلب عليها ، ثم جهز يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة لحربه فقتل يزيد بن المهلب وله اخبار راجع وفيات الأعيان .

٤٧ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

عند المسير إلى الشام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ كُلَّمَا لاَحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ غَيْرِ مَفْقُودِ ٱلْإِنْعَامِ وَلاَ مُكَافيءِ ٱلْإِفْضَالِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا ٱلْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ[1] هٰذِهِ ٱلنُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دَجْلَةَ، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ ٱلْقُوَّةِ لَكُمْ.

قال الشريف: أقول: يعني عليه السلام بالملطاط السمت الذي أمرهم بنزوله وهوشاطىء الفرات، ويقال ذلك لشاطيء البحر، وأصله ما استوى من الأرض. ويعني بالنطفة ماء الفرات. وهو من غريب العبارات وأعجبها.

---

١ ــ في ب: وقد اردت ان اقطع.

الشرح

قوله عليه السلام الحمد لله كلما وقب ليل وغسق .

ع ـ وقب : دخل وغسق : أظلم والغسق أول ظلمة الليل بعد غروب الشفق وخفق النجم خفوقا : غاب وأخفق تولى للمغيب ، والنطفة : الماء الصافي قل أو كثر والجمع النطاف ، وجمع نطفة الرجل النطف .

ج ـ رأيت أن أقطع هذه النطفة : أي اقتضى رأيي أن أعبر الفرات ، والشر ذمة : جماعة فيهم قله .

موطنين أكناف دجلة : أي متخذي حوالى هذا النهر وطنا يقال أو طنت البقعة ووطنتها واستوطنتها : أي اتخذها وطنا .

* * *

٤٨ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الأُمُورِ[١]، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلاَمُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ؛ فَلاَ عَيْنَ مَنْ[٢] لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلاَ قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ: سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ. وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ. فَلاَ اسْتِعْلاَؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلاَ قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ: لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ. تَعَالَى اللّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ، وَالْجَاحِدُونَ لَهُ. عُلُوّاً كَبِيراً.

---

١ ــ في ك : فطن خفيات الامور.

٢ ــ في ك : ولا عين من لم يره.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور.

ع: ويروي فطن أي علم سرائرها وحقائقها أعلام الظهور: أي الدلالات الظاهرة فلا عين من لم يره: أي لا يحصل معرفته تعالى من طريق الحسّ.

ولا قلب من أثبته يبصره: أي لا يعرفه ضرورة وقيل لا يخيله ولا يمثله.

سبق في العلو فلا شيء أعلا منه.

أي سبق في الوجود فليس له جنس عال أعلى منه وقرب في الدنو: هو قريب باحسانه وإنعامه وألطافه، وأفعاله، وكونه عالما بكل شيء.

فلا استعلاؤه باعده من خلقه:

أي لأنه ليس بعال من جهة المكان والجهة، لأنه ليس بجسم ولا في جهة.

ولا قربه ساواهم في المكان به: لأن قربه ليس بقرب مكاني.

لم يطلع العقول على تحديد صفته.

قيل يعني صفة وجوده إذ لا حد للوجود من طريق الجنس والفصل، وقيل لا حد لوجوده من طريق الابتداء والانتهاء.

ولم يحجبها عن واجب معرفته: إذ ما من عاقل إلا ويعرف أن ممكن الوجود يحتاج إلى موجد، هو واجب الوجود يوجده.

فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود.

قال الامام الوبري: دلت الأدلة على أن الله تعالى موجود؛ وتقرر في عقل كلّ عاقل (أنه لا بد للصنع من صانع، فعلم كل عاقل[١]) أن هذا العالم لابد له من محدث لظهور أعلام الحدوث علم جملة، وايضا فان الكافر وإن كان منكرا للصانع بلسانه فقلبه يشهد على الصانع لأنه فعل محكم متقن، والدلالة تشبه بالمقر الناطق مجازا.

قيل: شهادة أعلام الوجود أن ثبوت الباري تعالى وبراءته عن الصفات لم يحتج إلى تأمل لغير نفس الوجود كما سبق.

ج ــ ولا عين من لم يره ينكره: أي لا يمكنه إنكاره على حال لان أفعاله دالة عليه.

ولا قلب من اثبته يبصره: أي لا يمكن من أثبته بالدليل أن يحيط به علمه (ومن زعم أن هذا التركيب غير مستقيم، وينبغي أن يكون الرواية فيه فلا قلب، من لم يره ينكره، ولا عين من أثبته يبصره، فقد غفل عن هذا المعنى[١]).

لم يطلع العقول على تحديد صفته[٢]: لا يوصف تعالى بعظمة إلا وكان أعظم منها، ولا منتهى لمقدوراته.

* * *

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٢ ــ في ض هنا زيادة وهي: قيل: لا يوصف تعالى بعظمة الا وكان أعظم منها ولا منتهى لمقدوراته ولا يحجبها عن واجب معرفته إذ ما من عاقل إلا ويعرف ان ممكن الوجود يحتاج الى موجود هو واجب الوجود يوجده.

٤٩ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ ٱلْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ ٱللهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَى غَيْرِ دِينِ ٱللهِ، فَلَوْ أَنَّ ٱلْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مَزَاجِ ٱلْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى ٱلْمُرتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ ٱلْحَقَّ خَلَصَ[1] مِنَ لَبْسِ ٱلْبَاطِلِ ٱنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ ٱلْمُعَانِدِينَ، وَلٰكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ، وَمِنْ هٰذَا ضِغْثٌ[2] فَيُمَزجانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ ٱللهِ ٱلْحُسْنَى.

١ ــ في ب: خلص من الباطل.

٢ ــ في ب: ضغث فيخرجان.

الشرح

قوله عليه السلام إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع إلى آخره.

ع ـ فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو أن الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين.

قال الامام الوبري[1] لو كان الحق يعلم ضرورة، لخلص[2] الحق من مزاج الباطل، لكن ما دام العلم نظريا فلابد من جواز طريان الشبهة في ثاني الحال، من العلم، فان دفعها العالم بتحديد النظر الصائب في الأدلة استمرَّ كونه عالما، وإن لم يفعل ذلك زال علمه فهذا هو لبس الباطل بالحق وكذا لبس الحق بالباطل من هذا الوجه.

فان المبطل الجاهل وإن جهل الحق، واعتقد في الباطل أنه حق، فانه لا يجد بدّا من الدواعي إلى الحق لأن اصول الحق مقررة في العقل فما دام عاقلا يعترض له نوازع الحق ودواعيه. فلا يستمر في كل أحواله خلوا عن الحق، حتى يخلص عنده الباطل والخطأ عن كل حق وصواب، فهذا لبس الحق بالباطل.

قال قوم: ما يكسب معرفته وإنما يكسب بأن يكون معلومات[3] متفقة معلومة وأن يسلك من هذا المتقدم إلى هذا المتأخر طريق موصل إليه؛ فربما

---

١ ـ بين الهلالين ساقط في ض.
٢ ـ في ض: تخلص الحق.
٣ ـ في ض بان يكون مقدماته.

يسلك طريقاً لا يوصل إليه ؛ وربما يسلك طريقاً يوصل ؛ فما خلص الحق من لبس الباطل ، وقيل : القوة الوهمية لا يمكنها أن يتوهم شيئًا إلا بأن يغيرها إلى صورة محسوسة بالمعقول ؛ الذي ليس بمحسوس بوجه من الوجوه ؛ فأحكام القوة الوهمية فيه كاذبة ؛ وأحكام بديهة الوهم في المحسوسات صحيحة ؛ لأن الوهم آلة العقل إلى المحسوسات .

قيل : القوة التعارفية التي أحكامها الأمور المشهورة ؛ تبلغ من الانسان مبلغا يمنعه عن التشكك فيها ؛ فيقوم مقام العقائد الضرورية وإن لم يكن كذلك ؛ بل كان بعضها كذبا ؛ وبعضها صدقا ؛ فهذا معنى قوله : لو خلص الحق من لبس الباطل ؛ ومعنى قوله لو خلص الباطل من الحق ما بينا من القوة الوهمية ؛ في أن حكمها في المحسوسات صحيحة وفي المعقولات غير صحيحة .

فبداية الوهم بعضها مزيفة وبعضها مقبولة .

الضغث ؛ في الأصل : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس ؛ وضغث الحديث خلطه ، المرتاد : الطالب .

* * *

٥٠ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم الماء

قَدِ ٱسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ؛ أَرْوُوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تُرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوتِكُمْ قَاهِرِينَ. ألاَ وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاة وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ[1] الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ.

---

١ ـ في ع ول وش: غمس عليهم.

الشرح

قوله عليه السلام فالموت في حياتكم مقهورين.

ع — أي ان كنتم مقهورين، فأنتم أموات غير احياء وإن كنتم في الصورة أحياء كما قال تعالى: أموات غير أحياء.

والحياة في موتكم قاهرين: يعني، حياتكم الطيبة في موتكم إذ[1] أنتم قاهرون كما قال تعالى: بل أحياء عند ربهم، لمة: أي جماعة وعمس: لبس[2] أي علم أني على الحق لكن لبس على أتباعه. وروي إنه قيل لعمرو بن العاص: لم قتلتم عمارا[3] وقال النبي صلى الله عليه وآله تقتل عمار الفئة الباغية، فقال عمرو: قتله عليّ حين أمره بقتالنا.

فقال له معاوية: لو كان الأمر كذالك لكان قاتل حمزة وجعفر هو النبي

---

١ — في ش: اذا كنتم قاهرين.

٢ — اللبس: الخلط، يقال لبست الأمر بالفتح ألبسه: إذا خلطت بعضه ببعض.

٣ — عمار بن ياسر ابو اليقظان من السابقين الأولين الى الاسلام وامه سمية اول من استشهد في سبيل الله وكان اسلام عمار بعد بضعة وثلاثين وهو ممن عذب في الله. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله مر بعمار وأمه وابيه وهم يعذبون فيقول صبرا آل ياسر موعدكم الجنة.

هو أول من بنى مسجداً في الاسلام، وصحب عليا عليه السلام وشهد الجمل وصفين قال أبو عبد الرحمن السلمي شهدنا صفين مع علي فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت اصحاب النبي يتبعونه كأنه علم لهم قال: وسمعته يقول لهاشم بن عتبة بن ابي وقاص:

ياهاشم تفر من الجنة، الجنة تحت البارقة اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه والله لو ضربوا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت انا على حق وانهم على الباطل استشهد بصفين وله اربعا وتسعين سنة وقال ائتوني بشربة من ماء فأُتي بشربة لبن فقال: ان رسول الله قال: آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن.

صلى الله عليه وآله حين أمرهما بالقتال ولكن يلبس على أهل الشام، فلما سمع أميرالمؤمنين عليه السلام ذلك قال هذا الكلام.

ج ـ شريعة الفرات مورد الشاربة، استطعمه سأله أن يطعمه، وهو هنا مجاز أي طلب منكم أصحاب معاوية أن يجعلوا المقاتلة طعمة لهم، والملة في الأصل: ما بين الثلاثة إلى العشرة من الرجال ذكر ذلك تحقيرا ش: من تأمل هذا الكلام النزر اليسير لفظا والجم الغفير[١] والبحر الغزير معنى وتحرى ونظر في استعمال الاستطعام في القتال، والأمر بتروية السيوف من الدماء وجعلها كالعلة لديهم من الماء وإن حياة المقهور موت وموت القاهر حياة، وتعبير عن جرأة القاسطين على قتاله بتهديف النحور لسهام المنايا وتعريضه في ذلك بتعيير أصحابه وتأنيبهم[٢] بالاحجام وترك الاقدام حق التأمل علم يقينا أن قائله صلوات الله عليه لم يدع لقوس الفصاحة منزعا إلا نزعه[٣] ولا لغاية البلاغة علما الا رفعه.

* * *

١ ـ الغفيرة: الكثرة والزيادة والجم الغفير: اي جماعة كثيرة والغزير: الكثير.

٢ ـ التأنيب: المبالغة في التوبيخ.

٣ ـ النزع الجذب: والقلع ونزع القوس: اذا جذبها.

٥١ــ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ[١] بِانقِضاءٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ[٢] فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا[٣] مَا كَانَ حُلْواً، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ، فَأَزْمِعُوا عِبَادَ ٱللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هٰذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ، وَلاَ يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الأَمَلُ وَلاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ[٤]، فَوَٱللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ، وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِ الرُّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱللهِ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ، الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ٱرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُولَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ. وَٱللهِ[٥] لَوِ ٱنْمَاثَتْ قُلُوبُكُمْ ٱنْمِيَاثاً، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ، مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ وَرَهْبَةٍ[٦] مِنْهُ، دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ، وَلَوْ

١ ــ في ب : وآذنت بوداع .
٢ ــ في ر : الجذاء بالجاء والجيم .
٣ ــ في ح قد امر فيها ما كان .
٤ ــ ف ض وح : عليكم فيها الابد .
٥ــ في ش : وتا الله .
٦ــ في ض وح وب : او رهبة منه .

لَـمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُـهْدِكُـمْ، أَنْعُـمَـهُ عَـلَـيْكُـمْ الْعِظَامَ وَهُدَاهُ إِيَّاكُـمْ لِلْإِيمَانِ.

الشرح

قوله عليه السلام: ألا إن الدنيا قد تصرمت وآذنت بانقضاء إلى آخره.

ع‍ـ السملة: الماء القليل يبقى في أسفل الاناء وغيره كالثميلة، والجمع السمل قال ابن أحمر:

مثل الوقايع في أنصافها السمل:

وسمول قال آخر:

على حميريات كأن عيونها ✲ فلات الصفا لم يبق إلا سمولها

(وأسمال قال آخر:

بترك أسمال الحياض يبسا.

والسملة: بالضم) كالسملة أمر يكون لازما ومتعديا، وهاهنا لازم، والمقلة: حصاة القسم التي تلقى في الماء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم، وذلك عند قلة الماء في المفاوز، قال الشاعر:

قذفوا سيدهم في ورطة ✲ قذفك المقلة وسط المعترك

وتمزز: أي ذاق والعجول: من الابل الوالة التي فقدت ولدها. وجمعه: عجال، والهديل: صوت الحمام، قال ذو الرمة[١]:

إذا ناقتي عند المحصب[٢] شاقها ✲ رواح اليماني والهديل المرجع

وهديل الحمام مشوق لذلك.

---

١ ــ ذو الرمة الشاعر وهو غيلان العدوي.

٢ ــ المحصب: بالضم ثم الفتح اسم المفعول من الحصباء او الحصب وهو الرمي بالحصى وهو موضع بين مكة ومنى وهو الى منى اقرب.

قال : ودعوتم بهديل الحمام ، والهديل : الذكر من الحمام ، قال جران العود :

كأن الهديل الطالع الرجل وسطها * من البغي شريب يغرد مترف

قيل : والهديل : فرخ كان على عهد نوح عليه السلام ، فصاده جارح من جوارح[١] ، الطير. فليس من حمامة إلأ تبكي عليه قال الشاعر[٢] :

وما من تهتفين به لنصر * بأسرع جابة لك من هديل

وجأرتم : تضرعتم ، وللرهبان : قيام يقرأون فيه الزبور ، وكذلك سجود مع خشية ، وخضوع .

من الأموال : أي من حب الأموال أنماثت : أي ذابت .

ما في ما الدنيا باقية : مصدرية أي ما دامت الدنيا باقية .

وفي ما جزت : نافية أنعمه : مفعول جزت وهذا تفسير قوله تعالى : وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها[٣] ، والنعمة يقتضي في كل وقت مجدد شكرا أبدا فلهذا لا يقضى حق المنعم أبدا وكلّماتجدد وقت فلله فيه نعم مجددة يجب عليها شكر مجدد ، فان شكرت نعمة في وقت ، تجدد وقت آخر له تعالى فيه نعمة ويجب عليها شكر.

جـ اذنت بانقضاء : أي أعلمت أنها تفنى .

تصرمت : أي انقطعت .

وتنكر معروفها : أي تغير خيرها ، جدا بالجيم أي منقطعة الدر وروي حذاء بالحاء والذال معجمة أي سريعة الذهاب ، تحفز : أي تدفع وتسوق ، بتعجيل .

---

١ ـ الجوارح : ذات الصيد من السباع والطير والكلاب سميت بذلك لأنها كواسب أنفسها ، والجوارح من الطير : المفترسة كالباز.

٢ ـ البيت للكميت كما في تاج العروس ج ٨ ص ١٦٤ .

٣ ـ النحل : ١٨ .

وكدر: بالضم والكسر لغتان .

والاداوة : المطهرة ، والتمزز : تمصص الشراب[١] قليلا قليلا .

والصديان : العطشان لم ينقع أي لم يسكن عطشه .

والوله : جمع واله : وهو الذاهب عقله .

والهامة : لفقد محبوب ، والجوار : صوت يتضرع .

والمتبتل : المنقطع عن الدنيا إلى الله تعالى .

* * *

١ ــ اي شربه شربا رفيقا مع جذب نفس .

٥٢ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في ذكر يوم النحر

وَمِنْ تَمامِ الأُضْحِيَةِ[1] اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وَسَلاَمَةُ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الأُذُنُ الْعَيْنُ سَلِمَتِ الأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إلَى الْمَنْسَكِ.

الشرح

الأضحية مايضحّى به يوم النحر من النعم، وأذن شرفاء: أي طويلة عالية.

والعضباء: الشاة المكسورة القرن الداخل، ويقال هي التي انكسرت أحد قرنيها.

والمنسك: المذبح هنا وقوله: تجر رجلها إلى المنسك: أي يكون عرجاء وقيل منكسرة الرجل.

* * *

١ ــ في ب: ومن كمال الاضحية.

٥٣ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الإبلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا[١]، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضَهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، وَقَدْ قَلَّبْتُ هٰذَا الأَمْرَ، بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ، (حَتَّى مَنَعَني النومَ[٢]) فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إلاَّ قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ[٣] بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَكَانَتْ مُعَالَجةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوتَاتِ الآخِرَةِ.

الشرح

قوله عليه السلام فتداكوا.

عـ أي اجتمعوا والمثناة: الحبل وجمعها المثاني.

وقلبت الأمر ظهراً لبطنٍ: مثل للعرب، قال الهروي معناه رجع إليه الأمر مرة بعد أخرى، واللام في البطن بمعنى على ومعناه: قلب ظهر الأمر[٤]،

---

١ ـ في م ول وش: يوم ورودها.

٢ ـ ساقطة من ع وفي ك: حتى فارقني النوم.

٣ ـ في ب وف وم: بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله.

٤ ـ في الأصل: قد ظهر الأمر على بطن.

على بطنه حتى علم حقائقه، ولقم الطريق، سواء السبيل، وجران البعير مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره، وكذا من الفرس وإلقاء الجران: كناية عن النزول والمقام.

ج ـ تداكوا علي: اي وردوا ودخلوا علي يدك بعضهم بعضا أي يدق وكان الكاف مبدلة من القاف تحضيضا.

والمثناة: الحبل المثني يجعل في طرف الزمام.

وقلبت هذا الأمر كله بطنه وظهره.

أي فكرت في سره وعلانيته، باطنه وظاهره ليلا ونهارا.

حتى فارقني النوم: بسببه، وكان عليه السلام لا يأذن لأصحابه في قتال أهل الشام لعلهم يهتدون ويندمون، فظن منافقو أصحابه أن دفعه إياهم عن المسارعة في القتال كراهية للموت أو شك في أنَّ أهل الشام هل يستوجبون القتل ام لا؟ وعشوته: قصدته ليلا، ثم قيل لكل قاصد عاش.

وباء باثمه أي رجع.

* * *

ش ـ موتات الآخرة: عبر عن المشاق والعقوبات التي هي كالأسباب للموت بالموتات وألا فلا موت في الآخرة إجماعا.

لم يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد: وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله أخبره بظهور الناكثين والقاسطين والمارقين بعده وأنه يتعين إذ ذاك على عليّ عليه السلام فرض مجاهدتهم والنهوض لحربهم ودفع شرهم فلو لم يقم بذلك كان حاشاه عن ذلك رادا على رسول الله أمره.

* * *

٥٤ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلُّ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَوَ ٱللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى[1] الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَ ٱللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوا إِلىَ ضَوْئِي، وَذٰلِكَ أَحَبُّ[2] إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلاَلِهَا؛ وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.

١ ــ في ب: ما أبالي ادخلت الى الموت وفي ف: دخلت على الموت.

٢ ــ في ش: الى ضوئي احب إلي وفي ف وم: فهو احب إلي.

الشرح

قوله عليه السلام: أما قولكم أكل ذلك كراهية الموت فو الله ما ابالي دخلت إلى الموت.

ارتفاع قولكم على الابتداء وكل مبتدأ ثان وكراهية منصوب على أنه مفعول له وقد سد مسد خبر كل والعامل فيه فعل مضمر هو في الحقيقة خبر كل وتقديره كل ذلك فعله كراهية الموت والجملة هي كل مع خبره منصوب الموضع لأنه معمول المصدر الذي هو قولكم.

والقسم مع المقسم عليه ساد مسد خبر المبتدأ الذي هو قولكم وتقديره أما قولكم هذا فجوابه إني والله لا أخاف الموت وهذا التقدير في قوله أما قولكم شكا في أهل الشام[1].

* * *

١ ــ في ض: هنا خلط واسقاط.

٥٥ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإخْوانَنا وَأعْمَامَنَا: مَا يَزِيدُنَا[1] ذٰلِكَ إلَّا إيمَاناً وَتَسْلِيماً وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقَمِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلاَنِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقي[2] صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ: فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأى ٱللهُ صِدْقَنا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى ٱسْتَقرَّ الْإِسْلاَمُ مُلْقِياً جِرَانَهُ، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ. وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلاَ ٱخْضَرَّ لِلإيمَانِ عُودٌ، وَآيْمُ ٱللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً.

الشرح

اللقم: جادة الحق والمضض: وجع المصيبة والتصاؤل: تفاعل من الصول وهو الجملة، والتخالس: التسالب والكبت: الصرف والا ذلال.

---

١ ــ في ن: ولا يزيدنا ذلك.

٢ ــ في ن: يستقي صاحبه.

٥٦ــ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لأصحابه

أَمَا إِنَّهُ[١] سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُوم، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ، فَاقْتُلوهُ؛ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي: أَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي؛ فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّأُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ.

الشرح

قوله عليه السلام: اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم إلى آخره.

ج ــ هذا من معجزات النبي صلى الله عليه وآله أخبر به الوصي أو من معجزات الوصي ع: يخاطب أهل الكوفة.

البلعوم: مجرى الطعام والشراب مندحق البطن: عظيم البطن، عني به زيادا وكان عامل أميرالمؤمنين حين قتل أميرالمؤمنين وفي يديه مال الأهواز، فالتجأ به إلى الشام فلما استولى على الكوفة جمع الناس في المسجد ليأمرهم

١ ــ في م: اما وانه.

بلعن علي فخرج حاجبه قال، انصرفوا فانصرف الناس وقد أصابه الفلج حين خرج الحاجب وأمر الناس بالانصراف.

أما السب فسبوني: إنما رخص في سبه من طريق التأويل والتعريض دفعا للضرر عن المسلمين، وقد رخص النبي صلى الله عليه وآله ذلك لسليك[١]. وأصحابه حين بعثهم إلى كعب بن الأشرف اليهودي[٢]. ليقتلوه، فقال سليك، يا أخي يا كعب انزل فقد أصابنا الضر والقحط بسبب هذا الرجل، وهذه صورة الشكاية، وليست فيها شكاية وذم على التحقيق.

أما التبري: فهو توطين[٣] النفس على المعاداة والانسلاخ من الموالاة، وذلك حرام، لأن مُعاداة ولي الله ووصي رسوله معاداة الله ورسوله.

فاني ولدت على الفطرة: أي من أول حال تكليفي[٤]، إلى يومنا هذا أنا على الدين والهدى فلا مدخل للتأويل في التبري مني، وقيل يعني نشوئي وولادتي عند رسول الله ومعه، فان رسول الله رباه والعباس بن عبدالمطلب ربى أخاه بسبب كثرة عيال أبي طالب، وفي الحديث كل مولود يولد على الفطرة، قيل أي على التوحيد.

---

١ ــ سليك بن عمرو الغطفاني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حديث عن النبي في الصلاة.

٢ ــ كعب بن الاشرف احد بني نبهان من طيء وكانت أمه من بني النضير وكان قد كبر عليه قتل من قتل ببدر من قريش فسار الى مكة وحرض على رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما عاد الى المدينة قال رسول الله: من لي من ابن الاشرف فقال محمد بن مسلمة الانصاري: انا لك به ان اقتله.

فاجتمع محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة والحارث بن اوس وغيرهم فأخذوا السلاح وساروا اليه وشيعهم النبي صلى الله عليه وآله الى بقيع الغرقد ودعا لهم: فلما انتهوا الى حصن كعب وثب اليه ابو نائلة سلكان بن سلامة وتحدثوا ساعة قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سبقي فأخذته فوضعته في ثندؤته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله.

٣ ــ وطن نفسه على الأمر للامر، هيأها لفعله وحملها عليه.

٤ ــ في ش: من اول حال التكليف.

قال محمدبن الحسن الشيباني[١]: هي الخلو من العقائد في حال الصبىّ، وقال: هي الميثاق الأول.

ج ـــ رحب البلغوم: أي معاوية[٢]، وهذا كناية عن كثرة الأكل، وكان يأكل ويكثر ثم يقول: ارفعوا فوالله ما شبعت، لكن مللت وتعبت، وكان ذلك من دعاء النبي(ص) اذ بعث اليه يستدعيه فوجدوه يأكل ثم بعث إليه آخر فوجده على حالته، فقال(ع): اللهم لا تشبع بطنه وقال الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهاوية * كأن في أمعائه معاوية

ومندحق البطن: أي خارج البطن وناقة دحوق، أي يخرج رحمها مع الولادة، واندحقت رحم الناقة أي اندلقت[٣]، وانما لم يصرح باسمه لئلا ينكسر قلوب أصحابه.

فانه لي زكوة: يعني السب وقد ورد في الأحاديث أن ذكر المؤمن بسوء زكوة له وذمه بما ليس فيه زيادة في جاهه وشرفه، وأراد أن السب لا يشق غبار شرفي، والنقيصة لا تحوم حول حمى[٤] منصبي، والعيب لا يهتدي إلى علوّ قدري، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير.

١ـــ محمد بن الحسن ابوعبد الله الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي اصله من قرية على باب دمشق اسمها حرستا، قدم أبوه من الشام الى العراق وأقام بواسط فولد بها محمد ونشأ بالكوفة فطلب الحديث وحضر مجلس ابي حنيفة سنين.

ثم تفقه على ابي يوسف صاحب ابي حنيفة وصنف الكتب الكثيرة النادرة منها الجامع الكبير والجامع الصغير ونشر علم ابي حنيفة وكان من افصح الناس وجرى بينه والامام الشافعي مجالس ومسائل عند هارون الرشيد مات بالري في سنة ١٨٩ ودفن برنبوية وكان وفات الشيباني والكنعاني في يوم واحد.

٢ـــ في ض: قيل اراد به معاوية، ورحب البلعوم كناية عن كثرة الاكل وكان ياكل ويكثر ثم يقول ارفعوا فوالله ما اشبعت ولكن مللت وتعبت.

٣ـــ الاندلاق: خروج الشيء من مكانه: يريد خروج امعائه من جوفه.

٤ـــ يقال: احميت المكان فهو محمي اذا جعلته حمى وهذا: شيء حمي اي محظور لا يقرب وحميته حماية اذا دفعت عنه ومنه منعت من يقربه.

مصداقه أن بني أمية كانوا يلعنونه ألف شهر على منابرهم، فما زاده إلا سناء ورفعة وما زادهم في الناس الا تخضعا، وهذا مقتبس من قوله تعالى: إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا[١]، الآية.

علل ترك التبري بولادته على الفطرة لأن المؤمن المعصوم، الذي لم يرتكب قط مأثما لا يجوز أن تبرأ منه، بل يجب موالاته، والفطرة: الخلقة أراد أنه ما تلطخ بجريرة ولا تدنس بخطيئة ولم يكفر بالله[٢]، بل لم يخالفه في شيء ما طرفة عين أبدا[٣].

(وسبقت الى الايمان: قلت وله عليه السلام في هذا المعنى نظم وهو:

سبقتكم إلى الاسلام طرا * على ما كان من فهمي وعلمي.

في أبيات معه، قد أوردتها بتمامها ونظامها في الكتاب الموسوم بأنوار العقول من أشعار وصي الرسول وأوردت فيه كل شعر نسب إليه صلوات الله عليه والسلام، وذلك مما لم أسبق إلى جمعه وترتيبه بعون الله وحسن توفيقه[٤]).

* * *

---

١ ــ النحل: ١٠٦.

٢ ــ في ض: ولم يخالف الله في شيء طرفة عين.

٣ ــ في ض هنا زيادة وهي: وسبق الى الاسلام وفاق الانام في كل مقام عليه من الله افضل الصلاة والسلام.

٤ ــ بين الهلالين ساقط في ض

٥٧ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

كلم به الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلاَ بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ أَبَعْدَ إيمَانِي بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ! فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ، أَمَا إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلاً وَسَيْفاً قَاطِعاً وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

قال الشريف: قوله عليه السلام «ولا بقي منكم آبر» يروي بالباء والراء من قولهم للذي يأبر النخل ـ أي: يصلحه ـ ويروي «آثر» وهو الذي يأثر الحديث، أي: يرويه ويحكيه، وهو أصح الوجوه عندي، كأنه عليه السلام قال: لا بقى منكم مخبر. ويروي «آبز» ـ بالزاي المعجمة ـ وهو الواثب. والهالك أيضا يقال له آبز.

الشرح

قوله أصابكم حاصب الى آخره.

ع ـ ولا بقي منكم آبر: آبر فلان النخل اي لقحه وأصلحه قال[1] طرفة:

١ ـ في ض: الابر الذي يابر النخل اي يلقحه ويصلحه.

ولي الأصل الذي في مثله * يصلح الآبر زرع المؤتبر

والكوفيون يكثرون عمارة النخيل .

أبعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله اشهد على نفسي بالكفر.

زعمت الخوارج أن عليا كفر بالتحكيم حاشاه عن ذلك ، وقالوا له : أشهد على نفسك بالكفر وأسلم حتى نتابعك[1] ونوافقك ؛ فأجابهم بهذا الكلام ، وقيل إنهم قذفوه عليه السلام بالكذب على رسول الله في حروبه وإجراء أحكامه في الطوائف المختلفة .

كان عليه السلام يقول : لا أحدث أمرا في الدين إلا بامر الله[2] ، فقال : افتريت على رسول الله في حكم من الأحكام ونسبت إليه قولا لم يقله لكان ذلك تلبيسا في الاسلام .

ج : الحاصب : الريح الشديدة التي تثير الحصباء .

فأوبوا : ارجعوا والأثرة : ما يستأثر به المرء لنفسه فيقطعه .

* * *

١ ــ في ض : نبايعك .

٢ ــ في ض : الا بامر رسول الله .

٥٨ـ وقال عليه السلام

لما عزم على حرب الخوارج وقيل له: إنهم قد عبروا جسر النهروان.

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَٱللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ.

قال الشريف: يعني بالنطفة ماء النهر، وهو أفصح، كناية وإن كان كثيرا جما.

وقال عليه السلام:

لما قتل الخوارج قيل له: يا أميرالمؤمنين، هلك القوم بأجمعهم!

كَلاَّ وَٱللهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ.

وقال عليه السلام:

لاَ تَقْتُلُوا[1] الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ (يعني معاوية وأصحابه).

٥٩ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما خوف من الغيلة

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ ٱللهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي ٱنْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي فَحِينَئِذٍ لاَ يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلاَ يَبْرَأُ الْكَلْمِ.

---

١ ـ في ح: لا تقاتلوا الخوارج.

الشرح

قوله والله لا يفلت منهم عشرة :

هذا[1] : مما أخبره به الرسول صلى الله عليه وآله بأنه أي لا ينجو منهم عشرة ، وأفلت هنا لازم وقد جاء متعديا ، ويقال : هلك القوم بأجمعهم بضم الميم جمع الجمع ، وليس هو أجمع الذي يكون للتأكيد.

من طلب الحق فأخطأه .

هم الخوارج .

ومن طلب الباطل فأدركه : معاوية وأصحابه .

الغيلة : بالكسر الاغتيال يقال قتله غيلة ، وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فاذا وصل إليه قتله على غفلة .

وكلا : ردع وزجر ويكون بمعنى حقا .

نجم : أي نبت وطلع .

والسلاب : الذي يسلب الأموال بقطع الطريق .

طاش السهم عن الهدف : عدل عنه .

* * *

١ ــ في ض : هذا من جملة كراماته ومعجزاته مما خصه الرسول بالاخبار به .

٦٠ ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلاَ يُنْجي بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا: ٱبْتُلِيَ النَّاسُ بِها[1] فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ، وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ، فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ: بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً[2] حَتَّى قَلَصَ، وَزَائداً حَتَّى نَقَصَ.

١ ــ في ب: ابتلى الناس فيها فتنة.

٢ ــ في م: تراه سائغا.

الشرح

قوله : دار لا يسلم منها إلا فيها .

ع : قيل : معناه من استحق العقاب لا يمكنه تخليص نفسه منه ، إذا خرج عن دار التكليف إنما الخلاص موقوف على دار التكليف ، فعبر عن زمان التكليف بالدنيا ، ولا ينجي بشيء كان لها ، كل فعل يفعله العبد لينتفع به عاجلا ، فانه لا يستحق به ثوابا ، ولا يدفع به عقابا ، سواء كان الفعل المقصود به الدنيا ، مما يرجع (الى الدين أو إلى الدنيا لأن الفعل الديني إذا قصد به فاعله نفعه العاجل ، صار كالذي[١]) يرجع الى الدنيا .

قيل : النفوس المغموسة في عالم الشهوات المبخوسة ، التي لا مفاصل لرقابها[٢] المنكوسة ، لا تسلم (من تلك الهيآت إلا بالرياضة في دار الدنيا فانها إذا فارقت الدنيا بقيت تلك الهيآت الانقيادية معها ، ويكون[٣]) تلك الهيآت أسبابا لعقوبتها في الدار الآخرة .

كفيء الظل ألفيء : أخص من الظل ، ولذلك حسن اضافته إليه نحو كري النوم سابغا : أي تاما قلص : أي نقص[٤] .

* * *

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض .

٢ ــ في ض : التي لا يتفاصل له كايها المنكوسة .

٣ ــ ساقط في ض .

٤ ــ في ض : قلص اي تقلص .

٦١ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وَٱتَّقُوا[١] ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَٱبْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا[٢] فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، وَٱسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ ظَلَّكُمْ، وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فاستبْدَلُوا فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ[٣] لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ، وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ، وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ، وَإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ وَالشِّقْوَةِ، لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ[٤] الْعُدَّةِ (فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا، مِنَ الدُّنْيَا، مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غداً[٥]) فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ[٦]، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانَ مُوَكَّلٌ بِهِ: يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا حَتَّى تَهْجُمَ

---

١ ـ في ح ول وض : فاتقوا الله .
٢ ـ في م : فترحلوا .
٣ ـ في ش : فان الله لم يخلقكم .
٤ ـ في ش : بافضل العدة .
٥ ـ ساقطة من ن وف ول وفي ش : به نفوسكم .
٦ ـ في ض وح وب : وقدم توبته .

مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا، فَيَالَهَا حَسْرَةً عَلَى[١] ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ، نَسْأَلُ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، وَلاَ تَحلّ به بَعْدَ الْمَوْت نَدَامَةٌ وَلاَ كَآبَةٌ.

الشرح

قوله عليه السلام: ترحلوا فقد جَدَّ بِكُمَ.

ع ــ اي تهيأوا للرحيل فقد أخذتم بالجد، ويروي جديكم السير.

وتهدمها الساعة: يعني ساعة الموت وأصل الساعة الوقت الحاضر، والجمع الساعات، والساعة والوقت الحاضر في الدنيا إنما هو للأحياء فيه دون الأموات، وفي القيامة يحشر الخلائق كلهم، فيكون الوقت الحاضر للجميع، فلذلك سميت القيامة ساعة، وقيل إنما سميت بذلك (أعني القيامة[٢]) لانها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة.

قيل لأنها يقوم في آخر ساعة من الدنيا وقيل: من ساغ الماء والشراب يسيغ سيغا وسيوغا: أي اضطرب على وجه الأرض والناس يضطربون عند الحشر، والخروج من الأجداث[٣]، وقيل سميت بذلك لأن الناس يذهبون فيها إلى مأواهم من الجنة أو النار، ناقة مسياع التي تذهب في المرعى.

وتمنيه التوبة ليسوفها.

في بعض الكتب[٤]، أن الشيطان يوسوس في صدر الرجل، ويقول إن

١ــ في ش: على كل ذي غفلة.
٢ــ ساقط في ض.
٣ــ الجدث: القبر والجمع اجداث.
٤ــ في ض: التسويف ان يقول سوف افعل وذكر ان الشيطان.

تبت، ثم رجعت الى الذنوب كانت توبتك مردودة، فأخر توبتك حتى تتوب توبة نصوحا لا تعود بعدها الى ذنب، فيموت الرجل بلا توبه، نعوذ الله من ذلك أن يكون عمره عليه حجة من قوله تعالى: أو لم نعمركم ما يتذكر من تذكر وجاءكم النذير.

ج‍ـ سدى أي: مهملين أن ينزل به بدل من الموت.

عنى بالغائب والقادم: الموت وقيل: الغائب صاحب الدنيا لأنه خلق لغيرها من الآخرة فهو سريع الأوبة[١] إليها. ونحوه تسمية القيامة بالمعاد والمرجع، ويجوز أن يكون عليه السلام شبه العدم الأول بالعدم الثاني أو أراد أنهم يعودون الى مثل ما كانوا عليه أولاً حيث لم يملكوا في الابتداء (لأنفسهم) نفعا ولا ضرا.

والجديدان: الليل والنهار، والتسويف: أن يقول سوف أفعل.

فيالها حسرة: تقديره يا قوم أدعوكم لتقضوا العجب من هذه الحسرة في حال كونها حسرة، ما أعظمها أو يا حسرة احضري فانه ايابك.

* * *

١ ـ آب من السفر: رجع والاوبة: الرجوع.

٦٢ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ[١] لَهُ حَالٌ حَالاً، فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِي الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ[٢] غَيْرُهُ غيرباطِنٌ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلاَ تَخَوُّفٍ[٣] مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، وَلاَ اسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ، وَلاَ شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ[٤]، وَلاَ ضِدٍّ مُنَافِرٍ؛ وَلٰكِنْ خَلاَئِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ، لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ وَلاَ تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ، وَلاَ وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ، وَلاَ وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ. بَلْ قَضَاءٌ

١ ـ في ح وب ول : لم يسبق له .

٢ ـ في ب : وكل ظاهر غيره باطن .

٣ ـ في م : ولا تخويف .

٤ ـ في ب : ولا شريك مكابر .

مُتْقَنٌ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ: الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ، وَالْمَرْجُوُّ مَعَ النِّعَمِ[١].

الشرح

قوله عليه السلام: لم يسبق له حال حالا إلى آخره.

قال الأمام الوبري: معنى كونه تعالى أولا أنه قديم لا أول لوجوده وكونه آخرا أنه موجود، حين يعدم سائر الأشياء، لكونه قديما، ففائدة كونه أولا وآخرا واحدة، وهو أنه قديم يجب وجوده في كل حال، ووجوده في حال[٢] وجوده واحد، وتغيره[٣] وتبدله مضاف إلى غيره لا إلى ذاته، وهو أنه موجود قبل وجود الأشياء، وموجود في حال عدمها بعد وجودها، ولذلك لم يتغير له حالة في حالتي وصفناه إياه بالأول والآخر.

فلم يكن كونه أولا قبل كونه آخرا لأن ما هو عليه في كونه أولا، هو بعينه في كونه آخرا، قال ولكونه ظاهرا معنيان.

أحدهما أنه معلوم بكثرة الأدلة كالمعلوم مشاهدة فشبه بالظاهر للحواس.

والثاني أنه قادر على كل شيء لقوله تعالى: فاصبحوا ظاهرين[٤]، ولكونه باطنا فائدتان.

إحديهما أنه لا يعرف بالحواس وإنما يعرف بالعقل.

والثانية أنه عالم بخفيات الأمور وسرائرها، فعلى كلي القولين كونه ظاهرا وباطنا في حالة واحدة، لأنه حال كونه عالما ببواطن الأمور، قادر على كل شيء[٥]، قاهرا له.

١ــ في ب: المرجو من النعم.

٢ــ في ض: وجوده في كل حال وجود واحد.

٣ــ في ض: تغير اللفظ وتبدله.

٤ــ الصف: ١٤.

٥ــ في ض: قادر على كل شيء بما هو له.

كل مسمى بالوحدة غيره قليل : لأن معنى الوحدة في المخلوق أنه منفرد عن جنسه كالجوهر الواحد والرجل الواحد ، ومعنى الوحدة في صفاته تعالى أنه يستحيل ، أن يكون غيره إلها وتوحده بالقدم .

وكل عزيز غيره ذليل : لأن العزيز هو الذي لا يمنع عن مراده : والعبد ممنوع عن اكثر مطالبته ومراداته ، ويستحيل المنع على الله تعالى ، والذلة : المنع على المراد .

وكل قوي غيره ضعيف : كل قوي في المخلوقات يلحقها العجز والضعف ، عن قريب .

وكل مالك غيره مملوك : لأن ذلك المالك إنما ملك ما يملك بخلقه الله تعالى إياه وإقداره وتمليكه ذلك .

وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات ويصمه كبيرها[١] لأن الموانع والآفات من عوارض الحواس ، وهو تعالى منزه عنها .

وكل ظاهر غيره غير باطن : لأن المحسوس إذا لم يكن دونه مانع والحي المدرك على السلامة فهو ظاهر، ومع ظهوره لا يصحّ أن لا يدرك في هذه الحاله ، وهكذا .

قوله وكل باطن غيره غير ظاهر: لم يحلل في الأشياء لأن الحلول من أمارات الأعراض ، ويقال ذلك بالمجاز في حق الاجسام ، واذا كان الله تعالى قديما استحال حدوثه ، والحلول تبع الحدوث ، فيستحيل حلوله ، ويستحيل عليه المجاورة ، لأن المجاورة من لوازم الأجسام وما استحال عليه القرب استحال عليه البعد ، لأنهما موقوفان على الجسم والعرض توسعا .

فاذا كان كذلك فكما لم تجز أن يكون الله تعالى في الأشياء من

١ ــ كذا في النسخ .

طريق الحلول : ولا مع الأشياء من طريق المجاورة والمصاحبة ، لم يجز أن يكون خارج الأشياء بائنا عنها ، لأن يقتضي كونه شاغلا[١] للجهات ، فاذا استحالت الجسمية عليه استحال مقتضاها .

يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ .

لأن أحداثه للأفعال من غير احتياج الى آلة والنصب[٢] والاعياء من حكم الآلات والجوارح .

ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر .

لأنه عالم بكل معلوم ، وعالم بما هو كائن وما يكون ، وما لا يكون وإنما يتردد في الفعل من لا علم له به قبل إيجاده .

المأمول مع النقم المرهوب مع النعم .

لأن اليأس إنما يقع من المنتقم إذا كان ينتقم عن حقد وضغن ، لا عن حكمة وعدل ، فلا يجوز أن يطمع في غيره ما دام منتقما ، وكذا إنعامه وإحسانه اذا فعله لشهوة ولذة له في ذلك وطلب كمال ، فأما الله تعالى فان عقابه يصدر عن علم وحكمة وصلاح يعلمه للعباد ، والمصالح مختلف في الدنيا بحسب الأوقات .

فقد يقتضي الحكمة والعدل تشديدا على عبده في هذا الوقت ويقتضي تسهيلاً عليه في الثاني وبالعكس ، واذا كانت أفعاله مقصورة على الحكمة والعدل والرحمة ، وجب أن يكون ، مأمولا مع النقم مرهوبا مع النعم : وقال قوم : هو باطن باعتبارنا لا من جهته وظاهر باعتباره ومن جهته ، وإذا تأملت صفته قطعك ذلك عن صفات البشرية وقلع عرقك عن مغرس الأمور الجسمانية .

---

١ ــ في ض : متشاغلا للجهات .

٢ ــ النصب : التعب والضعف والعي العجز .

فوصلت إلى معرفة الذات من حيث لا يدرك ، فالتذذت بأن تعرف ما لا يدرك ، فذلك الظاهر في الأفق الأعلى وعالم الربوبية ، الباطن عن الأفق الأسفل ، وعالم البشرية ، فهو أول من جهة (أنه يصدر عنه كل وجود لغيره إما بواسطة أو بغير واسطة وهو أول من جهة أنه أولى بالوجود وهو أول من جهة[١]) أن كل زماني ينسب اليه .

الزمان وما في الزمان منسوبان إلى ايجاده وإحداثه وهو آخر ، لأن الأشياء اذا نسبت إلى أسبابها ومباديها ، وقف عليه المنسوب وهو آخر لأنه الغاية الحقيقية في كل طلب وكل طالب حقيقي يطلبه .

قوله ولا ند مثاور .

المثاور : الملاطمة والمراكلة[٢] والمخاصمة ، وصاحب المنهاج[٣] ما تعرض لهذه الخطبة بشرح ولا تفسير كلمة ، وذلك مما يقضي عنه العجب .

لم يسبق له حال حالا :

أي ليس هو تعالى بزماني فيتبدل نسبته الى الزمان ويتغير اضافاته اليه ، فيكون زمان بالنسبة إليه متقدما وآخر ، متأخرا ، كما في حقنا نحن أو يطرأ[٤] عليه الحادث الزماني فيتبدل[٥] أحواله ، من كمون وظهور ، وخفاء وجلاء ، بل هو مبدع الزمان ومنشأه ، ومخترع الحوادث وبارئها تعالى وتقدس .

* * *

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض .

٢ ــ لطمه : ضرب خده أو صفحة جسده بالكف مفتوحة أو بباطن كفه .

٣ ــ يعني به قطب الدين الراوندي ــ رحمه الله .

٤ ــ في ض : فيتبدل احواله .

٥ ــ طرأ : اي ورد وأقبل يقال طرأ يطرأ مهموزا اذا جاء مفاجأة .

٦٣ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمِلُوا اللأْمَةَ، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، وَالْحَظُوا الْخَزْرَ، وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ، وَنَافِحُوا بِالظُّبَا، وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ[1] بِعَيْنِ اللهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّهُ عَارٌ في الأَعْقَابِ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً[2]، وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا السَّوادِ الأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً، فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِي لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِ (وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ، وَاللهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ).

---

١ ــ من ک : وأنتم بعين الله .

٢ ــ في م : مشيا سهلا وفي ع : سجحا عليكم بهذا السواد .

الشرح

قوله عليه السلام استشعروا الخشية الى آخرها :

ع ـ هذا الكلام بلغ من آداب الحروب كل مبلغ .

أللامة : الدرع ، نافحوا أي كافحوا يقال : نفحه بالسيف أي تناوله من بعيد .

أنتم بعين الله : أي في حفظه ودفاعه المكاره عنكم ، قال الله تعالى : ولتصنع على عيني .

مشى سجح : أي سهل ، وكل شيء مستقيم فهو سجح .

السواد الأعظم : كل عدد كثير، يقال : لفلان سواد اى مال كثير وسواد الناس عوامهم أي اتبعوا ما اجتمع عليه العدد الكثير، يعني إجماع الامة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تجتمع امتي على الضلالة ولذلك ، يقول للبلدة التي فيها عدد كثير السواد الاعظم .

أقول : وهذه عثرة من صاحب المعارج[١] ما أرى لها انتقاشا إلا أن يأخذ الله بيده اقالنا الله العثرات وإياه .

ثبجه : أي أعلاه صمدا : أي قصدا .

لن يتركم أعمالكم : أي ينتقصكم في أعمالكم كما تقول دخلت البيت أي في البيت ، ووتره حقه أي نقصه .

---

١ ـ يعني به ابو الحسن علي بن زيد البيهقي المعروف بابن فندق وفريد خراسان .

ج ـــ استشعروا الخشية : أي اجعلوا خشية الله شعاركم ، وهو ما يلي جلد الانسان من الثياب وفوقه الدثار .

قوله وتجلببوا السكينة : أي اتخذوا الوقار والحلم جلبابا .

عضوا على النواجذ : كناية عن تسكين القلب ، وطرد الرعدة عنه ، فانه : الضمير لما يدل عليه عضوا : من العض[١] وما قبله من الأفعال أي العض على الناجذ منك أشد إبعاد السيف العدو عن هامك[٢] .

والخزر : نظر المغضب ، وطعن يطعن بالضم بالسنان ويطعن بالفتح يكون باللسان والخزر أي اللحظِ الخزر ، والشزر : أي الطعن الشزر ، حذف الموصوفان لدلالة الحظوا وأطعنوا عليهما والطعن الشزر : حذف ما كان عن اليمين والشمال ، نافحوا أي اضربوا ونفحه بالسيف اي ضربه به وظبة السيف حدّه .

روي أنه قيل لعلي عليه السلام ما أقصر سيفك ؟ فقال : أطوله بخطوة[٣] .

انكم بعين الله ، أي يراكم الله على ما أنتم عليه ، ويعلم أفعالكم .

والأعقاب : الاولاد ، عليكم بهذا السواد الأعظم أي يجب عليكم أن تأخذوا بهذا العدد الكثير ، وتقاتلوهم وتقتلوهم وسواد الناس عوامهم وكل عدد كثير ، والسواد الشخص أيضا فيجوز أن يريد به معاوية وأصحابه .

والرواق المطنب : المشدود بالأطناب وكان قد ضرب لمعاوية مضرب عظيم وأحاط به أربعمائة الف عاقدون على أنفسهم أن لا تنفرجوا عنه حتى يقتلوا ، وثبج كل شيء وسطه .

---

١ ـــ العض : شدة الاستمساك لان العض بالنواجذ عض بجميع الفم والاسنان .

٢ ـــ الهام : الرأس و بنات الهام : مخ الدماغ .

٣ ـــ الخطوة : بالضم : بعد ما بين القدمين في المشي .

والثبج : ما بين الكاهل إلى الظهر، ويجوز أن يكون أراد بالشيطان إبليس أو خصمه معاوية .

قد قدم للوثبة عليكم يدا : إن جبنتم وأخر للهزيمة رجلا إن أقدمتم .

فصمدا صمدا : أي اقصدوا قصدوا بعد قصد .

حتى ينجلي لكم عمود الحق : اي يتضح لكم ما يعتمد عليه الحق مستعار من عمود البيت ، أو عمود الصبح ، وأنتم الأعلون الواو للحال .

ولن يتركم اعمالكم : أي لن ينقصكم جزاء أعمالكم[١] .

* * *

١ ـ في شرح هذه الخطبة في ض خلط وتقديم وتأخير.

٦٤ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في معنى الأنصار، قالوا: لما انتهت إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمّ. قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام:

فَهَلاَّ ٱحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ ٱللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟! قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟

فقال عليه السلام:

لَوْ كَانَتِ الْإمَارَةُ[1] لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ!!

ثم قال عليه السلام:

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وَآلِهِ فقال عليه السلام: ٱحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ.

---

١ ــ في ح وب: ولو كانت الامامة فيهم.

الشرح

السقيفة : صُفَّة لبني ساعدة كانوا يجلسون فيها .

ج ـ أنباء السقيفة أي اخبار سقيفة بني النجار من بيعة الناس أبابكر بها .

* * *

٦٥ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لما قلد محمدبن أبي بكر مصر فملكت عليه فقتل

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَبْنَ عُتْبَةَ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ وَلاَ أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ، بِلاَ ذَمٍّ لِمُحَمَّدِبْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً، وَكَانَ لي رَبِيباً.

الشرح

ع ـ فملكت عليه: أي شددت وضيقت البلدة عليه قال الشاعر:

ملكت بها كفي فأنهرت[1] فتقها.

قيل: يعني اخذت المملكة منه، وهاشمبن عتبة[2] هذا كان يلقب

---

١ ـ الشعر لقيس بن الخطيم كما في تاج العروس في (نهر).

ملكت بها كفي فانهرت فتقها ‏ ‏ ‏ يرى قائم من دونها ما وراءها

ويقال: طعنه طعنة نهر فتقها. أي وسعه.

٢ ـ هاشم بن عتبة بن ابي وقاص القرشيُّ الزهري اخو سعد بن أبي وقاص، اسلم يوم الفتح وكان من الشجعان الابطال والفضلاء الاخيار فقئت عينه يوم اليرموك بالشام وهو الذي افتتح جلولاء وكانت تسمى فتح الفتوح.

قال هو سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يظهر المسلمون على فارس والروم، وشهد صفين مع علي عليه السلام وكانت معه الراية وهو على الرجالة، وقتل يومئذ وفيه يقول ابو الطفيل عامر بن واثلة:

يا هاشم الخير جزيت الجنة ‏ ‏ ‏ قاتلت في الله عدو السنة

بالمرقال لسرعته في الحرب .

ج ـ والدة محمدبن أبي بكر أسماء بنت عميس[١] كانت زوجة جعفربن أبي طالب[٢]. فلما قتل تزوج بها أبوبكر ، فلما توفي أبوبكر تزوج بها أميرالمؤمنين ، فكان محمدبن أبي بكر ربيب علي عليه السلام وكان إليه محبوبا[٣].

* * *

١ ـ اسماء بنت عميس بن معبد اسلمت قديما وهاجرت الى الحبشة مع زوجها جعفربن أبي طالب فولدت له بالحبشة عبد الله وعونا ومحمدا ، ثم هاجرت الى المدينة ، فلما قتل زوجها جعفر تزوجها أبوبكر فولدت له محمدا ثم مات أبوبكر فتزوجها علي بن ابي طالب فولدت له يحيى .

٢ ـ جعفر بن ابي طالب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله عليه وآله السلام وهو جعفر الطيار وكان اشبه الناس برسول الله خلقا وخلقا ، اسلم بعد اخيه علي بقليل وروي ان ابا طالب رأى النبي وعليا يصليان فقال لجعفر صل جناح عمك وله هجرتان هجرة الى الحبشة وهجرة الى المدينة .

هو الذي تكلم عند النجاشي وقرأ آيات من القرآن و بين له ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ، فلما رجع الى المدينة بعثه رسول الله الى مؤتة في سنة ثمان ، فقتل شهيدا ، فقال رسول الله قد جعل لجعفر جناحين يطير بهما مع الملائكة .

٣ ـ في ض : وكان يحبه لحسن هديه ونقاء سريرته .

٦٦ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ! كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ؟ أَكُلَّمَا أَطَلَّ[1] عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا ؟!. الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ. وَإِنَّكُمْ، وَاللهِ، لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ، وَلٰكِنِّي (والله[2]) لاَ أَرَى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي! أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ، لاَ تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، وَلاَ تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ.

---

١ ــ في م ور: اظل عليكم.

٢ ــ ساقطة من ب.

الشرح

قوله عليه السلام كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة الى آخره.

البكار العمدة: الابل التي فسد سنامها، يقال عمد البعير: اذا انفضخ[1] داخل سنامه من الركوب وظاهره صحيح، فهو بعير عمد اطل يروى بالطاء والظاء.

والمنسر: الخيل انجحر: دخل الجحر.

لا أرى اصلاحكم بافساد نفسي.

قال بعض الحكماء: هذا الكلام فهرس فصول مكارم الأخلاق فان من الناس فئة لا يقبلون التأديب والتهذيب، فيحتاج مقوّمهم ومؤدّبهم إلى استعمال القوة الغضبية على وجه يخرج عن حدّ الاعتدال فالاعراض عن هؤلاء أولى من الاشتغال بتهذيبهم، فانهم لا يقبلون التهذيب.

ج ــ البكار جمع البكر وهو الفتى من الابل مثل فرخ وفراخ.

والثياب المتداعية: الخلق كان بعضها يدعو بعضا ويناديه بالانخراق اذا مسّ باليد حيصت أي خيطت.

تهتكت: انخرقت.

بافوق ناصل: أي بسهم منكسر الفوق لا نصل له، الباحة: العرصة وهذا عكس ما قاله النبي صلى الله عليه وآله للانصار: إنكم لتقلون عند الطمع

---

١ ــ في ش: انخفض.

وتكثرون عند الفزع والاود والاوج .

أضرع أي ذلل ، والتعس : الهلاك وأصله الكبّ ضد[1] الانتعاش ، وأتعسه الله ألزمه هلاكا .

والجدّ : الحظّ والبخت[2] أي صير بدل غناكم الفقر .

* * *

١ ــ اكب الرجل يكب على عمل : اذا لزمه ، وانتعش الطائر : اذا نهض من عثرته .

٢ ــ البخت لفظة فارسية معناها الحظ والنصيب .

٦٧ــ وقال عليه السلام

في سحرة اليوم الذي ضرب فيه

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الأَوَدِ وَاللَّدَدِ؟ فَقَالَ: «ٱدْعُ عَلَيْهِمْ» فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي ٱللهُ بِهِمْ خَيْراً[1] (لي) مِنْهُمْ، وَأَبْدَلَهُمْ بي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي.

قال الشريف: يعني بالأود الاعوجاج، وباللدد الخصام وهذا من أفصح الكلام.

الشرح

ملكتني عيني: كناية عن النعاس، سنح، أي أعراض، وروي.

ماذا لقيت من الأود: والأد: الشيء العجيب، والأدّ: الداهية، وما للتعجب.

* * *

١ ــ في ض وح وب: خيرا منهم.

٦٨ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في ذم أهل العراق

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ! حَمَلَتْ فَلَّما أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَمَاتَ قَيِّمُهَا، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا أَمَا وَٱللهِ مَا أَتَيْتُكُمْ ٱخْتِيَاراً، وَلٰكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً، وَلَقَدْ بَلَغَني[1] أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: يَكْذِبُ[2]! قَاتَلَكُمُ ٱللهُ، فَعَلَى مَنِ الْكَذِبُ؟ أَعَلَى ٱللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ[3]، كَلاَّ وَٱللهِ، وَلٰكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيْلُمِّهِ؟ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ! لَوْ كَانَ لَهُ[4] وعَاءٌ (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ).

---

١ ـ في ب : ولكني بلغني .

٢ ـ في ح وض : تقولون على يكذب .

٣ ـ في ح : من صدق به .

٤ ـ في ع : لو كان لهم وعاء .

الشرح

أملصت : ازلقت ورشاء ملص اذا كانت الكف تزلق عنه[١] وأملصت المرأة بولدها أسقطت، يعني مات ولدها .

ثم مات قيمها : أي زوجها .

ولكن جئت اليكم سوقا : قيل معناه ساقوني إليكم سوقا أخبر عن كراهية مجاورتهم، وإنما خرج أميرالمؤمنين من المدينة بسبب أن أهل المدينة كانوا يذمونه ويصبحون بأبيات فيها ذمه، كما ذكره[٢]ابن جرير في تاريخه، وقيل خرج أميرالمؤمنين من المدينة . ومحمدبن الحنفية بين يديه وأهل المدينة يصيحون خلفه ويقولون يا رب اعقر لعلي جمله . ولا تبارك في بعير حمله .

فلما سمع أميرالمؤمنين ذلك قال تعود المدينون سوء الأدب فلا أعود اليهم ما عشت .

واللهجة : اللسان وعنى بها نفسه، ويريد أنهم يجهلون حاله وصدقه ومنصبه، وقد يعبر عن الجهل بالغيبة قال الشاعر :

---

١ ــ زلق عن مكانة : ابعده ونحاه وزلقت القدم : زلت ولم تثبت .

٢ ــ محمد بن جرير أبو جعفر الطبري المحدث الفقيه المؤرخ علامة وقته ووحيد زمانه الذي جمع من العلوم مالم يشاركه فيه احد من اهل عصره، صاحب المصنفات الكثيرة منها التفسير والتاريخ وكتاب طرق حديث الغدير وغيرها ولد بآمل طبرستان سنة ٢٢٤ وتوفي ببغداد سنة ٣١٠ .

شهدت جسيمات المعلى وهوغائب * ولو كان أيضا حاضرا كان غائبا

من أهلها : أي من أهل المتابعة لمن هو من أهل الدين والتقوى ، وقيل لهجة أي كلمة ، يعني تصديقي كلمة .

غبتم عنها : يا أهل الكوفة أي ما حضرتم في ابتداء مبعث النبي صلى الله عليه وآله ، وما كنتم من المهاجرين ولا الأنصار .

كيلا : أي اكيل كيلا ، لو كان له وعاء : أي محل قابل ولكي لا تعرفون قدري وقدر كلامي وما أدعوكم اليه .

روي عن عيسى عليه السلام أنه قال : لا تضيعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم .

قال بعض الحكماء : ألقمتك قفي الحكم[1] في لطايف اللقم فصنه عن الجاهلين ، ومن لم يرزق الفطنة الوقّادة .

جــ جئت إليكم سوقا : أي ساقني الله إليكم ، وروي ولا أجبتكم شوقا ، واللهجة : اللسان يقال فلان حسن اللهجة ، يعني ما حدث به عن رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا غيبا فيه ، ولم يسمعوا والناس أعداء ما جهلوا وقيل : يعني كلامه الذي كان ينصحهم به ولا ينتفعون لمكانه .

ويل أمه : كلمة تعجب والضمير في امه للعلم أو الكلام .

كيلا : يعني علمه ، وكلامه أشار به الى كثرة ما يعظهم ولا يريد منهم جزاء ولا شكورا ، ش : (لكنها يعني القصة التي نسب عليه السلام فيها الى الكذب ويل امّه أي ويل امّ ما أقول حاصل اذ لو كان لكلامي الشريف الضايع بخطابكم ، أم لولولت على ضياعه وذهابه هدرا .

---

١ ـــ القفي : خيرتك من اخوانك وما يكرم به الضيف من الطعام .

كيلا : أي أكيل لكم كيلا ، وافيدكم من علوم الدين وغيره ما يحتاجون اليه من غير أن أطلب منكم جزاء له[١]) .

* * *

١ ـــ ساقط في ض .

٦٩ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله

ٱللّهُمَّ دَاحِيَ ٱلْمَدْحُوَّاتِ، وَدَاعِمَ ٱلْمَسْمُوكَاتِ[١]، وَجَابِلَ ٱلْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا: ٱجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ: ٱلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَٱلْفَاتِحِ لِمَا ٱنْغَلَقَ، وَٱلْمُعْلِنِ ٱلْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَٱلدَّافِعِ جَيْشَاتِ ٱلْأَبَاطِيل، وَٱلدَّامِغِ صَوْلاَتِ ٱلْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلاَ وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً عَلَى عَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ ٱلْقَابِسِ، وَأَضَاءَ ٱلطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ ٱلْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ ٱلْفِتَنِ[٢]، (والآثام) وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ ٱلْأَعْلاَمِ، وَنَيِّرَاتِ ٱلْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ ٱلْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ. وَرَسُولُكَ إِلَى ٱلْخَلْقِ. ٱللّهُمَّ ٱفْسَحْ لهُ مَفْسَحاً

---

١ ــ في م: وداعم المسموكات.

٢ ــ ساقطة من وع وف وفي م وك وش ول: خوضات الفتن والاثم وفي هامش ل: والا ثام.

فِي ظِلِّكَ ، وَٱجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . ٱللّٰهُمَّ أَعْلِ[1] عَلَى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ وَٱجْزِهِ مِنَ ٱبْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ ٱلشَّهَادَةِ ، مَرَضِيَّ ٱلْمَقَالَةِ[2] ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وَخُطَّةِ فَصْلٍ . ٱللّٰهُمَّ ٱجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ ٱلْعَيْشِ وَقَرَارِ ٱلنِّعْمَةِ ، وَمُنَى ٱلشَّهَوَاتِ ، وَأَهْوَاءِ ٱللَّذَّاتِ ، وَرَخَاءِ ٱلدَّعَةِ ، وَمُنْتَهَى ٱلطُّمَأْنِينَةِ ، وَتُحَفِ ٱلْكَرَامَةِ .

١ــ في نسخة : اعل به على بناء البانين .

٢ــ في ب : ومرضيّ المقالة .

الشرح

ع ـ قوله عليه السلام اللهم داحي المدحوات الى آخره.

الجبل: الخلق على استعداد ولذلك قال: شقيها وسعيدها.

المعلن الحق بالحق: قال الامام الوبري أي أعلن الشرع الحق بسبب تحصيل رضوان الله الحق، وقيل أعلن الشرع بالمعجزات، وقيل الدين الحق بالبيان الحق، والبرهان الحقّ مقبول الشهادة من قوله تعالى: وجئنا بك على هؤلاء شهيدا.

ج ـ داحي المدحوات أي يا باسط الأرضين والدحو: البسط. وداعم المسموكات:

(أي حافظ السموات[1]) يقال: دعمت الشيء دعما أي جعلت له دعامة، وسمك الشيء رفعه.

وروي وجبار القلوب على فطراتها: من الجبر الذي هو ضدّ الكسر أي أثبتها وأقامها على ما فطرها عليه من معرفته، ويجوز أن يكون من جبره على امره بمعنى أجبره عليه أي ألزمها، وحتم عليها الفطرة على وحدانيته، والاعتراف بربوبيته، والفطرات بكسر الطاء وفتحها تكسير فطرة على بناء الجمع كالسدرات.

شقيها وسعيدها: بدل من القلوب.

١ ـ في ض: الجبر بتمامه اي خالق شقي القلوب وسعيدها.

وجابل القلوب، خالقها والفطرة: الحالة التي يفطر الآدمي عليها خاليا عن الآراء والديانات، فاذا بلغ اختار السعادة بحسن نظره أو الشقاوة بسوء نظره كما قال النبي صلى الله عليه وآله: كلّ مولود يولد على الفطرة الخبر بتمامه، أراد عليه السلام أن السعيد والشقي كليهما مجبولان على الحالة التي يمكنهما معها اختيار الخير والشر.

الدامغ صولات الأضاليل: أي المهلك بحملات الضلال، يقال: دمغه دمغا أي شجه بحيث يبلغ الدماغ، فيهلكه.

والجيشات: جمع جيشة من جاش اذا ارتفع.

والأباطيل: جمع باطل على قياس أراد أنه قامع[1] ما نجم منها.

واضطلع بالشيء قوي بتحمله افتعل من الضلاعة وهي القوة يعني قوي بحمل ما حمله الله من الرسالة.

مستوفزا: أي على عجلة، والوفز: العجلة واستوفز في قعدته اذا قعد قعودا غير مطمئن منتصبا.

غير ناكل عن قدم: أي غير جبان ضعيف عن التقدم يقال: قدم يقدم قدما أي تقدم وروي قدم بضم الدال يقال: مضى فلان قدما أي سار ولم يعرج، وروي قدم بغير نكل، ونكل نكلا لغة في نكل نكولا: والقدم التقدم، ويجوز أن يراد قدم الرجل، ويقع نكولها عبارة عن التأخر وأراد بالقبس: نور الحق.

(الضميران في بأهله وأسبابه راجعان الى القبس حتى[2]) استخرج العلوم لطالبيها (وورى الزندُ يري وريا: أي أخرجت ناره، وأوريته أنا أو القبس شعلة من نار وقبست منه نارا فأقبسني أي طلبتها فاعطاني، وما ذكرنا

---

١ ــ قمعه: قهرة وذلله.

٢ ــ بين الملالين ساقط في ض.

من الضميرين إنما هو في رواية من روي حتى أورى قبسا لقابس إلا الله يصل بأهله وأسبابه .

وهديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وأقام موضحات الأعلام[١]).

والمصدر في خوضات الفتن مضاف الى المفعول أي بعد ما خاضت القلوب الفتن (اطوارا ، وكرات وموضحات ، يتعلق بهديت والأصل هديت الى موضحات فحذف الجار وأوصل الفعل[٢]) .

والشهيد : الشاهد على أمته .

والبعيث : المبعوث ، وروي مفتسحا وهو موضع الافتساح أي الاتساع أو مصدر.

وافسح له مفسحا : أي وسع له المقام في ظلك ، وروي :
وأتمم له نوره وأجزه مقبول الشهادة نصب على الحال .

* * *

١ ــ ساقط في ض .

٢ــ ساقط في ض .

٧٠ــ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهُ السَّلَامْ

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا: أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فكلماه فيهِ، فخلى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أميرالمؤمنين؟ فقال عليه السلام:

أَوَ لَمْ يُبَايِعْني قَبْلَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لاَ حَاجَةَ لي فِي بَيْعَتِهِ! إنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعني بيده[1] لَغَدَرَ بِسَبْتِهِ أَمَا إنَّ لَهُ إمْرَةً كلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ[2]!

الشرح

قوله عليه السلام أنها كف يهودية.

ع ــ أي لا يوثق بقوله وبيعته: فعبرّ عن نكثه العهد باليهودية لأن الغدر في اليهود مشهور ولهم عرق نزاع[3].

لغدر باسته أو بسبته أي لو انسدت عليه أبواب الخيانة أمكنه من حيث لا

١ ــ في ب: لو بايعني بكفه.

٢ ــ في م وف: موتا احمر.

٣ ــ في ض: ولهم فيه عرق نزاع.

يتوقع لما قصر، ويروي لغدر بقلبه وهو الأصح .

أما أن له إمرة كلعقة الكلب أنفه .

يعني قليل المدة لا انتفاع له بها، وكانت مدة أمارة مروان على ما ذكره أبو جعفربن محمدبن الحسين الخازن[١] في جداول تاريخه: أربعة أشهر وعشرة أيام، كعدة المتوفى عنها زوجها، فكان المخبر مطابقا لخبر أميرالمؤمنين عليه السلام وأولاد مروان عبد الملك وكان وليّ عهده، وعبد العزيز، والد عمر، ومحمد والد مروان الحمار، وبشر، الكبش سيد القوم وأميرهم .

لعبد الملك اولاده الأكبش الأربعة الأمراء: الوليدبن عبد الملك وسليمان‌بن عبد الملك ، ويزيدبن عبد الملك وهشام‌بن عبد الملك .

يوما أحمر أي بلاء كما يقال موت أحمر يقال سنة حمراء شديدة .

ج ــ وروي أن مدة إمرة مروان كانت ستة أشهر.

ولعقت الشيء لحسته، والاكبش الأربعة هم ولده عبد الملك والوليد وسليمان وهشام، يوما أحمر أي شديد أو روي موتا أحمر ومنه الحديث كنا اذا احمرّ الباس[٢] اتقينا برسول الله .

* * *

١ــ لم نجد له ترجمة في كتب الرجال .

٢ــ البأس هنا : الخوف ولا يكون الا مع الشدة .

٧١ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهُ السَّلامْ

لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ[١] بِهَا مِنْ غَيْرِي. وَوَٱللهِ لأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذٰلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ.

الشرح

تنافس في الشيء: رغب فيه والزبرج: الزينة من وشي أو جوهر، ونحو ذلك والزخرف من الذهب.

* * *

١ ــ في ب: احق الناس بها.

٧٢ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السلامْ

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوَ لَمْ يَنْهَ بني أُمَيَّةَ[١] عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي ؟ أَوَ مَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي ! وَلَمَا وَعَظَهُمْ ٱللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي ! أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ ، وَخَصِيمُ ، الْمُرْتَابِينَ[٢] وَعَلَى كِتَابِ ٱللهِ تُعْرَضُ الأَمْثَالُ ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَي الْعِبَادُ .

أقول : قرفني بكذا : أي اتّهمني به ونسبه إليّ . ووزع : كفّ . وحجيجهم محاجّهم . والخصيم : المخاصم .

وقوله : أولم ينه . إلى أو ماوزع .

الشرح

القرف : العيب ووزع : أي دفع وكف .

والتهمة بالتحريك أفصح .

حجيج المارقين أي محاج الخوارج[٣] الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

---

١ ـ في م وف ون ول : او لم ينه امية .

٢ ـ في ح : خصيم الناكثين المرتابين على كتاب الله .

٣ـ في ض : اي أنا محاج الخوارج .

على كتاب الله تعرض الامثال: أي المشتبهات. فما وافقه يؤخذ به[١].

ع- حججته حجا وأنا حجيج إذا سبرت شجته بالميل لتعالجها، قال الشاعر:

يحج ما موته في قعرها لجف[٢].

ولما وعظهم أي للذي على كتاب الله تعرض الامثال.

قال الوبري: أي صفات المؤمنين معناه أن أحكام المؤمنين يؤخذ من كتاب الله، فمن شهد الكتاب له بأحكام المؤمنين في الدنيا والجزاء عند الله في الآخرة يظهره الله يوم القيامة، فهذا معنى قوله.

وبما في الصدور تجازى العباد.

قيل معناه أن الأصل في استحقاق الثواب والعقاب التصديق والتكذيب.

* * *

---

١ ــ في ض: اي ما وافق منها كتاب الله يؤخذ به.

٢ ــ الشعر لغدار بن درة الطائي يصف جراحة كما في تاج العروس (لجف):

يحج مأمومة في قعرها لجف فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

٧٣ ـــ ومَنْ خطبة لهُ عليه السلام

رَحِمَ الله عبدا[١] سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى، وَدَعا إلَى رَشَادٍ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا: رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصاً، وَعَمِلَ صَالِحاً، اكْتَسَبَ مَذْخُوراً[٢]، وَاجْتَنَبَ مَحْذوراً، رَمَى غَرَضاً، وَأَحْرَزَ عِوَضاً كَابَرَ هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نجَاتِهِ، والتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ، وَلَزِمَ المَحَجَّةَ الْبيْضَاءَ، اغْتَنَمَ الْمَهَلَ، وَبَادَرَ الأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

الشرح

قوله رحم الله عبدا سمع حكما فوعى:

ع ـــ أي سمع حكمة فحفظها وعمل عليها، وحجزة الازار، مقعده وحجزة السراويل[٣] مافيه التكة. وهي هنا كناية عن التمسك. بحبل رجل هاد، ويقال: كسبت المال لنفسي ولغيري وأكتبسته لنفسي، وقيل الصواب كسب مذخورا لقوله تعالى: لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت[٤].

المحجة البيضاء: أي الجادة الواضحة[٥] التكاليف ينقسم الى عقلي

---

١ ـــ في ح وض وب : رحم الله إمرءً سمع.

٢ ـــ في ك: والصواب كسب مذخورا.

٣ ـــ في ض : حجزة السراويل منفذ التكة.

٤ ـــ البقرة : ٢٨٦.

٥ ـــ في ض : واعلم ان التكاليف ينقسم.

وسمعي فالعقلي منها ما ينبغي أن يفعل على وجهه الذي وجب وحسن، وأما الشرعي فللثواب مدخل في وجه حسنه ولهذا يجب[1] علينا نية العبادة والصلاح.

فقوله: رمى غرضا وأحرز عوضا.

يجوز أن يكون إشارة إلى كون الثواب غرضا في الشرعيات، وداعيا الى العقليات، وقال قوم، في قوله: رمى غرضا الأغراض ثلاثة.

الأول تنحية ما دون الحق عن سنن الايثار، وهذا يعين عليه الزهد الحقيقي.

والثاني تطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، ويعين عليه العبادة المشفوعة بالفكرة: ثم الألحان المستخدمة ثم نفس كلام الواعظ من قائل زكي بعبارة بليغة ونغمة[2] رخيمة، وسمتْ رشيد.

والثالث تلطيف السرّ للتنبه، ويعين عليه الفكر اللطيف، وأما العوض فخلسات من اطلاع نور اليقين يتبع هذه الأعراض.

* * *

١ـ في ض: يجب علينا ان ننوى الثواب في اقامة الصلوات الصيام وسائر العبادات الشرعية كما يجب علينا ان ننوى العبادة والصلاح.

٢ـ النغمة: حسن الصوت في القرائة ونغم الرجل: طرب في الغناء ورخم الصوت والكلام: رق ولان والسمت: الطريق والمحجة.

٧٤ـــ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

إنَّ بَني أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَني تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ تَفْوِيقاً، (والله لئن بقيت لهم)[١] لأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّام الْوِذَامَ التَّرِبَةَ.

ويروى «التراب الوذمة». وهو على القلب.

قال الشريف: وقوله عليه السلام «ليفوقونني» أي. يعطونني من المال قليلا كفواق الناقة، وهو الحلبة الواحدة من لبنها، والوذام: جمع وذمة وهي: الحزة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض.

٧٥ـــ ومن كلمات كان يدعو بها

اللّهمَّ أغْفِرْلي مَا أنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي، فَإنْ عُدْتَ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ، اللّهُمَّ أغْفِرْ لِي مَاوَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي، اللّهُمَّ أغْفِرْلي مَاتَقَرَّبْتُ بِهِ إلَيْكَ (بلسَاني)[٢] ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي. اللّهُمَّ أغْفِرْلي رَمَزَاتِ الأَلْحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الأَلْفَاظِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ.

---

١ ـــ ساقطة من ب.

٢ ـــ ساقطة من ن وم ول وش.

الشرح

قوله عليه السلام إن بني أمية ليفوقونني إلى آخره .

ج ــ يقال فوقت الفصيل أي سقيته اللبن[١] فواقا والفوق ما بين الحلبتين من الوقت لأنها لا تحلب ثم تترك ساعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب .

والتراث : الميراث وتأوه بدل من الواو .

والتربة : الأنملة وجمعها تربات وتراب على القياس .

والوذام : الكرش والأمعاء ، ذكر الجوهري[٢] في صحاح اللغة هذا الحديث على الرواية الأخيرة ثم ذكر أن الاصمعي سال شعبة[٣] عن هذا الحديث فقال : هو الوذام التربة لا التراب الوذمة والحزة القطعة وروي نفض[٤] القصاب التراب الوذمة ، والتراب جمع ترب تخفيف تراب ، والوذمة المنقطعة ، الأوذام ، وهي المعاليق من قولهم ، وذمت الدلو : فهي وذمة اذا انقطعت أواذمها وهيو سيور[٥] العراقي .

---

١ ــ الدر : اللبن اذا جرى والدر ايضا ذوات اللبن .

٢ ــ ابو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي كان من اذكياء العالم واعاجيب الدنيا ، ولع باللغة العربية ، واسرارها واخذ يطوف من مظان وجودها ، اخذ عن السيرافي والفارسي وسافر الى الحجاز ودخل بلاد ربيعة ومضر وله آثار منها الصحاح مات بنيسابور مترديا من سطح سنة ٣٩٣ .

٣ ــ شعبة بن الحجاج العتكي الازدي ابو بسطام الواسطي البصري روى عن خلق كثير منهم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وروى عنه جماعة كثيرة كان الثوري يقول : شعبة امير المؤمنين في الحديث وقال الشافعي لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق مات بالبصرة سنة ١٦٠ .

٤ ــ النفض : الازالة والدفع .

٥ ــ السيور نوع من البرود فيه خطوط تعمل من القز ، او يخالطه حرير .

والمعنى كما ينفض اللحوم أو البطون التي تعفرت[١] يشقوقها علىٰ الأرض لانقطاع معاليقها[٢] وقيل: هذا من غلط النقلة وأنه مقلوب، والصواب الوذام التربة، وفسرت الوذام بأنها جمع وذمة وهي الكرش نفسها والحزة منها والوجه ماسبق.

ع‍ـ قال أبو عبيد: الوذام واحدتها وذمة (وهي الحزة من الكبد والكرش، ومن هذا قيل لسيور الدلاء الوذم) لأنها مقدودة طوال قال والتربة: التي قد سقطت في التراب فتتربت فالقصاب ينفضها، وقيل الوذمة الكرش لأنها معلقة قال: والوذام أيضاً لحمات يكون في رحم الناقة، يمنعها عن الولد، فاذا عولج ذلك منها قيل وذمتها توذيما يقول إن وليتهم أزلت بالتأديب والتهذيب الأنجاس والأدناس والقصاب القطاع وقيل سمي قصابا نصا لتفريقه الأقصاب وهي الأمعاء[٣].

وَأيْتُ: أي وعدت، والهفوة: الذلة.

١ـ تعفر في التراب: تمرغ فيه وتترب.

٢ـ المعاليق جمع المعلاق وهي عند العامة: الرئة والكبد والقلب من الذبيحة.

٣ـ هنا في ض خلط واسقاط.

٧٦ ـ وَمن كلامٍ لهُ عليه السلام

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له: يا أميرالمؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم.

فقال عليه السلام:

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وَتُخَوِّفُ السَّاعَةِ[1] الَّتِي مَنْ سَارَ فيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ[2] بِهٰذَا فَقَدْ كَذَّبَ ٱلْقُرْآنَ، وَٱسْتَغْنَى عَنِ الاستِعانَةِ[3] بِاللهِ في نَيْلِ الْمَكْرُوهِ؛ وَتَبْتَغِي في قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ؛ لأَنَّكَ ـ بزعَمِكَ أَنْتَ ـ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَة الَّتي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَأَمِنَ الضُّرَّ!!

(ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال:)[4]

أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فإنَهَا تَدْعُو إِلَى ٱلْكَهَانَةِ، وَالْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ والسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ؛ وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ، سِيرُوا عَلَى ٱسمِ اللهِ.

---

١ ـ في ض وح وب: تخوف من الساعة.

٢ ـ في ب: فمن صدق بهذا.

٣ ـ في ب: عن الاعانة بالله.

٤ ـ ساقطة من ف ون ول.

الشرح

حاق به: أي أحاط به، قال ابن عرفه: حاق به الأمر إذا لزمه، قال الأزهري: الحيق ما يشتمل عليه من مكروه فعله.

وكهن كهانة: بالفتح أي صار كاهنا، وكهن يكهن كهانة مثل كتب يكتب كتابة، إذا تكهن.

والسحر: كل ما لطف مأخذه ودق، والساحر من يصرف الناس عن الحق بتخييل، وروي يوليك: بالتخفيف والتشديد[1]. ع: الغرائب التي في العالم إما من هيئة نفسانية، والسحر من قبيلها وإما من خواص أجسام عنصرية بتقدير الله تعالى، والنيرنجات من قبيلها، وإما من تأثيرات سماوية، يكون بينها وبين أجسام أرضية مخصوصة والطلسمات من قبيلها.

فصل في تهجين أحكام النجوم

كيف يمكن أن يكون الانسان يعرف الحوادث وأسبابها في الأحوال حتى يعرف المسببات في المستقبل، كما في الجزر والمد من ادعى أنه يعرف أسباب الكائنات فمقدماته ليست برهانية، وإنما هي تجربية أو شعرية أو خطابية، مؤلفة من المشهورات في الظاهر أو مقبولات ومظنونات، ومع

---

١ ـــ في ض: يوليك مخففا ومشددا.

ذلك فلا يمكنه أن يتعرض إلا لجنس من أجناس الأسباب، وهو يتعرض بعض الأسباب العلوية ولا يمكنه أن يتعرض لجميع الأسباب السماوية والقوابل .

إذا تغيرت القوابل عن أحوالها تغير أثر الفاعل فيها، فان النار في الحطب اليابس، يؤثر تاثيرا لايؤثر في الرماد، ولو سلمنا أنه عرف تفاصيل الأسباب بحصول المسببات لايعرف، فهذا العلم الأول كحصول الاحتراق من النار في هذه الحالة، لايعرف إلا بمعرفة ملاقاة القوة الفاعلة المحرقة المسخنة التي للنار، والقوة القابلة التي للحطب .

فكما أن معرفة الأسباب الفاعلية شرط، وكذلك معرفة القوابل، وبقائها على استعداد القبول شرط، ويمكن أن يكون للقوابل عوائق، فلا يعلم تلك الأسباب والمسببات إلّا الله تعالى، وأيضاً فالحركات من المقادير المتصلة وقد قام البرهان الهندسي، على أن التشكلات الفلكية، لايقع على نسق واحد فيكون في كل زمان تشكل آخر، واذا كان كذلك لايكون التشكلات مجربة فلا يحكم بالتجربة في أحكام النجوم .

أيضا فان المنجم يحكم على مفردات الكواكب ولا يحكم على جميعها ممتزجة، وكما أن أحكام مفردات الترياق وساير المعاجين غير أحكام المركب الذي حصلت له صورة نوعية، كذلك حكم الكواكب الموجودة المذكورة في الأفلاك غير حكم أفرادها وإذا لم يمكن للمنجم الحكم إلا على المفردات كان الحكم ناقصا غير موثوق به .

فسئل المنجم وقيل: في هذه[1] الساعة الشمس في الأسد يقتضي كذا والزهرة[2] فيه كذا وعطارد مع زحل في السنبلة يقتضي كذا، والمشتري في

١ ــ في ض : فسل المنجم وقل له .
٢ ــ في ض : فيه أيضاً يقتضى كذا .

الجدي يقتضي كذا، وجميع هذه التشكلات أي شيء يقتضي كما أن الترياق وهو مجموع الأدوية يقتضي كذا وكذا، وكل مفرد من عقاقيره يقتضي شيئا خاصا.

ثم إنه ربما يحصل التوأمان معا في غشاء فيكشف عنهما فاذا فيه صبيان حيان، وعلى قوانين الأحكاميين يجب أن يكونا مثلين في الصورة والعمر، والحركات حتى لايجوز أن يختلفا في شيء من الأشياء، ولا يجوز أن يسكت أحدهما في وقت كلام الآخر، ولايقوم في وقت قعود الآخر ولا ينام في وقت لاينام فيه الآخر.

اذا دخلا بيتا له باب ضيق فلا يمكنهما الدخول لأنه لابدّ هاهنا من التقدم والتأخر، ولايجوز أن يمس إنسان أحدهما دون الآخر، ولايجوز أن يكون في التزويج إمرأة أحدهما غير إمرأة الآخر، ولا أن يكون مكان أحدهما غير مكان الآخر، من الأرض، وهذا مما لايخفى فساده وأيضا فان الحكم الكلي عند أكثرهم يغلب الجزئي.

الأ ترى أن طالع ناحية أو بلد اذا كان فاسدا فانه لايفيد عطية الكدخدا [1] لانسان، فكيف يعتمد على الطوالع والاختيارات مع نفي العلم بالكليات، ومن شنيع قولهم، انهم يقولون: إذا ولد لملك في حال ولدوللسوقي ولد، فان الكواكب تدل لابن الملك بخلاف ما يدل لابن السوقي مع اتفاقهما [2] في كمية العمر، لأن هيلاجهما وكدخداهما لا يختلفان.

فاذا جاز أن يكون دلالة النجوم مختلفة في سعادة هذين الولدين، فما انكروا أن يكون مقادير أعمارهما أيضا مختلفة، واختلفوا في الحدود ومرجع التسيير الى الحدود، ولا برهان لهم على تعيين الحدود، واختلفوا في مقوم

١ ـــ كدخدا كلمة فارسية ومعناها صاحب القرية او عظيم القرية ورئيسها.

٢ ـــ في ش: مع ابقائهما.

الكواكب في اختلاف الزيجات، فلا برهان على فساد بعضها، وصواب بعضها.

فربما يوجد في مقوم الشمس من التفاوت خمس درج، ويختلف درج الطوالع وبروج التحاويل بسبب ذلك، فيفسد الأحكام، واختلفوا في مطارح الشعاعات ولا برهان على صحة بعضها، وعليها مباني الأحكام، واختلفوا في التسيير المستقيم، والمعكوس وتسيير الكواكب الذي في السابع، بمطالع النظير ومطالع برجه.

لاحجة لهم على استقامة بعض الأقوال دون بعض وبذلك يفسد ثلث الأحكام ويزعمون ان الكواكب المتحيرة في الميلاد، ربما لايدل على سعادة المولود بسقوطها، ولرجوعها ولنحوسها، فاذا كان مع ذلك ثابت سعد في العظم الأول في درجة الطالع أو درجة وسط السماء بلغ المولود غاية في السعادة، وبذلك يبطلون دلايل الكواكب المتحيرة والبروج، وذلك نوع تعسف[1] أيضا.

لأنهم يقولون من شرائط ذلك أن يكون الثابت على درجة الطالع أو درجة وسط السماء أو درجة النيرين ولا طريق لهم الى معرفة درجة الطالع؛ ومقدم النيرين بحسب اختلاف الزيجات، ويقول لهم الكواكب الثابتة، هل يدل على طول العمر وهل له سنون، كما يدل على السعادة، والجاه، فان قالوا يدل على الأعمار نطالبهم باعداد أعوام كل ثابت وإن قالوا لايدل قلنا:

كيف ينال السعادة والشرف مع فقدان البقاء ويلزمهم أن يقع الثابت على درجة الطالع أو وسط السماء والنيرين، ولا ينال المولود العمر، فلا ينال الشرف والسعادة، فيبطل حكم الثابت أيضا بالمتحيرة، وحكم المتحيرة

١ ـ العسف في الاصل ان يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ولا علم وقيل: هو ركوب الامر من غير رؤية فنقل الى الظلم والجور.

بالثابتة ولا فساد وراء ذلك ويقول لهم ما يقولون في[٢] ملكين يحاربان كل واحد منهما سأل منجمه في حالة واحدة عن خصمه، فاتفقت درجة الطالع في سؤالهما.

فالبرج السابع دليل الخصم وهو في الطالعين واحد، والبرج الثاني دليل العسكر والأعوان، وهو في الطالعين واحد، والبرج الثامن دليل أعوان الخصم، وهو في الطالعين واحد، فكيف يصح الحكم لهذين المنجمين على سؤال هذين الملكين وتفرض هذا السؤال في ملكين لا يعرف طالع ولادتهما.

من هذا يعرف أن الكواكب في زمان هذين السؤالين لا يدل على شيء من المقصود، وهذا التعطيل لا يجوز مذهب الأحكاميين، ولو سألهم إنسان عما في يده وقال: ألقيه من يدي في ساعتي أم لا فعلى أي الطرفين حكموا؟ فلا يعجز السائل أن يخالفهم ويبطل أحكامهم، فان قالوا ذلك يبقى في يديه مستوية بعد المسألة فللسائل أن يلقيه من يده، قبل مرور الساعة، وإن قالوا لا يبقى فللسائل أن يحفظه ويبطل أحكامهم.

هذا كله يدل على أن ما أشار إليه أميرالمؤمنين من تهجين[٢] أحكام النجوم صادر عن البرهان واليقين وأن المغتر بدعاويهم الباطلة كمن يعتمد على تخيل ويؤول إلى شر مآل.

ج ــ ذكر المبرد أن المنجم الذي أشار إليه عليه السلام بترك الرحيل، هو عفيف بن قيس أخو الاشعث بن قيس.

١ــ في ض: في الملكين يحاربان.

٢ــ هجن الامر: قبحه وعابه.

٧٧ــ وَمِنْ خطبة لهُ عليه السلام

بعد حرب الجمل، في ذم النساء

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الايمانِ، نَوَاقِص الْحَظوظِ، نَوَاقِصُ ٱلْعُقُولِ: فَأَمَّا نُقْصَانُ إيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ والْصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهادَةُ أمْرَأَتَيْنِ منهن[1] كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ ٱلرِّجَالِ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلاَ تُطِيعُوهُنَّ في الْمَعْرُوفِ حَتَّى لاَ يَطْمَعْنَ في الْمُنْكَرِ.

٧٨ــ وَمِن كلامٍ لهُ عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ. الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، وَالشَّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، وَالْوَرَعُ[2] عِنْدَ المَحَارِمِ فَإنْ عَزَبَ ذٰلِكَ عَنْكُمْ فَلاَ يَغْلِبِ الْحرامُ صَبْرَكُمْ، وَلاَ تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْذَرَ الله إلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ، وكُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ.

---

١ ــ ساقطة من ض وب.

٢ ــ في ح: والتورع وفي ل وش: والورع عن المحارم.

الشرح

قوله عليه السلام: لا تطيعوهن في المعروف حتى لايطمعن في المنكر.

ع ــ القوة الشهوانية مستولية على النساء، فبسبب ذلك كانت ولاية العقل فيهن ناقصة لاستيلاء القوة الشهوانية على العقل ومن عادة الجاهل اذا دعي الى خير فاجيب اليه اجترأ على الدعاء الى الشر، والعقل يقتضي أن لايجاب الجاهل إلى أمر من الأمور لأنه إما أن يعلم انه خير فيصير إجابته مفسدة له في الدعاء الى الشر، أو يجهل انه خير فالشر والخير عنده سواء، فيظن في الشر أنه خير فيدعو اليها على حالة واحدة.

ش ــ إن النساء نواقص الايمان: وإن كان في الأصل هو التصديق القلبي إلا أنه ربما يعبر به عن التصديق وعما هو زينة للتصديق وكمال له، وفرع عليه من الاقرار والعمل على ما روي أن الايمان التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالأركان، وليس ذلك على طريق التحديد للايمان (بل هو على طريقة قوله عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، يعني أنه ينبغي أن يكون كذلك، حتى يكون مستكملا لخلال المؤمنين)[1].

يجوز أن يكون على حذف المضاف أي نواقص معالم الايمان كما قيل

١ ــ بين الهلالين ساقط من ض وجاء فيها: بل المراد به كمال الايمان ولا ينبغي ان يكون المؤمن عليه كما قيل المؤمن الف مالوف، المؤمنون هينون لينون، الايمان يمان الخ.

في قوله تعالى؛ ما تدري مالكتاب ولا الايمان ـ أي معالم الايمان لقيام الأدلة القاطعة على أن النبي صلى الله عليه وآله كان مؤمنا قبل نزول الوحي إليه كما كان بعده، وعلى كلاً هذين التأويلين، يصح تفسير نقصان الايمان بترك الصلوة والصيام.

روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: الايمان سر هذا وأشار الى صدره[١].

* * *

١ ـ سقط شرح الخطبة ٨١.

٧٩ ــ وَمِنْ كلامٍ لهُ عليه السلام

مَاأَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا[١] عِقَابٌ، مَنِ ٱسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ ٱفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ.

قال الشريف: أقول: وإذا تامل المتأمل قوله عليه السلام «من أبصر بها بصرته» وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد مالا تبلغ غايته ولا يدرك غوره، ولاسيما إذا قرن إليه قوله «ومن أبصر إليها أعمته»، فإنه يجد الفرق بين «أبصر بها» و «أبصر اليها» واضحا نيرا وعجيبا باهرا.

---

١ ــ في ف: وحرامها عقاب.

الشرح

قوله : من أبصر بها بصرته .

ع ــ أي من تفكر في الدنيا ونظر اليها نظر اعتبار واستدلال زادته بصيرة وعلما ، لأن النظر في الدليل على وجه يجب أن يولد العلم بالمعلوم .

قوله: ومن أبصر اليها أعمته .

أي من نظر إليها لاعلى طريق الاستدلال لم يثمره ذلك علما ، وقيل من أبصر بها اي علم حالها وزوالها. من قوله تعالى: بصرت بما لم تبصروا به[1] ، وأبصر اليها اي نظر اليها نظر مائل الى زخارفها أعمته أي أعمت بصيرته عن الوقوف على الحقائق، وقيل من أبصر بها أي جعلها آلة وواسطة لادراك السعادة الكبرى بصرته لأنها الواسطة .

قال النبي صلى الله عليه وآله: الدنيا مزرعة الآخرة، ومن أبصر إليها أي جعلها مقصودة مطلوبة أعمته أي منعته عن النظر الى ماواءها من الباقيات الصالحات .

ج ــ أبصر بها : المفعول محذوف أي أبصر بها الدليل وأبصر اليها أي نظر اليها متعجبا منها محبا لها .

ش ــ ضمن الأول معنى اعتبر فعداه بالباء والثاني معنى مال فعداه بالى .

---

١ ــ طه : ٨٦.

٨٠ ــ وَمِنْ خطبة لهُ عليه السلام

وهي من الخطب العجيبة وتسمّى الغرّاء.

اعلم أنّ في هذه الخطبة فصولا:

الفصل الأوّل قوله:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلاَ بِحَوْلِهِ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ، أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وَأَسْتَعِينُهُ قَادِراً قَاهِراً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً[1]، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ.

(أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوى اللهِ الَّذِي)[2] ضَرَبَ الأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطَكُمْ بِالإِحْصَاءِ وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالرِّفَدِ الرَّوَافِغِ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ، وَأَحْصَاكُمْ عَدَداً وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ، وَدَارِ عِبْرَةٍ أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

---

١ ــ في ن: كافلاً ناصرا وفي م: واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا.

٢ ــ ساقطة من ن وف.

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا: يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَأطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا: قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَتِ الْمَرء أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ، وَثَوابِ الْعَمَلِ، وَكَذَلِكَ الْخَلَفُ بِعَقْبُ السَّلَفَ[١]: لاَتُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِراماً وَلا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ أجْتِراماً يَحْتَذُونَ مِثَالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً، إِلَى غَايَةِ الأنْتِهَاء، وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ.

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الأُمُورُ وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النُّشُورُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبورِ[٢]، وَأَوْكَارِ الطُّيورِ، وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ[٣]، سِرَاعاً إِلَىٰ أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلاً صموتاً، قياماً صفوفاً، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، عليهم لَبُوسُ الأُسْتِكَانَةِ، وَضَرَعُ الأسْتِسْلاَمِ وَالذِّلَّةِ قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وَأنْقَطَعَ الأَمَلُ، وَهَوَتِ الأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً، وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً، وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ، وَأُرْعِدَتِ الأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ أقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ أقْتِسَاراً، وَمَقْبَوضُونَ أحْتِضَاراً، وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً، وَمَدِينُونَ جَزاءً، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً، قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وَهُدُوا سَبِيلَ بالْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ، وَكُشِفَ عَنْهُمْ سَدَفُ الرِّيَبِ، وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الجِيَادِ[٤] وَرَوِيَّةِ الأَرْتِيَادِ، وَأَنَاةِ

١ــ في ض : يعقب السلف .

٢ــ في ن : اخرجهم ملائكتهم من ضرائح القبور .

٣ــ نفي ن مطارح الملاك .

٤ــ في ک : وروى بمضمار الجياد .

الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ في مُدَّةِ الأَجَلِ، وَمُضْطَرَبِ الْمَهَل.

فَيَالَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْصَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وَآرَاءً عَازِمَةً، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً، فَاتَّقُوا اللهَ[١] تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ، وَحُذِّرَ (فحذر وزجر)[٢] فَازْدَجَرَ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ، وَرَاجَعَ[٣] فَتَابَ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى، وَأُرِيَ فَرَأَى، فَأَسْرَعَ طَالِباً، وَنَجَا هَارِباً، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً، وَعَمَّرَ مَعَاداً، وَاسْتَظْهَرَ زَاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ، وَحَالِ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ جِهَةَ مَاخَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَاحَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَاأَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ.

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَاعَنَاهَا وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلاءً جَامِعَةً لأَعْضَائِهَا مُلائِمَةً لأَحْنَائِهَا: فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، وَمَدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا[٤]، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلِّلاَتِ نِعَمِهِ، وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ وَحَوَاجِزِعَافِيَتِهِ[٥]، وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً، مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاَقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ الآمَالِ، وَشَذَّ بِهِمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الآجَالِ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلاَمَةِ الأَبْدَانِ وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الأَوَانِ، فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلاَّ حَوَانِيَ الْهَرَمِ[٦]؟ وَأَهْلُ

١ـ في ب : فاتقوا تقية .
٢ـ ساقطة من ن وف ول وش .
٣ـ في ب : ورجع فتاب .
٤ـ في ك : وروي بارماقها .
٥ـ في حاشية م : حواجز بلتيه وفي ك : روى جوائز عافيته .
٦ـ في ك : وروى جواني الهرم .

غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَأهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ، وَأُزُوفِ الانْتِقَالِ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ، وَتَلَفُّتِ الاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ، فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ، وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا، وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهِنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا؛ وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّءِ زَلَلِهَا أَوَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءَ وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءَ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ [١]، وَتَطَأُونَ جَادَّتَهُمْ؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا! كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ، مَزَالِقِ دَحْضِهِ [٢]، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ (عباد الله) [٣] تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ، وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ [٤] بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِإِمامه [٥]، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ

١ــ في ك: وروى قد هم وفي ل: وتركبون قذتهم.

٢ــ في م وض وح وش: ومزالق.

٣ــ ساقطة من ن وف وم ول وش.

٤ــ في ب: وارجف.

٥ــ في ب: وقدم الخوف لابانه.

السَّبِيلِ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكَ إِلَىٰ النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ الْغُرُورِ وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ، ظَافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى، وَرَاحَةِ النُّعْمَى فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وَآمِنِ يَوْمِهِ، قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً وَقَدِمَ ذَاتَ الآجِلَةِ سَعِيداً، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ [1]، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ [2] غَدَهُ، وَنَظَرَ [3] قَدَماً أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ [4] خَفِيّاً، وَنَفَثَ فِي الآذَانِ نَجِيّاً فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ؛ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ؛ وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

أَمْ هٰذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَشُغُفِ الأَسْتَارِ؛ نُطْفَةً دِهَاقاً وَعَلَقَةً مُحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لاَفِظاً وَبَصَراً لاحِظاً [5]، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً، حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وَخَبَطَ سَادِراً، مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ، فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ، لاَيَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلاَيَخْشَعُ تَقِيَّةً، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ

١ــ في ح : وبادر عن وجل.
٢ــ في ب : ورقب في يومه.
٣ــ في ح : وربما نظر.
٤ــ في ك : انفذ في القلوب.
٥ــ ساقطة من ب.

غَرِيراً، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً (١)، لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً، دَهَمَتْهُ، فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ، فَظَلَّ سَادِراً، وَبَاتَ سَاهِراً، فِي غَمَرَاتِ الآلاَمِ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، وَلاَدِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ (٢)، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ (٣)، وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ. ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ الْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ (٤)، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ الامْتِحَانِ، وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، (وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ) (٥) لاَ فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ. وَلاَ دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلاَ قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلاَ مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلاَ سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ!! إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ (٦).

عِبَادَ اللهِ، أَيْنَ الَّذِينَ (٧) عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسَلِمُوا فَنَسُوا؟ أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَمُنِحُوا جَمِيلاً (٨)، وَحُذِّرُوا

١ــ في ش : في هفوته اسيرا .

٢ــ في ح وحاشية ن : وسكرة ملهثة .

٣ــ في ك : ويروى غمرة كاربة .

٤ــ ف ن ورجع المفجع .

٥ــ ساقطة من ش .

٦ــ في ب : انا لله عائذون وفي ش : انا لله وانا اليه راجعون ، انا بالله عائذون .

٧ــ في ف وح وض : عباد الله اين الذين .

٨ــ في م : وامهلوا جميلا .

أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسِيماً!! أحْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ.

أُولي الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ! هَلْ مِنْ مَنَاص، أَوْ خَلاَص أَوْ مَعَاذ، أَوْ مَلاَذ، أَوْ فِرَار، أَوْ مَحَار؟ أَمْ لاَ؟ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ! أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ؟ أَمْ بِمَاذا تَغْتَرُّونَ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولَ وَالْعَرْضِ قِيْدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ. الآنَ عِبَادَ اللهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ؛ فِي فَيْنَةِ الإِرْشَادِ [١]، وَرَاحَةِ الأَجْسَادِ (وَبَاحَةِ الإِحْتِشَادِ) [٢]، وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ، وَأنْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وَأَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

١ـ في ک : وروي في فينة الارتياد.

٢ـ ساقطة من و م وف ول وش.

الشرح

الخطبة الغراء من قولهم: رجل أغر أي شريف[١].

ع ــ علا بحوله: أي بكونه قادرا على أجناس المقدورات، إذ لاسواه من يقدر على كل شيء.

دنا بطوله: أي قرب بنعمته وإحسانه ورحمته، كما قال: ورحمتي وسعت كل شيء.

وعني بعواطف كرمه: النعم الداعية للعباد الى العبادة والشكر[٢]، وميل القلوب إلى الانقياد لمن أولاها.

والازل: الضيق والشدة.

واؤمِنُ بِهِ أولا باديا: أي ايماني بالله ابتداء ديني ومفتاحه.

وأرفغ لكم المعايش[٣]: الرفغ السعة والخصب، يقال رفغ عيشه بالضم رفاغة اتسع فهو عيش رافغ ورفيغ أي واسع طيب، ومن ذلك: الرفد الروافغ.

الرفد؛ العطاء والرفد: الصلات.

وأحاط بكم الاحصاء: من قوله تعالى: لقد احصاهم وعدهم[٤] عدا ومن قوله: لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها[٥]، وقيل: أحاط بما لديهم من الأعمال.

١ ــ في ض: شريف مشهور كالفرس الاغر.
٢ ــ في ض: والشكر وما يتكرر منها.
٣ ــ في ض: أرفغ لكم المعايش اي اوسع.
٤ ــ مريم: ٩٤.
٥ ــ الكهف: ٤٩.

مدد: جمع مدة.

والردغ: الوحل الشديد وكذلك: الردغة بتسكين الدال، من عادة الدنيا أن تغمرك وتخيل إليك أنها تحبُّكَ، وتلازمك ثم تفارقك بغتة، وتلازم عدوك، وفي الانجيل أن عيسى عليه السلام رأى من[1] مكاشفاته الدنيا على صورة عجوز؛ فقال لها كم أعداد أزواجك فقالت أكثر من أن يحصى، فقال عيسى: فارقوك أم طلقوك فقالت: بل قتلت الجميع.

فقال عيسى: عجبا ممن يخطبك ويطلبك، ومن سحر الدنيا أنها تزين ظاهرها، وتُخفي بلاءها ومحنها فيغتر بظاهرها الجاهل، مثال عجوزة شوهاء تلبس ثيابا فاخرة، فاذا كشف صاحبها قناعها ندم على ما انفق عليها.

في الحديث: ان الدنيا تأتي يوم القيامة علىٰ صورة عجوزة شوهاء[2] فوهاء فلا يمر عليها أحد إلا وهو يقول لها: نعوذ بالله منك، فيقول الله لعباده: هذه الدنيا التي عصيتموني بسببها، وسفكتم الدماء بسببها وقطعتم الأرحام، ومثل صاحب الدنيا في اللذة التي يجدها من الدنيا كمثل من يتناول طعاماً لذيذاً طيباً يفسد به معدته، ثم قاء، وقذف ما في معدته فبطلت لذته وبقيت تبعته.

كذلك كل من كان نصيبه من الدنيا أكثر، كان ندمه أوفر وحسراته أكمل.

قنصت: صادت أقصد السهم: أي أصاب فقتل قال الأخطل[3]:

فان كنت قد أقصدتني إذ رميتني * بسهمك فالرامي يصيب ولا يدري

---

١ ـــ في ش: رأى في مكاشفاته الدنيا.

٢ ـــ الشوهاء من الاضداد وهي المرأة الحسنة الرائعة، والقبيحة، والواسعة الفم والصغيرة والفوهاء: سعة الفم.

٣ ـــ غياث بن غرث الاخطل الشاعر التغلبي النصراني المقرب عند خلفاء بني امية لمدحه اياهم وانقطاعه اليهم وكان مقربا عند عبد الملك وسماه شاعر بني أمية ولقب بالاخطل لبذاءَتِهِ وسلاطة لسانه.

الشرح

الخطبة الغراء من قولهم: رجل أغر أي شريف[١] .

ع ــ علا بحوله: أي بكونه قادرا على أجناس المقدورات، إذ لاسواه من يقدر على كل شيء .

دنا بطوله: أي قرب بنعمته وإحسانه ورحمته، كما قال: ورحمتي وسعت كل شيء .

وعني بعواطف كرمه: النعم الداعية للعباد الى العبادة والشكر[٢]، وميل القلوب إلى الانقياد لمن أولاها .

والازل: الضيق والشدة .

واؤمِنُ بِهِ أولا باديا: أي ايماني بالله ابتداء ديني ومفتاحه .

وأرفغ لكم المعايش[٣]: الرفغ السعة والخصب، يقال رفغ عيشه بالضم رفاغة اتسع فهو عيش رافغ ورفيغ أي واسع طيب، ومن ذلك: الرفد الروافغ .

الرفد؛ العطاء والرفد: الصلات .

وأحاط بكم الاحصاء: من قوله تعالى: لقد احصاهم وعدهم[٤] عدا ومن قوله: لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها[٥]، وقيل: أحاط بما لديهم من الأعمال .

١ ــ في ض: شريف مشهور كالفرس الاغر.

٢ ــ في ض: والشكر وما يتكرر منها .

٣ ــ في ض: أرفغ لكم المعايش اي اوسع .

٤ ــ مريم: ٩٤ .

٥ ــ الكهف: ٤٩ .

مدد: جمع مدة.

والردغ: الوحل الشديد وكذلك: الردغة بتسكين الدال، من عادة الدنيا أن تغمرك وتخيل إليك أنها تحبُّكَ، وتلازمك ثم تفارقك بغتة، وتلازم عدوك، وفي الانجيل أن عيسى عليه السلام رأى من[1] مكاشفاته الدنيا على صورة عجوز؛ فقال لها كم أعداد أزواجك فقالت أكثر من أن يحصى، فقال عيسى: فارقوك أم طلقوك فقالت: بل قتلت الجميع.

فقال عيسى: عجبا ممن يخطبك ويطلبك، ومن سحر الدنيا أنها تزين ظاهرها، وتُخفي بلاءها ومحنها فيغتر بظاهرها الجاهل، مثال عجوزة شوهاء تلبس ثيابا فاخرة، فاذا كشف صاحبها قناعها ندم على ما انفق عليها.

في الحديث: ان الدنيا تأتي يوم القيامة علىٰ صورة عجوزة شوهاء[2] فوهاء فلا يمر عليها أحد إلا وهو يقول لها: نعوذ بالله منك، فيقول الله لعباده: هذه الدنيا التي عصيتموني بسببها، وسفكتم الدماء بسببها وقطعتم الأرحام، ومثل صاحب الدنيا في اللذة التي يجدها من الدنيا كمثل من يتناول طعاماً لذيذاً طيباً يفسد به معدته، ثم قاء، وقذف ما في معدته فبطلت لذته وبقيت تبعته.

كذلك كل من كان نصيبه من الدنيا أكثر، كان ندمه أوفر وحسراته أكمل.

قنصت: صادت أقصد السهم: أي أصاب فقتل قال الأخطل[3]:

فان كنت قد أقصدتني إذ رميتني * بسهمك فالرامي يصيب ولا يدري

١ـ في ش: رأى في مكاشفاته الدنيا.

٢ـ الشوهاء من الاضداد وهي المرأة الحسنة الرائعة، والقبيحة، والواسعة الفم والصغيرة والفوهاء: سعة الفم.

٣ـ غياث بن غرث الاخطل الشاعر التغلبي النصراني المقرب عند خلفاء بني امية لمدحه اياهم وانقطاعه اليهم وكان مقربا عند عبد الملك وسماه شاعر بني أمية ولقب بالاخطل لبذاءته وسلاطة لسانه.

ومعاينة المحل: بتخفيف اللام أي الشدة .

يمضون أرسالا : أي يتبع بعضهم بعضا .

صيور الأمر: ما يؤول إليه وهو فيعول .

والرعيل: القطعة من الخيل .

الضرع : الخضوع والذل والهينمة : الصوت الخفي .

وألجم العرق: أي بلغ العرق أفواههم فشبه ذلك باللجام كأنهم ملجمون على ما ورد الأثر به، وروي القرق أي اسكتهم الرعب .

والزبر: الزجر والمنع ومقبوضون إختصاراً : أي كثرت آفاتهم من قولهم: لبن محتضر أي كثير الآفة وأن الجن يحضره، قال الله تعالىٰ : وأعوذ بك رب أن يحضرون أي يصيبني الشياطين بسوء .

مدينون : أي مجزيون محاسبون ومنه الديان المستعتب: طالب الرضا .

سدف الليل: ظلمته والمضمار: المدة أو المواضع الذي يضمر فيه الخيل، وهو أن يعلف الفرس حتىٰ يسمن، ثم يرده الى القوة، وذلك في اربعين يوماً .

فيالها أمثالا : الضمير للامثال أفاد: أي استفاد ومقام: بضم الميم أي أقامه .

ج ـ سوابغ نعمه: أضاف الصفة إلى الموصوف للكشف والبيان وذلك كثير في كلامهم، والتقدير نعمه السوابغ .

لإنهاء عذره وتقديم نذره: أي لابلاغ إعذاره وإنذاره والريش والرياش: اللباس الفاخر ارفغ: أي وسع .

والردغة: الطين والماء المختلط وبخط الرضي الردغة والرداغ : الطين الرقيق .

والسناد؛ ما يستند إليه قمصت بأرجلها: أي رفعتها وروي بأرجلها

بالجيم والوهن: الحبل الذي سمي بكمند[1].

والاخترام: القطع لا ترعوي: لا تنزجر ولا تتوب.

يحتذون: يقتدون أرسالا: أي متتابعة، أزف: أي قرب والضريح: الشق في وسط القبر واللحد في الجانب.

والوكر: موضع الطير والوجار: موضع السبع، مهطعين: مسرعين رعيلا: أي جماعة.

والصموت: جمع صامت، أو وصف الجماعة بالمصدر وقيام: جمع قائم، أو وصف بمصدر.

والاستكانة: التواضع، والضراعة: الخضوع والاستسلام: الانقياد.

وهوت الأفئدة كاظمة: أي سقطت متجرعة للغيظ مهينمة: أي يتكلمون بكلام في أنفسهم متحسرون بما فاتهم.

والالجام: كناية عن وصول العرق الى الأفواه أي يصل عرقهم إلى موضع اللجام وهو الفم، وروي وأثجم الفرق أي كثر الخوف، يقال أثجم المطر أي دام وكثر.

والشفق: الاشفاق والخشية والزبرة: الصيحة التي فيها زجر.

وفصل الخطاب: قطع المخاطبة فكأنهم دعوا ليقطعوا خطاب من يسألهم.

والمقايضة: المعاوضة عباد: اي هم عباد اقتداراً: أي خلقوا اقتداراً لا اتفاقاً.

احتضارا: بالحاء غير المعجمة أحسن ليعم الجميع، يقال: احتضر فلان أي مات لأنه بالخاء معجمة للشبان خاصة، اختضر فلان أي مات شابا.

---

١ ــ كمند لفظة فارسية وهي حبل الصياد.

والجدث: القبر، والرفات: العظم البالي.

وخلو المضمار الجياد: أي خلوا ليجروا في مضمار الأخيار وروي بمضمار الجياد على الاستعارة.

عازمة: ذات عزم، الحزم: ضبط الرجل أمره.

واقترف: أي اكتسب ذنباً، عبر: أي أرى العبر مراراً أفاد: أي إستفاد، وقيل: أي أفاد نفسه ذخيرة.

وتنجز الرجل حاجته: واستنجزها: أي إستنجحها[1].

قوله عليه السلام: جعل لكم أسماعا لتعي ما عناها.

ع ــ قيل: عني أن الغرض في خلق الأسماع أن يسمع ما ينفعها في الدين وهكذا في خلق جميع الجوارح، للمكلفين.

وأبصاراً لتجلو عن عشاها.

أراد بالعشي عمى القلب، وهو الذهاب عن الحق، وإنما يتوصل إلى الاستدلال بالاشياء إذا أدركها بعينه فأضاف العشى إلى الأبصار والمراد ما ذكرنا كذا قال الوبري.

والشلو: العضو من أعضاء اللحم وأشلاء الانسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق.

بأرفاقها: أي بسهولة مطالبها من قولهم: مرتع رفق أي سهل المطلب والارفاق: المنافع من قولهم أرفقته أي نفعته.

مجللات نعمه:

أي عوامها، يقال جلل الشيء تجليلا أي عم والمجلل: السحاب التي تعمُّ الأرض بالمطر، قال الامام الوبري: أن الأعضاء في الاكثر يتعادل

---

١ ــ هنا في ض خلط واسقاط.

ويتقارب قواها، فلذلك قال.

في تركيب صورها ومدد عمرها بابدان قائمة بأرفاقها، قال: أي يقوم الأبدان بالمنافع.

وقلوب رائدة لأرزاقها: بالقلوب (يعرف مطالب الأرزاق: وقال غيره: أرزاق القلوب[1]) إطمينانها في مجللات نعمه.

قال الوبري: هذه الأبدان وما فيها من المنافع معدودة في مجللات نعم الله تعالى، وَهيَ السواتر للعباد عما يهلكها وموبقها بلحوق النقائص بها.

وموجبات مننه: أي من نعمه الموجبة لشكره عليكم، ويحتمل أن يريد موجبات زوائد نعمه، لأن السابق من آلاء الله، وإن كان فضلا فانه يفضي الىٰ وجوب نعمته بواسطة الشكر، فيجوز أن يضاف موجب[2] إلى النعمة الأولى فيقال إن الفعل يوجب نعما في الثاني.

وحواجز عافيته: يعني الأمور المتصلة بالعافية التي يحول بين الانسان، وبين ما يُفسِدُهُ ويفضحه، فما دام معافّى فانه يحال بينه وبين ما ينافي العافية، وقيل الحجز المنع وحواجز عافية هي التي يفصل العافية عن البلاء.

وأنف الأوان: ابتداء الزمان والزيال: الفراق حواني الهرم: حنو كل شيء إعوجاجه والحنوة: طأطأة الرأس وتقويس[3] الظهر وروي جواني.

والعلز: خفة وهلع يصيب الانسان وبات فلان علزا أي وجعا لاينام.

والمضض: وجع المصيبة والجرض: أن يتبلع ريقه على هم وحزن ومات فلان جريضا أي مغموما.

ونهكة المرض: ضعفه ونهكة السلطان مبالغته في العقوبة، ونهكت الثوب اذا لبسته حتى خلق ومنه قوله.

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

٢ ــ في ض: موجب الشكر الى النعمة.

٣ ــ قوس الرجل: انحنى ظهره.

أبلت النواهك جدته، وشحبة: أي متغيرة.

والأرواح مرتهنة بثقل أعبائها: قيل: هذا إشارة الى العذاب الروحاني.

قدتهم: أي طريقتهم ظلف: أي دفع والمخالج: وقيل: وهي الشوك [١] وقيل: هو ذوات اليمين وذوات اليسار، ولذلك يقال طعنة مخلوجة.

لم تقتله: أي لم تصرفه، وقيل فلت لفت وأكمش: أسرع، نظر قدما: روي بكسر القاف أي دائماً، ومضى قدما بضم القاف والدال أي تقدم ولم ينثنِ[٢] اعذر: أتي بعذر صحيح وعذر أي فرط.

أنذر: خوف وهذا مثل ومعناه من خوف أتى بالعذر الصحيح التام حذركم عدوا: يعني إبليس النجيّ: المناجي.

انفذ في القلوب خفياً: من قوله تعالى: يوسوس في صدور الناس[٣] فأضلّ وأردي؛ من قوله: ولأضلنهم ولأمنينهم[٤].

ووعد فمني: من قوله يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا[٥].

زين سيئات الجرائر؛ من قوله تعالى فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل[٦]. والباقي، من قوله تعالى، وقال الشيطان لما قضي الأمر إلى[٧]، آخر الآية.

ج ــ عناها أي أهمها: العشى: مقصورا مصدر الأعشى وهو الذي لا يبصر بالليل وان كان يبصر بالنهار والعشا: ها هنا استعارة عن دخول الشبه على أهل العلم ويمكنهم أن يجلوها فيقعوا في ضياء العلوم.

والشلو: عضو اللحم والعضو دون ذلك ملائمة: موافقة، أحنائها:

١ ــ الشوك: ما يخرج من النبات شبيها بالابر.
٢ ــ انثنى: انعطف.
٣ ــ الناس: ٥.
٤ ــ النساء: ١١٩.
٥ ــ النساء: ١٢٠.
٦ ــ النمل: ٢٤.
٧ ــ ابراهيم: ٢٢.

جوانبها، بأرفاقها روي بأرماقها والرميق: بقية الروح، رائدة: طالبة.

مجللات نعمه: من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف أي النعم المجللة مستعار من قولهم: سحاب مجلل أي[1] يعم الأرض بالمطر، يعني أن الله تعالى جعل تلك الأعضاء لكم ثابتة، بأبدان يمكنها القيام بما ينفعها، وتلك[2] يتقلّبُ أبدا في نعم عامة توجب الشكر في غاية تمنع المضار وستر مدة أعماركم عنكم، لتكونوا في كل وقت مستشعرين من الموت، فلا تكونوا مصرين على الذنوب.

قيل حواجز العافية: موانعها من الزوال وروي جوائز عافيته وحواجز بليته.

أرهقتهم: أعجلتهم، شذ بهم: قطعهم، والتشذيب: قطع ما تفرق من أغصان الشجر.

والتخرم: الاستيصال، والاقتطاع أنف الأوان: مستعار من قولهم: روضة أنف للتي لم يرعها أحد.

وبضاضة الشباب: طراوتها ورونقها، ورجل بض، رقيق الجلد ممتلئ.

وحتى الهرم ظهره: أي عطفه، وحواني الهرم معاطف، ينحني ويتعوج في حال الشيب.

والغضارة: طيب العيش والأزوف: القرب وعلز القلق: خفة الاضطراب.

والحفدة: الأعوان والخدم، وقيل ولد الولد وفي صحاح اللغة الهوام: لايقع إلا علىٰ المخوف من الأحناش[3].

---

١ ــ في ض سحاب مجلل اي عام.

٢ ــ في ض: وتلك الابدان يتقلب.

٣ ــ الاحناش: هوام الارض وقيل: الحنش: ما اشبه رأسه رأس الحيات من الوزغ والحرباء.

والنواهك: الأمراض التي تذيب اللحم، ويهزل من نهكته الحمى إذا أضنته وجهدته.

وعفت: درست والبضة: الطراوة والاعباء: الأثقال.

القدة: الطريقة، وروي قدهم وقال الصواب هذا لقوله تعالى: طرائق قددا[1]، وأضاف المزالق: الى الدحض للتأكيد.

انصب: أتعب، والمراد بالتهجد هنا السهر، وإن كان قد جاء بمعنى النوم.

والغرار: النوم القليل وإضافته الى النوم نحو كرى النوم.

وظلف: منع وأوجف، أسرع وتنكب المخالج عن وضح الطريق.

أي عدل أن يختلج ذلك، وخلج واختلج إي جذب وانتزع، ويجوز أن يريد بالمخالج المظان.

وأقصد المسالك: أقومها وطريق قاصد مستقيم والموبقات المهلكات والقرينة: النفس.

قوله عليه السلام: أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام إلى آخره.

ع ــ الشغف الأستار والشغفة الغلاف، محاقا: أي مرشوشا، ومادام الانسان في الرحم، فهو جنين فاذا ولد، فهو وليد فما دام يرضع، فهو رضيع فاذا قطع عنه اللبن فهو قطيع وفطيم، ثم إذا دبّ ونمى فهو دارج، فاذا ابلغ طوله خمسة أشبار، فهو خماسي واذا سقطت رواضعه فهو مثغور[2]، فاذا بلغ الحلم فهو يافع ومراهق.

قيل إن النطفة في القرار المكين يصير علقة بعد خمسة عشر يوما، ثم يصير العلقة مضغة، بعد ثلاثين يوما، واذا كان الجنين ذكرا صار خلقة تاما

١ــ الجن: ١١.

٢ــ الاثغار: سقوط سن الصبي ونباتها واذا سقطت رواضع الصبي قيل ثغر فهو مثغور.

بين الثلاثين والاربعين، واذا كان انثى كان بين الاربعين والخمسين وهذا معنى قوله تعالى: فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقا آخر[١].

اذا تم خلق الجنين في أحد وثلاثين يوما تحرك في البطن في اثنين وستين فيكون أيام الحركة ضعف أيام تمام الخلق، ويكون مدّة الحمل ثلاثة أضعاف مدة الحركة[٢] إلا أن المولود الذي يولد في الشهر الثامن لايعيش بقدرة الله تعالى، لكن الأصل في تمام الحمل تسعة أشهر، وخلق الله تعالى الأنسان مثال مدينة فيها عيون.

إحداها ماؤها حلو، والأخرى مالح، والأخرى منتن، والأخرى مرّة، حيطان خمسة: الحائط الأول الشعر، والثاني الجلد، والثالث اللحم، والرابع العظم، والخامس المخ، وفيه من العروق ثلاثمائة وستون يشبه الأنهار، ولهذه المدينة، أبواب: العينان، والأذنان والمنخران وغير ذلك.

والشهوة في جسد الانسان عامل[٣] الخراج، والغضب مثل الشحنة والعقل مثل الملك العادل. والحواس كالجواسيس، والعظم كالجبال، والشعور كالنبات، الدماغ شبه الأثير والقوة في المعدة التي تطبخ الطعام شبه الطباخ، والتي يوصل الصافي إلى الكبد وتخرج الأثقال كالعصار.

التي تصبغ الصافي من الطعام، في الكبد: ويجعله على لون الدم كالصباغ، والتي تبيض الدم فيجعله في الثدي لبنا خالصا، وفي أوعية المني منيا أبيض كالقصار، والتي تجذب الغذاء من الكبد في كل جزء كالجلاب والمسافر والتي تسقي من الكبد كالسقاء، والتي تخرج الاثقال كالكناس والتي تهيج الصفراء والسوداء كالعيار المفسد، والتي تدفع الصفراء والسوداء كالرئيس العادل، يقال:

١ـ المؤمنون: ١٤.

٢ـ في ش: هذه الحركة.

٣ـ في ش: مثل عامل الخراج.

خبط البعير الأرض بيده: أي ضربها، وخبط الرجل طرح نفسه حيث كان لينام والسادر: المتحير والذي لايبالي ما صنع.

الماتح: المستقي: الغرب: الدلو العظيمة في لذات طربه وبدوات اربه.

معناه ما قال الحكيم: لامطمح[١] ليبصره في أولاه وأخراه إلا في لذات قبقبه وذبذبه[٢].

وغريرا: أي غير مجرب الغبر: البقية من كل شيء قال الشاعر:

ومبرّأ من كل غبر حيضة[٣]

السنن: الطريقة والوجهة بين اخ شقيق: أي كأنه شق منه كرثه الغم يكرثه بالضم: أي اشتد عليه، وبلغ منه المشقة، واكرثه مثله فالكارثة التي يأتي بالحزن ويروى كاربة.

رجيع: فعيل بمعنى مفعول البهتة: التحير نزل الحميم: أي ما ينزل من الماء الحميم.

لاقوة حاجزة ولاموتة ناجزة من قوله تعالى: فان له جهنم لايموت فيها ولايحيى[٤].

اولي الابصار: أي يا أولي الابصار، المتاع: السلعة وما تمتعت به، المحار: المرجع قال الشاعر:

نحن بنو عامر بن ذبيان * والناس كهام محارهم للقبور

---

١ ــ طمح بصره اليه: ارتفع ونظره شديدا وفي ض: لا مطمح لبصره.

٢ ــ القبقب: البطن من القبقبة وهوصوت يسمع من البطن والذبذب: الذكر سمي به لتذبذبه اي لحركته.

٣ ــ الشعر لابي كبير الهذلي كما في تاج العروس (غبر) والبيت هكذا.

ومبرء من كل غبر حيضة وفساد مرضعه وداء مغيل

٤ ــ طه: ٧٤.

قيد قده : أي مقدار قامته يعني القبر، الآن : أي اعملوا الآن .

والفينة : الساعة أنف الشيء : مبدأه ومقدمه .

ج ـــ ام : يجوز أن يكون[1] متصلة ، ويكون التقدير، فلينظر الانسان فيما تقدم ذكره؛ أم في هذا يجوز أن يكون منقطعة والتقدير أتغفلون عن هذا الذي أنشأه الله ، وروي أو هذا بهمزة الاستفهام و واو العطف على سبيل الانكار والتقريع .

والدهاق: الممتلئ وذكر النطفة حملا على المعنى إذ المراد بها الماء المهين ، وروي وفاقا أي مصبوبا .

والعقلة: الدم الطري وصفها بالمحاق: بمعنى أنها شيء ممحوق باطل بالأضافة الى الحيوان أو ممحوة ليست بذات صورة من محقت الشيء اذا أبطلته ومحوته .

وأيفع الغلام: ارتفع فهو يافع ، ولايقال موفع وهو من النوادر من اليفاع ، وهو ما ارتفع من الأرض .

ولفظ بالكلام: يكلم به ولفظت الشيء من فمي رميته ، يقصر: أي يكف عما لايعنيه .

والكادح : الساعي يجهد ويتعب وبذوات أربه : أي ما ظهر من حاجته .

غريرا غافلا يسيرا : أي حقيرا وروي أسيرا دهمته : فجأته واللدم: الضرب والابلاس: الحيرة واليأس وعني بالأعواد: الجنازة .

والنضو: المهزول والحفدة: ولد الولد والأعوان والحاشد: المستعد المتأهب .

لبهتة السؤال : يعني سؤال الملكين اللذين يسميان فتاني القبر يسألان

---

١ ـــ في ض : ام هذه متصلة على تقدير فلينظر الانسان .

الميت بعد إحياء الله تعالى إياه في القبر وإلى هذا أشار بقوله:

وعثرة الامتحان، والنجى: مصدر كالصهيل يقع على الواحد والجمع، وجعله بمعنى المفعول هنا أحسن، واللام في لبهتة يتعلق بأقعد أو ينجي إن كان بمعنى الفاعل.

وفورة الحر شدته مربحة: أي مبعدة لبلائه والناجزة: السريعة والحاجزة: المانعة.

وأطوار الموتات: حالاتها فلهوا: إذا كان الهاء مفتوحة، فهو من لها يلهو أي لعب، وإن كانت مضمومة فمن لهي يلهي أي أعرض وترك.

المورطة: الموقعة في ورطة الهلاك والورطة في الأصل أرض مطمئنة لا طريق فيها.

والمناص: الملجأ والمفر والخناق: الحبل الذي يخنق به.

الروح: يذكر ويؤنث وذكره هنا فقال: مرسل، والفينة: الوقت أضافها إلى الارشاد لأن اوقات العمر في الدنيا يوجد فيها الرشاد، وروي الارتياد وهو الطلب.

وانفساح الحوبة: سعة الحاجة وهي كل حرمة تضيع من ذوي الرحم والحوبة الحزن أيضا وعني.

بالمنتظر الغائب: الموت والأنف: الوقت وأضاف إلى المشية فالعمر للارادة مظنة[1].

---

١ ـ في ض هنا حذف واسقاط وتخليط.

٨١ــ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

في ذكر عمرو بن العاص

عَجِبْنا لأبْنِ النَّابِغَةِ، يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَأَنّي أمْرِءٌ تِلْعَابةٌ: أُعافِسُ وَأُمَارِسُ، لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً، وَنَطَقَ آثِماً. أَمَا، وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِف، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الإِلَّ، فَإذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ؟؟!! مَالَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سُبَّتَهُ، أَمَا وَاللهِ إِنّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَانَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدّينِ رَضِيخَةً.

الشرح

قوله عليه السلام عجبا لابن النابغة الىٰ آخره.

ع ــ روي أن أميرالمؤمنين عليه‌السلام دعا إلى البراز بصفين[1]، فبرز إليه عمرو بن العاص[2]، فتجاولا فلما عرف عمرو أنه علي ولا طاقة له به، وقد حمل عليه علي ليقتله ألقى نفسه عن فرسه وكشف عورته مواجها لعلي عليه‌السلام، فلما رأى علي ذلك غض بصره، فانصرف عمرو مكشوف العورة ونجا بسبب ذلك، فابن النابغة هو عمرو بن العاص والنابغة امه.

قلت[3] وقد روى الثقات أن بسر بن أرطاة خرج الى علي عليه‌السلام يوم صفين، فحمل عليه علي عليه‌السلام فسقط بسر على قفاه، ورفع رجليه

---

١ ــ صفين بكسرتين وتشديد الفاء موضع بقرب الرقة على شاطيء الفرات من الجانب الغربي، وكانت وقعة صفين بين علي عليه السلام ومعاوية في سنة ٣٧ من الوقايع المشهورة، وكانت مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة ايام.

٢ ــ عمرو بن عاص بن وائل القرشي السهمي يكنى ابا عبد الله وامه النابغة بنت حرملة سبية من بني جلان، اسلم سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر، وكان من الدهاة، وهو الذي افتتح مصر في زمن عمر بن الخطاب وصار واليا عليها، ولذلك باع دينه بولاية مصر لمعاوية.

قال عمرو بن العاص لمعاوية والله يامعاوية ما انت وعلي حملي بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه، فما تجعل لى إن شايعتك على حربه قال: حكمك، فقال: مصر طمعة فقبل معاوية ذلك بعد مباحثة طويلة.

قال الجاحظ كانت مصر في نفس عمرو بن العاص، وقد عرفه من اموالها وسعة الدنيا، لا يستعظم أن يجعلها ثمنا من دينه، واخبار عمرو بن العاص كثيرة راجع شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد.

٣ ــ في ض: وروى صاحب الفتوح إنّ بسر بن ارطاة الخ.

فانكشفت عورته فصرف علي عليه السلام وجهه عنه، فوثب بسر قائما، وسقطت البيضة عن رأسه فصاح أصحابه يا أميرالمؤمنين إنه بسر بن أرطاة.[١]

فقال علي ذروه لعنه الله، فلقد كان معاوية أولى بهذا من بسر، فضحك معاوية من بسر ثم قال لا عليك يا بسر ارفع طرفك، ولا تستحي فقدنزل بعمرو مثل ما نزل بك وقد أدال الله[٢] له منك وأدال لك منه قال فصاح فتى من أهل الكوفة: ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون لقد علمكم عمرو بن العاص كشف الأستاه[٣] ثم أنشأ يقول:

أفي كل يوم فارس ذو كريهة * له عورة وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علي سنانه * ويضحك عنها في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنع راسه * وعورة بسر مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا * سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
فلو لاهما لم تنجوا من سنانه * وتلك بما فيها من العود ناهية

وكان بسر ممن يضحك من عمرو، فصار عمرو يضحك من بسر.

---

١ ــ بسر بن ارطاة العامري من بني عامر بن لؤي بن غالب، بعثه معاوية ليغير على اعمال امير المؤمنين عليه السلام، وما عمله من سفك الدماء واخذ الاموال، وهوالذي سار الى المدينة ودخلها عنوة وخطب الناس وشتمهم وتهددهم وتوعدهم.

ثم خرج من المدينة وسار نحو مكة فقتل في طريقة رجالا واخذ أموالا، ثم دخل مكة وطاف بالبيت وخطب للناس وهددهم، ثم خرج الى الطائف، ووجه رجلا من قريش الى تبالة وبها قوم من شيعة علي عليه السلام وامره بقتلهم، ثم ذهب الى اليمن وقتل فيها جماعة كثيرة، وابنين صغيرين لعبيد الله بن العباس، اخباره كثيرة فليراجع كتب التواريخ.

٢ ــ ادال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه وادال الله زيدا من عمرو: نزع الدولة من عمرو وحولها الى زيد.

٣ ــ الأست: السافلة وهنا كناية عن كشف العورة، لان عمرو بن العاص لما برز اليه علي عليه السلام وتيقن انه مقتول بسيفه، كشف عورته وأظهر استه، أعرض عنه أمير المؤمنين ونجا عمرو من الهلاك.

أخبرني[١] الشيخ الامام الأجل الأفضل، نصيرالدين، ظهير الاسلام أفضل العلماء عبدالله بن حمزة بن عبدالله الطوسي[٢] يديم الله سموّه، عن الشيخ الامام عفيف الدين محمد بن الحسين الشوهاني[٣]، عن شيخه الفقيه عليّ بن محمد القمي[٤]، عن شيخه المفيد عبدالجبار بن عبدالله بن عليّ المقرئ[٥] الرازي[٦]، وعن الشيخ الامام جمال الدين أبي الفتوح[٧]، عن المفيد عبدالجبار.

عن السيد الامام الشريف أبي الرضا الراوندي[٨] عن الحلبي[٩] عن

١ــ في ض : وقد روى لنا الثقات بالاسناد المتصل عن الشيخ المفيد الخ .

٢ــ عبد الله بن حمزة بن عبد الله الامام نصير الدين ابو طالب الطوسي الشارحي المشهدي فقيه ثقة وجيه ، وله آثار منها الهادي الى النجاة بالعربية وايجاز المطالب في ابراز المذاهب بالفارسية ومناهج اليقين .

٣ــ محمد بن الحسين بن جعفر الشوهاني الشيخ العفيف نزيل مشهد الرضا عليه السلام فقيه صالح وهو من تلاميذ الشيخ أبي علي الطوسي والشيخ عبد الجبار الرازي ، يروي عنه محمد بن علي الطوسي في ثاقب المناقب وابن شهر آشوب .

٤ــ علي بن محمد بن الحسين الفقيه القمي شيخ اجازه عبد الجبار بن علي بن منصور النقاش الرازي في سنة ٥٠٨ واحتمل في الرياض ان الحسين جده الاعلى وانه اخو اسماعيل واسحاق ابنى بابويه وتلميذي الشيخ الطوسي .

٥ــ عبد الجبار بن عبد الله الشيخ المفيد ابو الوفاء المقرىء الرازي فقيه الاصحاب بالري قرأ عليه قاطبة المتعلمين من السادة والعلماء وقد قرأ هو على الطوسي ، وله تصانيف بالعربية والفارسية في الفقيه ، يرويها عنه ابو الفتوح الرازي .

٦ــ الحسين بن علي بن محمد جمال الدين ابو الفتوح النيشابوري الخزاعي نزيل الري عالم واعظ مفسر دين له تصانيف ، وهو صاحب تفسير روض الجنان وشرح الشهاب الموسوم بروح الاحباب ، وهو من مشايخ ابن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨ ، توفى ابو الفتوح بالري ودفن عند عبد العظيم الحسني وقبره معروف .

٧ــ احمد بن فضيل الله السيد كمال الدين ابو المحاسن الحسيني الراوندي ، عالم فاضل ، ذكره ابو سعد السمعاني في الانساب وقال السيد الفاضل ابو الرضا فضل الله بن علي العلوي الحسيني القاشاني كتبت عنه احاديث واقطاعا من شعره الى آخر ما قال .

٨ــ محمد بن علي بن المحسن الشيخ ابو جعفر الحلبي فقيه صالح ، ادرك الشيخ ابا جعفر الطوسي وروى عنه وعن ابن البراج ، وقرأ عليه الامام ابو الرضا والشيخ الامام قطب الدين ابو الحسين الراونديان .

الشيخ الامام، عمادالدين، محمد بن أبي القاسم الطبري[1] عن الشيخ الامام أبي علي بن أبي جعفر الطوسي أخبرني[2] عنهم كلهم عن الشيخ السعيد الاجل عمادالدين أبي جعفر الطوسي[3] عن الشيخ المفيد محمد بن النعمان[4] عن أبي عبدالله محمد بن عمران المرزباني[5] عن محمد بن إسحاق الاشعري[6] النحوي عن الوليد بن محمد بن إسحاق الحضرمي[3] عن أبيه قال.

أستأذن عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان فلما دخل عليه استضحك معاوية، فقال له عمرو: ما أضحكك يا أميرالمؤمنين أدام الله سرورك، قال ذكرت ابن ابي طالب، وقد غشيك بسيفه فاتقيته ووليت فقال اتشمت بي يا معاوية، فأعجب من هذا اليوم، دعاك الى البراز، فالتمع[7] لونك وألهت أضلاعك[8] وانتفخ[9] سحرك، والله لو بارزته لأوجع

---

١ ـ محمد بن القاسم الشيخ الامام عماد الدين الطبري الآملي صاحب بشارة المصطفى، فقيه ثقة قرأ على الشيخ أبي علي الطوسي وله كتاب الفرج في الاوقات والمخرج بالبينات، قرأ عليه قطب الدين الراوندي.

٢ ـ الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي الشيخ الجليل ابوعلي المجاز عن والده وقد قرأ على والده جميع مصنفاته ويروي عنه جمع كثير وقال في الشذرات كان عالم الشيعة وابن عالمهم.

٣ ـ محمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة ولد بخراسان سنة ٣٨٥ وقدم العراق سنة ٤٠٨ وأخذ عن الشيخ المفيد وغيره ونصبه الخليفة القائم بأمر الله على كرسي علم الكلام فاجتمع حوله العلماء، هاجر الى النجف الاشرف سنة ٤٤٨ وله آثار كثيرة منها التهذيب والاستبصار والتبيان توفى سنة ٤٦٠ وقبره ظاهر مشهور.

٤ ـ ابوعبد الله محمد بن عمران المرزباني الخراساني صاحب التصانيف المشهورة له كتاب ما نزل من القرآن في علي، وهو اول من اسس علم البيان ودونه وكان ثقة في الحديث، وكان صاحب أخبار ورواية للآداب وصنف في أخبار الشعراء مات سنة ٣٨٤.

٥ ـ محمد بن اسحاق اسم جماعة من العلماء والمحدثين ولم نجد بينهم الاشعري.

٦ ـ لم نجد له ذكرا في كتب رجال الحديث والتراجم.

٧ ـ التمع البرق وغيره اضاء والتمع الشيء: اختلسه والتمع لونه: ذهب وتغير.

٨ ـ الهت اضلاعك: اي تبددت وطحنت.

٩ ـ السحر: الرئة وقيل: السحر ما لصق بالحلقوم من اعلى البطن.

قذالك[١]، وأيتم عيالك وبزك[٢] سلطانك، وأنشأعمرو يقول:

معاوي لاتشمت بفارس بهمة * لقي فارسا لاتغتلبه الفوارس
معاوي لو أبصرت في الحرب مقبلا * أباحسن يهوي عليك الوساوس
وأيقنت أن الموت حق وأنه * لنفسك إن تمعن الركض خالس
دعاك فصمت دونه الأذن اذ دعا * ونفسك قد ضاقت عليه الأمالس
أتشمنني إن نالني حد رمحه * وعضضني ناب من الحرب ناهس
فأيّ امرء لاقاه لم يلق شلوه * بمعترك تسفي عليه الروامس
أبى الله إلا أنه ليث غابة * ابو أشبل تهدي إليه الفرائس
فان كنت في شك فارهج عجاجه * والا فتلك الترهات البسابس

فقال معاوية: مهلا يا أباعبدالله، ولا كل هذا، قال:[٣] استدعيته.

قلت: وحين قرع هذا الكلام سمعي وتمكن في سويداء قلبي[٤] سمع خاطري بيتين بديهة وهما:

نفسي فداء إمام قد روي فيه * هذا وأعظم من هذا أعاديه
فمن يرم لخيار الخلق منقصة * فذاك مثل سلاح الكلب في فيه

التلعابة: الكثير اللعب[٥]، والتلعاب بالفتح المصدر.

والمعافسة: المغالبة وعفسه ضَرَبَهُ على عَجْزِهِ، واعتفس القوم: أي اضطرعوا وقيل المعافسة[٦] والممارسة بمعنى، وفي صحاح اللغة المعافسة:

١ــ القذال ما بين الاذنين من مؤخر الرأس.

٢ــ بز الشيء منه: اخذه بجفاء واقهر و بزه: غلبه.

٣ــ في ض: قال أنت استدعيته.

٤ــ القائل محمد بن الحسين الكيذري شارح هذا الكتاب، وفي ض: هنا زيادة وهي: وروي ان عليا عليه السلام لما حمل على عمرو بن العاص بسيفه قال له خذها يابن النابغة فسقط من فرسه وأبدى عورته فقال له علي يابن النابغة انت طليق دبرك أيام عمرك اورده اخطب خوارزم في المناقب.

٥ــ في ض: التلعابة: الكثير اللعب والتاء فيه للمبالغة.

٦ــ بين الهلالين ساقط في ش.

وفي الحديث وعافسنا النساء.

يؤتيه أتية: يعني تفوض إليه ولاية المصرين والرضخ: العطاء ليس بالكثير.

(ج‍ـ العرب قد تنسب الانسان إلى امه إما لشرفها وإما لدناءتها، قيل: والنابغة كانت مشهورة بالفجور والخنا[1] وقيل الباء تصحيف إنما هي النائغة بالهمزة[2].)

كان ابن العاص يحدث أهل الشام بأنا إنما أخرنا عليا لأنَّ فيه هزلا لاجد معه، كما كان ابوه العاص يقول: إن في رسول الله سحرا.

والدعابة: المزاح والتاء في تلعابة: للمبالغة.

اعافس: أي الاعب النساء وأُصارِعهُنّ، والعفس: أن يضرب برجله عجيزتها.

والممارسة: أشد المزاولة، والمغالبة والمزاح فيما ليس بمحظور محمود.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعجوزة كبيرة: انّ العجائز لايدخلن الجنة، فبكت، فتبسم وقال: إن الله يجعلهن شباب، ثم يدخلهن الجنة فأهل الجنة شباب جردمرد[3] إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

والآل: العهد والقرابة، روي ما خذها ومآخذها، على الواحد والجمع وحالة عمرو هذه مشهورة، وقد نظمها الشعراء قال ابوفراس[4].

---

١ ـ في ض: هنا زيادة وهي: وعافسنا النساء وهو أن يلاعبهن ويصارعهن.

٢ ـ ساقط في ض.

٣ ـ الاجرد: الذي ليس على بدنه شعر ومن الحديث: اهل الجنة جرد مرد.

٤ ـ الحارث بن سعيد بن حمدان ابو فراس الحمداني فارس ميدان العقل والفراسة والشجاعة والرياسة وقلادة

ولا خير في دفع الاذى بمذلة * كما ردها يوما بسوءته عمرو

وأكبر: بالرفع والنصب ونصبه أحسن ليكون أن تمنح اسم كان[1].)

* * *

وشاح محامد آل حمدان.

قال الصاحب بن عباد: بدأ الشعر بملك وختم بملك يعني امرىء القيس وأبي فراس وكان المتنبي يشهد له بالتقدم ويتحامى جانبه وله القصيدة الميمية في مظلومية اهل البيت وظلم بني العباس المعروفة بالشافية قتل سنة ٣٥٧.

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٨٢ ــ ومن خُطبة لهُ عليه السلام

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ: الأَوَّلُ لاَشَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ لاَغَايَةَ لَهُ، لاَتَقَعُ الأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلاَ تُعْقَدُ الْقُلُوبُ[١] مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ وَلاَ تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ، وَلاَتُحِيطُ بِهِ الأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.

منها: فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ، وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ[٢] الْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلاَئِقُ الأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدِ، المورود وَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

ومنها في صفة الجنة:

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لاَيَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلاَ يَبْأَسُ سَاكِنُهَا:

---

١ ــ في ب: ولا تقعد القلوب.

٢ ــ في ب: مخاليب المنية.

الشرح

قوله عليه السلام: لا تقع الأوهام له على صفة.

ع ــ ذكر الصفة، وأراد الموصوف أي لايتوهم موصوف مثله ولايتصور، لأنه لا مثل له وقيل:[١] إنه ليس بجسم، فيدرك بالحواس والادراك يتعلق بالمدرك على أخص صفاته، وقيل أن القوى المتوهمة لايحكم البتة إلا على ما يجعله الشيء به داخلا في المحسوسات لاغير، فلذلك لايصدق بما لايمكن أن يشار إليه اين هو.

وبالجملة لايمكنها أن تعرف ذاتها أو يتصورها، إلا بان يغير وجودها إلى صورة محسوسة. ولما كان الأمر على هذا فان الأمور التي هي أعم من المحسوسات أو ليست محسوسة بوجه من الوجوه، فان احكام القوة المتوهمة فيها كاذبة، لامحالة إذ لايصدق بها ولا يتصورها إلا على نحو محسوس.

ولا تعقد القلوب منه على كيفية.

الكيفية: كل صفة متقررة[٢] في الموصوف لايحوج تصورها إلى نسبة الى خارج ولا تجزية، وقد يتضاد ويشتد ويضعف، ومثاله بياض وشكل تعالى الله عن ذلك.

(ج ــ الوهم: أن تظن ظنا مظنونه على خلاف ما ظننته، وقد يكون

١ ــ في ض: قيل اراد انه ليس بجسم.

٢ ــ في ش: متصورة.

بمعنى التقدير وفي صحاح اللغة: الصفة كالعلم والسواد) وبخط الرضي: ولايعقد القلوب منه على كيفية فيكون المفعول محذوف أي لا تعقد القلوب أنفسها ورأيها من الله تعالى على كيفية فانه جسم أو عرض مصور ونحو ذلك وعقد القلوب على شيء لايكون إلا عن علم، بخلاف الاعتقاد إذ هو قد يكون جهلا وتقليدا وتنحيتا، كما يكون علما وروي لا تعقد على مالم يسم فاعله.

ج ـ قد ذكر في معنى كونه تعالى آخرا وجوه أوضحها:

قوله عليه السلام: والآخر لا غاية له: فانه ذكر على طريقة التفسير، كما في قوله:

الأول لاشيء قبله: أي لابداية له، ولانهاية إذ هو واجب الوجود على الاطلاق، ثم نفى عنه تعالى الصفة والكيفية، اللتين تفيدان امرا زائدا على الذات[١] لأن ذلك قادح في الوحدة[٢]، ثم نفى التجزئة والتركب لأن ذلك من دلائل الامكان.

ثم نفى عنه إحاطة الأبصار لأن ذلك بما يقتضي الجسمية واللونية ثم نفى أحاطة القلوب لأن القلب لايحيط إلا بما استفاد له مثالا من الخارج، فقد جمع عليه السلام لباب التوحيد في هذه الأحرف اليسيرة، وما يعقلها الا العالمون.

قوله عليه السلام: بالآي السواطع.

ج ـ يقال سَطَعَ الصبح سطوعا اذا ارتفع وعنى بالآي آيات القرآن وصفها بذلك لعلوها وضيائها، ووضوح معانيها، ومحاسن ألفاظها.

---

١ ـ في ض: لان ذلك قادح.

٢ ـ هنا زيادة في ض وهي: فان حقيقة الصفة عند المحققين كل زائد يضاف الى الذات بلا اعتبار غير فان كان من ذلك ثبوتيا فهو منفي عنه تعالى لما سبق في صدر الكتاب من ان الصفة غير الموصوف غير الصفة وحيثما حصل الغيران فقد بطل الوحدة.

والنذر: جمع نذير بمعنى إنذار ولم يجمع: الذكر[١]: لأنه مصدر وهو نقيض النسيان.

فكان قد علقتكم: أي كانه، والضمير للشأن.

لا يبأس: أي لايصيب بؤسا وشدة.

* * *

---

١ — في ض: الذكر نقيض النسيان ولم يجمعه لانه مصدر يقع على الجنس.

٨٣ـ وَمن خطبة لهُ عليه السلام

وفيها فصول: الأوّل: قوله:

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْغَلَبَةُ، لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ، قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ، وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقُدُومِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ، فَاللهَ اللهَ[1]، أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا أسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَأَسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللهَ، سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمىً: قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ، وَعَلَّمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تبياناً (لِكُلِّ شَيْءٍ)[2] وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ ـ فِيمَا أَنْزَلَ مِنَ كِتَابِهِ[3] ـ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ، عَلَى لِسَانِهِ، مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، فَأَلْقَى إِلَيْكُمْ

---

١ ـ في ن وف: فالله الله عباد الله ايها الناس وفي م: فالله الله عباد الله فيما استحفظكم.

٢ ـ ساقطة من ف ون ول وش.

٣ ـ في ش: من كتابه الذي فيها من اعب.

الْمَعْذِرَةَ، وَأَتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ؛ فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ، وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَلاَ تُرَخِّصُوا لأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ[1] مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ، وَلاَ تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الإِدْهَانُ عَلَى المعصية[2]. عِبَادَ اللهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ (وغروره[3]). وَاعْمَلُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ للإِيمانِ وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ. جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ للإِيمانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَرَفِ مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ؛ وَلاَتَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإِيمانَ كَما تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، وَلاَتَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ وَاعْمَلُوا أَنَّ الأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ فَأَكْذِبُوا الأَمَل فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

١ـ في ب : فتذهب بكم الرخص فيها .

٢ـ في ب : على المصيبة .

٣ـ ساقطة من ب .

الشرح

قوله عليه السلام قد علم السرائر وخبر الضمائر.

ج ـ خبر بفتح الباء أي امتحن، وخبر بكسر الباء أي علم وأرهقه عسرا، كلفه[١] اياه وراهقه أعشاه.

والكظم: مجرى النفس.

والله الله: أي خف الله فيما استحفظكم أي في اقامة ما سألكم حفظه والمحافظة عليه من أحكام كتابه، وفي مراعاة ما استودعكم من الواجبات العقلية في حقوق الله.

سدى: أي مهملا والمحاب جمع المحبة: وهي مصدر بمعنى المفعول كالخلق، وضرب الأمير، ويجمع المحبوب على محاب، وهو على قصر محابيب.

اصبروا: أي آحبسوا وغبنه بالفتح في البيع أي خدعه، وغبن رايه بالكسر، أي نقصه فهو غبين أي ضعيف الرأي.

والغبطة: أن يتمنى مثل حال الغير لحسنها، وهي محمودة بخلاف الحسد وهو تمنّي زوال الغير وهو مذموم.

منساة للايمان: أي مدعاة الى نسيان توابع الايمان، وفروعه، والقيام بأوامره ونواهيه.

على شفا منجاة: أي على طرف النجاة، واكثر ما يقال ذلك في

---

١ ـ في ض: الارهاق: الاغشاء.

المكروه فكانّ الصادق، وان كان على رجاء من الخلاص، فانه مخوف.

والشرف: المكان العالي، والمهواة: المسقط.

والحالقة: المستأصلة من حلق رأسه.

ع ـ الكظم: مخرج النفس: سمى آثاركم: أي خصها بما استحفظكم من كتابه: من قوله تعالى علم القرآن.

وبما استودعكم من حقوقه: من قوله علمه البيان.

يسير الرياء شرك: من قول النبي صلى الله عليه وآله الشرك أخفى في امتي من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء ألا وهو الرياء، قيل: أراد بالشرك العصيان، وشبهه به كان العاصي مرائي يرائي الناس ويحترس منهم كمراقبته لله، وقيل: إنه يضمر من تعظيم الخلق ما يضمره الموحد من تعظيم الله، ويثني عليه فعلا موافقا لذلك التعظيم.

قوله فان الكذب مجانب للايمان: لم يرد أن كل كذب مناف للايمان وكفر بل أراد أن الكذب ليس من الايمان ولا من شرايطه وقيل أراد به الكذب على الله وعلى رسوله، وذلك كفر، فان المؤمن لايكذب على الله قط.

إن الحسد يأكل الايمان كما يأكل النار الحطب:

هو إشارة الى فسق الحاسد فانه لايجوز تشبيهه بأكل النار للحطب إلا على هذا المعنى، وقيل من الحسد ما يكون كفرا، وما يكون فسقا، وقيل الحسد ضدّ المنافسة والمنافسة طلب الترقي، والتشبيه بأرباب الفضائل والمنافسة من آداب الموحدين، والحسد من أخلاق الجهال.

والحالقة: من أسماء الداهية (والحالقة المستأصلة) وأصلها المرأة التي يحلق شعرها عند المصائب.

فاكذبوا الأمل: معناه ما قال لبيد[1].

واكذب النفس إذا حدثتها * إن صدق النفس يزري بالأمل

ش: أن يسير الرياء شرك : فان من حق العبادة، و شرط كونها مقبولة أن يؤتى بها لوجه الله حسنها أو وجوبها تقربا إلى الله تعالى وابتغاء لمرضاته، فمن أتى بعبادة ليراه الناس عليها، ويمدحوه بها، فقد جعل الناس شركاء لله تعالى في تلك العبادة.

ومجالسته أهل الهوى منساة للايمان.

لأن جليسهم يشتغل بما يذكرونه من أباطيلهم وأضاليلهم، ويصفونه من زخارفهم وزبارجهم، وفي حالة اشتغاله بذلك لايمكنه استحضار التصديقات التي هي حقيقة الايمان اذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، فيكون ذاهلا عن الايمان حال اشتغاله بمجالسة أهل العصيان، فان الكذب مجانب للايمان أي بعيد عنه ليس إياه ولا جزءً منه، ولا متعلقا به.

فان الحسد يأكل الايمان إذا شاهد الانسان على غيره نعمة أنعم الله تعالى بها عليه أو بلية صرفها عنه، فانه يجب عليه أن يعتقد أن ذلك حكمة وصواب، ومصلحة، وأن يعمله على هذا الوجه ويصدق به، فاذا اعتقد أنه ليس كما ينبغي، وأن الصواب خلافه، وأراد تغيره وتبدله، فقد عكس الأمر، وكذب بما يلزمه التصديق به وتصديقه بالشيء لايمكن اجتماعه مع تكذيبه به، والوقت والوجه واحد، فمع ذلك التكذيب لايكون ذلك التصديق حاصلا، وهو المعنى بكونه ماكولا وكون التكذيب له آكلا ـ والله اعلم.

* * *

١ ـ لبيد بن ربيعة بين مالك العامري ولبيد بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي ولبيد بن ازنم الغطفاني شعراء وفي الاول قول الامام الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يزري * لكنت اليوم أشعر من لبيد

٨٤ــ ومن خطبةٍ لهُ عليه السلام

وفيها فصول.

الفصل الأوّل: في صفات المتقين وهو قوله:

عِبَادَ الله، إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ الله إلَيْهِ عَبْداً[١] أَعَانَهُ الله عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزنَ، وَتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ، فَزَهِرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ، وأعدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ: نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَأرْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سَهُلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهلاً، وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً، قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ[٢] إلَّا هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ، أسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا، وَمِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ: قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لله ـسُبْحَانَهُـ فِي أَرْفَعِ الأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إلَى أَصْلِهِ، مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَاوَاتٍ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ

---

١ ــ في ر: بخط الرضي عبد.

٢ ــ في ح: عن الهموم.

مُعْضِلاَتٍ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ: قَدْ أَخْلَصَ للهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لاَيَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إلاَّ أَمَّهَا، وَلا مَظِنَّةً إلاَّ قَصَدَهَا، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

وَآخَرَ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلاَّل وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً[١] مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ زُورٍ؛ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ؛ وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤَمِّنُ (الناس) مِنَ الْعَظَائِمِ[٢]، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ «أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ» وَفِيهَا وَقَعَ؛ «وَأَعْتَزِلُ الْبِدَعَ» وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ: فَالصُّورَةُ صُورَةُ إنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوانٍ، لاَيَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ وَلاَ بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ؛ فَذٰلِكَ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ.

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ[٣]؟ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَالأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ! وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ! وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ! فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ؟ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، (وَأَعْلاَمُ الدِّينِ[٤]) وَأَلْسِنَةُ، الصِّدْقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوها مِنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ

١ــ في ب: للناس شراكا.

٢ــ في م ون وم وف ول: يؤمن من العظائم.

٣ــ في ش: واين تذهبون.

٤ــ ساقطة من م وف ون ول وش.

ببَال» فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَتَعْرِفُونَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَأَعْذِروا مَنْ لاَحُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَأَنا هُوَ، أَلَم أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ؟ وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ، ورَكَزْتُ[1] فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْروفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَرِيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلاَقِ مِنْ نَفْسِي فَلاَ تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لاَيُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، وَلاَ يَتَغَلْغَلُ[2] إِلَيْهِ الْفِكَرُ.

منها: حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلاَ يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا، وَلاَ سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذٰلِكَ؛ بَلْ هِيَ مُجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً.

١ــ في ح : قد ركزت.

٢ــ في ب : ولا تتغلغل وفي ح وش : ولا تتغلغل.

الشرح

قوله عليه السلام: عباد الله إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه إلى آخره.

ع ـ فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس عبارة عن أعلى مقامات الموحدين، وتصير كل فرع إلى أصله من قوله تعالى: منها خلقناكم وفيها نعيدكم[١]، وقيل من قوله: ارجعي الى ربك راضية مرضية[٢].

مظنة الشيء[٣]: موضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه.

والقلب قلب حيوان: يعني استولت القوة الشهوانية عليه، كما استولت على البهائم والأنعام، والقوة الغضبية كما استولت على السباع.

ميت الأحياء: أي عقله أسير هواه، فيصير كأنه ميت، لاينفعه عقله.

خذوها: الضمير للكلمات بعده.

يموت من مات منا وليس بميت: في قوله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً[٤]؛ وقوله: ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات[٥]؛ وقيل عني أن ذكرهم يبقى وآثارهم الحميدة تثبت مدى الدهر كما قيل: ذكر الفتى عمره الثاني.

فان أكثر الحق فيما تنكرون: معناه ما قال الحكيم: إياك ان يكون

---

١ ـ طه: ٥٥.

٢ ـ الفجر: ٢٨.

٣ ـ في ض: مظنة كل شيء موضعة.

٤ ـ آل عمران: ١٦٩.

٥ ـ البقرة: ١٥٤.

تكسبك وتبرؤك عن العامة هو أن[١] تنبرى منكرا كل شيء فذلك[٢] طيش وعجز، وليس[٣] الخرق في تكذيبك ما لم يستبن لك حليته دون الخرق في تصديقك، بما لم يقم بين يديك بينته.

والمنار: علم الطريق وإنما قال منصوبة حملا للمنارعلى البقعة التي هو فيها.

الثقل الاكبر: كتاب الله والأصغر: عترة النبي صلى الله عليه وآله قال النبي صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين.

قال ثعلب[٤]: سماهما الثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، والعرب يقول كل نفس ثقل فجعلهما ثقلين إعظاما لقدرهما، وتفخيما لشأنهما.

لايستعملوا الرأي فيما لايدرك قعره البصر: هو نهي عن تكلف طلب مالا دليل عليه، ولا طريق للانسان الى معرفته في هذا العالم من طريق التفصيل عقليا كان أو سمعيا.

لايتغلغل: أي يصل بل هي مجة: اي قطعة برهة: أي زماناً.

ج ــ اعانه الله علىٰ نفسه: أي كسر شهواته في القبايح بان فعل به لطفا اختار عنده الطاعة، واجتنب المعصية.

واستشعر الحزن: اتخذه شعار او تجلببه اتخذه جلبابا.

فزهر مصباح الهدى: أي أضاء سراج العلم اليقين في قلبه.

---

١ ــ نبر الرجل: زجره وانتهره ونبره بلسانه اغتابه ونال منه.

٢ ــ طاش طيشا: خف ونزق وذهب عقله وطاش السهم عن الغرض: جاز ولم يصبه.

٣ ــ الخرق بالضم: الجهل والحمق.

٤ ــ ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد النحوى الشيباني بالولاء شيخ اديب بارع كان امام الكوفيين في النحو واللغة قرأ على ابن الاعرابي والزبيربن بكار وكان الشيوخ يقدمونه عليهم وهو حديث السن لفضله وعلمه وهو صاحب كتاب الفصيح في اللغة مات ببغداد سنة ٢٩١.

والفرات: الماء العذب، والنهل: الشرب الأول والجدد: الأرض الصلبة غمارة: أي شدائده.

نصب نفسه: أي اقامها أو أتعبها من قولهم: هم ناصب.

في أرفع الأمور: كأنه اشارة الى الشرعيات، فان الفقيه المتقن للأحكام، والنصوص يصدر كل ما يرد: ولا يقيس في الشر، بل يجعل لكل فرع عموما وأصله الذي هو بعضه.

والعشوة: سواد الليل، والأمر الملتبس.

والمعضلات: الشدائد يتاه بكم: أي يذهب بكم متحيرين.

خذوها: اي النصيحة معقولة: اي محبوسة.

بل هي مجة: أي هي في قلة اللبث ميل ما يمج الانسان من الشراب أي يرمي به من فيه.

والمنار منصوبة: أراد بالمنار العلامة فحمل على المعنى كما في بيت الحماسة، ما هذه الصوت: أي الجلبة والصيحة[1].

* * *

١ ــ في شرح هذه الخطبة خلط وحذف في ض.

٨٥ـــ ومن خطبة لهُ عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الله سبحانهُ لَمْ يَقْصِمْ[١] جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمَيُّلٍ وَرَخَاءٍ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ، وَفِي دُونِ مَااسْتَقْبَلْكُمْ مِنْ عَتْبٍ، وَمَا أَسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ[٢]؛ مُعْتَبَرٌ! وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلاَ كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلاَ كُلُّ ذي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ[٣]، فَيَاعَجَبِي -وَمَالِيَ لاَأَعْجَبُ- مِنْ خَطأ هٰذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اَخْتِلاَفِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا! لاَيَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَلاَ يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلاَ يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَاعَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَاأَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلاَتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ[٤] فِي الْمُبْهماتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ أمْرِءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ: قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرىٰ بِعُرَى ثِقَاةٍ[٥] وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

---

١ ـــ في ض وح وب : فان الله لم يقصم.

٢ ـــ في م : من خصب معتبر.

٣ ـــ في ب : ولا كل ناظر ببصير.

٤ ـــ في ح وب : وتعويلهم في المهمات.

٥ ـــ في ک وحاشية م : بعرى و بثقات وفي حاشية ن : بعرى موثقات.

الشرح

قوله عليه السلام: فان الله سبحانه لم يقصم جباري دهر قط إلا بعد تمهيل ورخاء الى آخره.

قال بعض العلماء: لو كان كلام بعد كلام الله يستحق أن يكتب بالنورعلى خدود الحور، لكان هذا الكلام.

القصم: أن ينكسر فيبين وبالفاء أن ينصدع ولا يبين.

ولم يجبر: أي لم يصلح أزل: أي شدة ومشقة.

ما كل ذي عقل بلبيب: أي يستعمل عقله ويغلبه على القوى البدنية، فيما يرى: أي يظن وروي بفتح الياء من الرأي: وروي: بعرى وثيقا.

* * *

١ ـ في ب: اي ينكسر الشيء فيبين و بالفاء ان ينتزع ولا يبين.

٨٦ ــ ومن خطبة لهُ عليه السلام

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ، وَأعْتِزَامٍ(١) مِنَ الْفِتَنِ، وَأنْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرورِ، عَلَى حِينِ أصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَأغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا(٢)، قَدْ دَرَسَتْ اعلام الْهُدَى(٣)، وَظَهَرَتْ أَعْلاَمُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ. فَأعْتَبِرُوا، عِبَادَ اللهِ، وَأذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهِنُونَ، وَعَلَيْهَا، مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَاتَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلاَ بِهِم الْعُهُودُ، وَلاَ خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ(٤)، وَمَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي اصْلاَبِهِمْ بِبَعِيدٍ. والله مَاأَسْمَعَهُمُ الرَّسُولُ(٥) شَيْئاً إلاَّ وَهَا أَنَا ذَا الْيَومَ مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُون أَسْمَاعِهِمْ بِالأَمْسِ وَلاَ شُقَّتْ(٦) لَهُمُ الأَبْصَارُ، وَلاَ جُعِلَتْ

---

١ ــ في ض وح وب ول وش : اعتزام وفي كـ : واغترام وروي واعتراض .

٢ ــ في ف : غور من مائها وفي حاشية ن وح : اعوار من مائها .

٣ ــ في ض وح وب : منار الهدى .

٤ ــ في ش : الاحقاب والدهور .

٥ ــ في ح ول وش : ما اسمعكم الرسول .

٦ ــ في ش : وما شقت .

لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ فِي ذٰلِكَ ٱلْأَوَانِ[1] إلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هٰذَا الزَّمَانِ. وَاللهِ مَا بَصُرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلاَ أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ ٱلْبَلِيَّةُ جَائِلاً[2] خِطَامُهَا رَخْواً بِطَانُهَا، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

الشرح

قوله عليه السلام: أرسله على حين فترة من الرسل الىٰ آخره.

ع ــ وطول هجعة من الامم: الهجعة: النومة الخفيفة من أول الليل أشار إلى عموم الجهالة في أهل الأرض قبل مبعث النبي صلىٰ الله عليه وآله.

تيك التي: أي تلك الحالة.

ج ــ واغترام: من الغرام[3] على طريق الاستعارة، وروي بالزاي من العزيمة، فكأن لتلك الفتن صريمة أمر وعزيمة رأي؛ علىٰ نباتها، والاعتزام لزوم القصد في الشيء، وروي واعتراض أي ظهور من قولهم: عرض له كذا أي ظهر، ويجوز أن يكون من قولهم اعترض الفرس في رسنه: أي لم يستقم لقائده، أو يكون على تقدير واعتراض من الفتن، للمرادات.

على حين اصفرار من ورقها: أراد آخر أمرها واغورار: أي انتقاص.

متجهمة: كالحة الوجه، يعني أن الدنيا متنكرة لأربابها الذي هم في الحقيقة عبيدها.

تيك: أي تلك[4] الخصلة وتقادم وقدم: أي صار قديما.

١ــ في ح: في ذلك الزمان.

٢ــ في ک: حائلا خطامها.

٣ــ في الغرامة والغرم: ما يلزم اداؤه من المال وما يعطي من المال على كره.

٤ــ في ض: تلك الحالة او الخصلة.

والأحقاب: السنون من يوم كنتم: علىٰ الاضافة وروي من يوم مبنيا علىٰ الفتح لاضافته الىٰ مبني.

ولقد نزلت بكم البلية جائلاً خطامها.

أي وقعت المحنة عظيمة لأن الناقة اذا اضطربت زمامها يصعب أمر راكبها واضطراب زمام الناقة، يكون من خبوبها، وقيل جائلا خطامها أي مسترسلا.

ورخوا بطانها: أي واسعاً، وكلتا القرينتين عبارة عن قلة الاضطراب للبليّة وعن الثبات، والبطان القتب الذي يجعل تحن بطن البعير.

* * *

٨٧ ــ ومن خطبة لهُ عليه السلام

(اَلْحَمْدُ للهِ)[١] الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائماً دَائِماً: إذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أبْرَاجٍ؛ ولاَ حُجُبٌ ذَاتُ أَرتَاجٍ، وَلاَ لَيْلٌ داجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، وَلَا فَجٌّ ذُو أعْوِجَاجٍ؛ وَلَا أَرْضٌ ذَات مِهَادٍ، وَلَا خَلْقٌ ذُو أعْتِمَادٍ: ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ، وَإِلٰهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ[٢] فِي مَرْضَاتِهِ: يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ[٣]، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ، إلَى أَنْ تَتَنَاهى بِهِمُ الْغَايَاتُ، هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أعدائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ، وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَأَهُ، وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

عِبَادَ اللهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ

---

١ ــ ساقطة من ف وم ون ول وش.

٢ ــ في م وش: دائبين وفي كـ: وروي دائبين.

٣ ــ في ح: وعدد انفسهم.

أَنْ تُحاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ، وَأَنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلاَ وَاعِظٌ[١].

الشرح

قوله عليه السلام: المعروف من غير رؤية الى آخره.

ج ـ القيم والقيوم[٢]: في صفته تعالى هو الدائم الذي لايزول، والقائم على كل نفس أي الحافظ لها.

والرتج: الباب العظيم والداجي: المظلم والساجي: الساكن.

والقمر دائبان: خبر المبتدأ وروي دائبين بالنصب[٣] على الحال (أو الظرف وهما ليسا بمكلفين، بل مسخران يدائمها الملائكة الموكلون بهما.

يبليان كل جديد[٤]) على طريق قولهم: نهاره صائم وليله قائم (أعني في أسناد الفعل إلى الوقت وسمي التكليف الذي ليس بعقوبة على الحقيقة عقوبة وعذابا مجازا كقوله تعالى: لأُعذبنهُ عذاباً شديدا، أو أراد انتقامه من الظالم للمظلوم[٥].)

وعازه: أي غالبه ومدمر من شاقه: أي مهلك من عاداه وناواه: أيضا بمعناه.

ع: الخالق من غير رؤية: معناه أن الفاعل إنما يحتاج في أفعاله المحكمة

---

١ ـ في ح: لا زاجر ولا واعظ وفي ش: من غيرها واعطاء لا زاجر.

٢ ـ في ض: القائم والقيوم.

٣ ـ أي ض: دائبين على الحال.

٤ ـ بين الهلالين ساقط في ض.

٥ ـ ساقط في ض.

الىٰ التفكّر والتأمل اذا لم يعلم ما يريد فعله أو يهمّ بفعله، وإنما يصح أن لايعلم، إذا علم بعد مالم يعلم، والله تعالى عالم بكل المعلومات فيما لم يزل ولا يزال، ولا يحتاج الى التفكر والتروي، ويعلم المعدوم كما يعلم الموجود

* * *

٨٨ــ ومن خطبة عليه السلام

تعرف بخطبة الأشباح، وهي من جلائل خطبه، وكان سائل سأله أن يصف الله تعالى حتّى كأنّه يراه عياناً فغضب لذلك، وقال الخطبة. روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام هذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أنّ رجلاً أتاه فقال له: ياأميرالمؤمنين صف لنا ربّنا لنزداد له حبّا وبه معرفة فغضب ونادى: الصلوة جامعة. فاجتمع الناس حتّى غصّ المسجد بأهله فصعد المنبر وهو مغضب متغيّر اللون فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ خطبها.

وأعلم أنّ في الخطبة فصولاً:

الفصل الأوّل: قوله:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لاَيَفِرُهُ الْمَنْعُ (وَالْجُمُودُ)[1]، وَلاَ يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَاخَلاَهُ، وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ، عِيَالُهُ[2] الْخَلاَئِقِ: ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ

١ ــ ساقطة من ف وم ون ول وش وفي ك: لا يعره المنع.

٢ ــ في ب: عياله الخلق.

الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ، وَالطَّالِبِينَ مَالَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ[١] قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ؛ وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ[٢] فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ؛ وَالرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ، وَلاَ كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الِانْتِقَالُ؛ وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ، مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ، وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذٰلِكَ فِي جُودِهِ، وَلاَ أَنْفَدَ سَعَةَ مَاعِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْإِنْعَامِ مَالاَ تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ؛ لأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لاَيَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلاَ يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ.

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلاَ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ؛ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَالَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً؛ فَاقْتَصِرْ عَلَى ذٰلِكَ، وَلاَ

١ــ في ك: ليس له قبل.

٢ــ في ح غ لم يكن له بعد.

تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إذَا أرتَمَتِ الْأَوْهَامُ لِتَدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ[١] أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ وَتَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ[٢] إلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفاتِهِ، وَغَمُضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لاَتَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ[٣] رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إلَيْهِ، سُبْحَانَهُ، فَرَجَعَتْ إذْ جُبِهتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لاَيُنَالُ بِجَوْرِ لِاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، وَلاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ الَّذِي أبْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ أمْتَثَلَهُ، وَلاَ مِقْدَارٍ أحتَذَى عَلَيْهِ، مِنْ خَالِقٍ[٤] معبود كَانَ قَبْلَهُ، وَأرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَانَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَأعْتِرَافِ الْحَاجَةِ إلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُوَّتِهِ[٥]، مَادَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَظَهَرتْ[٦] فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأعْلاَمُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَاخَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْه، وَإنْ كَانَ خَلْقَا صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلاَلَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ. وَأَشْهَدُ[٧] أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلاَحُمِ

١ــ في م وح ول وش : من خطر الوساوس .

٢ــ في كـ : ويروى وتواهقت القلوب .

٣ــ في ر : ويروى لتنال علم ذلك .

٤ــ في ض وب : من خالق معهود .

٥ــ في ر وحاشية م : بمسك قوته وفي ب : بمساك قدرته .

٦ــ في ح : فظهرت في البدائع .

٧ــ في ش : فاشهد .

حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ الْمُحتجِبَةِ لتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيبَ ضَمِيرِهِ [١] عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لاَنِدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ [٢] لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ [٣] إِذْ يَقُولُونَ: (تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) كَذَبَ الْعَادِلُونَ بكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ ونَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ [٤]، وَأَشْهَدُ [٥] أَنَّ مَنْ سَاوَاك بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ [٦] بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَإِنَّكَ أَنْتَ [٧] اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً، وَلاَ فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا مَحْدُوداً مُصَرَّفاً [٨].

ومنها: قَدَّرَ مَاخَلَقَ فَأَلْطَفَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَحْكَمَ تَدْبِيرَهُ [٩]، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يُقَصِّرْ دُونَ الإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟

الْمُنْشِيءِ أَصْنَافَ الأَشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَلاَ قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلاَ تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ،

١ــ في ر: روى ما يعقده غيب.
٢ــ في ش: فكانه.
٣ــ في ح: عن المتبوعين.
٤ــ في ك: بقرائح قلوبهم.
٥ــ في ش: فاشهد.
٦ــ في ش: والعادل كافر.
٧ــ في ش: فانك انت الله.
٨ــ في ض وب: فتكون محدودا مصرفا.
٩ــ في ب: ودبرها فاحكم تدبيره.

وَلاَشَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ [١] دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِىءِ، وَلاَ أَنَاةُ الْمُتَلَكِّىءِ، فَأَقَامَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَوَدَهَا، وَنَهَجَ حُدُودَهَا، وَلاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالأَقْدَارِ وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ بَدَايَا خَلاَئِقَ [٢] أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا.

منها في صفة السماء:

وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ [٣] رَهَوَاتِ فُرَجِهَا، وَلاَحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا. وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا، نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ [٤] فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا وَفَتَقَ بَعْدَ الإِرْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا. وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ [٥] بِأَيْدِهِ وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا، فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ [٦] مَسِيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

١ــ في ب : ولم يتعرض.
٢ــ في ك : والرواية الصحيحة : برأ خلائق.
٣ــ في ع : فنظم بلا تعليق.
٤ــ في ش دخان مبين.
٥ــ في ف وع : في خرق الهواء زائدة وفي م ول : بائدة.
٦ــ في ض وح وب : وقدر سيرها.

بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا: مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيهَا، وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَرَمَى مُسترِقِي ٱلسمع بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلاَلِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِها وَصُعُودِهَا، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا.

ومنها في صفة الملائكة:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإسْكَانِ سَمٰوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ [١] وَمَلأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا [٢] وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدْسِ، وَسُتُرَاتِ الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ، وَوَرَاءَ ذٰلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ [٣] الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا، أَنْشَأَهُمْ [٤] عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ خَلاَلَ عِزَّتِهِ [٥] لاَ يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صنعه [٦]، وَلاَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً معه مِمَّا

١ـــ في ش : من ملائكته ملأ بهم.

٢ـــ في ل وش : اجوابها وفي كـ : وروى اجوابها.

٣ـــ في م : تسل منه الاسماع.

٤ـــ في ح وب وض : وأنشاهم.

٥ ـــ في ض وح وب وش : جلال عزته وفي حاشية م : بحار عزته.

٦ـــ في ع وب : من صنعته.

ٱنْفَرَدَ[١] بِهِ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (لاَيَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) جَعَلَهُمْ فِيمَا[٢] هُنَالِكَ أَهْلَ الأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً إِلَى تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلاَمِ تَوْحِيدِهِ لَمْ تَثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ الآثَامِ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بَنَوازِعِهَا[٣] عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلاَ قَدَحَتْ قَادِحَةُ الإِحَنِ فِيما بَيْنَهُمْ، وَلاَ سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَالاَقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ[٤] فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ[٥] بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وَفِي قَتَرَةِ الظَّلاَمِ الأَبْهَمِ[٦]، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ[٧] أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ ٱنْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ، قَدِ ٱسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، وَوَسَلَتْ[٨] حَقَائِقُ الإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَقَطَعَهُمُ ٱلإِيقَانُ

١ـ في ب : شيئا مما انفرد به .
٢ـ في ح : جعلهم الله فيما .
٣ـ في ك ول : بنوازغها .
٤ـ في ض وح ول وش : وهيبة جلاله .
٥ـ في ك ور : وتفترع بريبها .
٦ـ في ر : فترة الظلام الا يهم .
٧ـ في ب : من خرقت .
٨ـ في ح وض وب : وصلت بالصاد .

بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ، وَلَم تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ، قَدْ ذَاقُوا حَلاَوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ، وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ (١) ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِذْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلاَ تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ الإِجْلاَلِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ، وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ، فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلاَتُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلاَ مَلَكَتْهُمُ (٢) الأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ (٣) الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، وَلاَ تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلاَدَةُ الْغَفَلاَتِ، وَلاَ تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ (٤) فَاقَتِهِمْ، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لاَ يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلاَ يَرْجِعُ بِهِمْ الاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ، إِلَّا مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ، فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ (٥) ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَامَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوِ اسْتَعْظَمُوا

١ــ في ب : مشيجة خيفته.
٢ــ في ر : ولا ملكتهم الاغفال.
٣ــ في ك : وروي مقادم بالدال.
٤ــ في م : ذي العرش لهم ذخيرة.
٥ــ في ر : على الاجتهاد.

ذٰلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءَ مِنْهُمْ شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَلاَ تَوَلاَّهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ[1]، وَلاَ شَعَبَتْهُمْ[2] مَصَارِفُ الرِّيَبِ، وَلاَ اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ[3]، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ، وَلاَ عُدُولٌ وَلاَ وَنًى وَلاَ فُتُورٌ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوضِعُ إِهَابٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ حافِدٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً.

ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء.

كَبَسَ الأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا، وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ[4] الْمَاءِ الْمُتَلاَطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً، إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُوراً، وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً وَسَكَنَتِ الأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلاَئِهِ وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ[5]، وَكَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ

١ــ في ر: وروى على التحاسد.

٢ــ في ض وح وب ول وش: ولا تشعبتهم وفي ك: ولا شيعتهم.

٣ــ في ر: وروى اخياف الهم.

٤ــ في ر: وروى جمام الماء.

٥ــ في ع: انفه وغلوائه.

نَزَقَاتِهِ (١) وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ (٢) الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَحَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ (٣) عَلَى أَكْتَافِهَا فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا، وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلاَمِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ بِرُسُوبِ الْجِبَالِ (٤) فِي قِطَع أَدِيمِهَا، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ ٱلْأَرَضِينَ، وَجَرَاثِيمِهَا، وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ ٱلْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا، ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ ٱلْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا، وَلاَ تَجِدُ جَدَاوِلُ ٱلْأَنْهَارِ (٥) ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى (٦) أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا، أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ، وَتَبَايُنِ قُزَعِهِ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ ٱلْمُزْنِ فِيهِ، وَٱلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ تَمْرِيهِ ٱلْجَنُوبُ دِرَرَأَهَاضِيبِهِ وَدَفْعَ شَآبِيبِهِ، فَلَمَّا أَلْقَتِ ٱلسَّحَابُ بَرْكَ بَوَانِيهَا، وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ

١ــ في ك: وروى بعد نزفاته بالفاء.

٢ــ في ب: فلا سكن هياج الماء.

٣ــ في م ون وف ول وش: شواهق الجبال البذخ.

٤ــ في ض وح وب: لرسوب الجبال.

٥ــ في ن وم: جدا ول الارض وفي ر: روى جداول الارض.

٦ــ في م: ثم انشأ.

مِنْ اَلْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الأَعْشَابَ فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وَتَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رِيطِ أَزَاهِيرِهَا، وَحِلْيَةِ مَاسُمِطَتْ[١] بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلاَغاً لِلأَنَامِ، ورِزْقاً للأَنْعامِ، وَخَرَقَ الْعِجَاجِ فِي آفَاقِهَا، وأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَّادِ طُرقها، فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدمَ، عَلَيْهِ السَّلامْ، خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبلَّتِهِ[٢]، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلهُ وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الأَقْدَامِ عَلَيْه التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمَخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَانَهَاهُ عَنْهُ ـ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ[٣] ـ فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوبَةِ، لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبيّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَمُتَحَمِّلي وَدَائِعِ رِسَالاَتِهِ، قَرْناً، فَقَرْنَا، حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى الله علْيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ، وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا، وَبِسَلاَمَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا، وَخَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا،

١ـ في م وكـ : شمطت بالشين.

٢ـ في م : اول جبلته وبديع فطرته.

٣ـ في ر : بسابق علمه.

وَجَعَلَهُ خَالِجاً لأَشْطَانِهَا، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ، وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، وَمَا أَصْغَتْ لأَسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الأَسْمَاعِ، وَمَصَائِفِ الذَّرِّ، وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ، وَرَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ، وَهَمْسِ الأَقْدَامِ، وَمُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلاَئِجِ غُلُفِ الأَكْمَامِ، وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ[1] مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا، وَمُخْتَبَأِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا، وَمَغْرِزِ الأَوْرَاقِ مِنَ الأَفْنَانِ، وَمَحَطِّ الأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الأَصْلاَبِ، وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلاَحِمِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، وَمَاتَسْفِي الأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وَتَعْفُو الأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمِ نَبَاتِ الأَرْضِ[2] فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الأَوْكَارِ، وَمَا أَوْعَتْهُ[3] الأَصْدَافُ، وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، وَمَاغَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ[4] نَهَارٍ، وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أطباقُ الدَّيَاجِيرِ، وَسُبُحَاتُ النُّورِ. وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ[5]، أَو سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ

١ــ في ن ور : متقمع الوحوش .

٢ــ في م وف : عموم بنات الارض وفي ب وح ول : بنات الارض .

٣ــ في ض وح وب : اوعبته الاصداف .

٤ــ في ف ون : وذرعليه شارق .

٥ــ في ش : من ثمر كل شجرة .

نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ، وَسُلاَلَةٍ، لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذٰلِكَ كُلْفَةٌ، وَلاَ ٱعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَاٱبْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلاَ ٱعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذ ٱلْأُمُورِ وَتَدْبِيرِ ٱلْمَخْلُوقِينَ مَلاَلَةٌ وَلاَ فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ وأَحْصَاهُمْ عده[1]، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللّٰهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْوَصْفِ ٱلْجَمِيلِ، وَٱلتَّعْدَادِ ٱلْكَثِيرِ، إنْ تُؤَمَّلْ[2] فَخَيْرُمأمول وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍ. اللّٰهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لاَ أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلاَ أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلاَ أُوَجِّهُهُ إلَى مَعَادِنِ ٱلْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائح ٱلْآدَمِيِّينَ وَٱلثَّنَاءِ عَلَى ٱلْمَرْبُوبِينَ ٱلْمَخْلُوقِينَ. اللّٰهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ ٱلْمَغْفِرَةِ. اللّٰهمَّ وَهٰذا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقاً لِهٰذِهِ الْمَحَامِدِ وَٱلْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فاقَة إلَيْكَ لايجبر مَسكَنَتَهَا اِلا فَضْلُكَ ولا يَنعشُ مِنْ خَلَّتِها اِلا مَنك وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنا في هٰذا المقامِ رِضاكَ وَأَغْنِنا عن مَدّ الأيدي اِلى سِواكَ اِنَكَ علىٰ كُل شيء قَديرٌ.

---

٦٥ ـ في ف : واحصاهم عده.

٦٦ ـ في ب : فخير مؤمل.

الشرح

ج ، ع ـ خطبة الاشباح ـ الاشباح : (الاشخاص سميت بذلك لاشتمالها على ذكر الأشخاص[١]) وقيل اصل الشبح الطول والامتداد والعرض ، ومنه شبح الذراعين ، ورجل شبحان أي طويل والحرباء تشبح على العود أي تمتد فسميت بذلك لأنها خطبة طويلة ممتدة .

قوله فغضب لذلك : إنما غضب عليه السلام لأنه علم أن السائل متعنت[٢] لا مستفيد ، قلت الحق إنه إنما غضب استعظاماً لمضمون السؤال وإنكارا على السائل ، تصديه لطلب ما ليس من أهله ، وتغلغله فيما ليس من عشه ويدل على هذا قوله عليه السلام : وما كلفك الشيطان إلى قوله فكل علمه إلى الله سبحانه .

قوله عليه السلام : الحمد لله الذي لا يفره المنع إلى قوله من الهالكين .

ع ـ وفر لازم ومتعد وها هنا متعد ، ويروى لا يغره أي لا يعيبه ، وقيل : لا يدخل عليه المكروه ، وقيل : معناه لا يزداد غنى يمنعه ، وتحقيق ذلك أن الزيادة والنقصان إنما يتناهى في المحدود ، فاذا كانت مقدورات الله تعالى لا حدَّ لها ولا نهاية لم يجز الزيادة عليها لأنه يستحيل أن يكون وراء ما لا يتناهى شيء فيضم إليه ، وإذا استحالت الزيادة فيه ، استحال النقصان منه ،

---

١ ـ ساقط في ض .

٢ ـ العنت : المشقة والفساد والهلاك .

ويستحيل أن ينقص (مقدوراته لو لم يفعل منها شيئا، فيستحيل أيضا أن ينتقص[١]) وإن أوجد منها ما لا يحصى كثرة.

والاكداء: قلة الخير يقال أكدى الرجل إذا قل خيره وأكدى الحافر إذا بلغ الكدية[٢] فلا يمكنه أن يحفر[٣].

وكل مانع مذموم ما خلاه: لأن غيره إنما يمنع رفده لينتفع به هو، ويدعوه إلى المنع، حاجته أو بخله، والقديم تعالى إنما يدعوه الى المنع صلاح عباده، فمنعه تعالى، كاعطائه في أن كل واحد منهما صلاح، ولذلك يمدح عليهما جميعا.

وليس بما سئل باجود منه بما لم يسأل:

لأنه لما كان إنما يعطي لأجل المصلحة، فما فيه مصلحة يفعله سئل أو لم يسأل، اذا الداعي إلى فعله الصلاح دون السؤال، فاما السؤال فهوتعبد.

الأول الذي ليس له قبل فيكون شيء قبله والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده.

أي ليس لوجوده ابتداء وانتهاء، لكونه قديما واجب الوجوب، بذاته: لم يزل ولا يزال، وقيل إن الأول والآخر من الأسماء الاضافية واذا كان كذلك أمكن فيما هو أول باضافة أن يكون آخرا باضافة اخرى فمعنى كونه آخرا أنه يبقى: ويفنى كل حي.

ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال.

مصاحبة الأوقات للأشياء بناء على مصاحبة الحوادث لها، فما جاز أن يصحبه حادث، جاز أن يختلف عليه الوقت، وما لم يجز أن يصحبه

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٢ ــ الكدية بالضم قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس.

٣ ــ في ض: لا يمكن ان يحفره.

الحادث، استحال تعاقب الأوقات عليه، فاذا كان الله تعالى قديما استحال عليه الحوادث[١]، فاستحال اختلاف الاوقات عليه.

لأن الأوقات حوادث كسائر الحوادث، وإذا لم يجز اختلاف الأوقات عليه لم يجز عليه تغير الأحوال، من صغر، إلى كبر، ومن نقصان الى[٢] زيادة، ومن قوة إلى ضعف وقيل: الدهر هو المعنى المعقول من إضافة الثبات إلى النفس في الزمان كله والزمان مقدار الحركة من جهة المتقدم والمتأخر.

ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال:

لأن الكائن في المكان ليس إلا الجسم والعرض بواسطة الجسم فاذا استحالت الأماكن على القديم، استحال عليه الأنتقال، لأن التحرك يتبع التحيز[٣] فاستحالة التحيز يؤذن باستحاله التحرك.

والفلز: أصل كل ما يستخرج من المعادن، وفي صحاح اللغة الفلز بكسر الفاء وتشديدا الزاي ما ينفيه الكير[٤] مما يذاب من جواهر الأرض.

والمرجان: ينبت في بحر إفرنجة، والأبيض منه في بحر الروم وصنف منه يقال له الهاسجاء ينبت في بحر المغرب، وينبت المرجان في قرار البحر، وهو شبه شجرة ذات أغصان وأصول ينشعب بعضها من بعض، ويبلغ ستين مثقالا، ويقال: أن المرجان يخرج ويحصد بكلاليب[٥] من حديد،

---

١ ــ في ض: استحال عليه الحادث.

٢ ــ في ض: ومن زيادة الى نقصان.

٣ ــ تحيز الشيء: انحصر في مكان دون آخر.

٤ ــ الكير بالكسر: كير الحداد وهي المبنى من الطين وقيل: الزق ينفخ به النار وفي الحديث الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد.

٥ ــ الكلاليب جمع الكلاب: الحديدة التي خف على رائض الخيل او راكبها: حديدة معطوفة الرأس يجر بها الجمر، وخشبة في رأسها عقافة منها او من حديد وكلاليب البازي: مخالبة والكلاب معرب قلاب.

وله غاصة يغوصون عليه ، فيحصدونه ، وقد يقطع بالحديد الذي له شعبتان على خطين متوازيين ، ويحك على حجر أصم يوتى به من وادي الضمرة فلذلك قال أميرالمؤمنين : وحصيد المرجان لأنه شبه شجرة[١] ينبت في قعر البحر.

فما دلك القرآن عليه من صفته :

يعني أن ما وجب من المعارف على العاقل في حق الله تعالى ، الراجعة إلى التوحيد والعدل ، وقد ضمنه الله تعالى في القرآن والسنة والاجماع ، فليس في تكليفنا معرفة بالله إلا وهي مذكورة في هذه الطرق الثلاث أو في أحدها ويعني بذلك الاصول المشروطة في الايمان دون تفاصيلها وفروعها وما لم يذكر في الحجج الثلاث . لا يجوز أن يكون يجب علينا ويكون أصلا في الدين ولم يرد أن الطريق الى معرفة الله تعالى القرآن ، بل أراد أن العقليات الواجبة الراجعة إلى العلم ، قد ورد بجميعها السمع ، فكل قول واعتقاد عدّ أصلا في الدين فالسمع نطق به ، وما عداه فخارج عن التكليف .

قوله : فكل علمه إلى الله تعالى : قيل معناه أن قوى البشر قاصرة عن إدراك حقائق أكثر الاشياء ، وبالعقل الانساني لا يدرك ولا يعرف جميع المعقولات والمعلومات ، كما قال تعالى : وما أوتيتم من العلم الا قليلا[٢].

والسدد : جمع السدة وهو ما وجد مصنوعا ، وما لم يوجد مصنوعا فهو سد وقيل السد بالضم من فعل الله وبالفتح من فعل الآدميين وقال الكسائي[٣]

---

١ ــ في ض : شبه حجرة.

٢ ــ الاسراء : ٨٥.

٣ ــ ابو الحسن علي بن حمزة الكوفي البغدادي المقرىء النحوي اللغوي احد القراء السبعة ومؤدب محمد الامين اخذ القراءة عن حمزة بن حبيب الزيات وجاء اليه وهو ملتف بكساء فقال حمزة من يقرأ فقيل الكسائي فبقي علما له .

كان الكسائي من قراء مدينة السلام وكان اولا يقرىء الناس بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة فاقرأ بها الناس في خلافة هارون ، سافر مع هارون الرشيد في سنة ١٨٩ . الى طوس وتوفي بالري فقال هارون : دفنا العربية بالري .

هما بمعنى واحد.

قوله: أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب.

قال الوبري: يعني أن العلم المجمل يكفي إن كان باقيا فلا يحتاج في بقاءِهإلى العلم المفصل، وكذلك العلم بمعلوم، لا يحتاج الى العلم بمعلوم آخر، اذا لم يـقتضِ العلم الأول الثاني، ولهذا لم يضر الجهل[١] بالمعلوم، وإن كان الطريق الى علمه واضحا فلأن لا يضر الجهل[١] بما لا طريق اليه اولى، وعنى بالغيب المحجوب ما اختص الله تعالى بعلمه، ولا طريق للعباد اليه.

وسمى تركهم التعمق: رسوخا من قوله تعالى: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا الآية[٢].

ج ـ الردع: الكف والدفع والأناسي جمع إنسان وأصله أناسيين فأبدلت النون ياء كما في نطنيت[٣] يعني منع من طريق السمع والعقل أن يطلب أحد إدراكه بالبصر.

قيل والمعادن: إنما تتكون كذلك من الابخرة الصاعدة من جرم الأرض بقدرة الله تعالى فلذلك عبر عليه السلام عنها بالتنفس، وقيل هو مستعار من تنفس الصبح: إذا تبلج[٤].

وصدف الدرة: غشاؤها والفلز: اسم الأجناس السبعة التي هي العقيان وهو الذهب، واللجين، وهو الفضة: والحديد والنحاس: والرصاص:

---

١ ـ في ض هنا زيادة وهي: ولهذا لم يضر اصحاب الجهل ورود الشبهة والاسئلة عليهم اذا لم يعرفها حلها وجواباتها واذا لم يضر.

٢ ـ آل عمران: ٧.

٣ ـ كذا في النسخ.

٤ ـ تبلج الصبح: اشرق والبلجة بالضم: ضوء الصبح.

والاسرف والزيبق : وقيل : لها ثامن وهو الخارصيني ووجد في كتاب مكان الزيبق الخارصينى ، وهو الذي يعمل منه أنواع من المراء والمرجان البذ وصغار اللؤلؤ.

وغـاض الماء : نقص وغضته يتعدى ولا يتعدى .

وأبخلته : وجدته بخيلا وبخلته نسبته إلى البخل ، وروي بهما .

والالحاح : الاقامة والدوام ، والراسخ : الثابت .

الاقتحام : الدخول من غير ارسال والسدة : باب الدار وهاهنا كناية عن الخيام إذ قد وصفها بالمضروبة .

قوله صلوات الله عليه : هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، وتولهت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته : وغمضت مداخل العقول في حيث لا يبلغه الصفات ، لتنال علم ذاته ، ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب ، متخلصة اليه سبحانه فرجعت إذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ، ولا يخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته .

قلت سبحان من خلق بكمال قدرته ، وفرط حكمته ، بحرا من العلوم لا يبلغ أحد له قعرا ماج موجة فالقى إلى الساحل مثل هذا الدرر التي يتقاصر ألسن البلغاء عن وصف معشار ما فيها من البهاء والرواء[١] ويحار الطبع عن تصور كمالاتها بعد النصب[٢] في الطلب والاعياء ، وماذا أستطيع أن أقول كلاما في وصفه ونعته ، وكل ما يصفه به البلغاء لا يبلغ حضيض ذروته .

إلا أني أقول : كلام عليّ من إمام عليٍّ في وصف جبار عليٍّ قال[٣]

١ ــ الرواء بالمد والضم : المنظر الحسن .

٢ ــ النصب : التعب .

٣ ــ في ض : قال بعض الحكماء .

بعض الحكماء: إني ربما خلوت بنفسي كثيراً وخلعت بدني وصرتُ كأني عقل بلا جسد أعني من كثرة ما تفكرت في المعقولات المجردة، عن المواد فأكون داخلا في ذاتي وراجعا إليها. وخارجا عن سائر الأشياء سواي فأرى في ذاتي من الحسن[١] والبقاء ما بهت به معجبا، فأيقنت أني ترقيت من ذلك العالم الجسداني الى العالم الالهي فصرت كأني هناك.

فهذا معنى قوله: متخلصة إليه سبحانه قال: فعند ذلك يلمع لي من النور والبهاء ما تكل الألسن عن وصفه، والآذان عن سمعه، فاذا استغرقني ذلك النور ولم أقو على احتماله هبطت الى عالم الفكرة، وهذا معنى.

قوله: فرجعت إذ جبهت: قال: فحجبت الفكرة عن ذلك النور والبهاء فهذا معنى قوله:

معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته.

تولهت: أي تحيرت، والوله: ذهاب العقل، ويروى تواهقت[٢] من الايهاق، وردع وجبه وزجر واحد[٣].

وردع: جواب اذا يعني لا مثل له تعالى ولانظير، ومن عادة العاقل طلب النظير والمثل، لكل غائب يفتقده وإذا خطر بقلب العاقل التماس المثل والنظير له تعالى، فقد هلك، ولا يعرف منتهى مقدوراته اذ لا نهاية لها.

وحاول الفكر المبرأ: يعني اذا أراد العاقل معرفة تفاصيل أفعاله وأعدادها وكيفيتها ولم يكلفه الله تعالى ذلك، ولم يجعل له إليه سبيلا منعه عصمة الله، والمنع أنه لم يجعل له سبيلا، وربما يصرفه عن ذلك بنوع، من الصواب ظاهرا أو باطنا.

١ــ ض في: من الحسين واليها.

٢ــ في ض: تواهقت اي تسايرت والمواهقة المباراة في السير.

٣ــ في ض وزجر واحد وجبهه المكروه استقبله.

وتولهت القلوب اليه :

قال طلب الغاية في ثبوت صفاته محال لأنه تعالى قديم فانتهاؤه أولا وآخرا محال، وقيل: لا نهاية لصفاته في كونه قادرا وعالما أي لمقدوراته ومعلوماته.

وغمضت مداخل العقول: من أراد أن يعلمه تعالى ضرورة فلا سبيل إليه لامتناع التكليف معه، وقيل: إن قوى البشر قاصرة عن الوقوف على كنه غاية معرفة الله تعالى، وإنما يعرف أنه موجود واحد لم يزل ولا يزال، ولا مثل له ولا شبيه ولا علة ولا تغير في ذاته وأمثال ذلك إما معرفة أن وجوده (مخالف لوجودنا فمعرفة مجملة، غير مفصلة، إذ لا يجوز أن يقال: إن وجوده[1]) تعالى يخالف وجودنا بفصل أو خاصة تعالى عن ذلك، وكيف يُتَصور أن وجوده انّيته أو داخل في انّيته فهذا معنى قوله :

لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله: لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال الراسيات، ولا يبلغ أحد كنه معرفته، فقيل: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا الله أجلّ وأعلى من أن يطلع على كنه معرفته بشر.

ج_ تجوب: تقطع، مهاوي: أي مهالك ومساقط سدف: ظلم متخلصة: أي مقدرة التخلص إليه.

والاعتساف الأخذ على غير الطريق والجبه: الرد وجبهته بالمكروه استقبلته ولا ينال بجور الاعتساف وانما يعرف بالدلائل.

ش: قلت: تنقيح معنى هذا الكلمات أن الباري تعالى، هو القادر الذي اذا تطائرت خواطر[2] الانام وأنظارهم،

---

١ ـ بين الهلالين ساقط في ض.

٢ ـ الخواطر جمع الخاطر: ما يخطر بالقلب من امر او تدبير وقد يطلق على القلب والنفس.

وتقاذفت[١] في مسالك الطلب أفكارهم ليطلع على منتهى قدرته، ما تفرد بالاقتدار والاتضاع له من بدائع حكمته، وغرائب صنعته، ورام[٢] الفكر السليم المنفي من الأفكار المشوشة والخواطر الموسوسة أن يحيط علما بأسرار ملكوته وعظائم جبروته.

تحيرت القلوب، وفزعت من شدة الوجد إليه والتشوق الى العثور[٣] على ماالديه، لتقف على كيفية صفاته، وتفاصيل ما يجب ويجوز ويستحيل لذاته، ويغلغل[٤] العقول بافكارها، المداخل الغامضة الدقيقة غير الواضحة، بحيث يعسر وصفها لغموضها، ليدرك ذاته تعالى، على وجه لا يبقى للشك فيه مجال، ولا تطريان الشبهة عليه. مطارد الله العقول في حال قطعها.

مهالك طريق النظر متوجهة اليه، بان أظهر لها أن العجز عن درك الادراك إدراك، والبحث عن سرّ ذات السر إشراك، فرجعت العقول معترفة بالعجز والتقصير، واقفة في مواقف الخجل والتشوير، وذلك أقصى نهاياتها، وقصارى كمالاتها، والله أعلم بمراده ومراد نبيه ووصيه.

قوله عليه السلام الذي ابتدع الخلق على غير مثال إمتثله:

ع ــ ما دلنا: موضعه نصب لأنه مفعول أرانا أي الدلالة المقررة في العقل شاهدة على حاجة المحدث حيا كان أو جمادا، فيكفي حاجة الحي وتمسك الجماد، عن الهوى والفساد، حتى يقوم صلاح بعض الخلق بالبعض.

قوله باضطرار قيام الحجة: إشارة إلى نصب الأدلة وأحداثها على وجه

---

١ ــ تقاذف الماء والفرس: جرى بسرعة. وتقاذفت الأمواج: قذفة بعضها الى بعض.

٢ ــ رام يريم: اذا برح وزال من مكانه.

٣ ــ عثر الفراس: زل وكبا والعثور: الكثير السقوط.

٤ ــ غلغل: اسرع في سيره وغلغل في الشيء: دخل فيه على تعب وشدة.

مخصوص والدليل لا يكون دليلا إلا بذلك فحجته بالتدبير، ناطقة فتدبيره تعالى إحداثه العقل على وجه ينتفي عنه وجوه الفساد في العاقبة فيختص بوجه من الصلاح ولهذا، قال النبي صلى الله عليه وآله: تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانكم لن تدركوا إلا بتدبيره أي يتدبره الذي دبره لمعرفته.

قيل: القدر: إيجاد الأسباب وأقسامها على ترتيبها ونظامها، حتى ينتهي إلى المسببات، والقضاءتابع له، وأنه سابق علم الله الذي ينشعبعنه أحكام المقـدرات وإتقانها وتدبيره تعالى صدور فعله عنه، لا لغرض مكمل إياه تعالى عن ذلك ووقوع أفعاله غير تابع لتخيل بل كما قال: كن فيكون.

التلاحم: التضام، والحقاق: جمع حقة.

المحتجبة لتدبير حكمتك: يعني الصفة الباطنة احتجبت بالصفة الظاهرة.

بقرايح قلوبهم: وروي بقرايح عقولهم، القريحة أول ما يستنبط من البئر يقال: لفلان قريحة جيدة يراد استنباط العلم بجودة الطبع.

وأنت الله الذي لم تتناه في العقول فيكون في مهب فكرها مكيفا، وفي روايات خواطرها فيكون محدودا مصرفا.

الباري تعالى لا يجوز عليه النهاية لأنه ليس بجسم فيكون له مساحة، وليس بمحدث، فيكون له ابتداء وغاية، وليس بمركب فيكون له صورة وشكل، فيدخل تحت الحد الرسم، ويرتسم له صورة في الذهن تعالى عن ذلك، وقيل إنه تعالى منزه عن أن تعمّه المقولات كالجوهر، والكم، والكيف، والأين والوضع، وغير ذلك.

جـ واعتراف: عطف على العجائب، والهاء في يقيمها للعجائب.

والمساك: بفتح الميم المكان الذي يمسك الماء، وروي بالكسر، وهو

أفصح .

ومفصل العضو من العضو، كالحقة : يدور أحدهما في الآخر مشدودا به بالعصب .

لم يعقد غيب ضميره : روي غيب مرفوعا ومنصوبا فيكون الفاعل ضمير المشبه .

العادلون : هنا الذين يثبتون لله عديلا وشريكا نحلوك : أعطوك .

قوله عليه السلام : قدر ما خلق فأحكم تقديره إلى قوله وابتدعها .

ع ـ اجناسا مختلفات في الحدود : قيل : إن كل مقول على كثيرين مختلفي الطباع والحقائق، في جواب ما هو بالشركة فهو جنس لها والحد مؤلف من اقرب الاجناس حتى لا يبقى مشترك ذاتي وقد يكون ما هو جنس لشيء نوعا لآخر، فحد الحيوان الذي هو جنس الانسان مخالف لحد النبات الذي هو جنس النخلة .

بدايا خلائق : الرواية الصحيحة ، فبرأ خلائق أحكم صنعها وفطرها على ما أراد : يعني أحدث النظام الكلي به .

ج ـ الاناة : السكون ، والمتلكىء : المتأخر وتلكأ في الشيء تباطأ فيه .

والاود : الاعوجاج ،ونهج حدودها : أي أوضحها ، وروي جددها أي في جددها ، يعني طرق لهم في الأرض الصلبة .

بدايا خلائق : أي هذه بدايا ، فيكون خلائق مضافا إلى بدايا أو يكون بدايا بدلا من أجناسا : وخلائق عطف بيان، ووزن بدايا فعايل ، وهي الخليقة المبدو بها نحو الخطايا وروي بداها : خلائق .

قوله عليه السلام ونظم بلا تعليق رهوات فرجها .

ع ـ الرهوة : المكان المرتفع والمنخفض أيضا وهو من الأضداد قيل :

معناه الأوج والحضيض .

قال الوبري : نظم الأشياء الثقيلة وعقد بعضها ببعض إنما يتأتى للعباد إذا علقت من فوق أو أمسكت من تحت ، فاذا كان العالم على ثقله السموات والأرضون لا اعتماد لها على ما تحتها ، لتناهي الأشياء إلى آخر وليس لها متعلق من فوقها ، فقطع[١] السموات على ثقلها لا يصح عقد بعضها ببعض إلا للقادر الحكيم .

قال قوم : إن ما جاء في القرآن والخطب[٢] أن الفلك كان كالدخان .

يدل على أن جوهرا كان على حال أخرى ، افتراقية ، لا أنه كان على صورة اخرى طبيعية .

وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها :

معناه ما أحدث تعالى من رفع انطباق فلك معدل النهار وفلك البروج ، وإزالة هذا الانطباق بدلالة أن الميل الذي كان بينهما. كان في الزمن الأول قليلا ، والآن قد ازداد على ما دلت عليه الارصاد ، قيل : إن القمر لونه الأصلي أسود .

قال وجعل قمرها آية ممحوة من ليلها .

ومكان القمر في الفلك الأسفل ، ومن شأنه أن يقبل النور من الشمس إلى أشكال مختلفة ، قال : ومكان الشمس في الكرة الرابعة واختلفوا في ذلك ولا برهان لهم عليه .

ش ـــ وقيل : إن زحل بتقدير الله تعالى يدل على البرد والجمود واليبس ، واذعان التغير ، وفي الأنفس على الاستعداد لقبول التغير ، والتذكر والتفكر والتوهم .

---

١ ـــ في ض : يقطع السماوات .

٢ ـــ في ض : من ان الفلك .

المشتري : يدل على قوة تحفظ كمال كل جسم ، وفي الأنفس يدل على قبول قوة الحس .

أما المريخ : فانه يدل على الحرارة الغريزية والقوة الغضبية .

الشمس[١] : على النشوء والنماء وقوة التسليط .

والزهرة : يدل على القوة المولدة والفرح واللذة .

عطارد : يدل على اليبس وقوة الذهن ، وحركة التخيل .

أما القمر: فانه يدل على الرطوبة وعلى استعداد للقوة الغاذة وعلى سرعة التبدل والتحول .

على إذلالها : أي مجاريها وطرقها قالت الخنساء :

لتجر المنية بعد الفتى * المغادر بالمحو إذلالها

المحو: اسم موضع أي لست آسي على شيء بعده ، وفي المثل اجرى . الامور على إذلالها أي على وجهها واستقامتها ، الاذلال الطرائق المذللة بالوطء .

من ثبات ثابتها ومسير سائرها : الثوابت منها مسعود ، كآخر النهر[٢] والكف الخضيب ، والشعرين والنسرين ، والعيوق ، والصرفة : والردف وغير ذلك : ونحوس كجنب برساوس ، والرحلين ، والمنكبين ، والرجلين والصدرين ، والقلبين ، والمتنين ، والطرفين ، والعينين .

منها صور شمالية وصور جنوبية ، ويقال لها الثوابت بالنسبة الى السيارات وللثوابت أيضا حركة في فلكها في كل مائة سنة درجة ونصف ، ومسير سائرها ، زحل يقطع الفلك في كل ثلاثين سنة ، والمشتري في اثنتي عشرة سنة ، والمريخ ، في سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما ، والشمس في

١ ـــ في ض : الشمس تدل على النشوء .

٢ ـــ في ض : كاخر الدهر .

ثلاثمائة وخمسة وستين يوما، وشيء ما والزهرة في سبعة أشهر وثمانية عشر يوما.

والقمر في سبعة وعشرين يوما، وثلاث يوما، وعطارد قريب من ثلاثة عشر شهرا: الشمس مثل الأرض مائة وستة وستون مرة: والثوابت التي في العظم الأول أربع وتسعون مرة (وزحل سبع وسبعون مرة: المشتري اثنان وثمانون مرة؛ المريخ مرة[1]) ونصف الزهرة جزء من سبعة وثلاثين جزءا.

عطارد جزءً من تسعة[2] الآف وثلاثمائة وثمانين جزءً؛ القمر جزء من أربعين جزءأوهبوطها وصعودها؛ الكواكب في النطاق الأول من فلك الأوج: صاعد من فلك الاوج منحدر فيه؛ ومن ذروته؛ ذاهب من سيره الأصغر الى سيره الأوسط وفي النطاق الثاني هابط فيه إلى حضيضه ذاهب من سير الأوسط الى سيره الأكبر.

في النطاق الثالث هابط (يصير صاعدا ذاهب من سيره الاكبر الى سيره الأوسط وفي نطاقه الرابع صاعد فيه إلى ذروته ناقص في العدد والتعديل زائد في الحساب بطني السير ذاهب من سيره الأوسط الى سيره الأصغر؛ وهكذا في فلك التدوير في النطاق الاول صاعد منحدر؛ وفي النطاق الثاني هابط إلى سفله وفي النطاق الثالث هابط فيه[3]) وفي النطاق الرابع صاعد كما ذكرنا في الأوج.

قوله ونحوسها وسعودها.

قال المنجمون: والمشتري والزهرة من السيارات سعدان وزحل والمريخ نحسان؛ الشمس والقمر سعدان؛ من التثليث والتسديس؛ نحسان من

---

١ ـــ ساقط في ش.

٢ ـــ في ض: جزء من تسعة الآف.

٣ ـــ ساقط في ش.

التربيعين والمقارنة والمقابلة ؛ وعطارد سعد مع السعود ؛ نحس مع النحوس ؛ ومن العقدتين الرأس سعد ؛ والذنب نحس ؛ وكوكب آخر يقال له الكيد ؛ وهو نحس .

قال الامام الوبري : من الجائز في حكمة الله إحداث أمور في الأرض على وفق حركة النجوم في السماء فيكون حركة نجم مخصوص علامة لحدوث فعل مخصوص ؛ في الأرض حتى يكون حركة المريخ أو الزهرة اذا بلغت جهة مخصوصة من السماء علامة أن يحدث الله تعالى زيادة في الأقوات والماء وسعة في (الاسعار[١])و صحة في الابدان ونحو ذلك وحركة زحل يكون علامة لاحداث جدب في الأرض والوباء في الناس على ما يعلمه من المصالح .

فمن علم ذلك من تقدير الله وإجراء العادة جاز أن يصيب[٢] ويتفاوت الناس في إصابة الأحكام على حسب اختلافهم في العلم ، بعادة أجراها الله في السماء والأرض ، هذا كله من الجائز الذي لا يدفعه العقل ، فأما ثبوته على هذا الوجه فموقوف على السمع فان أثبت السمع القاطع اطراد[٣] هاتين العادتين ، فذلك طريق للعلم وإن لم يثبت السمع لم يبق إلا الشك وإن ثبتت أمارة فقصارى حال المنجم الظن .

ثم إضافة السعادة والنحوسة إلى النجم محال ، وهذا مثل اضافة يد زيد إليه وإجراء السفينة إلى الريح والري والشبع الى الطعام والشراب الولد الى الوالد ، وكل ذلك من فعل الله تعالى وأحداثه .

ج ـ نظم رهوات فرجها : أي جعل عوالي أمكنتها ومنخفضاتها متصلة من غير أن يترك فيها خللا .

---

١ ـ ساقط في ض .

٢ ـ في ش : ان يصير.

٣ ـ اطردت الانهار : جرت واطردت الامر تبع بعضه بعضا .

ولاحمت الشيء بالشيء : اذا ألصقته به وشج : أي وصل بين تلك الصدوع، وبين أزواجها : أي أشباهها إشارة إلى كون السموات السبع طباقا بعضها فوق بعض، منظومة رهوات[١] شقوقها بين كل سماء وسماء متساويا بلا تعليق بعضها إلى بعض، متشابه صدوع[٢] جميعها قد سهل الله حزونة[٣] درجها للملائكة النازلين إلى الأرض وغيرها وكانت السموات سماء مرتقيه : ففتقها الله تعالى سبع سموات.

وأشراجها : منفسحها وشرج العيبة : عروقها ومجرة السماء تسمى شرجا وشرج الوادي منفسحه، والجمع أشراج.

والنقب : الطريق في الجبل وجمعه نقاب، تمور: أي يضطرب ويتحرك .

بأيديه : اي بقوته ويتعلق الياء بامسكها وروي بائدة أي هالكة وروي رائده من راد يرود اذا جاء وذهب مبصرة أي يبصر بها، وفي ضوئها من ليلها أي من آيات ليلها وهي النجوم وناط : أي علق.

قال الكلبي[٤]: الفلك استدارة السماء عن[٥] الليث جاء في الحديث

---

١ ــ في كلام علي عليه السلام ونظم رهوات فرجها : اي المواضع المتفتحة منها وهي جمع رهوة، والرهوة : الموضع الذي تسيل مياه القوم.

٢ ــ صدع الشيء : شقه وصدع القوم : فرقهم وصدع الامر: كشفه و بينه.

٣ ــ الحزن : المكان الغليظ الخشن، والحزونة : الخشونة.

٤ ــ المنذر هشام بن ابي النضر محمد بن السائب الكلبي الكوفي كان من اعلم الناس يعلم الانساب، وكان من اصحاب الباقر والصادق عليهما السلام وأخذ ابو النضر نسب قريش عن ابي صالح عن عقيل بن ابي طالب، وكان ابوعبد الله يقربه ويدنيه توفي سنة ٢٠٦.

٥ ــ الليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني، قال الازهري : كان رجلا صالحا انتحل كتاب العين للخليل لينفق كتابه باسمه ويرغب فيه وقال ابو الطيب هو مصنف العين، روى عنه قتيبة بن سعيد، وكان بارعا في الأدب بصير بالشعر والغريب والنحو وكان كاتبا للبرامكة.

إن الفلك دوران السماء وهو إسم للدوران خاصة وعند المنجمين أنها سبعة[١] أطواق دون السماء، قد ركبت فيها النجوم السبعة في كل طواق منها نجم وبعضها أرفع من بعض.

مسترقي السمع: كان الشياطين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله يصعدون السماء ويسمعون كلام الملائكة على السرقة، ويوجهون إلى أوليائهم من الكفار.

قوله عليه السلام: ثم خلق سبحانه لاسكان سمواته.

ع ــ صفيحة كل شيء عريضه وصفيحه وجهه والزجل: الصوت.

حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد.

قيل: هذا أسماء منازل الملائكة، وهي أماكن معينة لطوائف مخصوصة يلازمونها بأمر الله تعالى، ويقيمون عبادته فيها.

الرجيج: الصوت بالهيبة، والسبحات: الجلالة والعظمة أي لهم سبحات نور، وقيل معناه قوله تعالى: الله نور السموات والارض الآية ويروى يسبح في بحار عزته.

قال الوبري: يجوز أن يكون أقصى ما ينتهي إليه الملائكة أنوارا خالصة يقصر عنها نهضات الملائكة، فلا ينتهي إلى أقصاها فيعتبروا بها ويستدلوا بها على الله تعالى، ويكون لطفهم في ذلك.

قوله: لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون أنهم يخلقون شيئا معه مما انفردبه.

انما حسن وصف الملائكة بذلك وتخصيصهم به لأنه لو صح في المقدور إحداث الأجسام، وتدبير الاحياء وتصريفهم من حال إلى حال لكان

١ ــ في ض: سبعة اطواف.

الملائكة أولى بذلك ، لكثرة قواهم وتقدمهم في العلوم ، ثم مع ذلك يستحيل منهم أن يخلقوا أدنى الأجسام من ذرّة فما فوقها ، فغيرهم من الخلق أعجز بطريق الاولى .

لا يسبقونه بالقول : خص القول لأنه أسرع وجودا .

جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه .

هذا خصوص في صيغة العموم لأن الرسل إلى بني آدم من الملائكة ، إنما هو بعضهم لا كلهم ، وإن كان كلهم رسلا ، بعضهم الى بعض .

فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته .

دليل على عصمتهم ، ونفي المعصية عنهم ، عني بالأبواب الذلل : الأدلة المؤدية الى المعارف .

ونصب لهم منارا : هو كالاشارة إلى كلمات الله المنبهة : على التوحيد .

والاعلام : هي الأدلة العقلية : وقيل يعني مراتب الوجود والوسائط .

ولم ترتحلهم عقب الليالي والأيام :

العقبة النوبة قيل : إشارة بذلك إلى أنه لا ليل في السماء ولا نهار فان النهار عبارة عن زمان ظهور الشمس ، والليل عبارة عن زمان غروبها وإنما الطلوع والغروب بالنسبة إلى الارض وأهلها وقيل : الملائكة ليسوا على طبايع الحيوانات التي في دار الدنيا فلا تغيرهم الأوقات والازمان ثم نبه على أنه ليست فيهم أخلاق ردية وقوى شهوانية وغضبية ولاق في الاصل : بمعنى لصق يتعدى ولا يتعدى ، ولاق به كذا أي لبق وعلق الدلح : الثقال بالماء .

والأيهمان عند أهل البادية السيل والجمل الهائج ، وعند أهل الامصار السيل والحريق .

قال أبو عبيد : وإنما سمي أيهم لأنه ليس مما يستطاع دفعه ، ولا ينطق

فيكلم، أو يستعتب ولهذا قيل: للفلاة التي لا يهتدي فيها للطريق بهما والبر أيهم.

التخم: منتهى كل قرية وأرض والجمع تخوم مثل فلس وفلوس قال الفراء: التخوم الحدود قال الشاعر:

يا بني التخوم لا تظلموها * إن ظلم التخوم ذو عقال

ووسلت حقائق الايمان بينهم وبين معرفته.

قيل هذا من أحسن التنبيه على أن الدين والايمان ليس بنوع واحد من الأفعال لأنه جعل حقائق الايمان غير المعرفة بالله فحقايق الايمان هي الأفعال الواجبة، واجتناب القبايح فمعرفة الله تدعو إلى التقوى، ثم التقوى تدعو المتقي إلى المحافظة على المعرفة. لأنه متى إزداد التقوى إزداد المعرفة، عنده قدرا ومنزلة فمعرفة الله عند المتقي أعظم خطرا منها؛ عند غير المتقي.

الوشيجة: عرق الشجرة، ووشجت العروق والأغصان اشتبكت.

والربق: الحبل، وشيك السعي عبارة عن النفع العاجل الذي يوصل إليه بالسعي في الدنيا الأخياف: الاصناف.

ج ــ الصفيح الأعلى كناية عن السماء وما فوقها، وروي أجوابها أي غيطانها.

والفجوة: الفرجة والمتسع بين الشيئين.

وسبحات: وجه ربنا بضم الباء والسينُ أي جلالته، وتستك: أي تضم وروي تسبح جلال عزته: أي خلال بحار عزته وروي تسبح جلال عزته، ووصفت الأبواب بالذلل تشبيها بالدابة الذلول.

والموصر: المثقل ولم ترتحلهم عقب الليالي.

أي لم توثر فيهم كرورها وروي بنوازغها: بالغين المعجمة أي

بافساداتها .

ولم يعترك : أي لم تزدحم ، والعرك الدلك .

والاحنة : الحقد لاق : لصق والأثنا : الأوساط .

والوساوس : الشياطين الموسوسون أو هو على حذف المضاف ، أي ذوو الوساوس .

وتقتزع بريثها : بالقاف وروي تفترع بريبها بالفاء والباء ، والاقتراع التقارع والدين الغلبة ، واقترعه علاه والريب الشك .

والشوامخ : العوالي ، والقترة : الغبار ، ريح هفافة ساكنة المسير استفرغتهم : جعلتهم فارغين من غيرها ومشغولين بها .

وسلت : من الوسيلة أي قَربَتْ ووله اليه : تحير في الفزع اليه .

حنوا : عوجوا وأسلة اللسان : طرفه ومقاوم : جمع مقام وروي في مقادم .

ولا تنتضل : اي لا يتنازع ، والاستهتار : الحرص ، فينوا أي يضعفوا وروي .

ولا تشعبتهم : تقديره ، تشعبت بهم فنزع الخافض ويؤكده الرواية الأخرى ولا شعبتهم أي فرقتهم .

الاخناف : المختلفة والحافد : المسرع سترات الحجب : لعلها عبارة عما ورد في حديث المعراج في قول النبي صلى الله عليه وآله :

فخرجت من سدرة المنتهى [1] حتى وصلت إلى حجاب من حجب العزة ثم إلى حجاب آخر حتى قطعت سبعين حجابا وأنا على البراق ، وبين كل حجاب وحجاب مسيرة خمسمائة سنة ، إلى أن قال : ورأيت في عليين بحارا وأنوارا وحجبا وغيرها او لا تلك لاحترق كل ما تحت العرش من نور

---

١ ــ سدرة المنتهى : شجرة في اقصى الجنة اليها ينتهى علم الاولين والآخرين ولا يتعداها .

العرش .

ش : قلت حظائر القدس : يحتمل أن يكون قد عبر بذلك عن تنزههم عن الرذايل البشرية وتبرّئهم عن النقايص الانسانية .

سترات الحجب : يعني أنهم محجوبون عن أن يشاهدهم عمن عداهم من الجن والانس ، وعن أن يتطرق اليهم العوارض النفسانية . فكان بينهم وبين جميع ذلك حجبا وسرادقات المجد ، يعني أنهم مخصوصون بمراتب من المجد والشرف لا غاية ورأهم للمخلوقين ، ولا وصول لهم اليها وراء ذلك .

سبحات نور : جمع سبحة كغرفة وغرفات وعنى بها الأنوار التي اذا رآها الراؤون من الملائكة سبحوا وهلّلوا لما يردعهم من جلال الله وعظمته ، وفي الحديث أن جبرئيل قال : لله دون العرش سبعون حجابا ، لودنونا من أحدها لا حرقتنا سبحات وجه ربنا ، يعني ما ذكرنا جلال عزته أي العزة التي أعطاهم الله إياها وأعزهم بها .

ووسلت حقائق الايمان بينهم وبين معرفته :

المشهور في اللغة ، أن يقال وسل اليه بكذا ، وتوسل اي تقرب والذي يليق بما نحن بصدده أن يكون وسل بمعنى صار وسيلة على وتيرة قولهم : عجزت المرأة وثيبت أي صارت عجوز اوثيبا ، وحقايق الايمان ما يحق ويجب على المؤمن الاتيان به من الموجبات العقلية والشرعية ، مما هو زينة وحلية للايمان ، وقرع عليه ، ولطف ، وصلاح المؤمن بعد تحصيل الايمان الذي هو المعارف الدينية .

كلما ازداد العبد في الطاعة شروعابها ، ولوعا استحق من الله تعالى زيادة توفيق وتشديد ، وارشاد وتأييد ، وعند ذلك يزداد العبد يقينا ، الى يقينه فعبر عن ازدياد ذلك اليقين بمعرفته تعالى ومصداق ما ذكرناه قول أميرالمؤمنين عليه السلام في آخر هذا الفصل يزدادون على طول الطاعة بربهم

علما .

فكأنه : قال صار استعمالهم فروع الايمان الواجبة وسيلة بينهم وبين تذكر معرفته تعالى حالا فحالا وسببا لزيادة الألطاف التي يزدادون يقينا به تعالى عند حصولها ، وقطعهم الايقان به إلى الوله اليه ، وقطعهم الايقان به إلى الوله اليه ضمن قطع يعني انقطع فعداه بالى فكأنه قال : يقينهم به تعالى قطعهم من غيره ، وجعلهم فزعين منقطعين إليه تعالى .

ولا ملكتهم الاشتغال : فينقطع بهمس الجؤار اليه أصواتهم :

اي ليس لهم اشتغال بغير ذكره وعبادته إذ لواشتغلوا بغيره لقطع[1] مع ذلك الغير خفي صوتهم في الجؤار والتضرع اليه تعالى فيكون ، بهمس في موضع المفعول به لينقطع .

لم ينقطع أسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم .

يعني أنهم واقفون بين الخوف والرجاء آخذون بحظ وافر من القبيلين ، لا كمن يقصر في العمل لزوال خوفه ، ويختار العمل القليل اليسير على الكثير العسير، لوقوعه في أسار الطمع الكاذب ، بل كما قال الله تعالى : يدعون ربهم خوفا وطمعا[2] ، وقال : لا تيأسوا من روح الله ولا يأمن مكر الله[3] .

قال الصادق عليه السلام ، لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ، وخلاصة المعنى انهم ما قصروا في الطاعة ولا أخلّوا بها لعدم الخوف وغلبة الطمع .

قوله عليه السلام : كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة إلى قوله على جواد طرقها .

---

١ ــ في ض : لقطع اصواتهم مع .

٢ ــ الاحزاب : ٥٦ .

٣ ــ يوسف : ٨٧ .

ع- كبس : أي بسط وكبس الرجل رأسه أدخله في ثيابه .

واستفحل الأمر: تفاقم ، والأذية : من الموج ما يتأذى منها الملاحون جمعها أواذي .

تصطفق : أي يضطرب ، وثبج الشيء : وسطه وثبيج الرمل معظمه عن أبي عبيدة .

استخدى : بالدال غير المعجمة من خدت من الناقة أي أسرعت وبالذال المعجمة أي خضع : وقد يهمز لثقل حملها الضمير للأرض .

تمعكت ، تمرغت ، الاصطخاب : الاضطراب ساجيا : أي ساكتا .

ذأف البعير يزيف زيفانا : أي تبختر في مشيته ومنه الزيافة وهي الناقة المختالة قال عنترة :

زيافة مثل الفنيق المكدم .

فجر ينابيع العيون من عرانين أنوفها .

في غاية الفصاحة والبلاغة ، شناخيب الجبال :رؤوسها ، صخرة صيخود : أي شديدة .

وتسرب : الثوب العرق : أي تشفه تغلغل : أي تخلل ، الجوبة : الغائط من الارض ، جراثيمها : أصولها أعد الهواء متنسما لساكنها ، احتياج الحيوان البري إلى الهواء اكثر من حاجته الى الغذاء لأن الحيوان يعيش مع عدم الغذاء اكثر مما يعيش مختنقا ، مع عدم التنفس .

ارض جرز: لانبات بها كأنها إنقطع عنها أو انقطع عنها المطر، وفيه أربع لغات جرز وجرز كعسر وجرز كنهر.

قزعة : أي قطعة تمخضت : تحركت الكفف : جمع الكفة .

الكنهور: السحاب المتراكم الرباب : بالفتح السحاب الأبيض ويقال إنّه السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب ، قد يكون أبيض وقد يكون أسود ،

الواحدة ربابة وبه سميت المرأة الرباب .

سحا متداركا : أي صبا متتابعا هيدب السحاب : ما تهدب[١] منهُ اذا أراد الودق[٢] كأنه خيوط ، قال الشاعر :

دان مسف فويق الأرض هيدبه .

قال أبو زيد : الأهاضيب : واحدها هضاب وواحد الهضاب هضب ، وهي جلبات[٣] القطر.

البواني ما يلي الزور[٤] من الأضلاع .

البرك : الصدر، البعاع : الثقل من هوامد الارض ، قيل يعني من مواتها جبل أزعر: أي لا ثبات عليه شمط : أي خلى .

ج_ كبس : أي أوقع مشتق من الكابوس ، وهو ما يقع على الانسان بالليل وهو مقدمة الصرع وكبست النهر كبسا : طمتها بالتراب .

والمور: الذهاب والمجئ مستفحلة : شديدة .

والأثباج : هنا أعالي الأمواج مستعار من الثبج الذي هو ما بين الكاهل إلى الظهر.

ترغو: من الرغوة أو من رغا البعير أي صاح يرغو كالبعير ملقيا زبداً .

وجماح الماء : كناية عن ارتفاعه وكلكلها : صدرها .

الاصطخاب : افتعال من الصخب وهو الصيحة .

وفي حكمة الذل منقادا : مبالغة في وصف الأرض بالسكون .

ولجة الماء : معظمه ، والتيار: الموج ، والنخوة والباء : التكبر أضافه إليه

---

١ ــ تهذيب الاغصان : تدلت والهيدب من السحاب : المتدلّي الذي يدنو من الارض .

٢ ــ الودق : المطر، والخيط : السلك الابيض والجمع خيوط .

٣ــ الهضب : المطر، والجلب بالضم ، السحاب لا ماء فيه .

٤ــ الزور : اعلى وسط الصدر او ما تتقى اطراف عظام الصدر ومنه فرس عريض الزور أي الصدر.

للتخصيص.

والغلواء: الغلو وتجاوز الحد وكعمته: أي شددت فمه في هياجه.

والكعام: ما يشد على فم البعير والكظة: الامتلاء.

وهمد: أي سكن ونزقاته، أي حركاته والنزق: الخفة والطيش وروي نزفاته بالفاء من نزفت عبرته اي خرجت كثيرة ونزف الدم أي خرج منه كثيرا حتى ضعف وقيل:

الزيفان: شدة هبوب الريح والشواهق: العوالي وكذا البذخ: وإضافة العرانين: إلى الانوف وكذا السهوب الى البيد: من باب كرى النوم.

والسهب: الفلاة والأخدود: الشق المستطيل في الأرض.

والجلمود: الصخر الكبير والرسوب: الثبوت وأديم الأرض وجهها.

وتسرب: أي دخل وجوبات الخياشيم: ثقب الانوف، والجوبة في الأصل الفرجة.

وفسح: أي وسع والجو: الشق بين السماء والأرض.

والمتنسم: مهب النسيم، ولمع الغمام: قطع السحاب.

والقزع: قطع من السحاب رقيق[1].

تمخضت تحركت، في كففه: أي قطع سحابة التي هي كالشيك، والكفة في الأصل كل ما استدار، كفة الميزان وكفة الصايد، وهي حبالته.

أسف هيدبه، أي دنا من الأرض سحابه المتدلي كالخيوط تمريه: تحليه الهضبة: المطرة العظيمة القطر وقد هضبتهم السماء.

تزدهي: بفتح التاء استخف الناظر[2] إليها بحسنها وروي تزدهى على ما لم يسم فاعله تفتعل من زهيت علينا[3] بأنفك أي تكبرت يزهوك وهو

١ ــ في ض: رقيقة.

٢ ــ في ض: اي يستخف الناظر اليها.

٣ ــ في ض: علينا يارجل بانفك.

المنظر الحسن .

والريط : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة .

والأزاهير: الأنوار الملونة وسمطت : أي علقت كل ربوة وشجرة بسمط من النور في عنقها ، من سمطت الشيء أي علقته بالسمط[1] وروي بالشين المعجمة أي خلطت :

قوله عليه السلام : فلما مهد أرضه أنفذ أمره الى آخره .

ع ــ أوعز إليه فيما نهاه عنه : أي قدم اليه الانباء والوعيد فيما له وعليه ، فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه ، قيل : إن المعلوم يأتي على وفق ما علم ، فلما كان الله تعالى لم يزل عالما بما سيقع من آدم في وقت مخصوص في مكان مخصوص ، ثم جاء على وفق ما علمه من جميع وجوهه كان ذلك دليلا ظاهرا في حق الملائكة على أن الله تعالى عالم بكل معلوم في حال عدمه ، وعالم بأنه سيوجد على ما يوجد عليه من الكيفيات .

كما قال الله تعالى : وكل صغير وكبير مستطر[2] ، قد علمنا ما ينقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ[3] ، قال : وكلّ شيء فصلناه تفصيلا[4] ، فكان ذلك دليلا على ما يقتضيه العقل من وجوب كونه تعالى ، عالما بكل ما يصح أن يعلم معدوما كان أو موجودا ، والنهي قد يقع عما الاجتناب عنه أولى كما ينهى الطبيب المريض عن طعام حلال طيب يتخيل أنه ربما يكون معينا للمرض أو دافعا للصحة .

فاهبطه بعد التوبة : التوبة في اللغة الرجوع من الذنب قال الله تعالى : فتوبوا الى بارئكم[5]، أي ارجعوا وقال : فتاب[6] عليكم أي رجع بكم من

---

١ ــ السمط : الخيط مادام الخرز او اللؤلؤ منتظما فيه .

٢ ــ القمر : ٥٣ .

٣ ــ ق : ٤ .

٤ ــ الاسراء : ١٢ .

٥ ــ البقر : ٥٤ .

٦ ــ البقرة : ١٨٧ .

التشديد الى التخفيف ومن الخطر الى الاباحة، وقال: علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم، أي أباح لكم ما كان خطر عليكم، والتوبة أول قدم المريدين[1] ومبادئ طريق السالكين، ولا غنى منها لأحد من الناس فان عقل الانسان مبتلى بالقوة الغضبية والشهوانية ولا بدله من الرجوع عن ولاية القوة البدنية إلى العقل وهذه هي التوبة والرجوع عن المعاصي الى الطاعات والأنبياء والأولياء يرجعون من الرخصة إلى العزيمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا استغفر الله كل يوم سبعين مرّة.

ولم يخلهم بعد أن قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبية.

قال الامام الوبري: هذا بيان الله تعالى لم يخل عباده من آدم الى رسولنا، هذا من دلالات السمع والشرايع الطاهرة والسمع المؤكد لأدلة العقول أما في حيوة الرسول[2] أو بعده بشريعة محفوظة، وسمع صحيح متداول بين امة كل رسول إلى أن يأتي رسول آخر ولم يقتصر الله بأمة من الأمم على مجرد العقل.

بلغ لقطع عذره: مثل عدل فيها: أي أنصف. الميسور: اليسر والمعسور: العسر.

خالجا: أي جاذبا: غيابات: مستورات.

من المولهات اي الامور التي تذهب بالعقل المقمع: المدخل.

السوق: جمع ساق المسارب: الطرائق.

وناشئة السحاب: أول ما يبدو منه الأمشاج: نطفة المرأة.

المتلاحم: المتراكم المجتمع تسفى: تذر والعوم: السباحة وسير الابل، وجرى السفينة وروي عموم النيات.

١ــ في ض: اول قدم المرتدين.

٢ــ في ض: في حيوة رسول الله.

والديجور: الظلام، وذر: أي طلع.
السبحات: جمع سبحة وهي خرزة تسبح بها وسبحات النور أضواؤه.
الهمهمة: ترديد الصوت في الصدور والفكر في القلب والهامة: كل مخوف من الأحناش.
والنقاعة: الدم الطري اعتورته: أصابته الخلة: الحاجة والفقر.

ج ـ أرغد أكله: أي طيب وأوسع طعمه لسابق علمه روي بالباء وأنه يتعلق باختار.

والتعاهد للشيء تجديد العهد به، يقال تعاهدت فلانا بكذا أي تحفظته به والميسور والمعسور مصدران وعند سيبويه صفتان، وعنده لا يجيء المصدر على مفعول البتة ويأول قولهم: دعه الى ميسورة ومعسورة أي أمر يوسر فيه وأمر يعسر فيه.
عقائل الفاقة: شدائد الفقر، والأتراح: الغموم والشطن: الحبل.
والموير من الحبال: ما لطف وطال واشتد فتله.
والقرن: حبل يقرن به البعيران والرجم: الكلام على مقتضى الظن.
والايماض: مسارقة النظر وغيابة الجب: قعره والكن: السترة.
والمصائخ: المسامع وأصاخ له أي استمع إليه.

ورجع الحنين من المولهات: أي الجنين المرجوع من الامهات يفرق بينها وبين ولدها.

والهمس: الصوت الخفي والوليجة ش: الدخيلة وعني بالمسارب ظهور الرجال.

والشنخوب: رأس الجبل والتغريد: الصوت بالغناء.
والدياجير: الظلم والظلمة ليختبر بذلك الشكر والصبر من قوله تعالى:

ليبلوكم ايكم احسن عملا[١]، يعني ليصير المعلوم موجودا بحيث يستحق عليه جزاء فأشبه بذلك فعل المختبر الممتحن والا فالله تعالى عالم بما سيكون وبما لا يكون أن لو كان كيف (كان يكون[٢]) ومن كان كذلك فلا حاجة الى الامتحان والاختبار[٣].

* * *

١ ــ الملك : ٢ .

٢ ــ بين الهلالين ساقط في ش .

٣ ــ في ض : هنا حذف وساقط وتقديم وتأخير.

٨٩ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان

دَعُونِي وَٱلْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ، لاَ تَقُومُ لَهُ ٱلْقُلُوبُ، وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ ٱلْعُقُولُ، وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَٱلْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَٱعْلَمُوا إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ وَعَتْبِ ٱلْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّيَ أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً.

الشرح

قوله عليه السلام دعوني والتمسوا غيري الى آخره.

ع ــ وزيرا نصب على الحال، قال الامام الوبري: يحتمل أنه استعفى عن الامامة على وجه التواضع، وقيل إنه على طريق التهديد، كما قال تعالى: اعملوا ما شئتم[١].

ج ــ دعوني والتمسوا غيري.

خاطب عليه السلام بذلك الذين اذا أرادوا بيعته على أن يسير فيهم بسيرة

١ ــ فصلت: ٤.

الشيخين فأجابهم على مقتضى عقيدتهم ، ومذاق مذهبهم فانا مستقبلون أمرا له وجوه : ذلك مثل ظهور الناكثين والقاسطين والمارقين وأن نواحي أهل الاسلام قد اظلمت بغيوم[١] ظلم بني امية وأنا بأن اكون وزيرا عن النبي صلى الله عليه وآله كما كان هارون من موسى أحمل أوزار الدين واسير أحكامه للمسلمين خير لكم من أن أصير أميرا يجري على حسب اقتراحكم . ولم يرد أنه يكون وزيرا لمن يؤمرونه فانه ما تصدى لوزارة من قبله من الثلاثة .

قيل : إنه على طريق التهكم[٢] والشكاية ، يعني أنكم كنتم تعتقدون ذلك فيما قبل ، فيكون من باب قوله تعالى : ذق إنك أنت العزيز الكريم[٣] .

ش ـــ علم عليه السلام عواقب الأمور باخبار النبي صلى الله عليه وآله بالوحي النازل عليه إنهم لا ينقادون له ، ولا يجرون على مقتضى إشارته ، كما ينبغي ، فلذلك استعفى ، وكان غرضه عليه السلام في أخذ البيعة والتصدي للقيام بأمر الأمة هو اظهار الدين وتقويته ، لا غير وكان للقوم أغراض دنيوية في طلب بيعته ، وهو أخبر بانه إن حملهم على المحجة الغراء اختلفت اهواؤهم وتشتت كلمتهم ، ولا يستمرون على المنهاج الأوضح والطريق الجدد .

فلم يحصل إذ ذاك الغرض الأصلي بقيامه فلذلك قال : فأنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا يثبت عليه ، العقول ، وانَّ الآفاق قد أغامت[٤] بظهور أمارات الفتن ، وتلاطم أمواج الأَحَنْ[٥] .

والمحجة قد تنكرت : بتطارق الشبهات ، وترادف الظلمات ، وأنه إذا قام بالأمر كان ممن لايأخذهُ في الله لومة لائم ، ولا ينحرف عن مسلك الحق

١ ـــ الغيوم : جمع الغيمة وهي السحاب .
٢ ـــ تهكم به : اي استهزأ واستخف .
٣ ـــ الدخان : ٤٩ .
٤ ـــ اغامت السماء : كانت ذا غيم والغيمة : السحاب .
٥ ـــ الاحنة : الحقد وجمعها احن .

ولو نالته أيدي العظايم ؛ وإن تركوه ، ولم يطلبوا منه القيام بالأمر، ولم يعاونوه كان معذورا في نفض[١] اليدين والخروج من اليقين[٢] فلا يتعرض للامر والنهي فسلموا[٣] من حكمه المر ويأمنوا من جنبته وصول الضر اليه[٤]، إن شاوروه فيما يتعلق بأحكام الدين .

نبههم على وجه الصواب فيه بمنزلة الوزير المستشار في المهمات ، والمترجى[٥] من عنده سداد الرأي في[٦] المدلهمات ويكون ترك البيعة خيرا لهم في دنياهم ، وعلى مقتضى مناهم ، إذ به يتخلصون عن مؤاخذات دقيقة ، وتكاليف شديدة ، وخير وإن كان مطلقا إلا أنه يقيد بدليل قرينة القال والحال .

* * *

١ــ نفض عن نفسه الاذى : ازاله ودفعه .

٢ــ في ض : والخروج من البين .

٣ــ في ض : فيسلموا من حكمه المر .

٤ــ في ض : ان يشاوروه .

٥ــ في ض : المتوخى من عنده .

٦ــ ادلهم الليل : اشتد سواده وادلهم الظلام : كشف .

٩٠ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا[١] النَّاسُ؛ فَأَنَا فَقَأْتُ[٢] عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا[٣] أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا، فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَسْأَلُونِي[٤] عَنْ شَيءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلاَ عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا، وَقَائِدِهَا، وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً، وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي[٥]، وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الأُمُورِ، وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْؤُولِينَ، وَذٰلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ[٦] ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلاَءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ ٱللهُ لِبَقِيَّةِ الأَبْرَارِ مِنْكُمْ؛

إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شُبِّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ: يُنْكَرْنَ مُقْبِلاَتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً

---

١ ـ في ح وب: اما بعد حمد الله والثناء عليه ايها الناس.
٢ ـ في ح: فأني فقأت.
٣ ـ في ب: ليجرىء عليها.
٤ ـ في م وب وض: ولا تسألونني.
٥ ـ في م: ولقد فقدتموني.
٦ ـ في ح ول وش: وكانت الدنيا عليكم ضيقا.

وَيُخْطِئْنَ بَلَداً، أَلاَ إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ: عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلاَءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَأَخْطَأَ الْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا، وَآيْمُ آللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ: تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لاَ يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لاَ يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلاَ يَزَالُ بَلاَؤُهُمْ حَتَّى لاَ يَكُونَ آنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ[1] فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ (مَخْشِيَّةً[2]) وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلاَ عَلَمٌ يُرَى، نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا آللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ: بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ، لاَ يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلاَ يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ، بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لَوْ يَرَوْنَنِي[3] مَقَاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونَنِي.

١ــ في م وب وض وح: ترد عليهم فتنتهم وفي هامش ش فتنتها.

٢ــ ساقطة من ر.

٣ــ في هامش ن وروش: لويروني.

الشرح

قوله عليه السلام فأنا فقأت عين الفتنة الى آخره.

ع‍ـ ولا عن فيه ويروى ولا عن فتنة ولم يكن ليجترئ عليها غيري أراد مقاتلة[١] أهل الصلوة فانه سلام الله عليه كان أول من قاتل البغاة[٢] وما فعل شيئا من ذلك إلا بوصية من النبي صلى الله عليه وآله.

سلوني قبل ان تفقدوني:

أشار إلى[٣] ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله، من علم الغيب وغير ذلك بوحي من الله تعالى.

الحوازب: الطوائف والاوراد والحازب مانابك من الشغل وحزبه امر: أي اصابه وينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات.

معرفة أحوال الفتن بعد انقضائها أسهل وأقرب من حال إقبالها وقيامها ووجه إشتباهها أن الفتنة إسم واقع على أفعال العباد ومباديها أفعال الله تعالى (فيشتد التكليف، ويتفاقم[٤] الأمر على العقلاء، ويعسر عليهم تميز أفعال الله تعالى من أفعال العباد فلا يلوذون إلا بالصبر الجميل فيما يتعلق

---

١ ـ في الاصل وش: مقابلة اهل الصلوة.

٢ ـ البغاة جمع الباغية وهي الظالمة الخارجة عن طاعة الامام واصل البغي مجاوزة الحد، وفي حديث عمار بن ياسر: تقتله الفئة الباغية.

٣ ـ في ض: اشارة الى ما اخبر به.

٤ ـ تفاقم الأمر: عظم ولم يجر على استواء.

بأفعال الله تعالى[١]) وبالشكاية ومقاساة المدافعة، وإظهار الجزع في حق أفعال العباد إذا كانت قبيحة.

فبسبب تعذر التميز بين النوعين، من الأفعال وايفاء كل واحد من النوعين حقه بالعدل والانصاف بناء على المعرفة يسمى هذه الحالة حالة فتنة، ولذلك يكثر الاشتباه في أولها: وفي حال قيامها حتى إذا خرج المكلف عنها تجلى له حقيقة حالها لأن المفتون مسلوب الرأي مغبون، والفتنة في الأصل الامتحان والاختبار.

فسميت هذه الأفعال فتنة لأن فيها يختبر الشجاع والجبان والجازع والصابر، يقال فتنت الذهب إذا أدخلته النار، لتنظر ما جودته ويسمى الصائغ الفتان وكذا الشيطان لانه بوسوسته يدخل من أطاعه النار، وقيل: هي من قولهم فتنته المرأة اي دلهته[٢].

الناب: المسنة من النوق، والجمع النيب، قيل سميت بذلك لطول نابها.

العذم: العض والأكل بخفاء يقال فرس عذم أي يعض باسنانه.

فتنة عمياء: أي لا تميز فيها من قولهم للسيل والجمل الصؤل[٣] الاعميان لأنهما لا تميزان، وقيل: إن العاقل لا يبصر طريق النجاة منها؛ وقيل وصف الفتنة بالعمى على طريق الاستعارة، ويقال رؤية فلان تعمي اذا كانت له صورة قبيحة شوهاء اي قبيحة منكرة

كاس مصبرة: من الصبر وهو دواء مر كتفريج الأديم: عنى به جلدة الشاة المسلوخة.

لا يحلسهم إلا الخوف: أي لا يلبسهم إلا لباس الخوف: وقيل هو من

١ــ بين الهلالين ساقط في ش.
٢ــ دله عقلي: اي حيره وادهشه.
٣ــ الضؤل: الضعيف النحيف.

قولهم أحلست السماء أي مطرت مطرا دقيقا دائما ؛ وقيل من قولهم أحلست فلانا[1] أي أمررتها عليه .

قدر جزر جزور: عبارة عن قصر المدة .

ج ــ ففأت عين الفتنة أي أعميتها والفقو: الشق .

والغيهب : الظلمة والكلب : الشدة وحزب : خطب أي أصاب أمر عظيم .

والحوازب : المصيبات وأطرق رأسه : نكسه وفشل : أي جبن .

وقلصت : أي شمرت يقال : فرس مقلص : أي مشمر طويل القوائم ، وقلص الشيء إنضم وارتفع ايضا ويحمن أي يدرن والفتنة مدلهمة ؛ حتى يفتح الله لبقية الأبرار أي يكشف تلك الفتنة بدولة أبي مسلم الخراساني[2] صاحب الدولة[3].

شبهت ؛ أي لبست وروي علم ما لم يسم فاعله .

تزبن : أي تدفع وسامه خسفا أي أولاه ذلا .

* * *

---

١ ــ هنا في الاصل كلمة لا تقرأ.

٢ ــ عبد الرحمان بن مسلم ابو مسلم الخراساني كان قصيرا اسمر حلوا احور العين خافض الصوت فصيحا حلو المنطق عالما بالامور لم ير ضاحكا ولا مازحا إلا في وقت تأتيه الفتوحات العظام ، ولا يأتي أمرأته في السنة الا مرة واحدة وكان من أشد الناس غيرة لا يدخل قصره غيره قتله المنصور في سنة ١٣٧ .

قال ابن قتيبة في المعارف : ابو مسلم صاحب الدعوة ذكروا ان مولده سنة مائة اختلفوا في نسبته اختلافا كثيراً. فقال بعضهم : هو من اصبهان وقال بعضهم من خراسان وقيل من العرب ونسبة ابودلامة الى الاكراد وقال:

ايا مجرم ما غير الله نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد

افي دولة المهدي حاولت غدرة ... الا أن اهل الغدر آباؤك الكرد

٣ ــ في ض هنا زيادة وهي : بدولة ابي مسلم الخراساني صاحب الدولة او بدولة صاحب الامر مهدي الامة .

٩١ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

فَتَبَارَكَ ٱللهُ ٱلَّذِي لاَ يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلاَ يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ[١]، الأَوَّلُ ٱلَّذِي لاَ غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ، وَلاَ آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ.

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ[٢] كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللهِ خَلَفٌ، حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبتاً، وَأَعَزِّ الأُرُومَاتِ مَغْرِساً مِنَ الشَّجَرَةِ ٱلَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَٱنْتَجَبَ[٣] مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرَةٌ لاَ تُنَالُ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْءُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلاَمُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ،

---

١ ـ في ب وض: حسن الفطن.

٢ ـ في روهامش شي: تناسلتهم كرائم الاصلاب.

٣ ـ في ض ون: وانتخب منها.

(ارسله)[1] عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ.

إِعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ ٱللهُ، عَلَى أَعْلاَمٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالْأَقْلاَمُ جَارِيَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

الشرح

قوله تبارك الله:

ج ــ هو تفاعل من البركة ولا يجيء منه المضارع أي تعالى وتعاظم، واتسع رحمته وكثرت نعمته.

والحدس: الظن والتخمين.

قوله تناسختهم أي تناقلتهم[2].

والأرومة: الاصل: والعترة: العشيرة وكذا الأسرة.

بسقت: أي طالت. فالطريق نهج: أي واضح، وروي بالواو، فيكون للحال.

والمستعتب: هنابمعنى المصدر، واستعتب استرضى.

حاطبون: أي جامعون؛ وروي خابطون، استهوتهم، اسقطتهم. استزلتهم الكبرياء: اي أزلتهم الكبر.

* * *

١ ــ ساقطة من ب.

٢ ــ في ض: وروى اي تناقلتهم.

٩٢ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ[1]، قَدِ آسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ وَآسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ[2]، وَآسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلاَءُ. حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ، وَبَلاَءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ (الْحَسَنَةِ[3]).

٩٣ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

الْحَمْدُ لِلّهِ ٱلأَوَّلِ فَلاَ شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ، وَٱلظَّاهِرِ فَلاَ شَيْءَ فَوْقَهُ، وَٱلْبَاطِنِ فَلاَ شَيْءَ دُونَهُ.

منها في ذكر الرسول صلى عليه وآله وسلم:

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ

١ ـ في ض ول وك وهامش م خابطون في فتنة وفي ش : خاطبون.

٢ ـ في ش : واستزلهم.

٣ ـ ساقطة من ش.

ٱلْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلاَمَةِ، قَدْ صُرِفَتْ[١] نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ ٱلْأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ ٱلْأَبْصَارِ، دَفَنَ بِهِ الضَّغَائِنَ[٢]، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ[٣]

الشرح

فلا شيء فوقه : أي في الظهور، ولا شيء دونه : أي في البطون.

قوله مماهد السلامة : أي فرشها.

ع ـ الصدع : الشق، عنى بالشجرة إبراهيم النبي عليه السلام فانه كان أبا الأنبياء عليهم السلام.

الجاهلية الجهلاء اكد الأول بما اشتق من اسمه وله نظائر كالعرب العرباء، والليلة الليلاء.

ودعا إلى الحكمة والموعظة: من قوله تعالى: أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة[٤].

كلامه بيان : إشارة الى تنزيه النبي صلى الله عليه وآله عن التعمية والتلبيس، والالغاز في كلامه وهو رد على من زعم أن مراد رسول الله صلى الله عليه وآله لا يعرف من قوله، وإن فيه شرطا خفيا.

وصمته لسان : أراد أن سكوت رسول الله صلى الله عليه وآله عن القول في بعض المواضع كالنص على حكم الحادثة. كما لو شاهد حادثة، فلم ينكرها ولم يسبق منه إنكار لها، قبل ذلك كان سكوته دليلا على حسن

---

١ ـ في ش ول : فتحرفت عنده.

٢ ـ في ش ول : دفن به الضغائن.

٣ ـ في ش : ونطقه لسان.

٤ ـ النحل : ١٢٥.

الحادثة، سواء كان ذلك قولا أو فعلا، وقيل يعني انه إذا صمت يبلغ عنه علماء أصحابه وأمته.

ش_ قلت: كما يستدل على كمال عقل المرء ونقصانه بكلامه في مقام الكلام، كذلك يستدل عليه بالسكوت في موضع السكوت، وليس فضل الساكت في وقت السكوت على المتكلم في غير وقت الكلام دون فضل المتكلم في وقت الكلام على الساكت لا في وقت السكوت، وذلك أظهر من أن يحتاج الى بيان عند ذوي الأنظار الصائبة، والاراء الحازمة، يعني أن فوائد صمته، ودلالته على كماله قرينة من فوائد كلامه.

* * *

٩٤ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وَلئِنْ أَمْهَلَ الله الظَّالِمَ[١] فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هٰؤُلاَءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلٰكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ[٢] وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي: اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ؟؟!! أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعْظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ ٱلْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي[٣] حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِين أَيَادِي سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ ٱلْحَيَّةِ[٤] عَجَزَ ٱلْمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ ٱلْمُقَوَّمُ.

١ــ في ب : امهل الظالم.

٢ــ في م وح وف : الى باطلهم.

٣ــ في ب : على آخر القول.

٤ــ في م ون وب : كظهر الحنية.

أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ[١] أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ ٱللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي ٱللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ؟! لَوَدِدْتُ وَٱللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ.

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلاثٍ وَٱثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلاَمٍ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلاَءِ.

يَا أَشْبَاهَ الإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا؛ كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَٱللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ[٢] أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى، وَحَمِيَ الضِّرَابُ، وَقَدْ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا، وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ[٣] لَقْطاً ٱنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَٱتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى. فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَمَا أَرَى أَحَداً مِنْكُمْ يُشْبِهُهُمْ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً[٤]، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ

١ــ في ح: ايها القوم الشاهدة أبدانهم وفي م: واعضل المقوم الشاهدة.

٢ــ في ح: فيما اخالكم.

٣ــ في م وف: الفظه لفظا.

٤ــ في ش: غبرا قد باتوا.

جِبَاهِهِمْ[١] وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ! كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى، مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ! إذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ[٢] جُيُوبَهُمْ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ[٣].

الشرح

قوله عليه السلام أمهل الله الظالم، فلن يفوت أخذه الى آخره.

ع ـ ايدي سبأ: سبا اسم رجل والدعامة قبائل اليمن، وهو سبأبن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهو مثل يقال ذهبوا أيدي سبا أي تفرقوا تفرقا لا اجتماع لهم بعده.

تربت أيديكم: دعا عليهم أي لا أصابكم خير، ونعيم.

وأعضلني فلان: أي أعياني أمره، وأعضل الأمر اشتد.

انفراج المرأة: عن قبلها: شبه افتضاحهم وانكشاف مساويهم الخفية لمخالفتهم اياه بافتضاح المرأة في تلك الحال، وروي قبلها بفتح القاف جمع قبلة، وهي ضرب من الحرار يؤاخذ بها تقول الساحرة: يا قبله اقبليه، يعني انفراج المرأة الساحرة عن حرزتها عند الخوف.

ألقطه لقطا: أي آخذه أخذا.

لبد بالمكان: أقام به ولبد الشيء بالأرض لصق بها.

١ـ في ر: وروى جيوبهم.

٢ـ في م: قبل جباههم.

٣ـ في ب: ورجاء الثواب.

مادوا : أي مالوا روي أن أباذر الغفاري[١] كان يميله الريح من ضعفه .

جـ ايادي سبا : كنى بالأيادي عن الأولاد لأنها يستعان بها ، كما يستعان بالأولاد ، والتقدير متفرقين تفرق أيادي سبا[٢] .

الحنية : القوس منيت : أي بليت ، وإنما قال :

بثلاث واثنتين : ولم يقل بخمس لأن ثلاثا منها مثبتة ، واثنتين منفيتان ، ففصلها .

تربت أيديكم : تحقيقه لصقت أيديكم بالتراب .

انفراج المرأة عن قبلها : تقريع لهم وإفحاش بهم لتضجره منهم أو أراد كما تسلم المرأة نفسها[٣] .

يقال لقط قدمه : اذا مشى مشيا لا شدة فيه ، يعني أسلكه على السداد والصلاح وروي الفظه لفظا أي أرمي من هذا الطريق كلما يرد عليه من المضار .

لبدوا : أي وقفوا .

والمراوحة : في العملين : أن يعمل هذا مرة وهذا مرة يعني يضعون الجباه على التراب ، مرة والخدود أخرى تواضعا وتذللا .

وركبة المعزى : وثفنة البعير يضرب بهما المثل مادوا : تحركوا واضطربوا .

* * *

١ ــ جندب بن جنادة ابو ذر الغفاري أحد الاركان الاربعة ، وما ورد من فضله اكثر من ان يذكر روي عن العبد الصالح عليه السلام قال بكى ابو ذر من خشية الله حتى اشتكت بصره فقيل له لو دعوت الله يشفي بصرك فقال : اني عن ذلك مشغول وما هو باكبر همي ، قالوا وما يشغلك عنه قال : العظيمتان : الجنة والنار ، واخباره ومجاهداته معروفة في كتب التواريخ ومعرفة الصحابة توفي سنة ٣١ .

٢ ــ في ض : الايدي كناية عن الانفس وقيل الاولاد ويستعان بالاولاد كما يستعان بالايدي .

٣ ــ في ض : اراد اسلمتموني وخذلتموني كما تسلم المرأة نفسها .

٩٥ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وَٱللهِ لاَ يَزَالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّماً إِلاَّ ٱسْتَحَلُّوهُ، وَلاَ عَقْداً إِلاَّ حَلُّوهُ وَحَتَّى[1] لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ، وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ[2]، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَان: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ (مِنْ أَحَدِهِمْ[3]) كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ: إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ ٱغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللهِ ظَنًّا، فَإِنْ أَتَاكُمُ ٱللهُ بِعَافِيَةٍ فَأَقْبِلُوا؛ وَإِنِ ٱبْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

الشرح

قوله عليه السلام: وحتى يكون اعظمكم فيها عناء أحسنكم بالله ظنا.

يعني اذا وقع العبد في البلية والفتنة، وعلم أن الله تعالى لا يخلي بينه وبين ذلك إلا لصلاح يعلمه في مقاساته والصبر عليه، ولا يفزع في دفعه إلا

١ ـ في ش: الاحلوه حتى لا يبقى.

٢ ـ في ن وب: سوء رعيتهم وفي ل: سوء رعتهم.

٣ ـ ساقطة من ن.

اليه كفاه الله ذلك على ما يراه صلاحا .

حتى يكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده .

السيد يستحقر العبد ويسترذله، فنصرته إياه يكون صادرة، عن قلة التفات، وعدم مبالاة فحينئذ يطيعُ العبد السيد إذا حضره خوفا منه، ويغتابه إذا غاب عنه، حنقا[١] عليه حيث استحقره، واستخفه ولم ينصره على من ناوأه بحسب ما كان ينتظره منه، أو أراد حتى لا ينصروكم إلا مثل ما ينصر السيد عبده العاصي، أي لا ينصروكم أصلا لأن السيد لا ينصر عبده في حال عصيانه، فيكون.

قوله : إذا شهد أطاعه وإذا غاب اغتابه .

حالا من العبد، ويجوز أن يكون النصرة مضافة إلى الفاعل في الموضعين، ويكون من في الموضعين يفيد فائدة من أجل أو يتعلق من بمحذوف هو في موضع الحال أي نصرة أحدكم متأذيا من أحدهم له كنصرة العبد متأذيا من سيده له، والعبد المتأذي من سيده لا ينصره، كما ينبغي بل ربما لا ينصره أصلا : ويهمله إذا تمكن، وقيل : النصرة هنا بمعنى الانتصار أي الانتقام على تقدير حذف الزوائد .

* * *

---

١ ـ الحنق : الغيظ .

٩٦ــ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامْ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الأَبْدَانِ.

عِبَادَ ٱللهِ؛ أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَحِبُّوا تَرْكَهَا وَالْمُبْلِيَةِ لأَجْسَامِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا؛ فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا، حَتَّى يَبْلُغَهَا، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لاَ يَعْدُوهُ؟ وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا؟ فَلاَ تَنَافَسوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلاَ تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعيمِهَا، وَلاَ تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا؛ فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى ٱنْقِطَاعٍ، وَزِينَتَهَا[1] وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى ٱنْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ، أَوَ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الأَوَّلِينَ (مُزْدَجَرٌ[2]) وَفِي آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟! أَوَ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ

١ ــ في ض وب : وان زينتها .

٢ ــ ساقطة من ن وب ول وش .

مِنْكُمْ لاَ يُرْجِعُونَ؟ وَإِلَى الْخَلَفِ الْبَاقِينَ لاَ يَبْقُونَ؟ أَوَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ[١] عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى: فَمَيِّتٌ يُبْكَى، وَآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ مُبْتَلَى، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُود، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ؟؟!! وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي[٢] مَا يَمْضِي الْبَاقِي.

أَلاَ فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الأُمْنِيَاتِ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ[٣] لِلأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَاسْتَعِينُوا اللهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّه، وَمَا لاَ يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام: نحمده على ما كان ونستعينه من أمرنا على ما يكون الى آخره.

ع ـ المعافاة: أن يعافيك الله تعالى، من الناس، ويعافيهم منك.

ما يمضي: ما صلة مزيدة، وهادم اللذات: الموت.

المساورة: المواثبة.

ج: عسى المجري: مفعوله محذوف أي فرسه[٤].

فلا تنافسوا: أي لا تحاسدوا ما يمضي: ما مصدرية أي مضى الباقي وروي المساودة أي المسارة وروي: المشاورة.

* * *

١ ـ في ب: يصبحون ويمسون.

٢ ـ في هامش ن: على اثر الماضين.

٣ ـ في ك: وروي المسادرة وفي ر: المسارة والمشاورة.

٤ ـ في ض: اي المجري فرسه.

٩٧ــ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ. نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ[١]، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ: أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِينَا، وَمَضَى رَشِيداً. وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحقِّ: مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لِحَقَ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلاَمِ، بَطِيءُ الْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ. فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ ٱللهُ، حَتَّى يُطْلِعَ ٱللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ، وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ فَلاَ تطعنوا في عين مُقْبِلٍ[٢]، وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ؛ فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ[٣] إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ، وَتَثْبُتَ الأُخْرَى، وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً.

أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَثَلِ نُجُومِ

١ ــ في ش : ان لا اله الا الله وان محمدا.

٢ ــ في ب وم وف وح وش : فلا تطمعوا في غير مقبل.

٣ ــ في ض وح : ان تزل به.

السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الناشر في الخلق فضله إلى آخره.

عـ راية الحق: قيل عنى بها القرآن والشريعة، والحجج[١].

مارق: خارج عن الاسلام، زاهق: هالك.

لاحق: أي بالسابقين إلى الجنة، وعنى بالدليل: نفسه.

مكيث الكلام: وزينه[٢] بطئ القيام: لا يتسارع إلى كل أمر، بل يتأنى في القيام إليه، وإذا قام به بالغ وجد حتى يطلع الله لكم.

من يجمعكم: إشارة إلى الامام الغائب.

إلا أن مثل آل محمد كمثل نجوم السماء إذا خوى[٣] نجم طلع نجم.

إشارة الى أنه لا يخلو زمان من إمام منهم، بل كلما مضى واحد قام مقامه آخر.

فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع: بخروج القائم منهم الذي يملأ الأرض عدلا.

عـ بأمره صادعا: أي مظهرا له أراد، براية الحق، هنا القرآن، وقد سمى الرسول دليلا: على القرآن، مع أن القرآن دلالة على نبوته لأنه دليل على النبوة لكونه معجزا، ثم صدقه[٤] من الله تعالى عرفناه من كلام الرسول بعد دلالة المعجز، على نبوته، فكان الرسول دليلا على القرآن، من هذا

---

١ ــ في ض والحجج من اهل بيته.

٢ ــ في ض: رزينة.

٣ ــ خوى البيت: اذا سقط وخلا.

٤ ــ في ض: ثم صدوره من الله.

الوجه ، فالقرآن باعجازه دلالة على نبوة الرسول ، وقول الرسول صلى الله عليه وآله دلالة على أن هذا القرآن من الله تعالى ، وكلامه ، لا من كلام الجن والانس .

رجل مكيث : أي وزين قال[1] صخر:

فانى عن تفقركم مكيث .

وكان من عادة النبي صلى الله عليه وآله الاقتصاد في الكلام ومجانبة الاكثار فيه كما قال صلى الله عليه وآله : نحن معاشر الأنبياء بكاء أي كلامنا قليل . من قول العرب : ركية بكية : أي قليل الماء ، فالنبي صلى الله عليه وآله قليل الكلام إلا فيما يعنيه ثم اذا قام كان أسرع الناس حفوفا وحركة .

ولا تطمعوا في غير مقبل ولا تيأسوا من مدبر: يشير بذلك إلى حال أهل البيت ، يعنى إذا رأيت منهم من يتحلى بالعلم والورع فعظمه وأدّحقَّه ، وإذا رأيت منهم من يشتغل بالفسق فلا تيأس منه فانه عن قريب يتوب ، ولا يصر على عصيانه[2] .

ش‍ـ عنى براية الحق : القرآن ، وبالدليل : نفسه وبالمقبل : من الأئمة من أعلن سره وترك التقية ، وبالمدبر: من أدبر منهم للمصلحة والتقية .

* * *

١ ـ صخر بن عمرو بن الشريد العجلمي او الخنساء الشاعرة وفيه تقول :

وان صخراً لتأتمُّ الهداة به كأنه علم في رأسه نار

٢ ـ في ض : هنا زيادة وهي : والظاهر اللائق بنمط الكلام انه لم يرد بالدليل النبي صلى الله عليه وآله لانه ذكره بعد مضي النبي لانه ذكره حيث قال ومضى رشيدا وخلف فينا راية الحق ثم قال فاذا انتم ألنتم له رقابكم فأتى بلفظ اذا الدالة على الاستقبال بل اراد بدليل راية الحق نفسه عليه السلام .

كما قال النبي صلى الله عليه وآله : علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث ما دار ، وقال في قوله تعالى : انما أنت منذر ولكل قوم هاد : وانا المنذر والهادي علي والهادي هو الدليل .

٩٨ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

يشتمل على ذكر الملاحم.

الأَوَّلُ قَبْلَ[١] كُلِّ أَوَّلٍ، وَالآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ أَوَّلَ لَهُ وَبِآخِرِيَّتِهِ أَنْ لاَ آخِرَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلَّا آللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلاَنَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لاَيَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي. وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، وَلاَ تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَمَا تَسْمَعُونَهُ[٢] مِنِّي، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ، (الأُمِّي[٣]) صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ[٤]، وَلاَ جَهِلَ السَّامِعُ. لكَأَنِّي أَنْظُرُ[٥] إِلَى ضِلِّيلٍ، قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَص بِرَايَاتِهِ، فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ. فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَآشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا وَبَدَا مِنَ الأَيَّامِ كُلُوحُهَا، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا، فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى

١ ــ في ح: الحمد لله الاول.
٢ ــ في ع: عندما يسمعون مني.
٣ ــ ساقطة من ش.
٤ ــ في ح: والله ما كذب.
٥ ــ في ب: ولكنني انظر.

يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ، هٰذَا، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ: وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، وَيحْصدُ الْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ.

الشرح

قوله عليه السلام: في الملاحم:

الملحمة: الوقعة العظيمة في الفتنة؛ قلت وكأنه في الأصل الوقت أو الموضع الذي يكثر فيه لحوم القتلى؛ ثم كثر استعماله، حتى سميت الفتنة بذلك.

الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر إلى آخره.

بأوليته وجب أن لا أول له: أي موجودة قبل كل أول، وذلك قدمه، ولوجوب وجوده استحال عليه العدم.

الترامي بالأبصار: التغامز؛ كانوا يستنكرون كثيرا من أقواله لجهلهم أو عداوتهم، وأكثر ما ينكرونه؛ ما كان يخبرهم به عن الغيوب فلذلك قال: ان الذي انبئكم به عن النبي والله ما كذب المبلغ وما جهل السامع.

والخصم لا سبيل إلى إرضائه وكذا الجاهل.

ضواحي كوفان: أي ظواهر الكوفة.

الفاغرة: أصل النيلوفر الهندي أي فاحت فاغرته، والفاغرة نوع من الطيب، وقيل: انفتحت، وانشقت أي ينفتح قليلا قليلا، كما ينفتح الفاغرة.

تلتف القرون[١] بالقرون .

استعارة عن التعادي الذي يقع بين الناس حتى يؤدي إلى سل السيوف بينهم ؛ ويغلب القوي الضعيف .

ج ــ الاظهر أن الضميرين في باوليته وآخريته يرجعان إلى كل أول وكل آخر لا إلى الله تعالى أي بأوليته كل أول وجب أن لا أول لله تعالى وبآخريته كل آخر؛ وجب أن لا آخر له تعالى ، كما قال في خطبة أخرى الدال بحدوث خلقه على أزليّته .

لا يجرمنكم شقاقي : لا يكسبنكم خلافي الأثم .

النبي الامي : منسوب إلى ام القرى وهي مكة .

ضليل : مبالغ في الضلال نعق بالشام : أي صاح بأهلها ودعاهم إلى نفسه .

والفحص : البحث ، وفحص الطير التراب قلبه .

براياته : أي بسببها والضواحي : النواحي أي قلب البلاد والعباد في نواحي الكوفة أو يحث عن أحوال الناس في آفاقها بسبب كثرة راياته .

فغرت فاغرته : اي فتحت الفتنة الشديدة فاها .

والشكيمة : النفس ، وفلان شديد الشكيمة إذا كان أنفا أبيا وشكم أي عض واشتدت شكيمته أي صعبت عضته ، وصارت نفسه (محرسة) معضضة صلبة .

والكلوح : العبوس والكدوح : الآثار من الجراحات والكدح الخدش .

وهدرت شقاشقه : صاح هيجانه كصياح شقاشق[٢] البعير الهايج .

---

١ ــ في ض : تلتقي القرون .

٢ ــ المشقشقة : الجلدة الحمراء التي يخرجها الجمل العربي من جوفه ينفخ فيها فتظهر من شدقه ولا تكون الا للعربي .

والقاصف: الريح التي يكسر كل شيء؛ والعاصف: الشديدة.

يلتف القرون بالقرون: أي يعمهم الفناء، وقيل يجتمع الجماعات للمحاربة؛ ويتعاركون[1] الجمهم العرق: أي سال منهم الى أن وصل إلى قرب أفواههم كاللجام.

* * *

١ ــ في ض: ويتعاركون كأنه حمل القرن على اهل العصر ويحصد القائم اي القوي ويحطم المحصود اي الضعيف وقوله عليه السلام وذلك يوم يجمع الله فيه الاولين والآخرين.

٩٩ـ وَمِنْ خُطْبَةٌ لَهُ عَلَيْهُ السَّلاَمُ

يجرى هذا المجرى .

وَذٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ ٱللهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ ، وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ ، خُضُوعاً ، قِياماً ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الأَرْضُ ؛ فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً ، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً .

منها : فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَلاَ تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ ، وَلاَ تُرَدُّ[١] لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً : يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا ، وَيَجْهَدُها[٢] رَاكِبُهَا ، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ ، يُجَاهِدُهُمْ فِي[٣] ٱللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ ، فِي الأَرْضِ مَجْهُولُونَ ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ ، فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ[٤] عِنْدَ ذٰلِكِ ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ ٱللهِ لاَ رَهَجَ لَهُ ، وَلاَ حَسَّ ، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الأَحْمَرِ ، وَالْجُوعِ الأَغْبَرِ .

---

١ ـ في ب : ولا ترد لها غاية .

٢ ـ في ب : ويجدها راكبها .

٣ ـ في ب : يجاهدهم في سبيل الله .

٤ ـ في هام ش : بصيرة .

الشرح

وجفت بهم : حركتهم .

فتن كقطع الليل المظلم لا يقوم لها قائمة .

أي لا يستطيع تحمل أعبائها أخذ مستعار من قائمة الفرس[١] ولا تبقى فيها جماعة قائمة إلا صرعتهم ووطئتهم أو قلعة قائمة إلا هدمتها .

تأتيكم مزمومة مرحولة : أي بجميع آلاتها ، وما يحتاج إليه كالناقة التي قد زمت ورحلت .

يحفزها : يدفعها[٢] شديد كلبهم قليل سلبهم : أي يقتلون ولا يسلبون .

ونقم الله : عقوباته ، والرهج : الغبار ، ولا حسّ ؛ وروي ولا دخن ، أي دخان .

والموت الأحمر: القتل والجوع الأغبر: القحط والجدب والجائع يرى الآفاق مظلمة ، كأن عليه غبارا أشار إلى صاحب الزنج الذي[٣] ظهر

---

١ ــ في ض : من قائمة الفرس او قائمة العرش .

٢ ــ في ض : يرفعها .

٣ ــ صاحب الزنج خرج بالبصرة في سنة ٢٥٥ فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ في البصرة وادعي انه من اولاد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام واسمه علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد ، وكان على هذا متصلا بجماعة من حاشية السلطان وخول بني العباس عليه فصيح اللهجة بعيد الهمة ، تسمو نفسه الى معالي الامور ولا يجد اليها سبيلا ومن اشعاره المشهورة التي اولها :

رأيت المقام على الاقتصاد ... قنوعا به ذلة في العباد

ومن الشعر المنسوب اليه :

بالبصرة .

ع ــ قوله من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حسن .

اشارة إلى عذاب الله ونزول الملائكة لتخريب البصرة .

الموت الأحمر : الشديد . وقيل هو موت يحصل بسبب سفك الدم سمي بذلك للون الدم وقيل أصله ماخوذ من ألوان السباع الضراري ، قال أبو زيد يصف الاسد :

اذا علقت قرنا خطاطيف كفه * رأى الموتَ بالعينين أسود أحمر

أراد اجتماع أنواع الشدائد فيه .

والجوع الأغبر : كناية أيضا عن ألوان السبع الضاري المهلك .

كان صاحب الزنج يعلم الصبيان الخط والنحو والنجوم ، وكان حسن مطبوع الشعر .

* * *

وانا لتصبح أسيافنا اذا ما انتضين ليوم سفوك
منابرهن بطون الاكف واغمادهن ومن رؤوس الملوك

اخبار صاحب الزنج وحروبه مع الخلفاء والامراء كثيرة ، والظاهر انه خرج لدفع الظلم ورفع الفساد عن بلاد المسلمين وشمر ذيله للحماية عن العبيد والقيان والمظلومين والمقهورين في ايدي الطغاة والظلمة ، ولذلك طعنوا في نسبه واتهموه في دينه والله أعلم بحقائق الامور.

١٠٠ ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

أُنْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا، فَإِنَّهَا وَٱللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ، وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الآمِنَ، لاَ يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلاَ يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ ٱللهُ إِمرءً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَٱعْتَبَرَ[١] فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزُلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

منها: الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ[٢] قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ لاَ يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ[٣] ٱلرِّجَالِ لَعَبْداً وَكَلَهُ ٱللهُ إِلَى نَفْسِهِ! جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ[٤]، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنْ دُعِيَ

---

١ ــ في ش: تفكر واعتبر فاعتبر فابصر.

٢ ــ في م: من عرف نفسه.

٣ ــ في ن وف: وان ابغض.

٤ ــ في ف ون: قصد السبيل وسائر.

إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الآخِرَةِ[١] كَسِلَ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ مَاوَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

منها: وَذٰلِكَ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو[٢] فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَة: إِنَّ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ. وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ ٱلْهُدَى، وَأَعْلاَمُ السُّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ، وَلاَ ٱلْمَذَابِيعِ الْبُذُرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ ٱللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ بِمَا فِيهِ! أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: (إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ).

قال الشريف: قوله عليه السلام: «كل مؤمن نومة» فانما أراد به الخامل الذكر القليل الشر، والمساييح: جمع مسياح، وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم، والمذاييع: جمع مذياع، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوه بها، والبذر: جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه.

---

١ ــ في ش: والى حرث الاخرة.

٢ ــ في ب: ذلك زمن.

الشرح

قوله عليه السلام : الصادفين عنها : أي المعرضين المائلين عنها ، ما في ما تولى وما هو آت ، استفهامية أو موصولة .

عما قليل : أكد الكلام المتعلق بذكر الآخرة بما المزيدة بخلاف ما تعلق بالدنيا .

قوله عليه السلام : العالم من عرف قدره .

ع ــ لان أقرب الأشياء إليه نفسه ، فمن جهل الأقرب كان بالبعيد أجهل ، سيما إذا كان القريب طريقا إلى البعيد ، وقد أول على هذا قوله تعالى : من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة اعمى[1] ، أي من كان جاهلا بالدنيا ، فهو بالآخرة أجهل لأنه لا طريق الى الآخرة إلا الدنيا .

قيل : الانسان إنما يطلب العلوم النظرية إذا شك في معلوماتها فمن عرف شكه ؛ فقد عرف حاجته إلى العلم ، ويوشك أن يعلم ومن عرف نفسه أنه محتاج إلى العلم فهو الذي عرف قدر نفسه .

وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره .

لأن من لم يعرف جهل نفسه لم يعرف حاجته إلى العلم فيبقى جاهلا .

في الصحاح رجل نومة : بسكون الواو ، وفتحها أي لا يؤبه به ، وقال أبو

١ ــ الاسراء : ٧٢ .

عبيد : نومة : أي خامل الذكر غامض في الناس ، لا يعرف الشر ولا أهله .

والمذاييع: جمع مذياع ، وهو من يذيع أي يفشي فاحشة سمعها او رآها من غيره عليه .

والمساييح : الذين يسيحون بالشر والنميمة بين الناس .

والبذر: من بذرت الحب أي فرقته أراد الذين يبذرون الكلام بالنميمة ، والفساد واحدها بذر وهو يفشي الشر ولا يكتمه ايضا .

(ج ــ النومة بسكون الواو : الرجل الضعيف وبفتحها الكثير النوم[١]) .

ويكفأ : أي يغلب .

* * *

١ ــ ساقط في ض .

١٠١ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ يَحْسِرُ الْحَسِيرُ[1] وَيَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ[2] حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلَّا هَالِكاً لاَ خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، وَٱسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَٱيْمُ ٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَٱسْتَوْثَقْتُ قِيَادَهَا: مَا ضَعُفْتُ وَلاَ جَبُنْتُ، وَلاَ خُنْتُ، وَلاَ وَهَنْتُ، وَٱيْمُ ٱللهِ لَأَبْقَرَنَّ الْبَاطِلَ، حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِن خَاصِرَتِهِ.

---

١ ـ في حاشية ش : فيحسر الحسير.

٢ ـ في ش : ويقيم عليه.

١٠٢ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

حَتَّى بَعَثَ ٱللهُ مُحَمَّداً، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، شَهِيداً، وَبَشِيراً، وَنَذِيراً، خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبُهَا كَهْلاً وَأَطْهَرُ ٱلْمُطَهَّرِينَ[١] شِيمَةً، وَاَجْوَدُ ٱلْمُسْتَمْطَرِينَ[٢] دِيمَةً، فَمَا ٱحْلَوْلَتْ لَكُمُ ٱلدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلاَ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلاَفِهَا إلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا، قَلِقاً وَضِينُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَحَلاَلُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودِ، وَصَادَفْتُمُوهَا، وَٱللهِ، ظِلًّا مَمْدُوداً إلَى أَجَلٍ مَعْدُود، فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ. وَأَيْدِي الْقَادَةِ[٣] عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ، أَلاَ إنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وَإنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ ٱللهُ ٱلَّذِي لاَ يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ وَلاَ يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَابَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ. أَلاَ وَإنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَانَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ، أَلاَ إنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا

---

١ ــ في ش : كهلا ، اطهر.

٢ ــ في ب : وامطر المستمطرين.

٣ ــ في ف : وايدي القادة منكم.

وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ.

عِبَادَ ٱللهِ، لاَ تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلاَ تَنْقَادُوا[1] لِأَهْوائِكُمْ؛ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهٰذَا الْمَنْزِلِ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لاَ يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لاَ يَتَقَارَبُ، فَاللهَ اللهَ، أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لاَ يُشْكِي شَجْوَكُمْ وَلاَ يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ. إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، إِلَّا الْبَلاَغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَٱلْإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا: فَبَادِرُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مستثار الْعِلْمِ[2] مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَٱنْهَوْا غيركم عَنِ ٱلْمُنْكَرِ[3] وَتَنَاهَوْا عَنْهُ؛ فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ[4] بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي.

---

١ ــ في ض وح وب: ولا تنقادوا الى اهوائكم.

٢ ــ في ب: مستنار العلم.

٣ ــ في ش: وانهوا عن المنكر.

٤ ــ في م: وانما آمركم.

الشرح

قوله : أن تنزل بهم .

بدل من الساعة الساقة : الشدة وساقة الحرب مؤخرها وحومتها[١] .

تولت بحذا فيرها :

أي أعرضت بجملتها إستوسقت : أي اجتمعت والا تساق الانتظام .

لأبقرن : أي لأشقن .

ع ـ الخاصرة : الشاكلة .

الوضين : للهودج بمنزلة البطان للقتب[٢]، وقلق الوضين اكثر ما يستعمل في السرعة والاضطراب والأمر المخوف .

وبلدة شاغرة برحلها : اذا لم تمتنع من غارة أحد .

الثائر الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثاره .

السهمان : جمع السهم الذي هو النصيب صوح : أي يبس وأيبس يكون لازما ومتعديا .

ج : احلولت : صارت حلوة جدا .

والخلف : حلمة ضرع الناقة جائلا خطامها : أي مضطربا زمامها لا يمكنهم منه .

---

١ ـ حومات القتال : أشد موضع فيه لان الاقران يحومون حوله .

٢ ـ القتب : الرجل .

والوضين: سيور[١] منسوجة بعضها على بعض يضاعفه وهو كالنسع[٢] إلا أنه يتخذ للهودج.

شاغرة: خالية من شغر البلد أي خلا امتاحوا: أي استقوا.

وشفا جرف: أي طرف موضع تجرفته السيول أي أخذت ما تحته فهو يسقط اذا قام عليه إنسان.

وهار: مقلوب هائر كقولهم: شاك السلاح وشايك السلاح، ومعناه ساقط.

فالله ألله: أي خافوه وشجوكم: مفعول ليشكوا او يشكى اي يزيل الشكاية.

* * *

١ ـ السيراء بكسر السين وفتح الياء والمد نوع من البردو يخالطه حرير كالسيور، وحلة مسيرة: فيها خطوط من ابريسم كالسيور.

٢ ـ النسعة بالكسر: سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره وقد تنسج عريضه تجعل على صدر البعير.

١٠٣ ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ الإِسْلاَمَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ[1] بِهِ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لَمنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْضَحُ الْوَلاَئِجِ، مُشْرَفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ[2]، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ، مُتَنَافَسُ السُّبْقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ: التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ. وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ، فَهُوَ أَمِينُكَ

---

١ ــ في ح: لمن خاصم عنه.

٢ ــ في ب: المصباح.

الْـمَـأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الّدينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً. اللّهُمَّ أقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللّهُمَّ أعْلِ[1] عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَتَه، وَآتِهِ الوَسِيلَةَ وَأعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَاحْشُرنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا، وَلاَ نَادِمِينَ، وَلاَ نَاكِبِينَ، وَلاَ نَاكِثِينَ، وَلاَ ضَالِّينَ[2]، وَلاَ مُضِلِّينَ، وَلاَ مَفتُونِينَ.

قال الشريف: وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم، إلا أننا كررناه ههنا لما في الروايتين من الاختلاف.

ومنها في خطاب أصحابه:

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِن كَرَامَةِ ٱللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إمَاؤُكُمْ، وَيُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لاَ فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلاَ يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لاَ يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلاَ لَكُمْ عَلَيْهِ إمْرَةٌ، وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ ٱللهِ مَنْقُوضَةً فَلاَ تَغْضَبُونَ وَأنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ، وَكَانَتْ أُمُورُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِن مَنْزِلَتِكُمْ، وَألْقَيْتُمْ إلَيْهِمْ أزِمَّتَكُمْ وَأسْلَمْتُمْ أُمُورَ ٱللهِ فِي أيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ[3] فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ وَايْمُ ٱللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ ٱللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ.

---

١ ــ في ح وب: اللهم واعل. ٢ ــ في ض وح وب: لا عالين. ٣ ــ في ش: تعملون بالشبهات وتسيرون.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرايعه لمن ورده الى آخره.

جـ آية لمن توسم: أي علامة لمن تفرس[١].

أبلج المناهج: أي واضح الطرق والحلبة: خيل تجمع للسباق.

الموت غايته: الضمير للاسلام أي ينقطع تكاليفه ووظايفه بالموت أو ارأد غاية صاحبه، يعني الموت غاية المسلم.

علما لحابس.

أي لمن يحبس فرسه أو نفسه في سبيل الله.

خزايا: جمع خزيان كسكران وسكارى تحت كل كوكب: استعارة عن غاية التفرقة.

لشر يوم لهم: أراد يوم القيامة أو يوم هلاكهم بخروج ابي مسلم وغيره.

* * *

١ ــ الفراسة: هو ما يوقعه الله تعالى في قلوب اوليائه فيعلمون احوال بعض الناس بنوع من الكرامات واصابة الظن والحدس او بتعليم بالدلائل والتجارب والاخلاق فتعرف به احوال الناس.

١٠٤ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ[١] وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّام، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ العَرَبِ، وَيَآفِيخُ الشَّرَفِ، وَالأَنفُ المُقْدِمِ[٢] وَالسَّنَامُ الأَعْظَمُ، وَلَقَدْ شَفَى، وَحَاوِحَ صَدْرِي، أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ؛ حَسّاً بِالنِّصَالِ[٣] وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ، تَرْكَبُ أُولاَهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ، تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا.

---

١ ـ في ف وع وهامش ش: الجفاة الطغاة.

٢ ـ في ب: وانف المقدم.

٣ ـ في ب: حسابالنصال وفي ك: وروى جشاء بالنضال.

الشرح

الانحياز: العدول، والطغام: أوغاد الناس ويستوي فيه الواحد والجمع، وروي الطغاة.

اللهموم: الجواد الشريف[١]، ويقال للسحاب أيضا تشبيها بالسخي ويكنى باليافوخ، عن الشريف.

ووحاوح الصدر: حرارته من وحوح الرجل إذا نفخ في يده من شدة البرد، والوحوحة صوت معه بحح[٢].

والحس: القتال والاستيصال، والنصل: يقال للسهم والسيف والرمح والسكين والجمع نصال ونصول وروي جشا بالنصال والجش إصابة السهم الجوف، والنضال: المناضلة والرمي.

والشجر: الطعن الهيم العطاش.

ع ـ الطغام: الذين لا عقول لهم ولا أفهام.

اللهموم: الجواد من الناس والخيل، والوحوحة: صوت فيه شكاية وقيل فيه أذى من البحوحة.

* * *

١ ـ في ض: الجواد من الناس والخيل.

٢ ـ البحة بالضم غلظة في الصوت.

١٠٥ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وهي من خطب الملاحم

الْحَمْدُ للهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ؛ إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لاَ تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ. وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ.

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ.

ومنها: طَبِيبٌ دَوّارٌ بِطِبِّهِ: قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ[١] مِنْ ذٰلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ: مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ متتبّع[٢] بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ،

---

١ ــ في م وف وح: يضع ذلك.

٢ ــ في ب: متتبّع.

وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ، قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ[١] لِخَابِطِهَا وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلاَمَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا. مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ؟ وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ، وَنُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ، وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً، وَشُهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ؟ رَايَةُ ضَلاَلَةٍ[٢]، قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا، قَائِدُهَا خَارِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ، فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ، تَعْرُكُكُمْ، عَرْكَ الأَدِيمِ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلاَصَ الطَّيرِ الْحَبَّةَ[٣] الْبَطِينَةَ، مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ، أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ؟؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوا[٤] مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا إِذْ هَتَفَ بِكُمْ، وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ؛ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ

---

١ ــ في ش : محجة الحق لاهلها .

٢ ــ في ب : رايت ضلالة .

٣ ــ في ب استخلاص الحبة البطينة .

٤ ــ فاستمعوه من ربانيكم .

مَرَاكِبُهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ[١]، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً وَالْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً، وَكَانَ أَهْلُ[٢] ذٰلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وَغَارَ الصِّدْقُ[٣]، وَفَاضَ الْكَذِبُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ[٤] النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ الإِسْلاَمُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً.

---

١ ــ في ك ول : وقلت الراعية.

٢ ــ في ش : وعاد اهل ذلك الزمان.

٣ ــ في ش : وغاض الصدق.

٤ ــ في ب تشاجرت الناس وفي ك ور: وتشاحن الناس.

الشرح

المتجلي لخلقه بخلقه: أي المعلوم لعباده بأدلته وأدلته من خلقه أو تجلى بدلالة الخلقية على الخالقية الروية لا تليق إلا بذي الضماير يحتاج الى الروية من يستفيد علما، وهو تعالى عالم بجميع المعلومات من غير علم محدث مستفاد تجلى تجلّى متعديا ولازما أي أظهر عظمته بخلقه بهم أو ظهر أمره.

والروية: الفكر وذلك لا يليق إلا بمن له قلب، وتعالى الله عن ذلك.

وسرة البطحاء: خيارها المرهم: معرب وهو ما يوضع على الجراحة.

والميسم، المكواة، وانجابت: انكشفت.

وأسفرت الساعة عن وجهها: أي كشفت القيامة غطاها، ولو روي سفرت لكان حسنا، وقيل، انهما يتداخلان.

أشباحا بلا ارواح وأرواحا بلا اشباح.

أي ناقصين لأن كلامهما لا يتم دون الآخر وتجارا وروي تجارا جمع تاجر.

الثفالة: الثفل والنفاضة: ما يسقط، عن الشيء بالنفض.

والعكم: العدل، تتيه بكم: أي تحيركم.

الغياهب: الظلمات الرباني: المتأله العارف بالله تعالى أراد به نفسه.

واحضروه: **أي احضروا لكلامه،** الرائد: الذي يتقدم المنتجعين يطلب له الماء والكلاء وهو لا يكذب أهله.

فلق لكم الأمر: أي أظهر أمر الدين وشق ما كان ملتبسا.

وقرق أي قلع، الطاغية: الطغاة، والرعية الرعاة: وروي الداعية أي الدعاة.

وهدر: صوت والفنيق: الفحل المكرم.

وكظم البعير: يكظم كظوما أي أمسكه عن الجرة.

غيظا: أي يغيظ الوالد بفعله وتشاجر: أي تخاصم وروي تشاحن أي تعادى.

ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا أي يعكس أمره ويغير يطلب به الدنيا لا الآخرة.

ع‍ـ طبيب دوّار بطبه أي يكلم الناس على قدر عقولهم.

اسفرت الساعة عن وجهها.

يعني اطلع الله العباد على ما احتاجوا إليه من أحوال القيامة بالأخبار الصادقة، فكانه متنقب أسفر عن وجهه.

أشباحا بلا أرواح: أي عند الخوف يصيرون كالاموات، كما قال تعالى: كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم[1].

وأرواحا بلا اشباح: يعني عند الأمن لا يتفكرون في عواقب الأمور، ومصالح الدنيا كانكم أرواح لا مشاغل لها ولا تعلق لها بالأبدان.

نساكا بلا صلاح: يعني يتزهدون بلا علم فيحفظون ركنا من أركان الشرع، ويضيعون أركانا، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: الزاهد مسخرة الشيطان.

خارج من الملة: قيل: الملة هاهنا الجماعة قائم: على الضلة: أي

---

١ ــ المنافقون: ٤.

المضلة .

ثفالة القدر: ما سفل منها العكم : الحمل .

وقرفت القرحة قرفا : أي قشرتها المطر قيظا : أي يغير الله العادة في إنزال المطر فينزله في غير وقته المعتاد ويروي قيضا أي سيولا مضرة بأهل الارض والشمس إذا دخلت السرطان والأسد لا يمتن المطر في تلك البلاد فاذا متن المطر في هذا الايام كان دليلا على تغير الاسباب الفلكية ، وهناك يقدر الله تعالى الفناء للعالم .

لبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا : كناية عن كثرة البدع في الدين ، وهو استعارة عن التمويه ، فيعد منه ما ليس منه ، وينكر ما هو فيه فيكون المعروف منكرا والمنكر معروفا .

* * *

١٠٦ ــ وَمِنْ خُطْبَة لَه عَلَيْه السَّلامْ

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِع لَهُ[١]، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ: غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، وَمَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فإلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ، لَمْ تَرَكَ ٱلْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ ٱلْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ، لَمْ تَخْلُقِ ٱلْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلاَ ٱسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلاَ يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَلاَ يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ، وَلاَ يَنْقِصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلاَ يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلاَ يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلاَ يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلاَنِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ، أَنْتَ ٱلْأَبَدُ[٢] لاَ أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ ٱلْمُنْتَهَى لاَ مَحِيصَ[٣] عَنْكَ، وَأَنْتَ ٱلْمَوْعِدُ لاَ مَنْجَى مِنْكَ[٤] إلاَّ إلَيْكَ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابةٍ، وَإلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ[٥] مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ،

١ ــ في ض وب: خاضع له.
٢ ــ في ش: انت الامد فلا امد لك.
٣ ــ في ش: لا محيص لك.
٤ ــ في ب وش: لا منجا منك.
٥ ــ في ح: سبحانك ما اعظم شأنك سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك.

وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَهُ[١] فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ ، وَمَا أَحْقَرَ ذٰلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا في نِعَمِ الآخِرَةِ[٢] .

منها : مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمٰوَاتِكَ ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ ، لَمْ يَسْكُنُوا ٱلْأَصْلاَبَ ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا ٱلْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، وَلَمْ يَشْعَبْهُمْ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ ، وَإِنَّهُمْ ـ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ ـ لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ .

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً : بِحُسْنِ بَلاَئِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ ، خَلَقْتَ دَاراً ، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً : مَشْرَباً ، وَمَطْعَماً ، وَأَزْوَاجاً ، وَخَدَماً ، وَقُصُوراً ، وَأَنْهَاراً ، وَزُرُوعاً ، وثِمَاراً ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَلاَ ٱلدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلاَ فِيمَا رَغَّبْتَ إِلَيْهِ رَغِبُوا ، وَلاَ إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا أَقْبَلُوا عَلَى[٣] جِيفَةٍ قَدْ ٱفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَٱصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ

---

١ ـ في ح : ما اصغر عظيمة وفي ع وض : ما اصغر عظمه .

٢ ـ في ب : في نعيم الاخرة .

٣ ـ في ب : جيفة افتضحوا .

غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدِيهِ شَيْءٌ[١] مِنْهَا: حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا[٢]، وَلاَ يَزْدَجِرُ مِنَ ٱللهِ بِزَاجِرٍ[٣]، وَلاَ يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ؛ وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ- حَيْثُ لاَ إِقَالَةَ وَلاَ[٤] رَجْعَةَ- كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ،

فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ- عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ- يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً[٥] جَمَعَهَا: أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا: تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ، نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ

١ــ في ض وب : لمن في يده.

٢ــ في م : اقبل اليها.

٣ــ في م غ من الله بزواجر.

٤ــ في ض وح : لا اقالة ونعم ولا رجعة.

٥ــ في ع : أموالاً اغمض في مطالبها.

أَيَّامَ عُمُرِهِ، وَيَتمنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ! فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلاَ يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ: يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ يرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلاَ يَسْمَعُ[1] رَجْعَ كَلاَمِهِمْ. ثُمَّ ٱزْدَادَ الْمَوْتُ ٱلْتِيَاطاً بِهِ[2]، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَار جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ: قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لاَ يُسْعِدُ بَاكِياً، وَلاَ يُجِيبُ دَاعِياً. ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَحَطٍّ فِي الأَرْض، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ، وَٱنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَالأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وَأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ مَا يُرِيدُهُ: مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ؛ أَمَادَ السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا، وَأَرَجَّ الأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ عَلَى أَخْلاَقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَساءلَتِهِمْ[3] عَنْ (خَفَايَا[4]) الأَعْمَالِ، وَخَبَايَا الأَفْعَالِ؛ وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلاَءِ، وَٱنْتَقَمَ مِنْ هٰؤُلاَءِ: فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ النُّزَّالُ، وَلاَ يَتَغَيَّرُ

١ــ في ش: ولا يستطيع رجع كلامهم.
٢ــ في ب: التياطا فقبض في ر: روي ثم زَادَ التياطا.
٣ــ في ب: مسألتهم.
٤ــ ساقطة من ش وف ون.

لَهُمُ الحَالُ، وَلاَ تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ، وَلاَ تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ، وَلاَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلاَ تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ؛ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَام، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَان فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ (١) وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلاَ يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلاَ تُفْصَمُ كُبُولُهَا، لاَ مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلاَ أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِها (٢) وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، أَوْ (٣) يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً، بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً (٤) نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلاَئِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحِكَمِ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

١ـ في ب : وروي جلب.

٢ـ في ض وب : واهونها.

٣ـ في ل وم : و يرجو.

٤ـ في ح وم زيادة وهي : ودعا الى الجنة مبشرا وخوف من النار محذرا.

الشرح

قوله عليه السلام كل شيء خاشع له .

ع ــ أي كل شيء خلقه لانتفاع العباد به . فكيف ما شاء يصرفه على ما يقتضيه الحكمة والصلاح ، ومنه يقوم كل شيء ويبقى على ما هو عليه وقيل : أي هو قادر على أصناف المقدورات ، فكل مقدور خاشع له .

وكل شيء قائم به : أي لا وجود لغيره من الموجودات إلا باحداثه وايجاده خصوصا للاجسام وأكثر الاعراض عند قوم .

وافلت ونقص : كلاهما يكون لازما ومتعديا .

أنت المنتهى لا محيص عنك : أي ينتهي العقول السليمة بوسائط النظر إلى أنه الله المعبود والمدلول ، فان معرفة الدليل ينتهي إلى معرفة المدلول .

لا محيص عنه : إي لا مفر ، ولا مهرب منه ، الى غيره لكونه عالما بكل معلوم وقادرا على كل مقدور .

لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك : أي لو ازداد علمهم بتفاصيل نعم الله تعالى لصغرت أعمالهم في أعينهم ، فكان يوجب زيادة العلم زيادةالعمل ، وقيل لو علموا من تفاصيل الجزاء ما لا يعلمونه(1) الا لازدادوا اجتهادا في العبادة والطاعة ، وقال قوم يعني لو بلغوا كنه معرفته تعالى فانه لا يبلغ مخلوق كنه معرفة ملكا كان أو إنسيا أو جنيا اذ لا مثال له في الشاهد حتى يستدل

١ ــ في ض : مالا يعلمونه الان ليزدادوا اجتهادا .

بالشاهد على الغائب ، وإنما يثبت قدمه وذاته المنزهة بوسائط أفعاله ، والفعل لا يدل على كنه معرفة الفاعل .

قيل إنه عنى الماهية التي ثبتها قوم[1] وكل يعمل على شاكلته ، ويجر النار الى قرصه ، ويبني على مقتضى عقيدته .

من عشق شيئا أعشى بصره وأمرض قلبه .

وذلك لأنه اذا عشقه اعتقد فيه الكمال ، فان كل كمال معشوق ومن اعتقد في شيء أنه كامل لا عيب منه لا يبحث عن عيوبه ، ولا يسمع قول من ينبهه عليها فانه لو عرف عيوبه لما اعتقد فيه أنه كامل ، ولو لم يعتقد فيه أنه كامل ما عشقه .

سكرة الموت : ألم جسداني ، وحسرة الفوت : ألم روحاني كالهمّ والحزن ، وغيرهما .

فترت : ضعفت من مصرحاتها : أي وجوهها المعلومة .

وغلق الرهن غلقا : أي استحقه المرتهن ، وذلك إذا لم يفكك في الوقت المشروط وفي شعر زهير :

فأمسى الرهن قد غلقا .

وهو مثل يضرب لمن وقع في أمر لا يرجو منه خلاصا .

والالتياط : اللصوق وفي المثل لا يلتاط هذا بصفري أي لا يلصق بقلبي بالطاء غير المعجمة .

لا يسعد : أي لا يعين أماد السماء : ويروى أمار وهما بمعنى حرك وأدار .

ارج : أي حرك ، أخلق : يكون لازما ومتعديا .

---

١ ـــ في ض : يثبتها قوم .

فاثابهم بجواره : ماخوذ من قوله تعالى : في مقعد صدق عند مليك مقتدر[1] وروي بضم الجيم أي برحمته .

مقطعات النيران : من قوله تعالى : قطعت لهم ثياب من نار[2] أو أراد النيران المقطعات .

جـ ـ الوحشة : الخلوة مع الهم ولم يشتعبهم المنون : أي لم يفرقهم الموت ، وتشعب بمعنى شعب .

ورفعتهم عن ارضك : أراد الاشراف منهم وإلا ففي الارض منهم كثير ، وقيل : إن كان منهم على الأرض لا يكون بطريق السكنى كبنى آدم ، وإنما يجيء لأمر ثم يعود إلى السماء .

وكنه الشيء : غايته وحقيقته ، وزريت عليه : أي عبت .

والمأدبة : الطعام الذي يودب إليه الناس أي يدعي إلى أكله .

أغمض في مطلبه : أي تساهل في اكتسابه أينما وجده .

والعب : الثقل أصحر له : أي أظهر من أصحر الرجل اذا خرج الى الصحراء وروي الى محط بالحاء غير المعجمة .

فطرها أي شقها وأرجها : حركها مع رجيج وصوت ، أرجفها جعلها مضطربة نفسها .

قلعها : دك أي دقّ الخبايا : جمع خبيّة من خبا إذا ستر الحظر : الاشراف على الهلاك .

سرابيل القطران : اهل النار يلبسون ثيابا سودا كأنها من القطران وهو الهناء والنار اليه أسرع .

ومقطعات النيران : ثياب منها مقطعات شبه الحباب ، وقال ابو عمرو :

---

١ ــ القمر : ٥٥ .

٢ ــ الحج : ١٩ .

ومقطعات الثياب والشعر: قصارها.

أطبق: أغلق كلب شدة لجب: صياح وروي جلب: وهو الصيحة.

ساطع: عال والقصف: الصوت الشديد، الكبول: القيود.

قوله حقر الدنيا بالتخفيف: استصغرها وبالتشديد صغرّها ولم يعتدبها.

زواها: قبضها الرياش: اللباس والزينة.

ينابيع الحكم أي الحكمة، وروي الحكم.

* * *

١٠٧ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

إنَّ أَفْضَلَ ما تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى ٱللهِ، سُبْحَانَهُ، الْإِيمَانُ بِهِ وبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلاَمِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلاَصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَٱعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مَيْتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

أَفيضُوا فِي ذِكْرِ ٱللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَٱرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّهُ وَعْدَهُ أَصْدَقُ[١] الْوَعْدِ، وَٱقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَٱسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهُ أَهْدَى السُّنَنِ، وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَٱسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ، فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ

١ ــ في ب : فانه اصدق الوعد.

عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ[1] الَّذِي لاَ يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ أَلْوَمُ.

الشرح

قوله عليه السلام إن أفضل ما توسل به المتوسلون الى آخره.

ع‍ـ مثرأة في المال ومنسأة في الأجل: الزيادة في المال والأجل يجوز أن يصير صلاحا عند صلة رحم أو غيرها، من الطاعات قال الله تعالى: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال: فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية.

القصص بالفتح مصدر قص عليه الخبر، وقد يكون إسما وضع موضع المصدر بكسر القاف جمع القصة.

ج‍ـ ذروة الشيء[2] أعلاه والفطرة: الخلقة يعني أن الشهادتين مقتضى الفطرة.

والصلاة: الملة أي الدين والشريعة: يعنى أنها علمها.

والزكوة: فريضة أي سهم قطع[3] من الأموال معين للمستحقين وعني بالفريضة ما يؤخذ من الزكوة وهو عرف شرعي لا التي بمعنى الواجب فان غيرها من الواجبات كذلك.

والصوم الواجب: ترس من عقاب الله تعالى.

والحج: القصد إلى بيت الله بمناسك عنده مع الوقوف بالموقفين.

والعمرة: زيارة الكعبة من دون الموقفين وهما يغسلان من العبد الذنوب

١ــ في ك: كالجاهل الجائر.

٢ــ في ض: ذروة كل شيء اعلاه.

٣ــ في ض: مقتطع.

ويدفعان الفقر فيكون سبب الطهارة والغنى .

والمثراة : المدعاة إلى الثروة والمنسأة : من نسأ الله في أجله أي أخره ، يعني أن الاتصال بالأقرباء سبب لكثرة المال وطول العمر .

ميتة السوء : كالسقوط في البئر والهدم والحرق والغرق .

افيضوا في ذكر الله أي اندفعوا فيه مرة بعد أخرى .

الهدى : السيرة والسنة : الطريقة فهما غيران أو أراد بالثاني الثبات والاستمرار على ذلك .

القصص : يجوز أن يكون بمعنى المفعول كالبناء والخبر ويكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد .

الحائر : المتحير وروي بالجيم أي الظالم والعادل عن الطريق .

* * *

١٠٨ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ؛ لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلاَ تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ، لاَ تَعْدُو إذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا، وَالرِّضَاءِ بِهَا، أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، وَكَانَ ٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً) لَمْ يَكُنِ ٱمْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهَا[1] بَعْدَها عَبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تُطِلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ، إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاَءٍ، وَحَرِيٌّ إذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً، أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا ٱعْذَوْذَبَ، وَٱحْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى، لاَ يَنَالُ ٱمْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً، وَلاَ يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى

١ ــ في ب: الا اعقبتها عبرة.

قَوَادِمِ خَوْفٍ، غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا فَانِيَةٌ، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا لاَ خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى، مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، وَمَنْ ٱسْتَكْثَرَ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ، كَمْ مِنْ وَاثِقٍ[1] بِهَا فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْها[2] قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أُبَّهَة قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَة قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً؟ سُلْطَانُهَا دُوَلٌ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ، وَعَذْبُها أُجَاجٌ، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ، وَغِذاؤُهَا سِمَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ، حَيُّهَا بِعُرْضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعُرْضِ سُقْمٍ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ، أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْثَفَ جُنُوداً: تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ، وَلاَ ظَهْرٍ قَاطِعٍ ؟؟!! فَهلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لهم صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بالفَوادِحِ، وأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَناخِرِ، وَوطِئَتْهُمْ بِالْمَناسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا، وَأَخْلَدَ إليْها حين ظَعَنُوا[3] عَنْهَا لِفِرَاقِ ٱلْأَبَدِ، وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا

---

١ ــ في ن وف ول : كم واثق بها .

٢ ــ في ض وح وب : وذي طمأنينة قد صرعته .

٣ ــ في ض وف وب : اخلد اليها حتى ظعنوا .

الضَّنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إلَّا ٱلنَّدَامَةَ أَفَهٰذِهِ[١] تُؤْثِرُونَ، أَمْ إلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟؟ فَبِئْستِ ٱلدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا، فَاعْلَمُوا- وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ- بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا وَٱتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا: (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) حُمِلُوا إلَى قُبُورِهِمْ فَلاَ يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا (ٱلْأَجْدَاثَ[٢]) فَلاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاةِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُونَ دَاعِياً وَلاَ يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلاَ يُبَالُونَ مَنْدَبَةً: إنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَإنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا: جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ مُتَدَانُونَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ وَقَرِيبُونَ لا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلاَءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لاَ يُخْشَى فَجْعُهُمْ وَلاَ يُرْجَى دَفْعُهُمْ؛ اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ ٱلْأَرْضِ بَطْناً، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْداً عَلَيْنَا، إنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ).

١ــ في ب: فهذه تؤثرون.

٢ــ ساقطة من ف وم ون ول وش وفي الاخير: ولا يدعون.

الشرح

قوله عليه السلام: أما بعد فاني أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة، حفت بالشهوات إلى آخره.

ع ــ هتن الدمع والمطر: أي قطر.

من أقل منها استكثر مما يؤمنه.

أي من قنع من الدنيا باليسير، فقد حظى من التقوى بالكثير.

ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه: من جعل نفسه مقصورة على طلب الدنيا، فقد هلك وإن لم ينل من الدنيا إلا قوتا ورجل محروب: أي مسلوب المال.

الذين قالوا من أشد منا قوة: هم قوم عادبن إرم بن سام بن نوح.

الصفيح: الحجر والاجنان: جمع جنن وهو القبر.

فجاءوها كما فارقوها: قال الامام الوبري: فراقهم من الدنيا أن خلقوا منها، ومجيئهم إليها أن دفنوا فيها، قال الله تعالى: هو الذي خلقكم من تراب[1] أي خلق آباءكم.

ج ــ راقت: أعجبت تحلت: تزينت.

الحبرة: السرور، بائدة: هالكة غوالة: مهلكة قابل العبرة، وهي الدمع بالحبرة وهي السرور لأن أكثر ما يأتي البكاء من الحزن.

---

١ ــ الروح: ٢٠.

أعقبته : أورثته خص[١] الظهر بالشدة والبطن بالدعة لأن ظهر الترس إلى الأعداء وبطنه إلى الأولياء والمشي في بطن الأرض سهل وعلى ظهرها صعب .

وطل : أي مطر مطرا ضعيفا هتنت : أي صبت وسالت .

مزنة : سحاب وإن جانب ارتفاعه بفعل مضمر يفسره ما بعده لأنَّ أن يقتضى الفعل .

اعذوذب صار عذبا جدا احلولى صار حلوا جدا أمرَّ صار مرّا .

أربا : أصله الهمزة وحقه أن يكتب بالالف .

الغضارة : طيب العيش أرهقته : كلفته .

وقوادم الطير : مقاديم ريشه وهي عشر والصقر والباز يضربان الصيد بهما فاستعارها للخوف ، كذلك والجناح للطائر، كاليد والكناية به عن الأمر ونحوه حسن .

يوبقه : يهلكه والابهة والنخوة : التكبر ماء أجاج : أي مرّ ملح .

فالسمام : جمع سم رمام أي بالية بعرض الموت أي معرضة .

بلا ظهر : أي ظهر مركوب ارهقتهم : غشيتهم .

أمر فادح : مثقل وروي بالقاف بالقوادح ، والقادح صدع في العود ، ضعضعتهم : حركتهم .

ريب المنون : حوادث الدهر .

تنكرها : تغيرها ودان : أي دل أخلد اسند والسغب : الجوع .

والضنك : الضيق والمندبة : المناحة .

* * *

---

١ ــ في ض : قيل وخص الظهر.

١٠٩ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

ذكر فيها ملك الموت

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟ أَيلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!!؟

الشرح

تحس : تبصر وتجد يتوفى أي يميت .

ع ــ كيف يصف الله من يعجز عن صفة مخلوق مثله .

أي كيف يعلم أفعال الله على كيفية إحداثها من لا يعلم كيفية إحداث الملك أفعاله ، والملك مخلوق ، مثله ، وقيل : أراد أنك عاجز عن معرفة نفسك ، وعن حقيقة الملك المخلوق ، ومعرفة أفعاله ، فكيف لا تعجز عن كمال معرفة الله تعالى ، قلت : وهذا المعنى كثير في كلام أميرالمؤمنين [1] عليه السلام وله في ذلك بيتان أوردتهما فيما جمعته من أشعاره وهما .

كيفية المرء ليس المرء يدركها * فكيف كيفية الجبار في القدم

هو الذي أنشأ الاشياء مبتدعا * فكيف يدركه مستحدث النعم

روي أنه قال : إن العقل لأقامة رسم العبودية لا لادراك الربوبية ثم انشأ هذين البيتين .

* * *

١ ــ في ض : وقد كثر هذا المعنى في كلام اميرالمؤمنين عليه السلام ومما نظمه فيه .

١١٠ ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وَأُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[1] وَقَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا: فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَها بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّها: لم يُصْفِهَا ٱللهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ[2] بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ، خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ[3]، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ: وَعُمُرٍ يَفْنَى[4] فَنَاءَ الزَّادِ وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ السَّيْرِ؟! اجْعَلُوا مَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ وَٱسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتُبِطُوا بِمَا رُزِقُوا، قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ

---

١ ــ في ش : نجعة قد تزينت .

٢ ــ في ح ول وش : لم يضن عن اعدائه .

٣ ــ في م وف : وعامرها يتخرب .

٤ ــ في ض وح وب : يفنى فيها فناء الزاد .

عَلَى دِينِ ٱللهِ: مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ: فَلاَ تَوَازَرُونَ، وَلاَ تَنَاصَحُونَ، وَلاَ تَبَادَلُونَ، وَلاَ تَوَادُّونَ!! مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا[1] تدركونه، وَلاَ يَحْزُنُكُمْ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ، وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ؟؟!! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ!! وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الآجِلِ، وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ صَنِيعُ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِن[2] عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ!

الشرح

قوله عليه السلام: واحذركم الدنيا فانها منزل قلعة وليست بدار نجعة إلى آخره.

ع ــ منزل قلعة: هو ما احتاج صاحبه إلى أن يقوم مرة بعد أخرى وهم على قلعة: اي على رحلة.

والنجعة: طلب الكلاء في موضعه.

دائر هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها.

أي جعلها الله تعالى دار تكليف، فخلى بين العباد وبين أفعالهم ولم

---

١ ــ في ب: من الدنيا تملكونه.

٢ ــ في ح وب: من فرغ عن عمله.

يمنعهم قهرا عن القبيح، ولم يلجئهم إلى الحسن، فاستوت القبايح والمحسنات في الوجود، بل الغلبة للقبايح، فهوان الدنيا على الله انَّ الله تعالى جعلها دار فناء، لا دار بقاء، وقيل: هو عبارة عن هوان المسيء لاسائته وقيل الأمور الممكنة منها ما يجوز أن يخلوا عن الشر ومنها: ما لا يمكن فضيلة إلا ويعرض منه شرما، ومنها ما هو شر على الاطلاق أو بحسب الغلبة.

والقسم الثاني، لا ينافي الحكمة الالهية بخلاف الثالث، وذلك مثل النار فانه لا يفيد فوائدها إلا وهي بحيث تؤذي ويؤلم، ما يتفق لها مصادمة من أجسام حيوانية.

واسألوه من أداء حقه ما سألكم: أي استعينوه على أداء حقه فلن تطيقوا أداءً إلا بتوفيقه ومعونته، وكذا كما ورد في الأثر: أللهم إنك سألتني من نفسي ما لا أملكه إلا بك فاعطني منها ما يرضيك عني.

اللعقة بالضم: اسم ما يأخذه الملعقة وبالفتح المرة الواحدة.

جـ منزل قلعة: أي ليس بمستوطن، كأنه يقلع ساكنه.

والزهيد: القليل، والعتيد: المعدّ لا يوازرون: أي لا يحمل بعضهم الثقل عن بعض، ويجوز أن يكون من الوزر وهو الملجأ.

وروي لا تأزرون من الأزر وهو القوة زوى: أي قبض.

* * *

١١١ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

الْحَمْدُ لِلهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَى آلاَئِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلاَئِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هٰذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ: عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ: إِيمَاناً نَفَى إِخْلاَصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ. وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ[١]، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ: لاَ يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَان فِيهِ، وَلاَ يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ[٢] منه.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ، وَبِهَا الْمَعَادُ، زَادٌ مُبَلِّغٌ، وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وَفَازَ وَاعِيهَا عِبَادَ ٱللهِ، إِنَّ تَقْوَى ٱللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَه حَتَّى

---

١ ـــ في ك وم: تسعدان القول وفي ر: وروي بالصاد.

٢ ـــ في ن وب: ترفعان عنه.

أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ، فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ وَالرِّيَّ بِالظَّمَاءِ، وَٱسْتَقْرَبُوا الأَجَلَ، فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الأَمَلَ، فَلاَحَظُوا الأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ: فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِّرٌ قَوْسَه، لاَ تُخْطِيءُ سِهَامُهُ، وَلاَ تُؤْسَى جِرَاحُهُ، يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ وَالصَّحِيحَ بِالسُّقْمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ: آكِلٌ لاَ يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لاَ يَنْقَعُ وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لاَ يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لاَ يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ٱللهِ لاَ مَالاً حَمَلَ، وَلاَ بِنَاءً نَقَلَ، وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ[1] مَغْبُوطاً، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً، لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ، وَبُؤْساً نَزَلَ، وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ، فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلاَ أَمَلٌ يُدْرَكُ، وَلاَ مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ! فَسُبْحَانَ ٱللهِ!! مَا أَغَرَّ سُرُورَهَا، وَأَظْمَأَ رِيَّهَا، وَأَضْحَى فَيْئَهَا، لاَ جَاءٍ يُرَدُّ، وَلاَ مَاضٍ يَرْتَدُّ! فَسُبْحَانَ ٱللهِ!! مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلِحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ، وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ[2] مِنَ الآخِرَةِ

١ــ في ف ون : ترى المغبوط مرحوما والمرحوم مغبوطا.

٢ــ في ب : مما نقص في الاخرة.

وَزَادَ فِي الدُّنْيَا؛ فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٌ وَمَزِيدٍ خَاسِرٌ. إنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مَن الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَمَا أحلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرُ، وَمَا ضَاقَ لِمَا ٱتَّسَعَ، قَدْ تُكُفِّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلاَ يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ[1] طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ، وَٱللهِ، لَقَدِ ٱعْتَرَضَ الشَّكُّ وَدَخَلَ الْيَقِينُ، حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عليْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذِي[2] فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ! فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ؛ فَانَّهُ لاَ يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَافَاتَ اليَومَ مِنَ[3] الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَما فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي (فَاتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

---

١ ــ في ع : فلا يكونن المضمون طلبه .

٢ ــ في ب : كان الذي قد فرض عليكم .

٣ ــ في ب : ما فات من الرزق .

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر.

ع ــ وصلة الحمد بالنعم إيجابه للحمد، على النعم ووصلة النعم بالحمد إيجابه الثواب على الحمد.

كتاب غير مغادر: من قوله تعالى: ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها[1].

ايمان من عاين الغيوب: أي علم وتصور، وعرف المعقولات، بطرائقها وشواهدها.

يصعدان القول، ويرفعان العمل: من قوله تعالى: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه[2].

أسمع داع: من الاسماع أي ترى المرحوم: في وقت مغبوطا في آخر[3].

ليس شيء بشر من الشر الا عقابه وليس شيء خير من الخير الا ثوابه:
أراد أنه لا ضرر أعظم من العقاب ولا نفع أجزل من الثواب[3].
إن الذي أمرتم به اوسع من الذي نهيتم منه.

يعني ما من محظور يشتهى إلا وفي الحلال ما ينوب عنه في الشهوة

---

١ ــ الكهف: ٤٩.
٢ ــ الفاطر: ١٠.
٣ ــ كذا.

وفي الحلال ما لا ينوب عنه المحظور، وكذلك المأمور به والمنهي عنه، لأن كل قبيح دعا إليه الداعي ففي الحلال ما لا ينوب عنه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله ان الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم أي لم يقصر الشفاء (على الحرام فما من حرام يصلح التداوي به لعلة ما إلا وفي الحلال ما لا يقع الشفاء[١]) به لتلك الغلة كما أن الخمر حرام ينوب عنها في التداوي من الأدوية المفردة المركبة ما لا يحصى.

دخل اليقين: أصابه الدخل وهو العيب الباطن وفي المثل ترى الفتيان كالنخل وما يدرك ما النخل ويسكن الخاء ويفتح، قال الله تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم، أي مكرا وخديعة.

ج ــ وصل الحمد بالنعم: أنه تعالىٰ أنعم على سبيل التفضل أولا ثم أمر المكلفين أن يشكروه على نعمة كما ركز في عقولهم ذلك، ثم وعد على ذلك الشكر نعما اخرى موصولة بهما ولذلك قال:

والنعم بالشكر: قال تعالى: لئـن شكرتم لأزيدنكم.

أسمع: أفعل من الاسماع بحذف الزوائد.

ووعاها خير واع: أي حفظها خير حافظ من قوله تعالى: وتعيها اذن واعية[٢]، واتفق اكثر النقلة والمفسرين على أنها نزلت في علي عليه السلام عني بالداعي النبي وبالواعي نفسه.

أسهرت لياليهم: أي بالقيام للصلوة.

واظمأت هواجرهم: بالصيام في الحر الشديد وإسناد الاسهار والاظماء إلى المخافة من باب نهاره صائم، وليله قائم.

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

٢ ــ الحاقة: ١٢.

والنصب : التعب والظمأ : العطش أي اخذوا الراحة في الآخرة بسبب ما تحملوا من ضدهما في الدنيا .

وموتر القوس وواترها : جعل فيها الوتر تؤسى : أي تعالج وتداوى .

والعطب : الهلاك ، اكل أي هو أكل يعني الموت .

لا ينقع من نقعت بالماء اي رويت ، ونقع الماء العطش سكنه فعلى هذا تقديره لا ينقع نفسه أو عطشه .

ترى المرحوم مغبوطا : يحتمل أن يريد أنك ترى من حقه أن يرجم مغبوطا عند الناس ، ومن حقه أن يغبط مرجوما عندهم ، ويحتمل أن يريد لتقلب الأحوال من الفقر إلى الغنى ، والمرض إلى الصحة وبالعكس .

وأضحى فيئها : أي ما أبرز ظل الدنيا للشمس من قولهم ضحيت الشمس أضحى لها أي برز.

ش ــ نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه .

كل ما يوصله الله تعالى إلينا من المحن والبلوى في دار الدنيا ، فهو في الحقيقة منح[1] ونعمى لمن يتحمل أعباءه ويتلقاه بقبول الصبر لاستعقابه منافع وأعواضاً لا تعد ولا تحصى ، فلذلك يستحق الله تعالى الشكر على المحن كما يستحقه على المنح .

وقد ذكرت وجه حسن ايلامه تعالى الحيوانات من المكلفين وغيرهم وما يرد على ذلك من الاسئلة والأجوبة على غاية التلخيص في كتابي الموسوم بلباب الألباب .

ويؤمن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود .

هذا كلام من كشف له الغطاء من مكنونات الغيب : حتى اطلع بباصرة

---

١ ــ المنحة : العطية قال ابوعبيد : المنحة عند العرب على معنيين : أحدهما ان يعطي الرجل صاحبه صلة فتكون له والاخرى ان يمنحه شاة او ناقة ينتفع بلبنها ووبرها زمانا ثم يردها .

البصيرة على سرائره السريرة من غير[1] تخالج ولا ريب ، ولذلك انتقد على محك قوله تعالى : فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ، فقال والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه ، ولما وصل السيف إلى قمته[2] التي أربت على قمة الجوزاء فقال : فزت ورب الكعبة ولذلك قال : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا .

هذا مقام لو قلت أن أميرالمؤمنين صلوات الله عليه فاق به أكثرلنبيّين لما كان بعيدا ، وكثيرا ما أتفكر فيه وأقضي للعجب منه وإن كان هو عليه السلام في سائر الكمالات بهذه المثابة .

قوله بشر من الشر إلا عقابه : يحتمل أن يجعل قوله : من الشر بيانا لشيء أي ليس شيء من الشرشر إلاعقاب الشر فكأنه قال : الشر الحقيقي الذي يستأهل أن يسمى شرا وسائر الشرور بالنسبة اليه كلا شر لتفاقمه[3] وعظم موقعه هو العقاب الذي أوعد الله تعالى به على الشر الذي هو المعصية ، كما يقال ما في القوم رجل الازيدا أي هو الكامل في الرجولية وكذا في الثواب .

* * *

---

١ ــ في ض : بلا تخالج وريب .

٢ ــ القمة بالكسر : القامة والقمة : ايضا وسط الرأس .

٣ ــ تفاقم الامر : عظم ولم يجر على استواء .

١١٢ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في الاستسقاء

اللّهُمَّ قَدِ ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَٱغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى [١] عَلَى أَوْلاَدِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا، وَالْحَنِينَ إِلَى مَواردهَا (اللّهُمَّ فَارْحَمْ [٢] أَنِينَ الآنَّةِ، وَحَنِينَ الْحَانَّةِ [٣]). اللّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا، اللّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ ٱعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الْجوْدِ؛ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ وَالْبَلاَغَ لِلْمُلْتَمِسِ: نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ أَنْ لاَ تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلاَ تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا، وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ، وَٱلرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ، سَحًّا وَابِلاً، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ. ٱللّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ، مُحْيِيَةً، مُرْوِيَةً، تَامَّةً، عَامَّةً، طَيِّبَةً، مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً (مريئة [٤])، مَرِيعَةً، زَاكِياً نَبْتُهَا، ثَامِراً فَرْعُهَا، نَاضِراً وَرَقُهَا،

---

١ ـ في ع: عجيج الثكلى.

٢ ـ ساقطة من ف وفي ل: اللهم ارحم.

٣ ـ ساقطة من ف وب ول وش.

٤ ـ ساقطة من ف وب ول وش.

تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيْتَ مِنْ بِلاَدِكَ. اَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا، وَتُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا[1]، مِنْ بَرَكَاتِكَ اَلْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً، مِدْرَاراً هَاطِلَةً، يُدَافِعُ اَلْوَدْقُ مِنْهَا اَلْوَدْقَ، وَيَحْفِزُ اَلْقَطْرُ مِنْهَا اَلْقَطْرَ، غَيْرُ خُلَّبٍ بَرْقُهَا، وَلاَ جَهَامٍ عَارِضُهَا وَلاَ قَزَعٍ رَبَابُهَا، وَلاَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا، حَتَّى يُخْصِبَ لإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا اَلْمُسْنِتُونَ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ اَلْغَيْثَ[2] مِن بَعْدِ مَا قَنِطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ اَلْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.

قال الشريف: قوله عليه السلام «انصاحت جبالنا» أي: تشققت من المحول. يقال: انصاح الثوب، إذا انشق. ويقال أيضا: انصاح النبت وصاح وصَوَّح إذا جَفَّ ويَبِسَ. وقوله «وهامت دوابنا» أي: عطشت، والهيام: العطش وقوله «حدابير السنين» جمع حدبار: وهي الناقة التي أنضاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب، قال ذو الرمة:ـ

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُّ إلَّا مُنَاخَةً ... عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَابَلَدَاًقَفْراً

وقوله «ولا قزع ربابها»: القزع: القطع الصغار المتفرقة من السحاب، وقوله «ولا شفان ذهابها» فإن تقديره: ولا ذات شفان ذهابها، والشفان: الريح الباردة، والذهاب: الأمطار اللينة، فحذف «ذات» لعلم السامع به.

---

١ ـ في ن وك: ويستغني بها ضواحينا.

٢ ـ في ب: تنزل الغيث بعدما قنطوا.

الشرح

قوله عليه السلام: اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت ارضنا إلى آخره.

ع‍ـ انصاح الثوب: أي انشق اعتكرت[١] الظلام: اختلط كأنما كرَّ بعضه على بعض.

والحدبار والحدبير: من النوق الضامر التي يبس لحمها من الهزال وبدت حراقفها.

سقيا: غير منون كالدنيا أي يطلب[٢] سقيا منك.

تستعين (بها ضواحينا[٣] وروي نستعين من قولهم حفرت حتى عنت أي بلغت العيون والماء) ضواحينا: ظواهرنا:

المخضلة: التي يأتي بالخضل وهو الندى.

البرق الخلب: الذي لا غيث معها، والخلب أيضا السحاب الذي لا مطر فيها، يقال برق خلب وبرق خلب بالاضافة، وأصله من الخلابة وهو الخداع، وقيل الاصل فيه الخلب وهو حجاب القلب ومنه الخلابة وكأنه أصابه الخلب بخديعة أو غيره والبرق الخلب كأنه يخلب الشائمين اذا أقلهم المطر، ولم يأتهم به، وبرق الخلب عند الكوفيين من إضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع ودار الآخرة، والبصريون يأبون ذلك ويقدرونه بمسجد اليوم

---

١ ـ في ض: اعتكر الظلام.

٢ ـ في ض: نطلب سقيا منك.

٣ ـ يستغنى ضواحينا وروي نستعين.

الجامع ودار الساعة الآخرة وبرق السحاب الخلب.

يحفز: أي يفلق، ويحرض الجهام السحاب الذي أراق ماءها والسماء هاهنا[١] المطر، والعرب تسمى الشيء باسم ما كان مجاورا له أو كان منه بسبب كقولهم عفيف الازار أي الفرج، وقال تعالى: أعصر خمرا[٢] أي عنبا وقال يرسل السماء عليكم مدرارا أي المطر.

القزع: قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة، وفي الحديث كأنهم قزع الخريف الذهبة مطر جود، والجمع ذهاب.

الشفان: ريح في ندوة[٣] وندوة مع ريح، والتقدير ولا ذات شفان فحذف المضاف لعلم السامع به.

جـ اللهم: أصله يا اللهم[٤] ابدل الميم المشدودة من حرف النداء، وقيل تقديره يا الله أمنا بالخير، وقال.

منع الغمام، على ما لم يسم فاعله ولم يضيف المنع إلى الله تعالى وإن كان من فعله تادبا وإعلاما بان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وروي ومنع الغمام أي منع السحاب المطر.

والسوام: السائم ما يرعى من المال وانبعق: المزن وتبعق أي تصبب بشدّة.

وغدقت عين الماء: أي غزرت والمونق: المعجب سحا: مصدر لأنـشد من غير لفظه أو لما يدل عليه المنبعق من معنى الفعل.

ما قد فات: يعني من الحيوانات وما قد فات يعني من الزروع والثمرات.

والريعة: الخصيبة والنجد: ما ارتفع من الأرض والجمع نجاد ونجود.

---

١ ـ في ض: والسماء هنا المطر.

٢ ـ يوسف: ٣٤.

٣ ـ في ض: ريح في ندوة مع ريح.

٤ ـ في ض: اصله ياالله.

الوهدة: المكان المطمئن والجمع وَهْدُ وهُاد.

الضواحي: النواحي يعني أهل نواحينا المرملة الفقيرة، وارمل القوم: أي نفد زادهم.

اخضل الشيء: أي ابتل، وروى الاكثرون مخضلة من اخضلت الشيء أي بللته.

ويحفز: أي يدفع دفعا شديدا والشفان: مشتق من الشفيف وهو شدة البرد، وهو ينصرف هاهنا لأنه نكرة الامراع: الأخصاب.

أما البيت الذي استشهد به الرضي رضي الله عنه: وقد عيب على قائله إدخال الا فانه لا يجوز أن يقول ما تزال إلا قائما، والوجه فيه أن انفك في البيت ليست بالناقصة، بل هي بمعنى انفصل أي لا يفارق أوطانه إلا مناخة على الذل فدخول إلا في موضعه[1].

* * *

١ ــ في ض هنا خلط وحذف واسقاط.

١١٣ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ، غَيْرَ وَانٍ وَلاَ مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ(١) فِي ٱللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلاَ مُعْذِرٍ، إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَى(٢).

منها: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ، تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لاَ حَارِسَ لَهَا، وَلاَ خَالِفَ عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ كُلَّ ٱمْرِىءٍ نَفْسُهُ، لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا، وَلٰكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ ٱللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ: قَوْمٌ، وَٱللهِ، مَيَامِينُ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ، مَضَوْا قُدُماً عَلَى الطَّرِيقَة، وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَة، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ، أَمَا وَٱللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلاَمُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ: يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبَ

---

١ ــ في م : وجاهد في سبيل الله.

٢ ــ في ض وح وف : بصر من اهتدى.

شَحْمَتَكُمْ إيهِ أَبَا وَذَحَةَ !

قال الشريف : أقول : الوذحة : الخنفساء ، وهذا القول يومى ء به إلى الحجاج ، وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضوع ذكره .

الشرح

قوله عليه السلام : ارسله داعيا إلى الحق إلى آخره .

ع ـ الصعدات : جمع صعد ، وصعد جمع صعيد ، كطريق وطرق[١] والصعيد : التراب وقال ثعلب : هو وجه الأرض .

والتدام النساء : أن يضربن أنفسهن وصدرهن في النياحة ، ومضى قدما : بضمتين أي تقدم ، ولم ينثن .

الوجيف : ضرب من سير الابل والخيل ، قال تعالى : فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب[٢] .

غلام ثقيف : أراد به الحجاج وكان من بني ثقيف وقد استولى على الكوفة .

إيه : اسم الفعل ومعنا الأمر قال ابن السدي[٣] : اذا قلت إيه يا رجل فانما تأمره بان يزيدك من الحديث المعهود ، بينكما كأنك قلت هات الحديث ، وان قلت إيه بالتنوين كانك قلت هات حديثا لأن التنوين تنكير وأما قول ذي الرمة :

---

١ ـ في ض : وطرق وطرقات .

٢ ـ الحشر : ٦ .

٣ ـ محمد بن مروان بن عبد الله بن اسماعيل بن عبد الرحمان الكوفي المعروف بالسدي الصغير وهو حفيد السدي المشهوريين المحدثين والمفسرين ، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال انه ضعيف مشكوك الحديث وفي ض : ابن السرى .

وقفنا فعلنا إيه عن ام سالم * وما بالُ تكليم الديار البلاقع

فانه أراد التنوين فتركه للضرورة فاذا اسكنته وكففته قلت إيها عنا وإذا أردت البعيد قلت إيها بفتح الهمزة بمعنى هيهات .

قال ابن السكيت : اذا وصلت نونت ، وقلت أيه حديثا ولم ينون ذو الرمة في الوصل لأنه نوى الوقف .

أبو وذحة (أي السفاك الذي يقطع الأوداج ، وقيل هو كنية الخنفساء ، وروي وذحة[1]) وهي ما يتعلق في أذناب الشاء وأرفاغها من أبعارها وأبوالها ، فيجف عليها والجمع وذح .

ج ــ الواني : الضعيف التعذير: التقصير، والذيال : المتبختر من ذالت المرأة أي جرت ذيلها إيه أي زدنا وهات .

روي أن الحجاج كان يوما يصلي على سجادة فاقبلت خنفساء تدب إليه ، فقال نحوا هذه فانها وذحة من وَذْحِ الشيطان، وقيل: إن الحجاج كان مخنّثاً ولعله كان يأخذ الخنفساء ويجعلها على مقعده لبعض ذلك الموضع فيسكن بعض علته كما كان أبو جهل يفعل شيئا قريبا منه .

ش ــ روي أن خنفساء مرّت بالحجاج ، فقال قاتل الله قوما يزعمون أن هذا من خلق الله ، فقيل مم هي فقال : من وذح إبليس يعني ما يتعلق بألية الشاة من ثلطها هكذا ذكره الامام الزمخشري .

قال أبو علي بن مسكويه نظر الحجاج يوما الى خنفساء على مصلاه فنحاها بقضيبه ، وقال : لعنك الله وذحة من وذح الشيطان ، وقال بعد حكاية أميرالمؤمنين عليه السلام إيه أبا وذحة كانه يلقبه .

* * *

١ ــ بين الملالين ساقط في ض .

١١٤ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلاَ أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تُكْرَمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلاَ تُكْرِمُونَ ٱللهَ فِي عِبَادِهِ، فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ[1] مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَٱنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ[2] إِخْوَانِكُمْ.

١١٥ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ[3] خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ؛ سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ؛ فَوَٱللهِ إِنِّي لأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

أقول: الجنن: جمع جنّة وهي ما استترت به من سلاح. وبطانة الرجل خاصّته.

---

١ ــ في م: بنزول منازل.

٢ ــ في ش: عن اصل اخوانكم.

٣ ــ في كـ ورول وش: بمناصحة جلية.

١١٦ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ؟ قال قوم منهم: يا أميرالمؤمنين، إن سرت سرنا معك؛ فقال عليه السلام:

مَا بَالُكُمْ[١] لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ، وَلاَ هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ؟ أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي لي[٢] أَنْ أَخْرُجَ؟! إنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ[٣] وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلاَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْمِصْرَ، وَالْجُنْدَ، وَبَيْتَ الْمَالِ، وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوق الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُج فِي كَتِيبَةٍ أَتَّبِعُ أُخْرَى أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ. وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحى: تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهَا ٱسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَٱضْطَرَبَ ثُفَالُهَا هٰذَا ـ لَعَمْرُ ٱللهِ ـ الرَّأْيُ السُّوءُ!! وَٱللهِ لَوْلاَ رَجَائِي الشَّهَادَةَ[٤] عِنْدَ لِقَائِي[٥] الْعَدُوَّ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ؛ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ، فَلاَ أَطْلُبُكُمْ مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ. (طعانين عيابين حيادين رواغين إنَّهُ لاَ غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ، مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ. لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لاَ يَهْلِكُ عَلَيْهَا إلاَّ هَالِكٌ مَنِ ٱسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَي النَّارِ[٦]).

---

١ ـ في ش: مالكم.
٢ ـ في ب: ينبغي ان اخرج.
٣ ـ في ش: من شجعانكم.
٤ ـ في م: رجائي للشهادة.
٥ ـ في ش: عند لقاء العدو.
٦ ـ ساقطة من ف وم ون ول وش.

الشرح

ج : الجنن جمع جنة ، وهي ما سترت به من سلاح .

وبطانة الرجل: وليجته وخواصه جلية ، أي واضحة وروي جلية أي خالية .

التقلقل : التحرك مع اضطراب والقدح : السهم .

والجفير أوسع الكنائن واستحار: أي تردد والمستحير: سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه[١] .

والثقال : جلد يبسط تحت الرحى الصغيرة التي تطحن باليد ليسقط عليه الدقيق ، فاذا كان هذا الجلد مضطربا يتبدد الدقيق الذي هو الغرض من اتخاذ الرحى .

وحم : أي قدر: شخصت : أي ذهبت .

(ع ـ استحار مدارها : أي ثقلت ، ولم يكن لها مدير واستحار، امتلاء ، والأول أليق .

قوله ثم شخصت عنكم[٢]) إنما قال ذلك على تقدير أن لو لم يكن إماما وإلا فلا يجوز للامام أن يخلع نفسه عن الامامة والخلافة ، وميله عليه السلام إلى الشهادة لتحرير[٣] نفسه عن علائق الدنيا والتفاته الى رضوان الله ، وثقته بنيل الكرامة في الأخرى .

* * *

---

١ ـ في ض هنا زيادة وهي : وتحقيق قوله استحار مدارها انها صارت في دورانها لفقد مديرها .

٢ ـ بين الهلالين ساقط في ض .

٣ ـ في ض : لتجريد نفسه .

١١٧ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ، وَإتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحِكَمِ، وَضِيَاءُ الْأَمْرِ، أَلاَ وَإنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ (اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَمَنْ لاَ يَنْفَعْهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ، وَآتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[1]).

أَلاَ وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ، يَجْعَلُهُ ٱللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِن الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لاَ يَحْمَدُهُ.

١١٨ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

---

١ ــ ساقطة من ف ول وش.

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ! أَمَا وَٱللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً: فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ؛ لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلٰكِنْ بِمَنْ؟ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا.

اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ؟ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهُيِّجُوا إلى الجهاد[1] فَوَلِهُوا اللِّقَاحِ[2] إِلَى أَوْلاَدِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً وَصَفًّا صَفًّا؟ بَعْضٌ هَلَكَ وَبَعْضٌ نَجَا! لاَ يُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ، وَلاَ يُعَزَّوْنَ بِالْمَوتَى، مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ، مِنَ الصِّيَامِ، ذُبَّلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غُبْرَةُ الْخَاشِعِينَ، أُولٰئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، (وبالفرقة الفتنة[3]) فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَٱقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَٱعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

---

١ ــ في ب : الى القتال.

٢ ــ في ض وح وب : فولهوا وله اللقاح.

٣ ــ ساقطة من ف ول.

الشرح

اللسان الصالح : الذكر الجميل الذي[١] يبقى في الناس.

قوله عليه السلام هذا جزاء من ترك العقدة :

ع ـ العقدة : بالضم موضع العقد ، وهو ما عقد عليه ، يقال : جبرت يده على عقده أي على عثم[٢].

ناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها :

من أمثال العرب لا تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها يضرب للرجل يخاصم آخر، فيقول اجعل بيني وبينك فلانا ، لرجل يهوى هواه ، التوليه أن يفرق بين المرأة وولدها ، وفي الحديث لا توله والدة بولدها أي لا تجعل والهة وذلك في السباء ويروى على ولدها.

ومرهت العين مرها : اذا فسدت لترك الكحل وعين مرهاء وامرأة مرهاء ورجل امره.

لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى :

ذلك لفرط انقطاع عملهم عن علائق الدنيا وقلة احتفالهم بالموت ، وشدة اشتياقهم الى ما أعد لهم بعده.

ج ـ روي أن معاوية لما أحسّ الظفر لأميرالمؤمنين أمر برفع المصاحف خديعة وقال : نحن إخوانكم نستقبلكم ، ونريد الحكمين فقال أميرالمؤمنين لأصحابه لا تخدعوا بذلك واصطبروا ساعة ينزل النصر فأبوا عليه ذلك وألحوا

---

١ ـ في ض : اللسان الصالح يعني الذكر الجميل. ٢ ـ عثمت يده فعثمت اذا جبرتها على غير استواء.

عليه في استرجاع الأشتر عن المحاربة وقالوا قاتلناك إن لم تجب القوم الى ما اقترحوا عليك من التحكيم، فترك عليه السلام ما عقد العزم عليه من محاربتهم اضطرارا ومداراة فالتبس الأمر على جماعة وقالوا نهيت عن شيء ثم أمرت به فصاروا خوارج .

فقال عليه السلام : كان رأيي ترك التحكيم، وأبيتم إلا ذلك فرجعت الى رأيكم لئلا يختلف الكلمة؛ ولفقد الناصر عليكم .

ونقشت الشوكة من الرجل : استخرجتها بالمنقاش والضلع : الميل والهوى، وميل الشوكة يكون مع جنسها .

والداء الدوي : أي الشديد، وصفه بما هو من لفظه تاكيدا كقولهم ليل أليل .

كلّت : أعيت وتعبت، والنزغة : جمع نازغ وهو من يأخذ الماء باليد من البئر القريبة .

والشطن : الحبل والركية : البئر وجمعه ركى .

ولـــه اللقاح أولادها : أي إذا دعوا الى قبال العدو ركبوا اللقاح؛ وفرقوا بينها وبين أولادها .

والزحف : الجيش يزحفون الى العدو بسكينة، بكثرتهم كزحف الصبي قبل أن يمشي، وزحفا نصب على الحال .

مره العيون : قرحها خمص البطون : ضمرها[1] .

يسنى : أي يسهل اصدفوا : اي انصرفوا .

والنزغ : الافساد والاغراء كنى عن كيد الشيطان بالنفث، اعقلوا اي احبسوا .

* * *

١ ــ ضمر : هزل ودق وقل لحمه فهو ضامر.

١١٩ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامْ

قاله للخوارج، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال عليه السلام: أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّيْنِ؟ فقالوا: منا من شهد ومنا من لم يشهد، قَالَ: فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفَّيْنِ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلاً بِكَلاَمِهِ؛ وَنَادَى النَّاسَ فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْكَلاَمِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويله منه:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمْ ٱلْمَصَاحِفَ ـ حِيلَةً وَغِيلَةً، وَمَكْراً، وَخَدِيعَةً ـ إِخْوَانُنَا، وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا: ٱسْتَقَالُونَا، وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بَنَواجِذِكُمْ، وَلاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعقَ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ. (وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ الْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا وَٱللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا، وَلاَ حَمَّلَنِي ٱللهُ ذَنْبَهَا، وَوَٱللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي

لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمِعَيَ: مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ[١]) فَلَقَدْ[٢] كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ الاباءِ[٣] وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ فَلاَ نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ، وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلاَمِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالاِعْوِجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ ٱللهُ بِهَا شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا؛ رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

---

١ ــ ساقطة من ف وم ون وح ول وش.

٢ ــ في ش: ولقد كنا.

٣ ــ في ض وح وب: على الاباء.

الشرح

قوله عليه السلام: فمن نشدناه شهادة: أي فمن طلبنا منه شهادة حيلة: مفعول له والعامل فيه رفعهم.

اخواننا: أي هم اخواننا، والمبتدأ والخبر كلاهما منصوب المحل بتقولوا.

ع ـ فاذا طعمنا في خصلة: أي رجونا طاعة الانسان لنا في خصلة، رجونا أيضا طاعة في سائر الخصال.

ونشدناه: أي ذكرناه من نشدت له نشدا إذا قلت له نشدتك الله أي سألتك بالله كأنك ذكرته إياه فنشد أي تذكر.

ج ـ التنفيس التضرع الناعق: الناعق في الفتنة المضض: شدة الألم.

ويلم شعثنا أي يجمع التفرق بيننا؛ نتدانى: نتقرب، والبقية الابقاء[1].

* * *

١ ـ في ض هنا سقط وحذف وزيادة وهي: اي اذا رأينا شيئا يكون سببا للالفة واجتماع الكلمة ويقرب به الى البقاء ورعاية الجوانب جرينا على مقتضاه وتمسكنا وامسكنا عن غيره.

١٢٠ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

قاله لأصحابه في ساعة الحرب

وَأَيُّ ٱمْرِىءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَي مِنْ أَحَدٍ مِنْ إخْوَانِهِ فَشَلاً، فَلْيَذُبَّ[١] عَنْ أَخِيهِ، بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ، كَمَا يَذُب عَنْ نَفْسِهِ. فَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ. إنَّ[٢] الْمَوْتَ طَالبٌ حَثيثٌ: لاَ يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلاَ يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ. إنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ، وَالَّذِي نَفْسُ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ مِنْ[٣] مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ (في غير طاعة الله[٤]).

١٢١ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ، لاَ تَأْخُذُونَ حَقّاً، وَلاَ تَمْنَعُونَ ضَيْماً! قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقَ. فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، وَٱلْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ.

---

١ ــ في ر: فليدب بالدال المهملة.

٢ ــ في ش: فان الموت.

٣ ــ في ض وح وب: اهون علي من ميتة.

٤ ــ ساقطة من م وف ون ول وش.

١٢٢ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامْ

في حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ. وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ، وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ، وَرَايَتَكُمْ فَلاَ تُمِيلُوهَا، وَلاَ تُخَلُّوهَا وَلاَ تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ، هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ[١]، وَيَكْتَنِفُونَهَا: حِفَافَيْهَا، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا لاَ يَتَأَخَّرُونَ[٢] عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلاَ يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا.

أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ[٣] قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَايْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ، أَنْتُمْ[٤] لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ. إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللهِ، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ[٥]، وَالْعَارَ الْبَاقِيَ، وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمْرِهِ، وَلاَ مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ. من رائح[٦] إِلَى اللهِ، كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ، الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي، الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ. (وَاللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ[٧]). اللّهُمَّ فَإِنْ

---

١ ــ في ف ون : يحفون راياتهم.
٢ ــ في ب وش : ولا يتأخرون.
٣ ــ في ع : ولم يتكل.
٤ ــ في ض وح وب : وانتم.
٥ ــ في ر : وروي الذل اللازم بالذال والزاء.
٦ ــ في ض وب : الرائح الى الله.
٧ ــ ساقطة من م ون وف ول وش.

رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ؛ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ، وَالْأَقْدَامَ، وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ، وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ[1]، وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ، وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ.

قال الشريف: أقول: الدعق: الدق، أي: تدق الخيول بحوافرها أرضهم، ونواحر أرضهم: متقابلاتها، يقال: منازل بني فلان تتناحر، أي: تتقابل.

الشرح

قوله عليه السلام: وأي امرىء منكم أحس من نفسه رباطة جأش إلى آخره.

ج ـ رباطة الجأش: ثبات القلب.

وليذب: أي ليدفع دفعا شديدا روي بالادغام وفكه.

وكشيش الضباب: صوتها وكشيش الأفعى صوتها من جلدها لا من فيها.

والطريق: أي مع الطريق؛ والمقتحم: الداخل، والمتلوم المنتظر والتلوم: التمكث.

ع: لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش: من قتل بالسيف سلم

---

١ ـ تقفوها الجلائب.

من مرض الموت وسكراته والنزع والخوف وكان مجردا قليل الالتفات إلى الدنيا وعلائقها ومن مات على فراشه فجميع ذلك له بمرصد.

تكشون كشيش الضباب: يشير الى استقبال فتنة يضطرب بها الناس وتفترون عن الجهاد.

والعض على الأضراس، كناية عن تسكين النفس والصبر.

ونبا السيف: لم يمض في الضريبة وأمور: أفعل من مار، أي جاء وذهب.

والذمار: ما وراء الرجل؛ مما يحق عليه أن يحميه وسميت حقيقة لأنه يحق على أهلها الدفع عنها.

يحفون براياتهم: يكتنفونها ويحفظون بها.

وأجزأه: كفاه واللهموم: الجواد من الناس والخيل ولهاميم العرب سادتهم شبههم في علوهم على من عداهم بسنام البعير الذي هو أرفع شيء منه.

والموجدة: السخط والغضب، والفض: التفريق.

والابسال: الاسلام إلى الهلكة، دراك: متتابعة، يطبح: يرمي، يندر: أي يسقط.

تقفوها الحلائب: أي يتبعها الأنصار من بني العم خاصة.

والأعنان: الجوانب وأعنان السماء صفائحها وما اعترض من أقطارها كأنها جمع عنن.

والمسارب: المذاهب، والمسارح: مواضع سرح المال السائم، وسرح يتعدى ولا يتعدى.

عضوا على الأضراس: فانه أنبى للسيوف عن الهام: السكوت أقوى للقلب ومن لوازم ضعف القلب؛ الخوف والصياح والجلبة، وروي يخرج منه

القشم اي الشحم واللحم ، وروي النسم جمع نسمة ، وهي النفس والربو.

والحلبة : بالتسكين خيل يجمع للسباق من كل أوب لا يخرج من اصطبل واحد ويقال للقوم اذا جاءوا من كل أوب للنصرة قد أحلبوا .

ودعقت الخيول والابل : الحوض دعقا اذا حبطته حتى ثلمته من جوانبه ، وخيل مداعيق يدوس القوم في الغارات .

النحيرة : آخر ليلة من الشهر مع يومها ، وكذا الناحر والجمع : النواحر وقيل آخر يوم من الشهر قال الكميت : يصف فعل الأمطار بالديار :

والغيث بالمتألقا * ت من الأهلة في النواحر[1] .

* * *

١ ــ هنا في ض خلط وحذف فاحش وتغيير في الالفاظ .

١٢٣ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في التحكيم

إنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ، وَهٰذَا الْقُرْآنُ إنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلاَبُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وَإنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ، (وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ: (فَإنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى ٱللهِ وَالرَّسُولِ) فَرَدُّهُ إلَى ٱللهِ: أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إلَى الرَّسُولِ أنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ، فَإذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ ٱللهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَنَحْنُ أَوْلاَهُمْ بِهِ[1]).

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لَمِ جَعَلْتُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ، فَإنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ، وَلَعَلَّ ٱللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ الأُمَّةِ، وَلاَ تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ

١ ـــ ساقطة من ل وفي ح: فنحن احق الناس واولاهم بها.

الْغَيِّ إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ[1] ٱللهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ، فَأَيْنَ يُتَاهُ[2] بِكُمْ؟ مِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ؟ ٱسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى[3] عَنِ الْحَقِّ لاَ يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لاَ يَعْدِلُونَ بِهِ! جُفَاةٌ عَنِ الْكِتَابِ، نُكُبٌ عَنِ الطَّرِيقِ، مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا، وَلاَ زَوَافِرَ يُعْتَصَمُ[4] إِلَيْهَا، لَبِئْسَ حُشَّاشُ[5] نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ أُفٍّ لَكُمْ، لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً[6]!! يَوْماً أُنَادِيكُمْ، وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ! فَلاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ.

الشرح

قوله عليه السلام: إنا لم نحكم الرجال، وإنما حكمنا القرآن.

ع ــ يعني إنا أخذنا على الحكمين أن يحكما بحكم القرآن، فمن يشهد له القرآن أنه يستحق الامامة شهادة مجملة غير مفصلة، فعليهما أن ينصباه إماما، فلما لم يفعلا ذلك لم يكن حكمهما نافذا جائزا.

والاكظام: جمع كظم مخرج النفس.

وكرثه الغم: اشتد عليه وبلغ منه المشقة، قال الأصمعي: لا يقال كرثه

---

١ ــ في ش: افضل الناس الى الله.

٢ ــ في ب: اين يتاه بكم، من اين اتيتم وفي ر: فانى يتاه بكم.

٣ ــ في ب: في قوم حيارى.

٤ ــ في ض وح وب: ولا زوافر عز يعتصم اليها.

٥ ــ في ر: وروي خشاش نار الحرب.

٦ ــ في ك: قرحا وفي ر: روي ترحا.

وإنما يقال أكرثه ، وقول أفصح العرب يكذب الاصمعي .

موزعين : أي مغرين .

وزافرة الرجل : انصاره وعشيرته .

وحشاش نار الحرب : الذين يحتشون ومعنى اف الاستقذار، وقيل الاستقلال والاحتقار، وفيه عشر لغات الحركات الثلاث في الفاء بلا تنوين وهي أيضا بالتنوين وافه واف بكسر الهمزة واف بضمها وتسكين الفاء وافي .

والبرح : الشدة والأذى والبرحين من اسماء الداهية ، وأصله البارح الذي يتطير به العرب ، والبارح الريح الحارة والنجا : السرعة والسبق[١] .

ج ـ كانت الصحابة والتابعون يأخذون خشبين على مقدار أجزاء القرآن ، ويجعلون عليهما الجلود بدل التجليد ، والخشبتان وهما الدفتان ، ودف البعير جنباه .

وترجمان : مثل زعفران وضم التاء والجيم أكثر.

ليتبين : أي ليعلم ويتثبت : أي يزداد يقينا ، والتثبيت التأني .

ونكب : جمع نكوب أي عادل مائل .

حششت النار: أي أوقدتها اف لكم أي تبألكم ويروى قزحا : أي حزنا . والنجاء : المناجاة والمسارة .

* * *

١ ـ في ض : وفسره صاحب المعارج بالسرعة والسبق .

١٢٤ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِّي [١] أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ؟ وَٱللهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً، لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ؛ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ ٱللهِ! أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءَ ٱلْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ ٱللهِ، وَلَمْ يَضَعِ ٱمْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلاَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ [٢] إِلَّا حَرَمَهُ ٱللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ [٣]، وَأَلأَمُ خَلِيلٍ.

---

١ ـ في حاشية م : اتأمرونني .

٢ ـ في ب : ولا عند غير اهلها .

٣ ـ في ح ول وش : فشر خليل والام خدين .

الشرح

قوله عليه السلام : اتأمروني أن أطلب النصر بالجور.

ع ـ يعني النصر من عند الله ولا ينصر الله من يظلم عباده .

لا أطور به : أي لا اقربه .

ما سمر سمير : أي أبدا ، والسمير، الدهر أم : أي قصد ويقال للسيارة نجوم : وللثوابت كواكب أراد بذلك أصناف الاتصالات .

ج ـ أتأمروني : أصله تامرونني سكن النون الاولى وادغم في الثانية ، وحسن إلتقاء الساكنين لما بينهما من المدّ نحو الضالين .

لا أطور به : أي لا أدور طواره وحوله ، وطوار الدار، كان ممتدا معها من الفناء .

* * *

١٢٥ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أيضاً للخوارج.

فَإنْ أَبَيْتُمْ إلّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِضَلاَلِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي؟! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَالسُّقْمِ وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَمَ الزَّانِيَ (الْمُحْصَنَ[1]) ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ[2] وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ، وَنَكَحَا ٱلْمُسْلِمَاتِ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ ٱللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ ٱلْإِسْلاَمِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ.

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى

١ ـ ساقطة من م وف ون وع وش.

٢ ـ في ح: قطع يد السارق.

غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفَرِّطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ، وَالْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ ٱللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ. وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ! أَلاَ مَنْ دَعَا إِلَى هٰذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ.

وإِنَّمَا حُكِّمَ[1] الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَامَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الاِجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الاِفْتِرَاقُ عَنْهُ: فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا أتَّبَعُونَا، فَلَمْ آتِ -لاَ أَبَالَكُمْ- بُجْراً، وَلاَ خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلاَ لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا ٱجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى ٱخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لاَ يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ، وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ؛ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا.

١ــ في ش: فانما حكم الحكمان.

الشرح

قوله : النمط : الجماعة من الناس :

بجرا أي شرا وأمرا عظيما والملأ : جماعة من أشراف الناس .

تعديا القرآن : جاوزا أحكامه والصمد : القصد .

ش ـ محب مفرط : يعني من غلا في محبته حتى رفعه عن محل الامامة الى درجة النبوة أو الالهية ، نعوذ بالله من ذلك .

ومبغض مفرط : يعني الخوارج والنصاب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي يا علي مثلك مثل المسيح هلك فيه النصارى لغلوهم فيه ، واليهود لبغضهم إياه وقد أحسن الشاعر حيث قال .

لا خير في الافراط والتفريط * كلاهما عندي من التخليط

والنمط : الجماعة من الناس أمرهم واحد .

والسواد الأعظم : كل عدد كثير لأنه يرى أسود من بعيد أي ألزموا ما أجمع عليه الامة الذين فيهم الحجة ونحن نوافق مخالفينا في أن الاجماع حجة إلا أنا نخالفهم في علة ذلك ، ودليله فان عندنا حقيته لاشتماله على قول معصوم مبرأ من الخطا والزلل قولا وفعلا ، وعندهم لما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا تجتمع امتي على الضلالة وفي ذلك كلام يطول ذكره موضعه كتب أصول الفقه .

ويد الله : ستره وحفظه ومعونته على الجماعة أي على الذين اجتمعوا

على الدين الحق والامام الحق.

والشاذ من الناس للشيطان: لأنه لا يكون له مانع من ظاهره يمنع باطنه عن قبول الوسوسة بالمواعظ، وذكر الله، وقولهم.

لا ابالك: ولا ام لك، يقال ذلك في الذم والمدح أما الذم فالمعنى لا أم لك تقرعينها بك ولا أم لك معروفة يعني أنت لقيط أو من سفاح وأما المدح فلا ام لك أي أنت منفرد في هذا الأمر لا نظير لك كأنك لم يلدك ام، أو لا ام لك يشينك ولا أب لك يورثك خزيا وعارا أو لا أب لك يكفلك، بل لا كافي لك إلا أنت.

كأني به اراد صاحب الزنج؛ وهو علي بن محمد العلوي البرقعي الذي اجتمع عليه الزنج وخرَّب البصرة.

* * *

١٢٦ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة

يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي[١] بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لاَ يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلاَ لَجَفٌ، وَلاَ قَعْقَعَةُ لُجُمٍ، وَلاَ حَمْحَمَةُ خَيْلٍ يُثِيرُونَ ٱلْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ.

يومي ء بذلك إلى صاحب الزنج. ثم قال عليه السلام: وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ، والدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ[٢] الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ. مَنْ أُولئِكَ الَّذِينَ لاَ يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلاَ يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ؟ أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا.

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمِجَانُّ الْمُطْرَقَةُ؛ يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ.

فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أميرالمؤمنين علم الغيب!

---

١ ــ في م: كأني انظر به.

٢ ــ في ش: ودوركم المزخرفة.

فضحك عليه السلام، وقال للرجل وكان كلبياً:

يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ! وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَ ٱللهُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ ٱللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) الآيَةَ فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ: مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مَرَافِقاً، فَهٰذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا ٱللهُ، وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ ٱللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.

الشرح

اللجب: الصياح شبه الدور بجناح النسر لكثرة نقوشها وبخرطوم الفيل لطولها المهندم[١].

لا يندب أي لا يناح، وكببته لوجهه فأكب أي صرعته فانصرع وهو على خلاف القياس.

قادرها أي مقتدرها المجان: جمع المجن وهو الترس.

واطرقت النعل ظاهرتها بأخرى وروي المطرقة وهي التي يطرق بعضها على بعض كالنعل، وترس مطرق اذا كان بعضه فوق بعض.

السرق: شقق الحرير، يعتقبون أي يحسبون والعتاق، العراب[٢] وكرائم

١ ــ يقال: شيء مهندم اي مصلح على مقدار، وله هندام بالكسر وهو معرب اصله بالفارسية اندام بالفتح مثل مهندس واصله اندازة.

٢ ــ في الحديث خيلا عرابا: اي عربية منسوبة الى العرب فرقوا بين الخيل والناس فقالوا: في الناس عراب

الخيل .

واستحر القتل وحر : أي اشتد ، وأفلت : يتعدى ولا يتعدى أي خلص من الاسر أو خلص غيره .

علم الساعة : أي علم قيام الساعة وروي أن ابابكربن عياش[1] دخل على موسى بن جعفر عليه السلام وقال له رأيت البارحة كأني قلت لك كم بقي من عمري فرفعت إليَّ كفك اليمنى مفرجاً أصابعها الخمس مشيرا بها إليّ ولا أدري أردت بذلك خمس سنين أو خمسة أشهر أو خمسة أيام .

فقال : ذلك إشارة الى خمسة أشياء التي هي : قوله تعالى : إن الله عنده علم الساعة[2] الآية ، فكأني قلت لك : الذي سألت عنه علم غيب لا يعلمه إلا الله ، ودعا لي بأن يعيه صدري .

روى مكحول[3] أن النبي صلى الله عليه وآله لما أنزل قوله تعالى : وتعيها أذن واعية[4] قال : اللهم اجعلها اذن علي ثم قال عليه السلام فما سمعت شيئا من رسول الله صلى الله عليه وآله فنسيته ، ووعيت الشيء حفظته .

تضطم ، يجتمع يفتعل من الضم جوانحي : أضلاعي .

واعراب وفي الخيل : اعراب .

١ ـــ ابو بكر بن عياش الاسدي الكوفي احد الراوين عن عاصم ، قيل : اسمه شعبة وقيل سالم ، كان من الزهاد الورعين والاخيار المتعبدين ومن ارباب الحديث والعلماء المشاهير، حكي انه ختم القرآن اثنى عشر الف ختمة ، وهو الذي رد على موسى بن موسى ما صدر من أمره بكرب قبر الحسين عليه السلام وزرعه فنهاه ابن عياش ، فشتمه موسى وامر بضربه وحبسه مات سنة ١٩٣ .

٢ ـــ الزخرف : ٨٥ .

٣ ـــ مكحول الشامي ابوعبد الله ويقال ابو ايوب وابومسلم الفقيه الدمشقي روى عن النبي صلى الله عليه وآله مرسلا وروى عن جماعة من الصحابة ، قال عثمان بن عطاء : كان مكحول اعجميا وكل ما قال بالشام قبل منه وقال ابن خراش شامي صدوق وكان يري رأى القدر مات سن ١١٢ .

٤ ـــ الحاقة : ١٢ .

ش ـ شبه جدران القصور بنسور الأجنحة لبياضها، والأبراج المدورة المبنية في السكك بخراطيم الفيلة.

لا يندب قتيلهم: وصف لهم بشدة البأس والحرص على الحرب والقتال فانهم لا يبالون بالميت والقتيل، وهذا كما سبق من قوله لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى.

وناظرها بعينها: أي بعين الحب أن ينظر اليها بها.

المطرقة التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة المخصوصة يعني بذلك صلابة وجوههم وتشنجها[١].

والسرق: شقق الحرير قال أبو عبيد: إلا أنها البيض واحدتها سرقة، قال: وأصلها بالفارسية سره أي جيد فعربوه كما قالوا برق[٢] للحمل ويلمق[٣] للقباء.

أخبر عليه السلام عما جرى بين العرب والترك من المحاربات أو لها يوم بيشنك[٤] وهو منزل قريب الى نيسابور مصاف كان بين الترك والعرب في أيام عبد اللهبن الزبير[٥]، ومصاف بين الترك والعرب في أيام قتيبةبن

---

١ ـ تشنجت الاصابع: انقبضت.

٢ ـ في ض: يرق للحمل.

٣ ـ اليلمق: القباء المحشو.

٤ ـ كذا وبيشك قصبة كورة رخ من اعمال نيسابور.

٥ ـ عبد الله بن الزبيربن العوام امه اسماء ذات النطاقين بنت ابي بكر، كان من المغضبين لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وروي انه بقي اربعين يوما لا يصلي على النبي صلى الله عليه وآله في خطبته. فقال ان له اهل بيت سوءاذا ذكرت اشرأبت نفوسهم اليه وفرحوا بذلك فلا احب ان اقر أعينهم بذلك قتله الحجاج سنة ٧٣.

مسلم[١] وغير ذلك من الملاحم والمغازي .

يا أخا كلب : يقول العرب فلان أخو فلان أي صاحبه ، ويقال لمن يلزم شيئا هو أخوه قال الاعشى :

اليس : أخو الموت مستوثقا .

أراد القدر وأخو القوم أحد أقربائهم في النسب ، قال تعالى : والى ثمود أخاهم[٢] صالحا .

وتضطم : اي يشتمل .

* * *

١ ــ قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي امير خراسان من جهة الحجاج بن يوسف زمن عبد الملك بن مروان وهو الذي افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى وتولى خراسان بعد ان عزل عنها يزيد بن المهلب بن ابي صفرة وبقي الى زمن سليمان وخرج عليه ، فقتله وكيع بن حسان الذي كان عزله قتيبة عن رياسة بني تميم فقتل بفرغانة سنة ٩٦.

٢ ــ هود : ٦١ .

١٢٧ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في ذكر المكائيل والموازين.

عِبَادَ ٱللهِ، إنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ، أَجَلٌ مَنْقُوصٌ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ، فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيِّعٌ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ[١]. وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لاَ يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إلَّا إدْبَاراً، وَالشَّرُّ فِيهِ إلَّا إقْبَالاً، وَالشَّيْطَانُ فِي هَلاَكِ النَّاسِ إلَّا طَمَعاً. فَهٰذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ. اِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ: هَلْ تُبْصِرُ[٢] إلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ ٱللهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلاً ٱتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ ٱللهِ، وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ[٣] عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً؟ أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ؟ وَأَحْرَارُكُمْ[٤] وَسُمَحَاؤُكُمْ؟ وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ؟ وَهَلْ خُلِقْتُمْ[٥] إلَّا فِي

---

١ ــ في ش: خاسر قد اصبحتم.
٢ ــ في ش: هل تنظر.
٣ ــ في ش: كان باذنيه.
٤ ــ في ش: واين احراركم.
٥ ــ في ب: ولا خلقتم.

حُثَالَةٍ، لاَ تَلْتَقِي بِذَمِّهِمْ الشَّفَتَانِ اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ: ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلاَ مُنْكَرٌ مُغَيِّرٌ، وَلاَ زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ! أَفَبِهٰذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا ٱللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ؟ وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟! هَيْهَاتَ! لاَ يُخْدَعُ ٱللهُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلاَ تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ ٱللهُ الآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام: عباد الله إنكم وما تأملون من هذه الدنيا أثوياء إلى آخره.

الاثوياء: جمع ثوي على فعيل وهو الضيف كقوي وأقوياء وفي حديث أبي هريرة أن رجلا قال: تثويته أي تضيفته.

ومدينون: من الدين الذي هو القرض.

فهل تبصر إلا فقيرا: إلى آخر الكلام، يعني لا ترى أحدا إلا مشتغلا بشيء، فالفقير بسوء الحال، والغني بالجمع، والبخيل بالمنع، والمتمرد بالغرة والتمرد والاستنصار، وجميع ذلك حجب العباد عن تحصيل رضوان الله.

المتورع في مكاسبه: لا يكسبه إلا ما يسد خلل جوعه فيتفرغ لتحصيل مرضاة الله في سائر أوقاته.

الحثالة: ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر فكأنه الردي من كل شيء.

لا منكر مغير: أي لا ينكره إلا ضعيف لا يقدر على التغيير.

ومجاورة الله : عبارة عن مقامات أولياء الله في دار الجزاء والدرجات العلى ، والمجاورة الجسمية على الباري تعالى مستحيلة .

الثوي الضيف الذي يقيم ليلة واحدة .

يكابد : يقاسي[1] المتمرد : العاصي والقدس : الطهر اسم ومصدر .

لا يخدع الله : لأنه يعلم السر وما أخفى .

* * *

١ ــ قاسى الالم : كابده وعالج شدته .

١٢٨ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لأبي ذر رحمه الله لما أُخرج إلى الربذة

يَا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ غَضِبْتَ للهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً، وَالْأَكْثَرُ حُسَّداً؟؟! وَلَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ[1] وَالْأَرْضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللهَ لَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً، لاَ يُؤْنِسَنَّكَ إلاَّ الْحَقُّ وَلاَ يُوحِشَنَّكَ إلاَّ الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ[2] مِنْهَا لَأَمِنُوكَ.

الشرح

قوله رتقا: في كتاب الغريبين كانتا رتقا أي منضمتين لا فرجة بينهما ففتقنا: بالمطر، بالنبات، وقال الأزهري: أراد كانت سماء مرتفعة وأرضا مرتتقة، ففتق الله السماء فجعلها سبعا ومن الارض مثلهن[3].

* * *

١ ــ في ب: ان السماوات والارض.

٢ ــ في ن: ولا قرضت وفي م: وان قرضت.

٣ ــ في ض: ولو ان السماوات والارض كانتا رتقا اي مضمتين مشدودتين بحيث لا منون له منهما ولا مخرج،

١٢٩ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ! أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الأَسَدِ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ، أَوْ أُقِيمَ آعْوِجَاجَ الْحَقِّ.

اللّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلاَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلٰكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ.

اللّهُمَّ إنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ: لَمْ يَسْبِقْنِي إلاَّ رَسُولُ آللهِ ـ صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالصَّلاَةِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْفُرُوجِ[1]، وَالدِّمَاءِ، وَالْمَغَانِمِ وَالأَحْكَامِ، وَإمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ؛ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلاَ الْجَاهِل فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ،

والرتق نقيض الفتق ولو قرضت منها اي لو اكلت من دنياهم يقال: قرضت الفارة الثوب اذا اكلته وعبر عن اخذ الدنيا بهذه العبارة تحقيراً للدنيا وحطامها.

١ ــ في ض وب: ان يكون الوالي على الفروج.

وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا الْخَائِفُ[1] لِلدُّوَلِ، فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلاَ الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلاَ الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ.

الشرح

أظأركم على الحق: يقال ظأرت الناقة ظأرا أي عطفتها على ولد غيرها، وفي المثل الظعن[2] يظأره أي يعطفه على الصلح، وقد يوصف بالظؤار الاثافي لتعطفها[3] على الرماد.

سرار الشهر: آخر ليلة منه واستسر القمر أي خفي ليلة السرار والسرار المسارة من السر وسرار جمع سرر الكف والجبهة.

فيقف بها دون المقاطع: مثاله أن يسمع شهادة أحد الشاهدين بتحكم قبل شهادة[4] الثاني أو يحكم بشهادة الاثنين قبل التزكية.

سرار العدل: أي في سرار فحذف حرف الجر ووصل الفعل، وقيل معناه هيهات أن أطلعكم مستضيئين ليستنير بكم العدل، أي أضيء بطلوعكم سرار العدل أي ظلمة ليلة.

والمنافسة: الرغبة والحطام: مال الدنيا وفلان منهوم: بكذا أي مولع به.

دولة بينهم: أي يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا.

١ــ في ح وب: ولا الحائف.

٢ــ الظعن: النساء واحدتها ظعينة، وهي في الاصل الراحلة التي يرحل ويظعن عليها اي يسار وقيل: للمرأة ظعينة لانها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، او لانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت.

٣ــ الاثافي جمع أثفية وقد تخفف الياء في الجمع وهي الحجارة التي تنصب وتجعل القدر عليها.

٤ــ في ض: فيحكم قبل شهادة الثاني.

الحائـف : وروي بالخاء المعجمه وهو الصحيح .

ش ـ إطلع بكم سرار العدل[١] : أي هيهات أن ظهر بمعونتكم ما خفي .

واستسر من أقمار العدل وأنواره ثم عدد عليه الصفات التي ينبغي أن يكون الامام مبرأ منها ومتصفا بأضدادها تنبيها على أنه هو الامام الذي يطلق عليه هذا الاسم حقيقة وأضداد تلك الصفات هي السخاء .

كان أميرالمؤمنين في هذه المنزلة بحيث نزل فيه وفي ذويه على أصح الروايتين ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[٢] ويطعمون الطعام على حبه[٣] .

الثاني العلم ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وقال علي أقضاكم وقال علي عليه السلام : سلوني عما دون العرش ، وقال علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم فتح في كل باب ألف باب .

الثالث : اللين والرفق بالمؤمنين وقال تعالى في حقه : أذلة على المؤمنين .

الرابع : العدل ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : كفي وكف عليّ في العدل سواء .

الخامس : الشجاعة ، وكفى برغائها[٤] مناديا .

ومـن رام حصـر مـعالـى علـيّ * كمن صبَّ بـالكف مـاء البحار

---

١ ـ في ض : سرار الحق معناه اي هيهات .

٢ ـ الحشر : ٩ .

٣ ـ الانسان : ٨ .

٤ ـ الرغاء : صوت الابل .

١٣٠ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَٱبْتَلَى، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، وَالْحَاضِرُ[١] لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ، شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلاَنَ وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

منه: فَإِنَّهُ وَٱللهِ الْجِدُّ لاَ اللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لاَ الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ، فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ فَقَدْ رَأَيْتَ[٢] مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ، وَحَذِرَ الإِقْلاَلَ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ؛ طُولَ أَمَلٍ، وَٱسْتِبْعَادَ أَجَلٍ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ وَمَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ حَمْلاً عَلَى الْمَنَاكِبِ، وَإِمْسَاكاً بِالأَنَامِلِ، أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُؤَمِّلُونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً، وَيَجْمَعُونَ (كَثِيراً[٣])، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، وَمَا جَمَعُوا بُوراً، وَصَارَتْ[٤] أَمْوَالُهُمْ

---

١ ــ في ش: خفية، الحاضر.

٢ ــ في م ون وح: وقد رأيت.

٣ ــ ساقطة من ن وفي ش كثيرا اصبحت.

٤ ــ في ش: فصارت.

لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لاَ فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلاَ مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ؟! فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ، وَفَازَ عَمَلُهُ، فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ، وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ.

الشرح

قوله عليه السلام: نحمده على ما أخذ وأعطى فلا يغرنك سواد الناس من نفسك.

أي كثرتهم يعني لا يقولون في الناس كثرة[1] فلعله أعفى عن الموت فلا يصل إلى نوبته فان هذا اغترار.

برز مهله: أي ظهر توديه[2]، من قوله: وبرزت[3] الجحيم أي ظهرت، وقيل: معناه إن عمره كان سابقا غيره من الأعمار، كالشجاع، والمبرز أسبق قرانه وفاق أهل زمانه.

اهتبلوا: اغتنموا على أوفاز: أي على عجلة جمع وفز، وقيل: على سفر قال الراجز:

أسوق غيرا مائل الجهاز * صعبا ينزيني على أوفاز[4]

ولا يقل على وفاز والزيال: المفارقة.

والظهر: الركاب على ما أبلى: يعني كالمال[5] والصحة والشباب.

١ ــ في ض: فلعلي اعفي.

٢ ــ كذا.

٣ ــ الشعراء: ٩١.

٤ ــ البيت في تاج العروس ذكره في وفز.

٥ ــ في ض: يعني النعم كالمال والصحة.

وما ابتلى به : كالمرض والفقر والمشيب وكل ذلك يفعله تعالى بحسب المصلحة ، فكذلك يستحق الشكر على الجميع .

من نفسك : من يتعلق بمضمر أي غادرا من نفسك ش : ويجوز أن يكون ضمن يغرنك : معنى يذهلنك ، فلذلك عداه الى المفعول الثاني بمن كما ضمن الشاعر هيجني معنى ذكرني حيث قال :

إذا تغنى الحمام الورق هيجني * ولو تعزيت عنها ام عمار

طول أمل : قال هو يدل على قوله : من كان قبلك وهذا بعيد جدا لأنه لا يجوز أن يكون بدل الكل من الكل ، ولا بدل الجزء من الكل لأن طول الامل ليس من كان[1] ولا بعضه ، ولو جعل في حكم بعضه مجازاً للزم أن يكون في الثاني ضمير الأول كما تقول ضربت زيدا رأسه وكذلك لو جعل بدل الاشتمال لوجب أن يكون فيه ضميرا وما سد مسدّه وليس كذلك .

ثم من حكم البدل عند الأكثرين أن يجعل المبدل منه في حكم الساقط ، وتقدير سقوطه هنا يفسد الكلام في البدل الغلط[2] يكون المبدل منه أولى بالسقوط اذا[3] لا يسد معنى الكلام والذي يقتضيه سياقة الكلام أن يكون التقدير لطول أمل فلما نزع الخافض وصل الفعل الذي هو جمع ، وما بعده اليه فنصبه .

لو لا ما ذكرته في كتاب الدرر في دقائق النحو أن من شرائط المفعول له أن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل لقلت : أن قوله : طول أمل : مفعول له ولو قال مقام طول إطالة لكان كذلك لا محالة وشرائط المفعول[4] كما ذكرت في كتابي المقدم ، ذكره قلت : أن يكون مصدرا أو فعلا لفاعل الفعل المعلل ومقارنا له في الوجود فان فقد شيء من ذلك يدخل اللام ، وكل

١ ــ في ض : ليس نفس من كان .
٢ ــ في ض : في بدل الغلط .
٣ ــ في ض : واذا سقط لا يسد .
٤ ــ في ض : وشرائط المفعول له كما ذكرت .

الشروط حاصلة في قوله :

واستبعاد اجل : إلا أنه لما عطف على طول : كانا مقرونين في قرن .

وما جمعوا بورا : أي هالكا يقال : رجل بور، وامرأة بور، قال أبو عبيدة : قوم بور أي هلكى جمع بائر كجائل، وجول .

يستعتبون روي على لفظ المجهول، والمعلوم واستعتب جاء بمعنى أرضى واسترضى .

أشعر التقوى قلبه : أي جعل خوف الله شعار قلبه .

برز مهله : روي بنصب اللام ورفعه فمن نصب يكون برز من قولهم برزت الشيء أي أظهرته[1]، ومن رفع يكون من قولهم : برز الرجل أو الفرس اذا فاق وسبق أقرانه وانقادت له : أي لله تعالى وإنما ذلك بمنزلة الحكمة اشارة الى كتاب الله كما فسره فيما بعد .

* * *

١ ــ في ض : و برزت الجحيم اي ظهرت .

١٣١ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وَٱنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَآتَتْ[١] أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ.

منها: وَكِتَابُ ٱللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لاَ يَعْيَى لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لاَ يُهزَمُ أَعْوَانُهُ[٢].

منها: أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ ٱلْأَلْسُنِ، فَقَفَّىٰ بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي ٱللهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ.

منها: وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الأَعْمَى، لاَ يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، وَالْبَصِيرُ يُنْفِذُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالْبَصِيرُ مِنهَا شَاخِصٌ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ.

منها: وَٱعْلَمُوا أَنْ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ

---

١ ـ في ف: واتت بكلماته.

٢ ـ في ب: لا تهدم اعوانه.

يَشْبَعَ[١] مِنْهُ وَيَمَلَّهُ، إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لاَ يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا الْغِنَىٰ كُلُّهُ وَالسَّلاَمَةُ: كِتَابُ ٱللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيُنطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَخْتَلِفُ فِي ٱللهِ، وَلاَ يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ ٱللهِ.

قَدِ ٱصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الآمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الأَمْوَالِ، لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ وَتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، وَٱللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

الشرح

ع ـ البصير منها شاخص، شخص بالفتح شخوصا: ارتفع وشخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف وسهم شاخص إذا جاوز الغرض فقوله: منها شاخص أى مرتفع ومجاوز اليها شاخص أى ناظر وأراد بالأعمى: أعمى القلب كما قال تعالى: فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور[٢]، لأن أعمى العين لا يكون ناظرا يعني من علم أن الدنيا دار فناء علق قلبه بدار البقاء، وتحصيل رضوان الله.

وينفذها بصره: أي مجاوز الدنيا كما جاوز السهم الهدف، ومن خدعته

---

١ ـ في ب: صاحبه ان يشبع منه.

٢ ـ الحج: ٤٦.

زخارف الدنيا ركن إليها وأعرض عن الآخرة لجهله بها، فكنى بالبصير عن العالم، وبالأعمى عن الجاهل.

والبصير منها **متزوّد**: لأنها مزرعة الآخرة، ومنزل التكليف، قال تعالى: وتزودوا فان خير الزاد التقوى[١].

والأعمى لها متزود أي جعل جميع سعيه لمنافع الدنيا ولذاتها لأنها مطلبه.

قوله ليس من شيء إلا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله الا الحياة لا تجد أحدا يمل الحياة، هو كما قال عليه السلام: ومن يتبرم[٢] منها إنما يتبرم مما يعتريه فيها، من المرض والهم والهرم والنكبة. ألا ترى **الشاعرقال**: **سَئِمْتُ** تكاليف الحيوة ومن[٣] يعش.

قوله: فانه لا يجد له في الموت راحة: أراد به الهالك في الآخرة لا المؤمن، فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله قلت: وظاهر كلامه أنه أراد للعموم فان بالموت يفوت متجر الآخرة ومربحها، ثم إن المعارف لما لم تكن ضرورية: فالمرجع والمآب لم يعثر على كيفية بالتفصيل وباب الخوف بعد لم ينسد والشقة بعيده سخيفة وبحار الخطرات عريضة عميقة (فبالحري أن يخاف العاقل الموت ويعاف مشرعه **إلّا من**، بلغ بصيرته بحيث قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا[٤]).

لأمر ما بكى السبط الأكبر الحسن بن على عليهما السلام في أوان سفره إلى الآخرة على ما روى حتى قال أخوه الحسين عليه السلام (ما لي أراك

---

١ ــ البقرة: ١٩٧.

٢ ــ تبرم: تضجر.

٣ ــ في ض: سمت تكاليف الحيوة ولم يقل سمت الحيوة.

٤ ــ ساقط في ض.

تكاد تجزع مع تيقنك بأنك تقدم حيث تقدم على جدك وأبيك وأمك، فقال[١]: نعم يا أخي لا أشك في ذلك إلا أني سالك مسلكا لم أسلكه من قبل[١].

قال في القرآن: إنه بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت[٣].

أصل الحكمة: المنع ومنه حكمت اللجام لأنها تمنع الدابة من الاعوجاج، ومنه احكموا سفهاءكم أي أمنعوهم من التعرض لي، والحكمة[٤]: عند العرب ما منع به من الجهل وسمي الحاكم حاكما لأنه يمنع الظالم والحكمة إصابة الحق، ووضع الشيء في موضعه، حتى لا يشوبه زلل ولا خلل، وهي ما تمنع من الباطل ويقوّم الانسان، وهي معشوقة للحقيقة الانسانية.

قيل: سميت بذلك لأنها ممنوعة إلا عمن يستحقها ويعرف قدرها لا يختلف في الله، يعني أنه يتفق فلا تناقض فيه.

ولا يخالف بصاحبه من الله: أي ليس فيه تلبيس ولا تعمية ولا اشتباه يتعذر حله حتى يضل عند صاحبه عن الحق بل يؤدي بالمؤمن إلى درك الحق وصميم الهدى، فمن يضل عن الحق فانما يضل عن القرآن لا بالقرآن.

والدمنة آثار الدار وما سوروا والجمع الدمن وما نبت على الدمن لا اصل له ولا يبقى إلا اياما قلايل والدمنة: الحقد والجمع الدمن أيضا قيل هذه إشارة إلى الاستمرار على الأحقاد، والغل والحسد وبناء المعاشرة بينهم على هذه الجملة، وإنما ينبت المرعى على بقعة اذا استمرت على حالة واحدة برهة من الزمان.

* * *

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض.　　٢ ــ في ج وم: من قيل قال في القرآن.

٣ ــ في ض: انما ذلك بمنزلة الحكمة اشارة الى كتاب الله كما فسره فيما بعد وأصل الحكمة.

١٣٢ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وقد شاوره عمربن الخطاب

في الخروج إلى غزو الروم بنفسه

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللهُ لِأَهْلِ هٰذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ، وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لاَ يَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لاَ يَمْتَنِعُونَ؛ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هٰذَا ٱلْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ[١] فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ لاَ تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ[٢] دُونَ أَقْصَى بِلاَدِهِمْ، لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ[٣] رَجُلاً مِحْرَباً، وَٱحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلاَءِ وَالنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ[٤] ٱللهُ فَذَاكَ مَا تُحِبَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ، وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

---

١ ــ في حاشية م : بشخصك.

٢ ــ في ح وف : للمسلمين كهف.

٣ ــ في ش : فابعث عليهم.

٤ ــ في م : فان اظفر الله.

الشرح

شاوره عمر في الخروج إلى الروم.

ع ـ وذلك حين خرج قيصر الروم مع جماهير الروم، وانزوى خالدبن الوليد[١] ولازم بيته وصعب الأمر على ابي عبيدةبن الجراح[٢] وشرحبيل بن حسنة[٣] وغيرهما من أمراء السرايا.

توكل: أي ضمن الحوزة: الناحية، وحوزة الملك بيضته[٤].

المحرب: الذي يشتاق الى الحرب والحفز: السوق يقال: الليل يحفز النهار أي يسوقه.

البلاء: الاختبار يكون بالخير والشر مثاب ومثابة كمقام ومقامة أي

---

١ ـ خالد بن الوليد بن المغيرة ابو الوليد القرشي المخزومي وقد اختلف في وقت اسلامه وهجرته قيل هاجر بعد الحديبية وقيل خيبر، ولما فتح رسول الله مكة بعثه الى بني جذيمة من بني عامر بن لؤي فقتل منهم لم يجز قتله فقال النبي صلى الله عليه وآله: اللهم إني ابرأ اليك مما صنع خالد، وله الاثر المشهور في قتال الفرس والروم وافتتح دمشق مات سنة ٢١.

٢ ـ ابو عبيدة بن عبد الله بن الجراح نسب الى جده واسمه عامر وهو من بني الحارث بن فهر قال الواقدي، كان رجلا نحيفا معروق الوجه خفيف اللحية طويلا، وكان يخضب بالحنا ومات ابو عبيدة بالشام في طاعون عمواس في سنة ١٨ ولا عقب له.

٣ ـ شرحبيل بن حسنة وهي امه واسم ابيه عبد الله بن المطاع الكندي وكان حليفا لبني زهرة، اسلم قديما وهاجر الى الحبشة، فلمارجع نزل في بني زريق في ربعهم وسيره ابوبكر وعمر على جيش الى الشام ولم يزل واليا على بعض نواحي الشام الى ان هلك في طاعون عمواس سنة ١٨.

٤ ـ بيضة القوم: مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم، وبيضة الدار: وسطها ومعظها.

معادو مرجع من ثاب يثوب أى رجع .

كانفة : أى ساحة حافظة من كنفته أى حفظته وجاز وقوع النكرة اسما لكان لأنه وصف بدون أقصى بلادهم وتقدهم الخبر أيضا[1] .

احفز: أي دفع ردأ : أي عونا .

* * *

١ — في ض هنا زيادة وهي : قلت الكنف كما ذكر الحفظ قال صاحب العين : يكنفه الله تعالى اي يرعاه ويحفظه واكنفته اي أعنته في الديوان الكنف الصوان واكنف الرجل اي اعانه والتاء فيه يحتمل ان يكون المبالغة كما يقال رجل داوية علامة ونسابة اي ان نصبك من العدو لم يكن للمسلمين خاصة مثلك .

١٣٣ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

قد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة ابن أخنس لعثمان: أنا أكفيكه، فقال أميرالمؤمنين عليه السّلام:

يَا ٱبْنَ اللَّعِينِ الأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لاَ أَصْلَ لَهَا، وَلاَ فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي؟ فَوَٱللهِ مَا أَعَزَّ ٱللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلاَ قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ؛ أُخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ ٱللهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ٱبْلُغْ جَهْدَكَ فَلاَ أَبْقَى ٱللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ.

١٣٤ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً؛ وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً: إِنِّي أُرِيدُكُمْ[1] للهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونِي لِأَنْفُسِكُمْ! أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَٱيْمُ ٱللهِ لَأُنْصِفَنَّ[2] الْمَظْلُومَ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ، حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً.

---

١ ــ في ك: اني اريدكم وانتم.

٢ ــ في ض وب: لانصفن المظلوم من ظالمه.

الشرح

قوله عليه السلام ابعد الله نواك [١]: أي من صحبك، يقال نواك الله أي صحبك في السفر والحضر، والأصح أي يقال: أبعد الله نواك أي سفرك ويدل عليه قوله عليه السلام اخرج عنا والنوى: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد وهي مؤنث لا غير وأبقيت على فلان أي رعيت عليه ورحمته، والاسم منه البقيان إن أبقيت يعني ابقيت على.

ابعد الله تواك: أي خيرك يعني به نوء النجم.

* * *

قوله عليه السلام لم يكن بيعتكم اياي فلتة.

أي فجأة لا عن تدبر وتفكر وتردّد كما كانت بيعة عتيق لشهادة صاحبه بذلك حيث، قال كانت بيعة أبي بكر فلتة وقانا الله شرها فمن عاد مثلها فاقتلوه.

انا اريدكم لله (أي لا أطلب بقدمي عليكم بسبب رياسة وطلب منفعة دنياوية وانما اريدكم) لأهديكم وأودبكم واهذبكم، واقيم بينكم حدود طلبا لمرضاته تعالى.

أعينوني على أنفسكم: أي على شهواتكم ونتائج هواكم، بمتابعة عقولكم.

الخزامة: حلقة من شعر يجعل في وترة أنف البعير، فيشد فيها الزمام.

* * *

١ — في ض هنا زيادة وهي: ابعد الله نواك: النؤ من انوار النجوم التي يستمطر بها العرب وماء المطر مطلوب العرب ومن دعى عليه قيل له ابعد الله نواك اي طلوع النجم الدال على وقوع المطر، ثم استعير بحرمان الرجل عن مراده ومطلبه وروي نواك والنوى الفراق اي ابعد مكان فراقك عنا او عما تحب وتهوى.

١٣٥ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهُ السَّلامْ

في معنى طلحة والزبير

وَٱللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلاَ جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفاً، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً[1] تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ؛ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ[2] مِنْهُ؛ وَإِنْ كَانُوا وُلُّوهُ دُونِي فَمَا الطَّلْبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ[3]، وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي: مَا لَبَّسْتُ وَلاَ لُبِّسَ عَلَيَّ، وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَا وَالْحُمَةُ، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ، وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ، وَٱيْمُ ٱللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ: لاَ يُصْدِرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، وَلاَ يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ.

منه: فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلاَدِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ!! قَبَضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُمُوهَا، اللّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي،

---

١ ـــ في ح وض وب ول : حقاً هم تركوه .

٢ ـــ في ف : فان لهم لنصيبهم .

٣ ـــ في م : الا قبلهم ولا التبعة الا لهم .

وَنَكَثَا بَيْعَتِي ، وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ ، فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا ، وَلاَ تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَماً ، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلا وَعَمِلا ، وَلَقَدْ اسْتَثْبَتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ ، فَغَمَطَ[1] النِّعْمَةَ ، وَرَدَّ الْعَافِيَةَ .

الشرح

قوله عليه السلام لا جعلوا بيني وبينهم نصفا النصف : النصفة اسم من الانصاف قال الفرزدق[2] :

١ــ في ع : وغمط النعمة .

٢ــ ابو فراس همام بن غالب بن صعصعة المعروف بالفرزدق الشاعر المشهور، كان ابوه من اجلة قومه وسراتهم سيد بادية تميم وكان الفرزدق يجير من استجار بقبر ابيه ، واخبار الفرزدق مع الشعراء والخلفاء والامراء كثيرة مذكورة في كتب الشعراء واهل الادب .

قال ابن خلكان : وتنسب اليه مكرمة يرجى له بها الجنة وهي انه لما حج هشام بن عبد الملك في ايام ابيه فطاف وجهد ان يصل الى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس اليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من اهل الشام .

فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وكان من احسن الناس وجها واطيبهم ارجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلم ، فقال رجل من اهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة .

فقال هشام : لا اعرفه مخافة ان يرغبَ فيه اهل الشام فيملكوه ، وكان الفرزدق حاضرا فقال : انا أعرفه فقال الشامي من هو يا ابا فراس فقال :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحل والحرام
هذا ابن خير عباد الله كلهم   هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله   بجده انبياء الله قد ختموا
فليس قولك من هذا بضائره   العرب تعرف من انكرت والعجم

الى آخر الابيات المذكورة في وفيات الاعيان ولما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق وانفذ له زين العابدين اثني عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله تعالى لا للعطاء فقال : انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نستعيده فقبلها .

ولكن نصفا لو سببت وسبني * بنو عبد شمس من مناف وهاشم

قوله : وحقا تركوه من أعان على سفك دم ثم طالب[١] غيره بذلك كان فعله متناقضا وتلبيسا على العامة .

الحكم على أنفسهم : إقرارهم بما صدر منهم والاعتراف ببراءة ساحته عليه من ذلك : وعن بعض سلف الشيعة أن فسق القاسطين وضح[٢] لنا دراية ، وذكر التوبة منهم رواية لا يترك الدراية لأجل الرواية وبشارة العشرة إن صحت كانت مشروطة .

البصيرة : ظهور[٣] الشيء وبيانه وقوله تعالى : بل الانسان على نفسه بصيرة أي شاهد عليها بعملها .

فقوله : إن معي لبصيرتى ؛ اي بياني وشهودي على ما جنى خصمي عليّ .

ما لبست ولا لبس علي: أي ما خدعت أحدا ولا خدعني أحد وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : المسلم من لا يخدع أحدا والعاقل من لا يخدعه أحد .

قال اللحياني[٤] أصل البغي الحسد ، ثم قال سمي الظلم بغيا لأن الحاسد ظالم ؛ قال الأزهري : قوله تعالى : غير باغ أي غير ظالم بتحليل ما حرم الله وقيل غير خارج على السلطان أو قاطع للطريق والبغي : الاستطالة على الناس ، والكبر قال تعالى : والاثم[٥] والبغي ، والبغي : الفساد .

---

١ ــ في ض : طلب غيره بذلك .

٢ ــ في ض : وضح وصح لنا دراية .

٣ ــ في ض : في كتاب الغريبين البصيرة .

٤ ــ ابو الحسن علي بن خازم اللحياني ، كان عظيم اللحية فلقب بها وهو من كبار علماء اللغة واهل الادب .

٥ ــ البقرة : ١٧٢ .

قال: إنما بغيكم على أنفسكم[١] وقال إذا هم يبغون في الارض[٢].

قال فالفئة الباغية: الفئة الظالمة الحاسدة الخارجة على السلطان المفسدة، قلت: هذا التفسير على مذهب من قال من الأصوليين أن اللفظ المحتمل لفوائد كثيرة مع عراته عن قرينة التخصيص يجب أن يحمل على جميع فوائده، وجمع من المحققين يخالفون في ذلك ويقولون إنه لا يدل إلا على واحد من تلك المعاني لا بعينه وموضع ذلك كتب اصول الفقه.

حمة العقرب: بالتخفيف سمها وضرها والهاء عوض عن اللام المحذوفة وهي اما واو أو ياء وحمة الحر بالتشديد[٣] معظمه.

ومغدقة: كثيرة يقال: غدقت عين الماء بالكسر أي غرزت ومنه ماء غدق.

وزاح الشيء تزيح زيحا: أي بعد وذهب أشار عليه السلام إلى ما شاهد من أمارات الادباروالانخزال من أصحاب الجمل فقوى رجاه في إنطفاء نائرتهم ما بمراجعة وإما بقتل وكان كما قال وأظفره الله تعالى بهم، وظهر للناس براءة ساحته عليه السلام عن دم عثمان حيث قال لأصحاب الجمل قاتل الله منا من سعى في قتل عثمان.

العبّ: شرب الماء من غير مصّ وفي الحديث الكباد من العب والحمام يشرب الماء عبا كما تعب الدواب.

والحسى: الماء تنشفه الأرض من الرمل فاذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر، عنها الرمل فتستخرجه وهو الاحتسا وجمع الحسى الأحساء.

---

١ ــ الاعراف: ٣٣.

٢ ــ يونس: ٢٣.

٣ ــ في ض هنا زيادة وهي: والحمة والحمأة: الطين الاسود المنتن قال تعالى من حمأ مسنون، قال صاحب العين والحمة عند العامة ابرة العقرب وانما الحمة سمة كل ذي سم يلدغ وفي الحديث لا رقية الا من عين او حمة والهاء في حمة عوض عن اللام المحذوفة وهي اما واو أو ياء وكل نسب من قبل الزوجية فهو حي مثل قفا وحمى مهموز وروي الهمز هنا ذكره صاحب المنهاج وقال اشار بذلك الى صاحبة الجمل.

المطفل : الظبية معها طفلها ، وهي قريبة عهد بالنتاج وكذلك الناقة والجمع مطافل ومطافيل ، قال أبو ذويب :

وإن حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل في ألبان عود مطافل
مطافيل أبكا حديث نتاجها * يشاب بماء مثل ماء المفاصل

ألب : أي جمع واستأنى به : أي انتظر به ، واناه يؤنيه ايناء أي أخره وحبسه وابطا .

وغمط النعمة : بكسر الميم أى حقرها .

ج ــ كل نسب من قبل الزوجية فهو حمأ مثل قفاء وحمؤ مهموز وروي الهمز هاهنا اشار بذلك الى صاحبة الجمل .

وأغدف الليل : أرخى سدوله .

وافرطن[1] : اسبقن وافرطن اتركن والعود : جمع عايد وهي الناقة الجديدة النتاج .

واستانيت : استعملت الأناة والوقاع : المحاربة [2].

* * *

١ ــ في ض هنا زيادة وهي : لافرطن لها حوضا يقال فرطت القوم اذا سبقتهم الى الماء وفرط مني قول اي سبق مني وفرط عليه اي عجل عليه وعدا من قوله تعالى ان يفرط علينا وان يطغى وافرط المزادة اذا ملأها وافرط الشيء اي اعجله كذا في الديوان .

الرواية الظاهرة على هذا لافرطن لهم حوضا اي لاملأن لاجلهم حوضا او لاعجلن لهم حوضا وان قلت بفتح الفاء وضم الراء من الفرط فالمعنى لاسبقن لاجلهم الى حوض فيكون حوضا منصوبا على نزع الخافض اراد بالحوض مشرع الحرب وموضع الهلاك وذلك قال لا يصدرون عنه بريٌّ ولا يعبون بعده في حسى .

٢ ــ في ض هنا خلط وحذف وتقديم وتاخير.

١٣٦ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إذَا عَطَفُوا الْقُرآنَ عَلَى الرَّأْيِ.

منها: حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقماً عَاقِبَتُهَا. ألاَ وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ ٱلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِيءِ أعْمَالِهَا، تُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أفالِيذِ[1] كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَة، وَيُحْيي مَيِّتَ الْكِتَاب وَالسُّنَّة.

منها: كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ إلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ وَفَرَشَ ٱلْأَرْضَ بِالرؤوس، قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ. وَٱللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ ٱلأَرْضِ، حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْكُمْ إلَّا قَلِيلٌ، كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ؛ فَلاَ تَزَالُونَ كَذٰلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إلَى الْعَرَب عَوَازِبُ أَحْلاَمِهَا، فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ،

---

١ ـ في ب: افاليذ من كبدها.

وَالآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ.

الشرح

قوله عليه السلام: يعطف الهوى على الهدى.

عطف عليه: أي كرع هذه استعارة مليحة عن اخلاق ابناء آخر الزمان فانهم لا يدخلون بيت المطلب من بابه و يغرهم الشيطان، فاذا هموا بنصرة الهدى فقد نصروا الهوى واتبعوا أهوائهم لا يميزون بين أتباع الهدى والهوى، وكذا في الرأي والقرآن فهم في إختلاط[1]مدح عليه السلام انساناً فقال: يعطب هو نفسه على هدى دينه لما اشتغل الناس بعكس ذلك وخلافه، وروي تعطف بالنون[2].

(قلت: ظاهر هذين التأويلين يوهم تضادا وتنافيا بينهما والجمع بينهما أن صاحب المعارج فسر قوله: اذا عطفوا الهدى على الهوى وصاحب المنهاج فسر قوله: يعطف الهوى على الهدى فاتحد المعنيان[3]) ياخذ الوالي من غيرهما[4].

---

١ ـ في ض هنا زيادة وهي: حتى يقوم الحرب على ساق باديا نواجدها مملوة اخلافها حلوا رضاعها علقما عاقبتها، هذه استعارات فائقة و بلاغة بارعة وقيام الحرب عن مساق عبارة عن اشتدادها و بدو النواجد من اظهار السبع نابه عند الغضب وملاء الاخلاف من كثرة آثار الحرب وتوابعها.
حلوة الرضاع من حيث ان كل من شاهد الحرب او لا يرغب في الشروع فيها وممارستها حيث تكون فتية، فترى كاللعاب فاذا تقارعت السيوف وتحاكت الركب فظهرت جواهر الرجال ذهبت الذنائب و بقيت الذوائب و بدا للناس مرارة عاقبتها وصعوبة مالها.

٢ ـ في ض نعطف بالنون في الموضعين.

٣ ـ ساقط في ض.

١ ـ في ض: يأخذ الوالي من عمالها على مساوئ اعمالها.

قال صاحب المعارج: الضمير عائد الى قريش أي يكون العمال من غير قريش وإن كانوا ولاة عمالا على قريش ويجوز أن يريد من غير بلدة مخصوصة كالكوفة والبصرة، فيكون الأمام العادل من غيرهما فيقهر عمال تلك البلدة كما تقهر سائر الولاة.

قال صاحب المنهاج: عني بالوالي المهدي عليه السلام من غيرها أي من غير العشيرة الذين الولاة منهم اليوم[١].

على مساوئ: منصوب المحل على الحال.

يخرج الارض أفاليد كبدها: كناية عن الكنوز التي وردت الأخبار بظهورها له والفلذ قطعة الكبد والأفلاذ جمعه، والأفاليذ جمع الجمع[٢].

والمقلاد: المفتاح، والسلم: الصلح، وهو هنا مصدر وقع موقع الحال.

كأنيّ به قد نعق بالشام: أشار الى بعض من يخرج في آخر الزمان كالسفياني وغيره.

ع: نعق: اي نعر؛ والضواحي: الظواهر والنواحي.

وفحص: أي قلب من فحص المطر النبات: أي قلبه والضروس الناقة السيئة الخلق التي تعض حالبها يسنى أي يسهل.

نعق الراعي بغنمه: ينعق، بالكسر نعيقا ونعاقا: أي صاح بها وزجرها وضاحية كل شيء: ناحيته البارزة.

---

١ ــ في ض هنا زيادة وهي: وهذا القول اقرب واليق اي يتولى امام الحق ويظهر على اهالي ذلك الزمان ويأخذ العمال الظلمة عليهم على مساوئ اعمال اولئك العمال فيكون الضمير في غيرها لاهالي ذلك الزمان ويكون امام الحق من غيرهم بالصفة والسيرة ويدل على ان المراد بالوالي هو المهدي عليه السلام.

٢ ــ في ض: ويخرج له الارض افلاذ كبدها وقد روي هذا في نعوت المهدي عليه السلام في احاديث وان الكنوز يظهر له والاقاليد جمع افلاذ وافلاذ جمع فلذ وهوقطعة الكبد ويعبر به عن الشيء النفيس والولد العزيز.

كذلك قوله ويريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة وهذا كله يليق بنعوت المهدي عليه السلام المقلاد المفتاح والسلم الصلح والتسلم والاستسلام كذا في الديوان اي مصالحه ومستسلمه.

الكوفة : الرملة الحمراء وبها سميت الكوفة وكوفان اسم لها أيضا من قول العرب تركهم في كوفان أي في عذاب ومشقة ودوران وأمر مستدير، والكوفة منبع الخلافة .

والعناء : المشقة لذلك سمي به وعنى بالناعق المختاربن أبي عبيد وقيل عنى به الحجاج بن يوسف لأنه كان بالشام ملازما لعبد الملك بن مروان ، وما انتقل المختار قط إلى الشام والحجاج هو انتقل من الشام الى مكة وقتل عبد الله بن الزبير، وعاد إلى الشام ، ثمّ فوض إليه عبدالملك امارة الكوفة .

ناقة ضروس ، يعض حالبها ، وإذا كانت كذلك حامت على ولدها .

فغرت فاغرته : أي علت كلمته من قولهم : أفغر النجم أي الثريا إذا بلغ وسط السماء ومن نظر اليه فغرفاه ، وقيل يعني انفتحت زهراته ، والفاغرة نوع من الطيب .

والوطأة : موضع القدم وهي كالضغطة ، وفي الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر[1] ثقلت وطأته كناية عمن يكون الناس منه في تعب وعناء أخبر عليه السلام عن كثرة القتل في أهل الكوفة وتشريدهم في البلاد ، وتلك عقوبات دنياوية لهم لأنهم آذوا أميرالمؤمنين عليه السلام وخالفوه في أمر الحكمين وضيعوا بعده أولاده .

فسلط الله عليهم أوّلا المختاربن أبي عبيدة الثقفي ، حتى قتل منهم من كان في عسكر شمربن ذي الجوشن[2] ومن حضر محاربة الحسين ، ثم سلط

١ ــ مضر بن نزار بن معد بن عدنان كزفر ابو قبيلة مشهورة وهو مضر الحمراء قال ابن سيدة : سمي به لولعه بشرب اللبن الماضر او لبياض لونه من مضيرة الطبيخ .

٢ ــ شمر بن ذي الجوشن العامري من بني عامر قاتل الحسين بن علي عليهما السلام ، وهو الذي حمل الى خيام الحسين عشية تاسوعا وأخاف قلوب اهل البيت عليهم السلام ، واخباره في وقعة طف مشهورة ، ولما خرج المختار بن ابي عبيد في الكوفة اخذه وقتله ، قال في تاريخ علماء الاندلس : انه هرب من الكوفة ودخل بلاد المغرب والله أعلم .

عليهم مصعب بن الزبير حتى قتل المختار، وقتل منهم في يوم واحد سبعين ألفاً ثم سلط عليهم الحجاج بن يوسف حتى أهلك وأفنى أكثرهم وخرب الكوفة.

عوازب أحلامها: أي ما غاب عنهم من الرأي الصائب في باب الاحتياط، والتقوى واتباع الأئمة والعلماء.

يسني: أي يفتح و يسهل قال الشاعر:

إذا الله سنى عقد شيء تيسرا

أو من قوله تعالى: إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير[1].

* * *

---

١ ــ فاطر: ٦٠ وفي شرح هذه الخطبة في ض خلط فاحش.

١٣٧ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلَامْ

في وقت الشورى

لَنْ يُسْرِعَ[١] أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ، فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي، عَسَى أَنْ تَرَوْا هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ.

الشرح

قوله عليه السلام: لن يسرع احد قبلي الى دعوة حق وصلة رحم.

هذه كرامة من كرامات أميرالمؤمنين وإخباره عن الغيب (بما اطلعه النبي صلى الله عليه وآله[٢]) أي ما دمت حيا فاني سابق الى هذه الخصال دون غيري، وإخبار عن القطع على استقامة أحواله في العصمة والطهارة على وفق ما أخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن عزمه على أنه يكون سيافا وما عرضت في عهده مكرمة وفضيلة في الحال والاستقبال إلا، وهو سابق إليها.

أئمة لأهل الضلالة: منهم المختاربن أبي عبيدة تنبأ في آخر عهده

١ ــ في ض وب: لم يسرع.

٢ ــ بين الهلالين في ض.

فصار إماما للكيسانية[١]، وهم أهل الضلالة، وفيهم القطري بن الفجاة[٢]، الذي كان إماما للخوارج، وفيهم صالح الخارجي[٣]، وغيرهم ممن ادعى الامامة واعتقد مذهب الخوارج[٤].

* * *

١ ــ الكيسانية اصحاب كيسان مولى امير المؤمنين علي عليه السلام وقيل تلميذ لمحمد بن الحنفية يعتقدون فيه اعتقادا بالغا من احاطته بالعلوم واقتباسه من السيدين الاسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والانفس، وهم معتقدون بامامة محمد بن الحنفية، ويقولون انه هي مقيم بجبل رضوي بنواحي المدينة المنورة.

٢ ــ قطرى بن الفجأة احد ابطال الخوارج شاعر من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وكان اميرا للخوارج بعد قتل ابن الماحوز وانحازت الازارقة اليه، فبايعوه واخباره مشهورة في كتب التواريخ.

٣ ــ الظاهر انه صالح بن مسرح التميمي الخارجي وكان يرى رأي الصفرية وهو اول من خرج فيهم، وقاتل مع الحجاج بن يوسف.

٤ ــ في ض: وبالجملة فقد كان في الضلال المضلين كثرة.

١٣٨ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في النهي عن غيبة الناس

وَإِنَّمَا[١] يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ، وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلاَمَةِ، أَنْ يَرْحَمُوا[٢] أَهْلَ الذُّنوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْغَائِبِ الَّذِي غَابَ أَخَاهُ، وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ ؟! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ ٱللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ[٣] بِهِ!! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذٰلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى ٱللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَٱيْمُ ٱللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجَرَأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ.

يَا عَبْدَ ٱللهِ، لاَ تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ[٤] بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ، فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا

---

١ ــ في ن وم وف : فانما ينبغي.

٢ ــ في ف ون : وان يرجوا.

٣ ــ في ض وب : الذي غابه به.

٤ ــ في ش : في عيب عبد.

يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ؛ وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ٱبْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

الشرح

قوله عليه السلام: فانما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب في المعصية الى آخره.

ع ـ لم يقصد عليه السلام مدح المذنبين وتحسينهم وإنما أراد نصيحتهم وموعظتهم والجزع مما هم فيه من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة فان لم يقبلوا النصيحة والانابة إلى الله تعالى والدعاء لهم بالتوبة والهداية والمسلم العاصي كالعضو المريض، ومتى مرض عضو فليس لسائر الأعضاء إلا إعانته وطلب راحته كما قال النبي صلى الله عليه وآله: المؤمنون كنفس واحدة.

قال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، فمن رأى صاحب معصية فليس له الا موعظته وشكر الله تعالى على أنه مصون عن مثل ذلك الخذلان، والوقيعة في الناس دأب الجاهلين، فاشتغل بعيوب نفسك وإصلاحها ولا تكن من الغافلين.

قال رسول صلى الله عليه وآله: من قال هلك الناس، ونجوت فقد هلك، وقال عليه السلام كفى للمرء ذنبا أن يري غيره مذنبا حقيرا.

* * *

١٣٩ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ[1] مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ، وَسَدَادَ طَرِيقٍ؛ فَلاَ يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ[2]، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي وَتُخْطِيءُ السِّهَامُ، وَيَحِيلُ الْكَلاَمُ وَبَاطِلُ ذٰلِكَ يَبُورُ، وَاَللّٰهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ. أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

قال الشريف: فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ.

الشرح

قوله عليه السلام: من عرف من أخيه وثيقة دين.

ع ــ قد ثبت في الشريعة أن التمسك بظاهر الاسلام هو الواجب في معاملة الناس، وهو أولى من قبول قول الواحد فيه بخلاف ظاهره إما بالأخبار الكثيرة أو بمشاهدة الناس الحال، أو باقراره على نفسه فالأمر بخلاف ذلك،

---

١ ــ في م: من علم من اخيه.

٢ ــ في م ون وف: اقاويل الناس.

وما عدا ذلك ، فالحكم بحسن الظاهر، هو الواجب في الموالاة : والثناء والذب عنه شاهدا وغائبا .

تخطئ السهام ويحيك الكلام : يعني أن رامي السهام قد يخطئ ويصيب ورامي الكلام ، (لا يخطئ بل يؤثر في المسامع وإن كان كذبا) .

وباطل ذلك لا يبور: يعني أن الكاذب يفتضح في الانتهاء فيضره الافتضاح ولا يضره المقذوف والمذكور شيئا سوى ما يثبت له من الأعواض .

والله سميع شهيد .

يسمع ما يقال ويشهد يوم القيامة على كل نفس بما صدر منه .

قوله والباطل أن يقول سمعت والحق أن يقول رأيت ، أراد الامور المشاهدة المحسوسة خصوصا في القبايح والحدود فعند أكثر الفقهاء لا يجوز إقامة الشهادة على الشهادة في الحدود ، فمن أخبر عن مشاهدة ومعه غيره من الشهود كما قال تعالى : بأربعة شهداء . فقد صدق وأصاب ، ومن أخبر عن مشاهدة ، ولم يكن معه غيره ، فقد صدق وأخطأ ، لأنه لا يقبل أبدا شهادته ، وفي غير الحدود من أخبر بقول واحد أو اثنين دون المشاهدة أو التواتر فاما أن يكون كاذبا أو مخطئا او آثما .

* * *

١٤٠ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنَ الْحَظِّ[١] فيما اتى إلَّا مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ، وَثَنَاءُ ٱلْأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ ـ مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ ـ «مَا أَجْوَدَ يَدَهُ» وَهُوَ عَنْ ذَاتِ ٱللهِ بَخِيلٌ !! فَمَنْ آتَاهُ ٱللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَ وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ٱبْتِغَاءَ الثَّوَابِ؛ فَإِنَّ فَوْزاً بِهٰذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ، (إِنْ شَاءَ ٱللهُ[٢]).

---

١ ــ في ب : من الحظ الا محمدة اللئام .

٢ ــ ساقطة من م وف ون .

الشرح

قوله عليه السلام: فليصل به القرابة.

يعني ينفق[١] على أقاربه الفقراء أو يهدي إلى الاغنياء منهم.

وليحسن منه الضيافة: الضيافة مرؤة يستحسنها العقل والدين وأول من سنّها إبراهيم النبي عليه السلام، وقد بقيت سنة ضيافته عند قبره إلى يومنا هذا، ومن شرائط الضيافة أن لا يدعو المضيف إلا أهل الصلاح والورع، والفقراء لقول النبي صلى الله عليه وآله: شر الولائم ما يكون فيها الفقير محروما، ولا ينوي في الضيافة التفاخر والصلف[٢].

من آداب الضيف أن لا يترفع عن ضيافة الفقراء لقول النبي صلى الله عليه وآله لو دعيت الى كراع لأجبت.

مر الحسن بن علي عليهما السلام بفقراء يأكلون خبزا متكرجا[٣] فقالوا

---

١ ـ في ض هنا زيادة وهي: قوله عليه السلام وهو عن ذات الله بخيل، قلت عن في وضعه يفيد المجاوزة اي هو بخيل حال كونه متصرفا منحرفا عن مرضاة الله او متباعدا متراخيا عن أمره أو ضمن بخيل معنى فعل يتعدى ولا يتعدى بعن اي هو بعيد عن حق الله اي عن اداة ذلك وذات الله يكون من باب اضافة المسمى الى اسمه.

نحو قولهم ذات مرة وذات اليمين وذا صباح وذوي آل النبي ويمكن ان يكون ذات الله على تقدير حذف المضاف اي ذات سبيل الله اي هو بخيل عما في سبيل الله كما قيل: عليم بذات الصدور: اي بما في الصدور فمن اتاه الله ما لافيصل به القرابة يعني ينفق على اقاربه الخ.

٢ ـ الصلف: الغلو في الظرف والزيادة على المقدار مع تكبر.

٣ ـ كرج الخبز: فسد وعلته الخضرة.

له يابن رسول الله هل توافقنا فنزل الحسن عن دابته ووافقهم فلما فرغ الحسن قال لهم : أجيبوني غدا واحضروا داري ، فأجابوا وحضروا داره فهيألهم أطعمة لذيذة وأحسن ضيافتهم .

من شرائط الضيف أن يفطر طلبا لرضى المضيف فان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بذلك وجميع ذلك مقتبس من قول الله تعالى : ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[١] الى آخر الآية .

قوله وليصبر نفسه على الحقوق : يعني من كان له عندك حق من الحقوق فادّ حقه بمالك وادفع النوائب[٢] عنك ، وعن أصدقائك واخوانك في الدين بمالك ابتغاء الثواب ورضى الله تعالى ؛ كما قال تعالى : وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا بتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى[٣] .

* * *

١ ــ الاسراء : ٢٦ .

٢ ــ النوائب : جمع نائبة وهي ما ينوب الانسان اي ينزل به من المهمات والحوادث .

٣ ــ فصلت : ١١ .

١٤١ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

في الاستسقاء

أَلاَ وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلاَ زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلاَ لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلٰكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَأَقَامَتَا[1].

إِنَّ ٱللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ ـ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ ـ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَإِغْلاَقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ! وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ سُبْحَانَه ٱلِاسْتِغْفَارَ[2] سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ[3] لِلْخَلْقِ، فَقَالَ: (ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً؛ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) فَرَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَءً ٱسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَٱسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ.

اللّٰهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ. وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ.

اللّٰهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلاَ تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، وَلاَ تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، يَا أَرْحَمَ

---

١ ـ في ش: فقامتا.

٢ ـ في ض وب: جعل الله الاستغفار.

٣ ـ في ض وح وب: ورحمة الخلق. فقال سبحانه.

الرَّاحِمِينَ .

اللّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ ، نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ ، حِينَ أَلْجأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ ، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلاَحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ .

اللّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لاَ تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلاَ تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ ، وَلاَ تُخَاطِبْنَا[1] بِذُنُوبِنَا ، وَلاَ تُقَايِسْنَا بِأَعْمَالِنَا .

اللّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ ، وَاسْقِنَا سُقْيَا[2] نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً: تُنْبِتُ بِهَا مَاقَدْ فَات ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ ، نَافِعَةَ الْحَيَا كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى ، تُرْوِى بِهَا الْقِيعَانَ ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الأَسْعَارَ؛ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

١ــ في حاشية م : ولا تعاقبنا .

٢ــ في ح ور : ناقعة مروية وفي ن : مروية مغنية .

الشرح

قوله عليه السلام: ألا وإن الأرض التي تحملكم الى قوله فقامتا.

ع: يعني أن الفلك لا يدور طبعا واختيارا وقصدا الى مصالح السفليات ولا طلبة لمنفعة[١] الحيوانات، ولكن الفلك المسخر لتقدير الله تعالى كما قال تعالى: أئـتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائـعين.

قوله: إن الله تُبتلى عباده: تمام الكلام يعني الانسان اذا ساعدته السعادة الدنياوية، اعرض عن ذكر الله ونسى ما قدمت يداه، واذا مسه ضرّ من نقص الثمرات وحبس البركات لم يجد ملجأ سوى الله فيتوب اليه ويدعوه، ويتقرب الى الله بخضوع وخشوع؛ فيكون ذلك الخشوع والانابة من أسباب هدايته ونجاته.

والعجّ والعجيج: رفع الصوت وفي الحديث أفضل الحج[٢] والعجّ والثج وفيه نهر عجاج أي لمائه صوت.

ج ــ يقلع: أي يرجع، ويتذكر: أي يتعظ.

ازدجر: يتعدى ولا يتعد وها هنا لازم.

ودرور الرزق: يعني صب المطر وسيلانه، وهو سبب الرزق.

يرسل السماء: أي المطر، والغيث: بالسنين: أي بالقحوط.

١ ــ في ض: ولا طلبا لمنفعة من الحيوانات.

٢ ــ العج: رفع الصوت بالتلبية والثج: سيلان دماء الهدى والاضاحي.

أجاءتنا : الجأتنا ، وقيل هو أفعل من جاء .

وأجدب : دخل في الجدب اي القحط ، تلاحمت : تداخلت واتصلت .

والواجم : الذي اشتد حزنه حتى يمسك عن الكلام .

سقيا : أي أمطارا معشبة : أي ينبت العشب ، وأعشب يتعدى ولا يتعدى .

ناقعة الحيا : أي مجتمعة المطر، ونقع الماء أي اجتمع أو سكنها ، من نقع الماء العطش اي سكنه ، فناقعة الحيا على الاول لازم وعلى الثاني متعد .

والقيعان : جمع قاع : المستوى من الأرض ، والبطنان : جمع بطن وهو الغامض من الأرض .

* * *

١٤٢ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

بَعَثَ[1] رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ؛ لِئَلاَّ تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلاَ إِنَّ ٱللهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً، لاَ أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمائِرِهِمْ؛ وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً؛ فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً، أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا؟ كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا ٱللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى، إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هٰذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ: لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِم.

منها: آثَرُوا عَاجِلاً، وَأَخَّرُوا آجِلاً؛ وَتَرَكُوا صَافِياً، وَشَرِبُوا آجِناً كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ وَبَسِىءَ بِهِ وَوَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ! ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لاَ يُبَالِي مَا غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ

---

١ ــ في ح وب: بعث الله رسله.

فِي الْهَشِيمِ لاَ يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ!! أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى؟ وَالأَبْصَارُ اللاَّمِحَةُ إِلَى مَنَارِ[1] التَّقْوَى؟ أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللّهِ؟ ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ، وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ؛ دَعَاهُمْ[2] رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا.

١ ــ في ح وهامش ن منازل التقوى وفي م : منابر التقوى.

٢ ــ في ح وب : ودعاهم ربهم.

الشرح

قوله عليه السلام: ألا إن الله قد كشف الخلق كشفة لا أنه جهل ما اخفوه.

ع ـ قيل هذا بيان لحقيقة التكليف وقد سمى الله التكليف في القرآن اختيارا وامتحانا وابتلاء وفتنة، كما قال: ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين[١]، وقال: ليعلم الله من يخافه بالغيب[٢]. وقال: ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين[٣]، ولم يرد أنه تعالى يعلم ما لم يكن عالما به، تعالى عن ذلك لأن التكليف يوجب كونه تعالى عالما قبل التكليف بكل معلوم.

ألا ترى أن التكليف أمر ونهي وكلاهما يتعلقان بأفعال مخصوصة، ومقدورات متميزة، لأنه لا يأمر بفعل مطلق، ولا ينهى عن فعل مطلق، إنما يأمر بما اختص بوجه، وينهى عما اختص بوجه (مخصوص[٤]) يدل على أنه تعالى عالم بأفراد المقدورات، حتى يأمن بعضها الذي اختص بصفة ويميز بوجه، وإنما التكليف كاشف عما علمه الله تعالى من أحوال العباد وانهم يفعلون كذا.

فيستحقون كذا فكما يعلم أن زيدا يؤمن اذا كلف وعمروا يكفر إذا

---

١ ـ محمد: ٣١.

٢ ـ المائدة: ٩٤.

٣ ـ آل عمران: ١٤٢.

٤ ـ بين الهلالين ساقط في ش.

كلف؛ فكذلك يعلم نفس أفعالهم على صفاتها فيأمرببعضها وينهى عن بعضها، ويعلم ما يؤخذ من أفعالهم وما يبقى على العدم، وإنما يظهر لنا أحوالنا في الطاعة والمعصية وأفعال بعضنا لبعض بالتكليف؛ فصار التكليف كاشفا عنا، وعن أحوالنا، ولذلك قال عليه السلام:

الا وإن الله قد كشف الخلق: فالتكليف كشف، والمكشوف له هو الخلق كلهم، وإنما الله تعالى منزه عن أن يخفى عليه معدوم أو موجود.

في كتاب الغريبين[1] (البواء: اللزوم يقال أباء الامام فلانا بفلان أي ألزمه دمه وقتله وفلان بواء لفلان إذا قتل به، وفي الصحاح: كلمناهم فأجابونا عن بواء واحد، أي أجابونا جوابا وبوأه منزلا أي ألزمه إياه وأسكنه إياه، والمبوأ المنزل الملزوم.

في الحديث الجراحات بواء أي متساوية في القصاص، وأنه لا يقتص للمجروح إلا من جارحة الجاني عليه ولا يؤخذ إلا بمثل جراحته سواء.

وبسأت بالرجل وبسيت به بساء وبسؤا: استأنست.

ج ــ الاعذار تمهيد العذر، والبواء: السواء:

وصبغت به خلائقه: أي صار طبعا له من قوله تعالى: صبغة الله[2].

المزبد: ذوا الزبد والتيار: الموج.

قوله ازدحموا: كلام مستأنف عاديه الى ذكر المذمومين بعد أن مدح الأخيار.

* * *

١ ــ في ض هنا زيادة وهي فيكون الثواب جزاء اي كفاء والعقاب بواء، في كتاب العين يقول هو بواء بفلان اي ان قتل كان كفوا وقد بوى اي استوى بينهم القوة وفي كتاب الغريبين الخ.

٢ ــ البقرة: ١٣٨.

١٤٣ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّمَا أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ[1] الْمَنَايَا، مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ؛ وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ لاَ تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلاَ يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلاَ تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلاَ يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، وَلاَ يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ، وَلاَ تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ. وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ؟!!

منها: وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ؛ فَاتَّقُوا الْبِدَعَ، وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ، إنَّ عَوَازِمَ الأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا.

---

١ ــ في ش: تنتضل فيكم المنايا.

خطبة ١٤٤ ساقطه في الاصل (لعمربن الخطاب وقد استشاره في الشخوص لقتال الفرس).

الشرح

قوله عليه السلام: مضت لنا اصول نحن فروعها.

ع‍ـ منقول عن منوچهر الملك في الكتب القديمة، والتوارد يتفق في الأشعار والحكم والموعظة.

قوله إن عوازم الأمور افضلها: يعني[1] الأمور القديمة والعوزم الناقة المسنة والعوازم: العجوز قال الشاعر:

لعوازم وصبية سغات.

ج‍ـ ينتصل أي يترامى، والشرق: بالماء كالغص بالطعام.

والمهيع: الجادة الواسعة.

وعوازم الأمور، ما أمر الله به[2].

* * *

---

١ ــ في ض: قال صاحب المنهاج عوازم الامور ما امر الله تعالى به.

٢ ــ في ض: قلت: العوازم جمع عازمة ويعني بالعازمة الامور التي يجب العزم عليها بما أتى به من الله تعالى واولو العزم من الرسل على طريقة عيشة راضية.

١٤٥ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

فَبَعَثَ[١] مَحَمَّداً، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلْيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلْيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ، فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ[٢] فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا[٣] رَأَوْهُ: بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلاَتِ، وَٱحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ.

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلاَ أَظْهَرُ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلاَ أَكْثَرُ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ!! وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَ أَنْفَقُ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ منفيان طريدان[٤]، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ

---

١ ــ في ض وح وش: فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله.

٢ ــ في ش: فتجلى سبحانه لهم.

٣ ــ في ف: من غير ان رأوه.

٤ ــ في ض وح وب: طريدان منفيان.

فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ!! فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ؛ لِأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى، وَإِنْ ٱجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ[1] الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَٱفْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ! فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ ٱسْمُهُ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ!! وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى ٱللهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ العقوبة السَّيِّئَةِ[2].

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ، الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْه التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللهَ وُفِّقَ، وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ؛ فَإِنَّ جَارَ ٱللهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ[3]، وَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ؛ فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلاَمَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الأَجْرَبِ، وَالْبَارِىءِ مِنْ ذِي السَّقَمِ، وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى

١ ــ في ف ون : واجتمع القوم.

٢ ــ في ف ون وض وح : عقوبة السيئة.

٣ ــ في ب : وعدو الله خائف.

١٤٥ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

فَبَعَثَ(١) مَحَمَّداً، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إذْ جَهِلُوهُ، وَلْيُقِرُّوا بِهِ إذْ جَحَدُوهُ، وَلْيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إذْ أَنْكَرُوهُ، فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ(٢) فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا(٣) رَأَوْهُ: بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلاَتِ، وَٱحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ.

وَإنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلاَ أَظْهَرُ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلاَ أَكْثَرُ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ!! وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَ أَنْفَقُ مِنْهُ إذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ منفيان طريدان(٤)، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ

١ ــ في ض وح وش : فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله .

٢ ــ في ش : فتجلى سبحانه لهم .

٣ ــ في ف : من غيران رأوه .

٤ ــ في ض وح وب : طريدان منفيان .

فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ!! فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ؛ لِأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى، وَإِنْ ٱجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ[١] الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَٱفْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ! فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا ٱسْمُهُ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ!! وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى ٱللهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ العقوبة السَّيِّئَةِ[٢].

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ، الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْه التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللهَ وُفِّقَ، وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ؛ فَإِنَّ جَارَ ٱللهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ[٣]، وَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ؛ فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلاَمَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ، وَالْبَارِيءِ مِنْ ذِي السَّقَمِ، وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى

---

١ ـــ في ف ون : واجتمع القوم.

٢ ـــ في ف ون وض وح : عقوبة السيئة.

٣ ـــ في ب : وعدو الله خائف.

تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ، فَالْتَمِسُوا ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ: هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ: لاَ يُخَالِفُونَ الدِّينَ، وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.

الشرح

القيم بالأمر: القائم باصلاحه على الاستمرار.

وحذافير الشيء: أعاليه جمع حذفار[1].

تجلى الله لهم: أي[2] أظهر الدلائل في كتابه، والأظهر أن يكون تجلى غير متعد وان ورد متعديا أي ظهر أمر الله في القرآن للخلق.

محق بالمثلات: أي أهلك بالعقوبات.

والنقمات: الشدائد والبلايا.

أبور: أي كسد وأويت: الغريب إيواء: أي ضممته إليّ مكرما[3].

---

١ ــ في ض هنا اضافة وهي: ومكان القيم بالامر مكان النظام من الخرز القيم فعل من قام بكذا وهو بناء التأكيد اي القائم باصلاحه على الاستمرار والنظام الخيط الذي ينتظم فيه اللؤلؤ والخرز ثم لم يجمع بحذافيره ابدا، حذافير الشيء اعاليه جمع حذفار.

اي كل أمر انتكث فتله وتبدد شمله وانقطع نظامه وفقد التيامه، فلا مطمع في اجتماعه وانتظامه بعد انقطاعه بذلك جرت العادات وعيه تعورف الشقاوة والسعادات.

٢ ــ في ض: فتجلى سبحانه لهم في كتابه من غير ان يكونوا اراده بما اراهم من قدرته أي ظهر الله سبحانه لعباده بكمال قدرته واظهار نتائج حكمته و بيان ذلك في كتابه العزيز فيه تبيان كل شيء.

٣ ــ في ض: وآوى فلانا اليه اي ضمه اليه مكرما ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة، قيل رفع على الغاية بحذف المضاف اليه اي من قبل ذلك وما مصدرية اي مثلتهم بالصالحين بانواع المثلات من قبل ذلك حاصلة حتى نزل بهم الموعود وعنى به الموت الذي ترد عنه المقدرة اي عن نزوله.

عقوبة السيئة : وروي العقوبة السيئة : والاضافة أحسن وعنى بالموعود : الموت .

ترد عنه : اي عن نزوله .

والقارعة : الداهية التي تقرع .

لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه : إشارة إلى أن التولي لأولياء الله لا يتم إلا بالتبري من أعداء الله ، وميثاق الكتاب[١] هو أن لا يقولوا إلا الحق ، ولن تمسكوابه ؛ حتى تعرفوا الذي نبذه أي لن يعتصموا بالقرآن ، حتى تعرفوا من نبذ ورمى بأحكامه ، ومن كان عالما بشيء يعرف[٢] ضده .

ع ــ لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه : يحتمل أن يريد أن الحق لا يمكن معرفته بتفاصيله ، وأحكامه حتى يعرف من خالف الحق فأما نفس الحق على الجملة فانه يعرف قبل معرفته بالمبطل ، ويحتمل أن يريد تركه نفس الباطل لأن من أراد أن يعرف الله تعالى لا يمكنه أن يعرفه حتى يعرف أن سائر الأشياء التي يشاهدها ويتوهمها ليس فيها ما يعبد ويكون إلها ، وهذا تفصيل قولنا لا إله إلا الله ولا إله إلا هو، وفرق بينهما فان أحدهما توحيد الخواص والآخر توحيد العوام .

أشار الى هذا المعنى أيضا سيد المرسلين صلى الله عليه وآله حيث ، قال : من كفر بالجبت وبالطاغوت فقد آمن بالله ، وتصديق ذلك في كتاب الله ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

---

١ ــ في ض : ميثاق الكتاب ما اوثقه وأحكمه وحكم به كتاب الله تعالى وهو الخ .

٢ ــ في ض : هنا زيادة وهي : و بضدها يتبين الاشياء ومن صدق رسول الله صلى الله عليه آله في قوله : اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض لم يشتبه عليه نابذ الكتاب والمنحرف عن سنن الصواب .

فالتمسوا ذلك من عند أهله : أشارة إلى أن من لم يقف على مطلب لم يفز بمطلبه كما أن من لم يفز على معدن الذهب والفضة لم يفز بهما فان الذهب لا يوجد من معادن الملح والنفط والكبريت(١) .

وصمتهم عن منطقهم : الطاعة طاعتان طاعة بالظاهر وطاعة بالباطن ، وطاعة الباطن أقرب إلى القبول من طاعة الظاهر، فان المقصود من عمل البدن تغيير صفة القلب(٢) فصمتهم يخبر عن منطقهم ، لأنهم أقبلوا بالكلية على أعمال القلوب وقال النبي صلى الله عليه وآله نية المؤمن خير من عمله(٣) .

شاهد صادق : الصدق على ستة أوجه صدق في اللسان ، وذلك إما في المحاورات ، والمخاطبات وإما في المناجاة، وصدق في النية والعزم ،

---

١ ــ في ض هنا زيادة وهي : فانهم عيش العلم وموت الجهل ما وصف العالم الحقيقي بعبارة ابلغ ولا أبرع من هذا ومن يعرف رباني الامة وشجرة الائمة حق معرفته ويصفه لايق صفته الا هو وانما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه وهذه صفات العترة الذين امرنا الله بالرد اليهم .

اذ هم اولو الأمر على الاطلاق وحكم الرسول صلى الله عليه وآله بالتمسك بهم وانه لا يكون لهم من كتاب الله افتراق وعلى سيد الاوصياء رأسهم ورئيسهم بالاطباق وهم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم .

٢ــ في ض : وليس المراد من عمله القلب بغير صفة البدن فان المسافر من منزل الدنيا الى الملكوت هو القلب .

٣ــ في ض هنا زيادة وهي : والحلم في مقام الحلم من اوضح الامارات بل من ادل الدلالات على كمال صاحبه وبصارته ومعرفته بحقائق الامور وعواقبها على انقضاء الدهور وما فيه من حميد العاقبة وجميل الاحدوثة وكذلك الصمت في مقام الصمت من اوضح الدلائل .

على أن صاحبه عارف بمواضع الكلام فيلبس لكل حاله لبوسها و يعد لكل داء دواء وضرر الكلام في غير موضعه أعظم من كل ضرر والخطر الواقع منه يربي على كل خطر ولامر ما قيل الصمت حكم وقليل فاعله وظاهرهم عن باطنهم ما ابطن احد شيئا الا وقد ظهر منه شيء على فلتات لسانه ويلوح كلامه بضماير جنانه ذلك احد ابواب المتفرسين المتوسمين الى خبايا المضمرين واذا كان القلب رئيس اعوان الابدان والناس على دين ملوكهم فلابد ان يتزي الاعوان بزي رئيسهم ويتخلقوا باخلاف ملكهم فيرى فيهم هيبة ويتفرس فيهم صفة بهم بينهم شاهد صدق .

وصدق في الوفاء والعهد، وصدق في الأحوال، وهو أن يظهر خلاف ما في قلبه وصدق في المجاهدة، وهو أن لا يقنع بظواهر الفضائل، كما قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم واولئك هم الصادقون[1].

صامت ناطق: أي ينطق بالقلب، ولسان الحال.

* * *

١ ــ الحجرات: ١٥.

١٤٦ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ: لاَ يَمُتَّانِ إِلَى ٱللهِ بِحَبْلٍ، وَلاَ يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ!! كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ. وَٱللهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هٰذَا نَفْسَ هٰذَا وَلَيَأْتِيَنَّ هٰذَا عَلَى هٰذَا؛ قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ، فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ، وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ، وَٱللهِ لاَ أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ. (ثُمَّ لا يَعْتَبِرُ[1]).

١ ــ ساقطة من ض وم ول وش.

الشرح

قوله عليه السلام: كل واحد منهما.

عنى الزبيربن العوام وطلحة بن عبيد الله.

لا يمتّانِ إلى الله بحبل ع: أي لا يستحقان الامامة بعد ما بايعا طوعا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، ولم يكن الصلاح في امامتهما.

وقدم لهم الخبر:

اي بلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن طائفة من الأمة تبغي، فيجب على غيرها قتالها؛ وقد نطق القرآن به حيث قال: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحديهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ الى أمر الله[1].

ج ـــ المت: توسل بقرابة والضب: الحقد.

لينتزعن: أي ليسلبن المحتسبون: الفاعلون الخير حسبة لله تعالى.

واللدم: صوت الحجر ونحوه اذا ضرب على الأرض.

* * *

١ ـــ الحجرات: ٩.

١٤٧ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ ٱمْرِىءٍ لاَقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، وَالْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوافَاتُهُ. كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا الْأَمْرِ فَأَبَى ٱللّٰهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ، أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللّٰهُ لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْه وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هٰذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلاَكُمْ ذَمٌّ مَالَمْ تَشْرُدُوا. حَمَلَ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَخَفَّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ، غَفَرَ ٱللّٰهُ لِي وَلَكُمْ.

إِنْ تثبت(١) الْوَطْأَةُ فِي هٰذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ، وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ، فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ وَمَهابّ(٢) رِيَاحٍ وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخَطُّهَا،

---

١ ــ في ض وب وح : ان ثبتت الوطأة وفي ن ول : في هذه المنزلة.

٢ ــ في ض وح وب : مهب رياح.

وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بِدَنِي أَيَّاماً وَسَتُعْقِبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلاَءً. سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطُوقٍ[1] . لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي وَخُفُوتُ أَطْرَافِي ، وَسُكُونِ أَطْرَافِي ؛ فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِيكُمْ[2] وَدَاعُ امْرِيءٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلاَقِي ، غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي ، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي .

الشرح

قوله عليه السلام : وخلاكم ذم :

ع ــ هذا مثل للعرب وخلاك : أي عداك وجاوزك جعل خلا يخلو في التعدية بمنزلة خلى يخلي ، ومنه[3] قول عبد الله بن رواحة الانصاري[4].

---

١ ــ في م ون وف : بعد نطق .

٢ ــ في ض وح وداعي لكم وداع .

٣ ــ في ض وخلاكم ذم اي جاوزكم وعداكم وهذا مثل ما قال عبد الله بن رواحة الخ .

٤ ــ عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري الخزرجي يكنى ابا محمد وقيل ابو رواحة شهد بدرا واحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو احد الامراء في غزوة مؤتة وهو خال النعمان بن بشير.

كان عبد الله اول خارج الى الغزو وآخر قافل وكان من الشعراء الذين يتاضلون عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شعره في النبي .

اني تفرست فيك الخير اعرفه	والله يعلم ان ما خانني البصر
انت النبي ومن يحرم شفاعته	يوم الحساب فقد ازرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن	تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال النبي صلى الله عليه وآله وانت فثبتك الله يابن رواحة ، قال هشام بن عروة فثبته الله احسن الثبات فقتل شهيدا وفتحت له ابواب الجنة فدخلها شهيدا .

فشانك وانعمي وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلي ومالي

أول من قال هذا المثل قصيربن سعد غلام جذيمة الملك حين حث عمروبن عدي ابن اخت الملك ، على طلب ثار جذيمة فقال عمر وكيف لي بذلك ، والزبا أمنع من عقاب الجو، فقال قصير طلب الأمر وخلاك ذم .

شرد البعير يشرد شرودا وشرادا : نفر فهو شارد وشرود والشريد الطريد.

حمل كل امري مجهوده : مقتبس من قول الله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

قوله جاوركم بدني :

أي ان قلبي لم يجاوركم بل جاور أهل السماء في النية وطلب رضوان الله وداع امري مرصد للتلاقي : اشارة إلى سآمته عن الدنيا ورغبته في الاخرة .

ج- وخلاكم ذم ما لم تشردوا : أي لا لوم عليكم ما لم يتفرقوا عن الأوامر والنواهي التابعة لذلك .

حمل وخفف : رويا جميعا على البناء للمفعول ، والفاعل فاذا بني على المفعول وهو أصح الروايتين .

فقوله : رب رحيم : مستأنف على تقدير هو رب رحيم : كرجال في قوله تعالى : رجال لا تلهيهم تجارة[1] ، على قراءةمن قرأ يسبح بفتح الباء .

تدحض : تزل والأفياء : الظلال .

اضمحل زال وأراد بالمتلقى مجتمع مهاب الرياح ، والغمام .

وعفا : أي درس : الهدو : السكون وكذا الخفوت .

* * *

---

١ - النور : ٣٧ .

١٤٨ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

في الملاحم

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً: طَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ، فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلاَ[١] تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ فَكَمْ[٢] مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ، وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ يَاقَوْمِ، هٰذَا إبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ[٣]، وَدُنُوٍّ مِنْ طَلْعَةِ مَالاَ تَعْرِفُونَ، أَلاَ وَإنَّ مَنْ[٤] أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ؛ لِيَحُلَّ فِيهَا[٥] رِبْقاً، وَيُعْتِقَ[٦] رِقّاً، وَيَصْدَعَ شَعْباً، وَيَشْعَبَ صَدْعاً، فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ، لاَ يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ، وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ، ثُمَّ لَيَشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ، تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ (وَيُرْمَي بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ[٧])، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ.

منها: وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ، لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا

---

١ ــ في ل: فلا تستبطئوا.

٢ ــ في م: فكم مستعجل.

٣ ــ في ب: كل موعد.

٤ ــ في ب: الا ومن ادركها.

٥ ــ في ع: ليحل ربقا.

٦ ــ في ض وح: ويعتق فيها رقا.

٧ ــ ساقطة من ب.

الْغِيَرَ، حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الأَجَلُ، وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَاشتالوا[١] عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمُنُّوا عَلَى ٱللهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي حق[٢] حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلاَءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ.

حَتَّى إِذَا قَبَضَ ٱللهُ رَسُولَهُ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَٱتَّكَلُوا عَلَى الْوَلاَئِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ: مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ[٣].

الشرح

قوله عليه السلام: يسري فيها بسراج منير.

ع ــ عنى أن في زمان الفتنة لا ينجو إلا العالم بالدين وأولى العلماء بالاستقامة في زمان أميرالمؤمنين هو ومن تابعه.

ليحل فيها ربقا ويعتق فيها رقا: اذا قامت الفتنة يقوم فيها هاديا إلى الحق قائلا بلسان الصدق يكشف الشبه عن أصحابها ويوضح الحجة

---

١ ــ في ب: واشالوا.

٢ ــ في ض وح وب ول: في الحق.

٣ ــ في ب: او مفارق مباين.

لأربابها .

ش ــ أي يحل العالم بالفتن وبالمخلص منها المتمسك بالدليل الباهر ربق[١] الشبه ، ويزيل رقها عن أربابها وكانه أشار بذلك الى القائم عليه السلام .

ع ــ القائف : الذي يزجر بالأعضاء .

اخلولق الأجل واستراح قوم الى الفتن : أي طال زمان الفتنة على الناس فاعتادوها ، ودانوابها ، فيقوم فيهم من سلم من الفتنة فيناصحهم ويعظهم ويزجرهم فاذا احتيج الى القتال جاهدهم باليد والسيف ، كما جاهده باللسان على سنة من آل فرعون ، يعني أنهم استضعفوا بني اسرائيل وظلموهم ، وغفلوا عن عواقب أمورهم ، ومالوا الى زخارف الدنيا ، ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوابها .

ج ــ ذهابا وتركا : مصدران في موضع الحال أي ذاهبين في الغي وتاركين الرشاد كأنه أراد الشاميين .

فكم من مستعجل بما ان أدركه وَدَّ أنْلم يدركه .

كقوله تعالى : لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم .

والابان : الوقت ما لا تعرفون : أشار الى عهد المهدي عليه السلام وقرب قيامه .

والقائف : الذي يعرف الآثار .

وشحذت السيف : حددته والمشحذ المسن .

والقين : الحداد والغبوق والصبوح : كناية عن مدارستهم وممارستهم في العلوم .

---

١ ــ الربقة في الاصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة اويدها تمسكها ويقال للحبل الذي تكون فيه الربقة ربق .

والحكمة : كناية عن الشرايع اخلولق : تقادم .

واستراح قوم الى الفتن : أي استنام من أوليائنا جماعة الى دولة أعدائنا .

واشتالت الناقة ذنبها : مثل شالت[١] .

حملوا بصائرهم على اسيافهم : البصيرة الحجة والترس والدم أي حملوا مواجب اعتقاداتهم على أسيافهم أي عملوا بأيديهم على وفق ما كان في قوتهم أو يكون في الكلام قلب أي ضربوا بأسيافهم على بصيرة وحجة من دينهم ، لا من غفلة أو حملوا ترسهم معتمدين على أسيافهم أو حملوا آثار دمائهم معتمدين على أسيافهم في طلب النار .

وهجروا السبب الذي أمر الله بمودته : إشارة إلى قوله تعالى : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى[٢] .

وعنى بالولائج : المكر والخديعة وإبطان الغش والوليجة : الدخيلة وغالتهم : أهلكتهم .

ش ــ أنشد أبو عبيدة قول الجعفي[٣] :

حملوا بصائرهم على أكتافهم * وبصيرتي يعدو بها عتدوائ[٤] .

قال : البصيرة في هذا البيت الترس أو الدرع فعلى هذا معنى قوله عليه

---

١ ــ شال لبن الناقة : ارتفع ، وتسمى الشول : اي ذات شول لانه لم يبق في ضرعها الاشول من لبن اي بقية ويكون ذلك بعد سبعة اشهر من حملها .

٢ ــ الشورى : ٢٣ .

٣ ــ محمد بن احمد بن ابراهيم ابو الفضل الجعفي الصابوني الكوفي ، كان من افاضل قدماء الامامية له كتب كثيرة في الفقة وغيره ، منها كتاب تفسير معاني القرآن وكتاب التوحيد والايمان وكتاب الفاخر يروي عنه ابن قولويه بلا واسطة .

عده السيد بن طاوس من اصحابنا العارفين بعلم النجوم والصابوني نسبة الى الصابون المعروف الذي يغسل به الثياب نظرا الى صنعه أو بيعه .

٤ ــ العتاد : ما اعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب .

السلام حملوا أبصارهم على أسيافهم، أي حملوا الترسة مع السيوف، ويكون على بمعنى مع والأقرب أنه أراد حملوا ما حصل لهم من البصارة على أن يظهر أثره على أسيافهم ومجازه حملوا السيوف البصارة أي جعلوها حاملة لأعبا البصارة مظهرة لنتائجها أو جعلوها مستبصرة تصمم في مظان الضرب وتضع الهنا مواضع النقب[1].

* * *

---

١ ــ النقب: التفتيش وينقب عن احوالهم اي يفتش.

١٤٩ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالاِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ، لاَ يُوازَى فَضْلُهُ، وَلاَ يُجْبَرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلاَدُ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ[1]، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلاَيَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا: تَبْدُو فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ، شَبَابُهَا كَشَبَابِ الْغُلاَمِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلاَمِ. تَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، يَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ، وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلاَعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذٰلِكَ طَالِعُ

---

١ ـ في ب: يستحلون الجريم.

الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، الْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلاَمَةٍ، وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ، قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ، تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا، يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ، تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينَ، تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَتُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ، مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ، تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الإِسْلاَمُ، بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ.

منها: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْأَيْمَانِ، وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ، فَلاَ تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ، وَأَعْلاَمَ الْبِدَعِ، وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ، وَاقْدمُوا عَلَى اللهِ مَظْلُومِينَ وَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ[1] ظَالِمِينَ، وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ، وَلاَ تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ، (وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ)[2].

---

١ ـــ في ف : ولا تقدموا على الله وفي م : ولا تقدمون عليه.

٢ ـــ ساقطة من ف ون وب ول.

الشرح

قوله عليه السلام واستعينه على مداحر الشيطان إلى آخره .

ج ــ المداحر المطارد لا يوازى ، أي لا يقابل من الازاء البوائق الدواهي .

والقتام : الغبار والجنين : المستور والمدارج : المسالك .

وفظع الأمر فظاعة : أي اشتد ، وجاوز الحد .

شبابها كشباب الغلام : يهيجها أهون شيء .

وآثارها كآثار السلام : اي الحجر الذي يبقى أبدا يتكالبون : أي يتواثبون[1] .

مريحة : أي منتة وحقيقته ذات رائحة كريمة ، يعني متاع الدنيا .

ويتنافسون : أي يرغبون والرجفان شدة الاضطراب : والفتنة الرجوف ذات الاضطراب أو التي يضطرب لأجلها .

والقصم : الكسر[2] مع الفصل والزخف : المشي ، وتزيغ تعوج .

الهجوم : الا تيان بغفلة والنجوم : الظهور.

والحطم : الكسر، التكادم : التعاض .

والعانة : القطيع من حمر الوحش والجمع عون .

---

١ ــ في ض : اي يتواثبون على هيئة الكلاب او الذين اصابتهم علة الكلب اي الجنون .

٢ ــ في ض : القاصمة : الداهية من القصم وهو الكسر.

والمسحل: حديده عريضة تحت فم الفرس اذا الجم.

والرض: الدق والكلكل: الصدر، والعبيط: الدم الطري الخالص.

وثلمت السيف اثلمه: بالكسر، فانثلم اذا كسرت حافته شيئا[١].

والقتيل: المطلول التي طل دمه أي هدر.

يختلون بعقد الايمان: أي يخدعون الناس باليمين الكاذبة، ويظهرون أنهم مؤمنون، فينخدع المؤمنون حقا بقولهم.

والمهابط: (منخفضات الارض[٢].

ولعق الحرام: لقمة واللعق اللحس.

ع ــ فتنة رجوف: أي مضطربة القاصمة: الداهية الزحوف: من النوق التي تجر رجليها اذا مشت.

وسهم زاحف: وزحوف يقع دون الغرض، ثم يزحف اليه وأصل الزحف المشي وأكثر استعماله في المكاره.

والمسحلان: حلقتان في طرفي شكيم اللجام احدايها مدخلة في الأخرى.

بريها سقيم وظاعنها مقيم: أي من أراد التخلص منها لم يساعده[٣]).

* * *

١ ــ في ض هنا زيادة وهي: الثلم الفل كاشفة عن ساق من قوله تعالى: يوم يكشف عن ساق، وهو كناية عن صعوبة الامر وفظاعة الخطب بريئها سقيم وظاعنها مقيم من قوله تعالى: واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، اي من اراد الخروج من بينها والاحتراز منها لايتأتى له ذلك.

٢ ــ في ض: مهابط العدوان مكامنها واماكنها.

٣ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

١٥٠ ــ ومن خطبة له عليه السلام

الحَمْدُ للهِ الدّالِّ عَلى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلقِهِ عَلى اَزَليَّتِه، وَباشْتباهِهِم عَلَى اَنْ لاشِبْهَ[١] لَهُ، لا تَسْتَلِمُهُ المَشاعِرُ، وَلا تَحْجُبُه السّواتِرِ، لافْتِراقِ الصّانِعِ وَالمَصْنُوعِ، وَالحادّ وَالمَحْدُودِ، وَالرَبّ وَالمَرْبُوبِ، الأحَدُ لا بِتأويْلِ عَدَدٍ، وَالخالِقُ لا بِمَعنىٰ حَرَكةٍ وَنَصَبٍ وَالسَّميعُ لا بِاداةٍ وَالبَصيرُ لا بِتَفْريقِ آلةٍ[٢].

وَالشّاهِدُ لابِمُماسَّةٍ، وَالبائِنُ لابِتَراخِي مَسافَةٍ والظّاهِرُ لابرُؤْيَة، وَالباطِنُ لابِلَطافَةٍ، بانَ مِنَ الأشياء بِالقَهْرِ لَها وَالقُدْرَةِ عَلَيْها وَبانَتِ الأشياءُ مِنْه بِالخُضُوعِ لَه والرّجُوعُ اِلَيْهِ، مَنْ وَصَفَه فَقَد حَدّهُ، وَمَنْ حَدّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدّهُ فَقَدْ اَبْطَلَ أزَلَهُ وَمَنْ قال كَيْفَ فَقَدْ اسْتَوصَفَهُ وَمَن قالَ اَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ.

عالِمٌ اِذْ لامَعْلومَ، وَرَبٌّ اِذْ لامَرْبُوبَ، وَقادِرٌ اِذْ لامَقْدُورَ قَد طَلَعَ طالِعٌ ولَمَعَ لامِعٌ، وَلاحَ لائِحٌ، وَاعْتَدَلَ مائِلٌ، وَاستَبْدَلَ الله بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَومٍ يَوْماً، وَانتَظَرْنا الغَير اِنْتِظارَ المجدِبِ المَطَر، وَاِنما الأئِمة

---

١ ــ في م : على ان لاشبيه له .

٢ ــ في ب : بلا تفريق .

قُوام الله عَلى خَلقِه وَعُرفاؤُهُ عَلى عِبادِه لايَدخُل الجَنة الاَ مَنْ عَرَفَهُم وَعَرَفُوهُ وَلايَدْخل النارَ إلا مَنْ أنكَرهُم وَأنكرُوهُ.

إنَّ الله تَعَالىٰ خَصَّكُمْ بِالإسْلاَمِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ[1] لَهُ، وَذٰلِكَ لأنَّهُ اسْمُ سَلاَمَةٍ وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ، اصْطَفَى اللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ[2] عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ، لاَتَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَم، لاَتُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إلَّا بِمَفَاتِيحِه، وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إلَّا بِمَصَابِيحِهِ[3]، قَدْ أحْمَى حِمَاهُ، وَأرْعَى مَرْعَاهُ، فِيه شِفَاءُ الْمُسْتَشفِي وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمدلله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته الى آخره.

ع ــ قال الامام الوبري: الفعل يدل بواسطة الصحة على القادر والقادر لايصح كونه قادرا حتى يكون موجودا، فكلما وجد مقدور من مقدوراته تعالى، دلّ على وجوده فاذا ترادف وجود الافعال منه توالت دلالتها واستمرت على انه تعالى موجود.

وبمحدث خلقه على أزليته.

قال: لأن الحوادث لابد لها من نهاية ينتهي اليها فلو كان فاعلها محدثا لم يكن للحوادث نهاية، أو يصح وجود محدث لامحدث له وهما محالان،

١ــ في ب: واستخصكم.

٢ــ في حاشية م: وظاهر حلم.

٣ــ في ض وح وم: بمصابحه.

فلابد للحوادث من نهاية ينتهي عندها، ولايصح التناهي فيها حتى يكون مضافة إلى فاعل قديم.

فمن هذا الوجه يدل على أزليته لابمجرد حدوثه، فانها لو دلت بمجرد الحدوث على أزلية فاعلها لاستحال الفعل منا أو دل على قدمها وهما محالان.

وباشتباهم على انه لاشبه له.

قال: أي لو كان له شبه ومثل، لكان من الأجناس المعقولة لامحالة إذ مالايعقل يستحيل اعتقاده، واثباته، وما يعقل سوى القديم تعالى إما جوهر وإما عرض، ودل الدليل على حدوث الجوهر وأجناس الأعراض المعقولة المحصورة والمحدث يستحيل أن يكون بصفة القديم، فاذا كان المعقول محدثا وغير المعقول لايجوز إثباته، لم يجز أن يكون في الموجودات ما يماثله تعالى، وأيضا فان كل واحد منها محدث وفاعلها قديم والقديم يستحيل أن يشبه كل محدث أي باشتباهها يدل على أنه لاشبه له منها[1].

المشاعر: هنا الحواس قال بلعا بن قيس[2]:

والرأس مرتفع فيه مشاعره * يهدي السبيل له سمع وعينان

لاتستلمه المشاعر: قال الوبري: أي لايجوز عليه الحواس ولا تحيط به، فان المشاعر[3] انما يتصور اذا كان الحي جسما، فيصير أطرافه مشاعر لانه يصح أن يدرك بكل جزء وقدر فتشتمل آلات الادراك لان أجزاءه أو اكثرها

---

١ ــ في ض هنا زيادة وهي: قلت كل مشتبهين فما به اثبتها غير ما به تباينا فموجب الاشتباه غير موجب التباين غير فيلزم في كل واحد منهما التركيب الدال على الامكان والحدوث المقتضيين للاحتياج الى الغير فمبدع الكل ومبديه وخالقه ومنشيه يجب ان يكون مبرءً عن تشابه الغير المفضي الى الامكان.

٢ ــ بلعا بن القيس من رجالات العرب وفي ض: تلعا بن قيس.

٣ ــ في ض: اي لا يحيط به الحواس فان الحواس انما يتصور اذا كان الحي جسما.

محل الحيوة[١].

ولا تحجبه السواتر: لأنه ليس في جهة ولا محل لاستحالة كونه جوهراً أو عرضا لافتراق الصانع والمصنوع قال: إنما جعل افتراق الصانع للمصنوع: وجها في مباينته للاشياء لأن الصانع هو القادر والمصنوع المقدور، والقادر إنما يصح كونه قادر الصفة يختص به وكذا المقدور.

فالصفة المصححة لكونه قادرا لايصحح كونه مقدورا ولا بالعكس فهو من حيث أنه قادر مباين لكونه مقدورا، فالجسم إنما يصح كونه قادرا لكونه حيا وصح كونه مقدور الصفة ذاته اعني كونه جوهرا وكونه حيا لا ينوب عن كونه جوهرا ولا بالعكس والصفتان من طريق حكمتها كالمختلفين، فالقادر يجب أن يخالف المقدور من حيث كونه قادراً: والمقدور يخالف القادر، لكونه مقدورا.

فلا يلزم عليه كونه جسما وقادرا لما قلنا أن كونه قادرا بناء على كونه حيا وكونه فعلا بناء على كونه جوهرا، فلم يكن قادرا لكونه جوهرا ولم يكن جوهرا لكونه قادرا حتى يستحيل كونه قادرا فعلا بل الوجهان والصفتان متباينان والمؤثر في المفارقة إذا رجع إلى ذات واحدة كالراجع الى ذاتين وهذا معنى قوله: والحاد والمحدود والرب والمربوب[٢].

---

١ ـ في ض هنا زيادة وهي: واصل المشاعر المواضع التي حصل بها الشعور وهو العلم الحاصل عن طريق لادراك ولذلك لا يقال الله تعالى شاعر وان كان عالما لاستحالة الحواس عليه.

٢ ـ في ض هنا زيادة وهي: وهذا مما اسس فيه الوبري على شرحه وجرى النار على قرصه في سلوك طريق مشيخة من اثبات الاخوان وما ينبغي عليه وظاهر كلام اميرالمؤمنين عليه السلام انه تعالى ليس بجسم ولا جسماني فيستحيل تعلق الحواس به والتستر بالحجاب عليه.

لو كان جسما او جسمانيا لكان متعرضا لذلك ولسائر العوارض الجسمانية ويستحيل ان يكون مبدع الجسم لوجوب امتياز الواجب من الجائز والغني عن المحتاج في حقيقتهما اذ لو لم يكن بينهما امتياز وافتراق كان لهما اشتراك واتفاق فكان يلزم التساوي امافي الوجوب والفناء او الجواز والحاجة والحادو المحدد وقيل اراد بالحد بالمكان والجهة ومبدع المتحيز والتكون يستحيل ان يكون في الحيز والمكان لاستحالة ان يكون القديم كالمحدث قيل الحد الحقيقي لا يكون الا من جنس وفصل والله تعالى لاحد له لاستحالة التركيب في ذاته من الجنس

←

الأحد لابتأويل عدد: قال العدد انما يدخل في الأجناس ومن كل جنس في الأمثال فاذا لم يكن تعالى من الأجناس، ولم يكن له مثل فيعد واحد من الجنس ولم يجز أن يكن واحدا من العدد، فان تقدم الواحد على الاثنين تقدم الماهية، لابالوجود تعالى الله عن ذلك فانه تعالى يتقدم على المخلوقات بالوجود الأزلي .

والخالق لابمعنى حركة ونصب: قال إنما صح الحركات على الأجسام[1] فالفاعل، إذا كان جسما قائما يقع البداية في أفعاله بتحريك نفسه فاذا توالت الحركات، افضت إلى العناء والنصب . وذلك مقصور على الجسمية والفاعل غير الجسم إنما يفعل الأفعال في البداية والنهاية، في غيره لأنه يستحيل كونه محلا للافعال، وإذا لم يكن محلا للافعال استحال عليه النصب .

البصير لابتفريق آلة: قال بعض الأطباء: السواد لون جامع للبصر والبياض لون مفرق للبصر فمعناه بصير لابواسطة الالوان والحواس وقيل: البصير إنما يدرك انفصال الشعاع عنه، وإتصاله بالمدرك ، فلذلك قال: لابتفريق آلة .

الشاهد لامماسة: لأن معنى الشاهد فيه تعالى هو العالم، وصفة العالم لايقتضي مجاورة ولا مماسة مع المعلوم .

البائن لابتراخي مسافة: قال لأن مباينته تعالى للأشياء هو مخالفة لها في صفاته، وهذا لايوجب تراخي المسافة، وقيل حد الواحد أنه موجود لاينقسم، من حيث هو ذلك الواحد، وهو الذي يقال في كل موجود أنه واحد، والواحد مبدأ المعدود، كما أن الوحدة مبدأ العدد، وحد الكيفية صورة

والفصل اذ هو المبدع لذلك على جنسه وفصله ومظهر كل حقيقة كما هي والمنة عليها لمتعرفها .

١ ـــ في ض : يصح الحركات على الاجسام .

موجودة في الشيء اذا سئل عن الشيء بكيف هو اجيب بها .

والفاعل أعم من الخالق فان الفاعل يقال لمن يفعل شيئا من شيء، كالبناء يفعل البناء من الطين والآجر والخشب، ولا من شيء. والخالق الذي يفعل من لا شيء شيئا، قال تعالى هل من خالق غير الله، والحركة انتقال من حال إلى حال إما من نقص إلى كمال أو من كمال إلى نقص، وينقسم إلى حركة طبيعية وقسرية وإرادية هذا عند قوم.

الظاهر لابرؤية، لأن ظهوره بدلالة العقول على وجوده الأزلي .

والباطن لابلطافة: معنى كونه باطنا أنه عليم بسرائر الأمور، واللطافة عن المتكلمين عبارة عن قلة الأجزاء، وذلك يباين معنى العالم. بان من الأشياء بالقهر لها: قال أي فارقها بصفات ذاته وهو يقهر الوجود الجائز بالعدم والعدم الجائز بالايجاد[١]، وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه يعني أنها عرضة لانفاذ قضائه وتدبيره فيها .

من عده فقد ابطل أزله: لأن الأعداد والابعاد محدثة والمحدث لايلائم القديم، وقال الوبري: العد إنما يدخل في الاشياء المثلية فمن اعتقد العد فيه تعالى فقد قضى باثبات أمثال له، والقديم يحيل المثل، وينبو عن المماثلة، من قال: كيف، فقد استوصفه ومن قال: أين فقد حيزه.

مقولة كيف واين: داخلتان في الأعراض عند اكثر الحكماء والله تعالى منزه عن ذلك، وعن المتكلمين قولنا كيف سئول عن الأحوال الجسمية من الصحة والسقم والتمول والفقر، وغيرذلك والله تعالى منزه عن الأحوال الجسمية، وفي كتاب الصحاح: وكيف استفهام عن الأحوال وقد يقع بمعنى التعجب كقوله تعالى: كيف تكفرون بالله[٢].

---

١ ـ في ب: بالايجاب والاحداث.

٢ ـ البقرة: ٢٧.

عالم إذ لامعلوم: أي لامعلوم سواه في الوجود وكذا لامقدور أي في الوجود.

(شـ وباشباههم على أن لاشبه له.

كل مشتبهين فما بِهِ اشتبها غير ما به تباينا، فموجب الاشتباه هو هو غير وموجب التباين غير، فيلزم في كل واحد منهما التركب الدال على الامكان والحدوث، المقتضيين للاحتياج إلى الغير، فمبدع الكل ومبديه وخالقه ومنشيه يجب أن يكون مبرءً عن نقيصه تشابه الغير المفضي إلى الامكان[١]).

قوله عليه السلام: وانتظرنا الغير: أي[٢] تغير الأحوال والأمور عما كانت عليه.

وإنما الائمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده.

(هذا إشارة إلى أن الامام يجب أن تكون إمامته بنص من الله تعالى عليه وتنويه منه لذكره[٣]).

وقوله لايدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من انكرهم وانكرره.

تصريح بما تعتقد الامامية[٤] من أنّ الامامة أصل من أصول الدين وركن من

---

١ ـــ بين الهلالين ساقط في ض وهنا زيادة ايضا وهي: قد طلع طالع ولمع لامع ولاح لايح كأنه عرض بثلاث احوال الثلاث رجال ثم كشف عن حالة بقوله واعتدل مايل واستبدل الله بقوم قوما ويوم كما قال في خطبة اخرى الان اذ رجع الحق الى أهله ونقل الى منتقله.

٢ ـــ في ض: وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر هذا تلويح ليس للمستبصر وراه تصريح وتعريض له شرح طويل عريض.

٣ ـــ بين الهلالين ساقط في ض.

٤ ـــ في ض هنا زيادة وهي: في الديوان العريف العارف النصيب وفي العين عريف الرجل من يعرفه والعرفاء الذين اتخذهم السلطان في الزمان الاول جعلوا على كل خمسين او نحوه عريفا أي الأئمة هم القائمون باوامر الله

←

أركانه لاعذر للمكلف للاخلال بمعرفتها، وفي الحديث من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وذلك لأن من جوز خلو الزمان عن الامام المعصوم الذي هو اللطف في التكليف لم يعرف عدل الله حيث جوز انه تعالى اخل بالواجب الذي هو اللطف في التكليف.

وجماع كرامة: أي جامعها، وفي الحديث الخمر جماع الاثم أي يجمع صنوفه.

والمرابيع: الأمطار التي تجئ في أول الربيع قال لبيد في صفة الديار.

رزقت مرابيع النجوم وصابها * ودق الرواعد جودها فرهامها

والمرباع[1] ما ياخذه الرئيس من ربع المغنم، وناقة مرباع تنتج في الربيع.

من ظاهر علم وباطن حكم: اشارة إلى القرآن.

احمى حماه: جعله محميا محفوظا.

ونواهيه وقسطه وعدله وخلافته في عباده ونقباؤه.

البصراء بمصالحهم ومفاسدهم وما يقيم اودهم ويُرْضِي عنهم خالقهم وفيه تصريح بان الامام يجب ان يكون منصوبا من جهة الله تعالى منصوصاً عليه اقامة الله على خلقه فيكن قائما عليهم باذنه عارفا بالله حق معرفته وبما يحتاج اليه آحادريتة ويكون معرفته من حقائق الايمان التي يستحق بها الرضوان والجنان ويتخلص من السخط والنيران وان الامام اصل الخ.

١ ـ في ض: عنى بالنجوم الانواء والمرباع الخ.

١٥١ ـ وَمِنْ خُطْبَةٌ لَهُ عَلَيْهُ السَّلامْ

منها: وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ ٱللهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِلاَ سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلاَ إمَامٍ قَائِدٍ:

منها: حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَٱسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلاَبِيبِ غَفْلَتِهِمْ، ٱسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، وَٱسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طِلْبَتِهِمْ، وَلاَ بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ! وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ[1] وَنَفْسِي هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ، فَلْيَنْتَفِعِ ٱمْرُؤٌ بِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَٱنْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلاَلَ فِي الْمَغَاوِي، وَلاَ يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ[2] مِنْ صِدْقٍ. فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَٱسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ! وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مِمَّا لاَبُدَّ مِنْهُ، وَلاَ مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ،

---

١ ـ في ك : واحذرهم ونفسي وفي ش : فاني احذركم .

٢ ـ في ش : او تخويف .

وَضَعْ فَخْرَكَ ، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ [١] ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ : وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَكَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ . فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ (وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ).

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ [٢] ٱللهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لاَيَنْفَعُ عَبْداً ـ وَإِنْ أَجْهَدَ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لاَقِياً رَبَّهُ بِخِصْلَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلاَكِ نَفْس ،أَوْ يَعُرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ؛ اعْقِلْ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ.

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا، وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ . .

١ــ في ب : واذكر قدرك .

٢ــ في ش : ان من كرائم الله .

الشرح

قوله عليه السلام: حتى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم إلى آخره[١].

ع ــ ظاهر الكلام يقتضي أنه عائدة إلى الكفار، بدليل قوله من قبل وهو في مهلة من الله، وقال تعالى، فمهل الكافرين أمهلهم رويدا[٢] وقد آتاهم الرسول عليه السلام فردوا عليه وأقبلوا على الطواغيت والأوثان وطاعة الشيطان، وإن كانوا من قبل ذلك كافرين، فقد ازدادوا كفرا إلى كفرهم بعصيانهم الرسول فلما استمروا على ذلك أذن الله في قتالهم، لعلمه بصلاح الفريقين في ذلك، فكان جهاد المسلمين كشفا عن جزاء معصيتهم لأنه لولا كفرهم لم يكن جهادهم واجبا.

فهذا معنى استقبال المدبر: لأن طاعة من لايستحقها كأنه إستقبال لما يرجع القهقرى وعصيانهم الرسول، وهو أهل أن يطاع ويقبل أمره استدبار ونكوص على الأعقاب عمن يقبل إليهم مسارعا إلى خيرهم وفلاحهم، وقيل إنه يعود الى الغافلين العاصين؛ واذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم عبارة عما يعرض لهم، من كشف الغطاء عند الموت وكانوا نياما فاذا ماتوا انتبهوا.

فاستقبلوا مدبرا: يعني هذا العالم المملوءمن الآفات.

---

١ ــ في ض: عنى بالنجوم الانواء والمرباع الخ.

٢ ــ الطارق: ١٧.

واستدبروا مقبلا: يعني عالم الجزاء ولم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم أن الله تعالى قال: وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار[١].

ولا بما أدركوا من طلبتهم: من نعيم الدنيا ولا بما قضوا من وطرهم: من اللذات المخدجة.

وإني احذرهم ونفسي هذه المنزلة.

لأنها منزلة الحسرة والندامة حين لاينفع الحسرة والندامة.

ثم سالك جددا: الجدد الأرض المطمئنة المستوية، وفي المثل من سلك الجدد فقد أمن العثار يضرب في طَلَبِ العافية.

والمغاوي: جمع مغواة وهي حفرة كالزبية عنى بها الدواهي[٢].

النبي الامي: نسب الى ما عليه امة العرب: وكانوا لايكتبون، ومنه بعث في الأميين، وفي الحديث بعثت إلى أمّة امّية، وقيل نسب الى الأم أي هو على جبلته التي ولدته أمه عليها من الفطرة الطيبة، معجزة له[٣].

دعه وما رضي[٤]، وفي المثل: دع إمرءً وما اختار يضرب لمن لايقبل الوعظ (قال الشاعر في معناه.

اذا المرء لم يدر ما امكنه ولم يأت من أمره أن ينه.

فدعه فقد ساء تدبيره * سيضحك يوما ويبكي سنة

وقد نسب بعض الناس هذا الشعر إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وقد

---

١ ــ النساء: ١٨.

٢ ــ في ض: واصلها من الغواية اي مواضع الغواية والتخوف التنقص وانعم الفكر اي بالغ في التفكر وأحسن التأميل وقيل هو مقلوب امعن الخ.

٣ ــ في ض معجزة له والمختص المعدل.

٤ ــ في ض: دعه وما رضي لنفسه اي مع ما رضي.

أوردته في كتاب أنوار العقول من أشعار وصي الرسول)[١].

كما تدين تدان: (مثل للعرب) أي كما تجازي تجازى؛ والكاف نعت لمصدر محذوف أي تدان دينا مثل دينك.

وعزائم الله: الواجبات المعلومة والأوراد المحتومة بالأدلة القاطعة.

والذكر الحكيم: القرآن، وقيل اللوح المحفوظ.

أجهد نفسه: حمل عليها وكلفها ماهو خارج عن استطاعتها.

أو يلقى الناس بوجهين: قال هو التصنع لكل أحد بما يشتهيه فعلا والمرائي هو الذي يرى من نفسه خصلة حميدة ليس منها في شيء.

او يمشي فيهم بلسانين: هو الذي يكلم كل أحد بما يهواه، فهذا يصنع الأول بفعله.

المثل دليل على شبهه: قال الوبري: الذي ذكرته لايقتصر على المذكور بل هو تنبيه على أمثاله فقس عليه ما أشبهه في الاثم (وما زاد عليه[٢]) فليس هذا بحصر بل ذكر البعض عن الكل قال المبرد المثل المثال وقيل: المثل الصفة في قوله تعالى: مثل[٣] الجنة، والمثل بمعنى المثل كشبه وشبه، والمثل العبرة في قوله تعالى: وجعلناهم سلفا ومثلا[٤]، أي عبرا والشبهة الاشتباه فمن روي الشبه.

قال: المثل بمعنى المثال أي المثال يدل على شبهه، يعني من طريق المقايسة وكذا من فسره بالصفة، ومن فسره بالعبرة فالمعنى أن العبرة يدل على الاشتباه أو المثال يدل على اشتباه لأن بالمثال يرتفع الشبهة[٥] ويتضح المقصود.

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٢ ــ ساقط في ض.

٣ ــ محمد: ١٥.

٤ ــ الزخرف: ٥٦.

٥ ــ في ش: لان المثال يرفع الشبهة وفي ض: لان بالمثال يرتفع.

إن البهائم همها بطونها: اضاف القوة الشهوانيّة الى البهائم فمن ضيع أيامه في قضاء تلك الشهوة فهو في دركات البهائم (وأضاف القوة الغضبية الى السباع الضواري فمن اطاع تلك القوة[١] فهو) في دركات السباع، وأضاف حب الزينة والتجمل وقلة التفكر في العواقب.

قال بعض الحكماء: اذا رأيت في الدنيا خصومة ليس بامرأة فاحمد الله تعالى فانها أمر عجيب، وقد ظهر في ابتداء العالم الفساد في البر والبحر بقتل هابيل وإنما قتل هابيل بسبب امرأة.

أن المؤمنين خائفون: من قول النبي صلى الله عليه وآله رأس الحكمة مخافة الله، وقال تعالى: هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون[٢]، وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه: ذلك لمن خشي ربه[٣]، وللخائف درجتان قال تعالى: ولمن خاف مقام ربه جنتاه[٤].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال تعالى: بعزتي وجلالي إني لا أجمع خوفين في قلب إمرء ويروى في قلب عبد، فمن خافني في الدنيا لايخافني في الآخرة وكان «من الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون».

قال بعض العارفين: ما استولى الخوف على قلبي يوما إلا وفتح الله على قلبي في ذلك اليوم بابا من أبواب الحكمة: وقال الحسن البصري خوف في الدنيا يورث أمنا في الآخرة.

ج ـ كشف لهم عن جزاء معصيتهم.

أي بين[٥] لهم عند الموت بالعلم الضروري كون النار أعدّها للكافرين، وأن ذلك جزاءهم.

---

١ ـ ساقط في ض.
٢ ـ الاعراف: ١٥٤.
٣ ـ البينة: ٨.
٤ ـ الرحمان: ٤٦.
٥ ـ في ض: وقيل معنى كشف لهم عن جزاء معصيتهم بين الخ.

واستعار الجلابيب: للغفلة البليغة يعني أخرج الله الكفار منها عند النزع، وذلك لاينفع عند الاحتضار اذا غرغر.

استقبلوا أمرا مدبراً لهم: وهوأحوال يوم القيامة.

واستدبروا: من أمر الدنيا التي كان لهم فيها إقبال.

لم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم: من متاع الدنيا ونعيمها.

ولا بما قضوا من وطرهم: أي حاجتهم من شهوة البطن والفرج.

والتخوف: التنقص.

وأنعم الفكر: أي بالغ في التفكر وأحسن التأمل، وقيل هو مقلوب أمعن.

والمحيص: المعدل كما تدين تدان: سمي الأول جزاء مجازا للازدواج، كما جعل الآخر اعتداء في قوله تعالى: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه. لذلك والحذر الحذر أي خذ الحذر.

(انه لاينفع عبدا: منصوب المحل اسم لأن في قوله إن من عزائم الله والضمير للشأن وأن يخرج مرفوع المحل بينتفع.

أن يشرك: بدل من أن يخرج أو خبر مبتدأ محذوف أي تلك الخصال كذا وكذا أو بدل من خصلة.

فان المثل دليل على شبهه: أي مثل الشيء يجر الشبه في انه كهوَ وروي على شبهه وهو أوضح[1]).

والمستكين: الخاضع، والمشفق: الخائف.

* * *

---

١ ــ ساقط في ض.

١٥٢ ـ ومن خطبة لهُ عليه السلام

وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ: بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ، دَاعٍ دَعَا وَرَاعٍ رَعَا، فَاسْتَجِيبُوا للدَّاعِي، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي[١].

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ الشِّعَارُ، وَالأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالأَبْوَابُ وَلاَ[٢] تُؤْتَى الْبُيُوتُ إلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً.

منها: فِيهِمْ كَرَائِمُ الايمان[٣]، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰنِ، إنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا، فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ[٤]، وَلْيَكُنْ منَ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ فَإنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإلَيْهَا يَنْقَلِبُ، فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدأ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْه أَمْ لَهُ؟ فَإنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ؛ فَإنَّ الْعَامِلَ[٥] بِغَيْرِ عِلْمٍ كالسائر[٦] فِي غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلاَ يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ إلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ

١ ــ في ب: واتبعوا للراعي.
٢ ــ في ف ون: الابواب لا تؤتى البيوت.
٣ ــ في ض ون وف: كرائم القرآن.
٤ ــ في ن: فليحضر ذهنه.
٥ ــ في ف ون: وان العامل.
٦ ــ في حاشية ن وش: كالسائل على غير طريق.

كالسائِر عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ [١]، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ». وَٱعْلَمْ [٢] أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وَكُلُّ نَبَاتٍ لاَغِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ: فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ..

الشرح

قوله عليه السلام داع دعا وراع رعا: كأنه أشار بالداعي الى النبي صلى الله عليه وآله وبالراعي الى نفسه، يريد بذلك ما روي أنه لما نزل قوله تعالى: إنما أنت منذر ولكل قوم هاد، قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أنا المنذر وأنت الهادي، ثم ذكر المنحرفين عن الحق والمولين عنه الدبر فقال:

قد خاضوا بحار الفتن: واخذوا بالبدع دون السنن وارز المؤمنون.

ويقال: أرز فلان يأرز أرزا وأرزوا إذا تضام [٣] وتقبض قال أبوالاسود الدؤلي [٤]: ان فلانا إذا سئل أرز وإذا دعي اهتز أي تقبض من البخل.

١ ــ في ض وح: عن الطريق الواضح وفي ش: كسائل.

٢ ــ في ش: فاعلم ان لكل.

٣ ــ تضامُّ القوم: اجتمع بعضهم الى بعض.

٤ ــ ظالم بن عمرو ابو الاسود الدؤلي احد الفضلاء من الطبقة الاولى من شعراء الاسلام وشيعة اميرالمؤمنين عليه السلام وكان من سادات التابعين واعيانهم صحب عليا سلام الله عليه وشهد معه وقعة صفين وهو بصري

←

نحن الشعار والأصحاب والخزانة والأبواب.

أشار إلى قول النبي صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم وعلي بابها وكان علي عليه السلام خازن علم النبي صلى الله عليه وآله ومستودعه حيث قال علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم فتح لي من كل باب ألف باب، ولقد قال عليه السلام:

ولي القربة إن قام شريف ينتميها * زقني بالعلم زقاية صرت فقيها

في أبيات آخر ذكرتها في أنوار العقول.

إن صمتوا لم يسبقوا ع: أي أنهم أعلم الناس بمواضع فلا يسبقهم أحد[1].

وليكن من أبناء الآخرة فانه منها قدم واليها ينقلب.

أي قدم من العدم وإليه ينقلب وإنما أعاد الضمير الى الآخرة وهي القيامة لأنها معدومة وقيل منها قدم أي خلق لغرض، ثم يعود إليها اتماما للغرض لأن الداعي إلى خلق العباد، وتكليفهم هو وصولهم إلى المنافع الأخروية التي لايدرك إلا بالاستحقاق.

فما طاب ظاهره، طاب باطنه: يعني تطهير الظاهر والعلانية عن المنكرات، واستقامته على طريق الاستمرار دلالة ظاهرة، على نقاء السريرة وموافقتها للعلانية، وكذا العكس، وقيل إن لكل جسد ظاهر حيوة أو روحا باطنه؛ فمن طاب ظاهره بالأخلاق الجميلة التي هي الفضائل طاب باطنه أي عقله من الهيئة الانقيادية ومن خبث ظاهره بالرذائل والأخلاق المذمومة خبث

يعد من الفرسان والعقلاء وله نوادر كثيرة.

قال ابن خلكان: وكان نازلا في بني قشير بالبصرة فكانوا يرمونه بالليل لمحبته عليا عليه السلام وولده، وهو الذي ابتكر النحو باشارة امير المؤمنين وتوفي بالبصرة بالطاعون الجارف سنة ٦٩ وله في امير المؤمنين قصيدة اولها:

الايا عين ويحك فاسعدينا الا فابكي امير المؤمنينا

١ ــ في ض: اعلم بمواضع السكوت فلا يستقيم احد اي ان صمتوا لم يفتهم بصمتهم شيء يلزمهم تداركه مما يسبقهم اليه غيرهم لان صمتهم لا يكون الا في موضعه وعلى موضع الحكمة.

باطنه اي عقله بالهيئات الانقيادية البدنية .

وقوله على مثاله: أي باطن كل انسان على وفق استعداده، وما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله: إن الله يحبّ العبد، ويبغض عمله ويحبّ العمل ويبغض بدنه .

قال الامام الوبري: إن الحسن من كلّ فاعل إذا وقع على وجهه فهو حسن، والقبيح من كل فاعل قبيح لوقوعه على وجه مخصوص، فالمعتبر في وجوه الأفعال في حسنها وقبحها دون أفعال فاعلها، فالمؤمن حبيب الله لقوله: يحبهم ويحبونه، فاذا صدرت عنه صغيرة فالله تعالى يحب ذاته ويبغض عمله، وكذلك الكافر إذا أحسن إلى المسلمين فان الله يبغض جسده ويحب عمله .

هذا الخبر ردّ على من قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يذكر شيئا من العقليات، فان هذه المسألة من لطيف الكلام في العقل وقيل: العارف ربما كانت له أخلاق غير مرضية فالله يحبه من جهة عرفانه ويبغض أخلاقه والجاهل ربما كانت له أخلاق جميلة حصلها من طريق التقليد. والله تعالى يحب أخلاقه ويبغضه .

واعلم أنّ لكلّ عمل نباتا: هذا بيان ماسبق من الظاهر والباطن فان الباطن كالأصل والظاهر كالثمرة له وهذا مقتبس من قول الله تعالى: «والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج الانكدا[١]» .

ج ـ منها قدم: أي من أجل الآخرة قدم، وقيل: الضمير ليس للآخرة وإنما هو لغير مذكور وهو الأرض كقوله تعالى: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم[٢]» وقيل إنه من قوله تعالى: «وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم

١ ـ الاعراف : ٥٨ .

٢ ـ طه : ٥٥ .

يحييكم ثم إليه ترجعون[1]» .

فما طاب ظاهره طاب باطنه : أي كلّ عمل يكون طاعة وقربة لله تعالى يكون جزاؤه ثوابا عظيما .

وما خبث : من المعاصي فجزاؤه عذاب عظيم لايستطاب .

ومحبة الله العبد : أن يريد ثوابه ، ومحبته الفعل إرادته أن يفعل .

* * *

١ ــ البقرة : ٢٨ .

١٥٣ ــ ومن خطبة لهُ عليه السلام

يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى غَايَةِ مَلَكُوتِهِ، هُوَ اللهُ[1] الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَاهُ الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلاَ مَشُورَةِ مُشِيرٍ، وَلا مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ فَأَجَابَ وَلَمْ يُدافِعْ[2] وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ.

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ[3] خِلْقَتِهِ؛ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلاَمُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا، عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَصِلَ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا، وَرَدَعَهَا تَلأْلُؤُ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وَأَكَنَّهَا فِي

---

١ ــ في ض وب : هو الله الملك الحق.

٢ ــ في ب : ولم يدفع.

٣ ــ في ض وب : وعجائب حكمته.

مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بَلَجِ ائْتِلاَقِهَا، فَهِيَ مُسْدِلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا، وَجَاعِلَةُ[١] اللَّيْلِ سراجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلاَ يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلاَ تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ، فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ[٢] نُورِهَا عَلَى الضِّبَاب[٣] فِي وِجَارِهَا أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا، وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ[٤] مِنَ الْمَعَاشِ فِيْ ء ظُلَم لَيَالِيهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهاراً وَمَعَاشاً، وَالنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً، وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا[٥] تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا الآذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً، لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ، تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا، لاَجِىءٌ إِلَيْهَا: يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لاَيُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحَان الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَال خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ.

---

١ ــ في م وعاجلة الليل.

٢ ــ في م وف ون: ودخل اشراق.

٣ ــ في حاشية ن: على الضباع.

٤ ــ في ب: بما اكتسبت من في ءظلم.

٥ ــ في ر: وروي اجنحة من لحم.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته.

ع: الوصف قولي والعرفان عقلي والمقول يقصر عن الاحاطة بالمعقول، فان الألفاظ متخيلة، والمعقول المحض مقدس عن التخيل والتوهم.

قال الوبري: أي إن مقدوراته تعالى ومعلوماته غير متناهية، فلا يمكن وصفها بآسام[1] وأقوال متناهية.

وردعت عظمته العقول: يعني أنّ معرفة العباد اعداد ما خلق الله تعالى مفصلة لايجوز أن يحصل وإن كان ذلك مقدور الله تعالى إما بالاضطراب أو بالدلالة لأنّ صلاحهم مقصور على علم الجملة، والممتنع في الصلاح ينزل منزلة الممتنع في المقدور من حيث أنّ كلّ واحد منهما لاحظ له في الوجود.

الحق المبين: أي الدائم الوجود الذي، هو أولى بالوجود، من كلّ موجود، وأنه قديم واجب الوجود وأحق وأبين مما ترى العيون، لأنّ الحسّ لايدرك الا ما ظهر، ولا يدرك حقائق الأشياء، فمن نال به كل حقيقة ممكنة وجوده، فهو أحقّ وأبين.

قال الوبري: جميع ما ترى العيون هو الأجسام، ونوع من الأعراض فهو تعالى أولى بالوجود من الاجسام والأعراض، والجواهر، وهذه مسألة فيها

---

١ ـ السوم: العلامة.

اختلاف بين المتكلمين أنّ صفة الوجود، هل يدخلها التفاضل والتزايد أم لا، والحق أن يقال إن الجواهر أولى بالوجود من العرض وواجب الوجود أولى بالوجود من جائز الوجود، ولفظ الحق أبلغ في إفادة صفة الثبات من لفظ الوجود.

لأن الحق هو الذي لزم ثبوته لزوما لايقبل الانفصال تشبيها بحقائق المفاصل التي يلزم اتصال بعضها ببعض، لزوما ظاهرا مستمرا على الأوقات، ولهذا يقال حقّ الورك [١] لبلوغه النهاية في اللزوم، والاتصال وكذلك في البعير إذا بلغ استحقاق الحمل عليه والرّكوب، فيقال حق فان كان لايجوز أن يقال أنه أولى بالوجود من غيره فينبغي ان لايقال أنه أحق من غيره، وقد قال أميرالمؤمنين أحق وأبين مما ترى العيون.

وجه آخر أن قوله أحق أن المدلول عليه لايدخله الاحتمال، لأن الدلالة لاتخطىء بل هي كاشفة عن حقيقة المعلوم قطعا، ويقينا، ليس كذلك المشاهدة، فانها قد يدخلها اللبس، ألا ترى أن الناظر يرى من نزول المطر خطا مستقيا ويرى النقطة الجوالة دائرة ويرى راكب السفينة ساحل البحر، متحركا والسفينة ساكنة، فلا يكشف المشاهدة[٢]، عن حقيقة المدرك، كما ذكرناه.

فلما دلت الأدلة على الله تعالى لم يجز أن يكون بخلاف ما دلت عليه قطعا ويقينا، وكان لذلك أحق من المشاهدة، وكذلك كل معلوم بالدليل فهذا سبيله، وكذلك قال في بعض كلامه وقد تكذب العيون أهلهاولايغش العقل من استنصحه.

لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها.

---

١ ــ الورك: ما فوق الفخذ كالكتف فوق العضد، يقال: قعد الملاح على ورك السفينة أي على مؤخرها.

٢ ــ في ض: فلا ينكشف المشاهدة.

قال الوبري[١]: لأنه تعالى إنما علم قادرا عالما حيّا سميعا بصيرا، قديما، وهذه الصفات لايوجب التحديد وإذا لم يكن محدودا لم يشبه شيئا لأن التحديد هو الذي يقتضي التشبيه وأن المحدود لايكون إلا جسما والأجسام متماثلة في الجنس فاذا لم يجز عليه الحدود لم يجز عليه حكمها، وهو التحيز وإذا لم يجز عليه التحيز لم يجز أن يكون مماثلا للمتحيز.

قال قوم: المحدود مثلا الإنسان وحده أنه حيوان ناطق، والحيوان هو الجنس، والناطق هو الفصل، والحيوان لفظ واقع على الانسان والفرس، والطائر وغير ذلك فيكون بين الانسان، والفرس مشابهة في الجنسية وهو أنّ لفظ الحيوان واقع عليهما، فكل ما علم بالتحديد يعلم الجنس أوّلا، والجنس يقع عليه، وعلى غيره فلذلك قال عليه السلام ولم تبلغه العقول بتحديد.

ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا.

أي لا يدركه الوهم، والمقادير لأنه منزّه عن المقادير.

قال الوبري: لأن الوهم والتقدير إنما يتعلقان بما له هيئة وشكل[٢]، والهيئة مقصورة على الجسم، فاذا لم يصحّ كونه جسما لم يصح عليه الهيئة، ولم يجز أن يكون ممثلا، وقيل الوهم قوة جسمانية يدرك من المحسوس ماليس بمحسوس، كادراك الشاة معنى العداوة من الذئب، ولايصدق الوهم لموجود منزه عن المكان والأجزاء والأبعاض والجهات.

قوله خلق الخلق من غير تمثيل: إنما خلق الله تعالى الخلق بلا مثال لأنه عالم بكل معلوم مفصلا ولا يستحيل أنْ يحدث العالم الأزلي فعلا محكما بلا مثال، وليس يجوز أن يكون للخلق أمثلة متقدمة، لأنه لايخلو إما أن يكون للمثال نهاية حتى يصح من الله تعالى إحكام الفعل اقتداء بالمثال، فيكون

١ ــ في ض : قال الامام الوبري.

٢ ــ في ض : هيئة وتشكل.

المثال قديما أو يحدث مبادى أفعاله غير محكمة ثم يصير مثالا في لواحق أفعاله، فيكون الأوائل خارجة من الأحكام جارية على التبخيت[١]، وهذا يناقض الحكمة وإما أن يتعذّر عليه أحكام الافعال أصلا، وذلك يقتضي إبطال كونه عالما فلذلك قال: خلق الخلق على غير تمثيل، ولا مشورة مشير.

وهذا رد على من زعم من المتكلمين على أن الله تعالى متصوّر للأشياء فان الله تعالى منزه عن التصور من أقسام العلم البشريّ والله تعالى منزه عن العلم البشري.

فتم خلقه بأمره: الخلق عند الحكماء اسم مشترك يقال خلق لافادة وجود، كيف كان، ويقال خلق لافادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان، ويقال خلق لهذا المعنى الثاني بعد أن يكون لم يتقدمه وجود ما بالقوة لتلازم المادة والصورة في الوجود.

قال بعض المتكلمين: أي تم ما أراد من خلق السموات والأرض وما اسكنهما من الجماد والحيوان، حتى قام الخلق الذي هو أصول لما يأتي من بعد، فأراد بالخلق هذه الأصول والقواعد من كل جنس ونوع.

قال الامام الوبري: تم خلقه أي خلق كل شيء على تمام ما يصلح له منقاد غير ممتنع من إمضاء أمره فيه، فسبحان الله البارىء لكل شيء على غير مثال خلا من غيره، لأن المحتاج إلى المثال إنما يحتاج إليه لفقد بعض العلوم والعالم القادر لذاته يعلم كل ما يصح أن يعلم، ويقدّر على كل ما يصح ان يقدر عليه، فلا يحتاج إلى علم وقدرة، وخلا بمعنى مضى قال الله تعالى: «وان من امة الاخلا فيها نذير[٢]».

---

١ ـــ التبخيت من البخت وهي كلمة فارسية بمعنى الحظ والسعد، وفي ض: فيكون الاوائل خارجة على التبخيت.

٢ ـــ فاطر: ٢٤.

في كتاب الخصائص من شدّ على مرفقه رأس الخفاش سهر، ولو علق الخفاش وهي حيّ من شجرة، طرد الجراد عن تلك القرية، وخلقة الخفاش عجيبة بين خلقه الطير، وذوات الأربع، وهو إلى ذوات الأربع أقرب، وذلك أنه ذو أذنين ناشرين وأسنان ووبر، وهو يلد أولادا ويرضع ويبول، ويمشي إذا مشى على أربع وفيه منافع كثيرة مذكورة في كتب الطب وذيلها يستعمل في الاكحال .

الخفاش يطلب المنزل المتوسط بين النور والظلمة، والموحد يطلب المنزل المتوسط بين التعطيل والتشبيه، فالنهار كالتشبيه والليل كالتعطيل، وليس للخفاش صورة الطير ومع ذلك يطير، وليس للموحد صورة الملك ويتخلق بأخلاقه في قوله تعالى: «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[1]» وقال بعض الحكماء: كونوا خفافيش لا تبرزوا نهارا فخير الطيور خفافيشها .

ج ــ انحسرت: أي انكشفت، وذلك أنه تعالى ليس بمدرك فيعرف من طريق المشاهدة التي هي غاية المعارف للمحدثات المدركة، ويعجز العقلاء أن يبلغوا نهاية العلم بسلطانه، وملكوته أو يعلموا غاية مقدوراته، ومعلوماته إذ لاغاية لشيء من ذلك يتناهى عندها .

ثم بيّن أن المراد بكنه المعرفة أن تراه العيون ويعجز العقول عن تحديد جلاله لأنه لايشبهه شيء، بل خلق كل شيء بلا مثال سابق من غيره، ولا احتاج الى سواه، والمعارف إما ضرورية أو استدلالية، والضرورية كنه الاستدلالية. والضرورية يخلقها الله تعالى ابتداء أو يحصل من طريق المشاهدة .

ردعت: كفت اذعن: انقاد المساغ: الطريق .

---

١ ــ التحريم: ٦ .

السبحات : النور والبلج : الاشراق، والبلوج : الطلوع .

الاسدال : الارخاء والاغماض هنا .

الأسداف : الظلمة أضيف إليها مثل كرى النوم، للتخصيص وقيل : الأسداف الضوء أيضا وهو من الأضداد وقال أبو عبيد : هو اختلاط الظلام بالضوء .

وغسق : أي أظلم، الدجنة : الظلمة أيضا، والوضح : الضوء والبياض .

ومآقيها : العين لغة في موقعها، وهو فعلي وليس بمعفعل لأن الميم من نفس الكلمة، وإنما زيد في آخره الياء للالحاق .

والشظية : الفلقة من العصا ونحوها، والجمع الشظايا، وعني هنا بشظايا الآذان زوائدها .

والقصب : كل عظم مستدير أجوف، الواحدة؛ قصبة .

والقصبة عروق الرئة وهي مخارج النفس، ومجاريه أي لا ريش للخفاش ولا عظم فيه، ولا عرق، كما يكون لسائر ما يطير.

* * *

١٥٤ ــ ومن خطبة لهُ عليه السلام

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ عِنْد ذٰلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى ٱللهِ فَلْيَفْعَلْ! فَإنْ أَطَعْتُمُونِي فَإنِّي حَامِلُكُمْ ـإنْ شَاءِ ٱللهُـ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرةٍ.

وَأَمَّا فُلاَنَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأيُ النِّسَاءِ[١]، وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمرْجَلِ الْقَيْنِ، وَلَو دُعِيَتْ لتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَاأَتَتْ إلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ. وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الأُوْلَى، وَالْحسَابُ عَلَى ٱللهِ.

منها: سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهاجِ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ، فَبِالإيمَانِ يُسْتَدلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبالصَّالِحَات يُسْتَدلُّ عَلَى الإيمَانِ، وَبالإيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمِ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْت، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الآخِرَةُ، (وَبالقيامَةِ تُزْلَفُ الجَنَّةُ لِلمُتَقِينَ وَتُبْرَزُ الجَحِيْم للغاوِين)[٢]، وَإنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى.

منها: قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الأَجْدَاثِ، وَصَارُوا إلَى مَصَائِرِ

---

١ ــ في هامش م: فادركها ضعف رأي النساء وكذا في ر.

٢ ــ ساقطة من ف وع ون ول وش.

الْغَايَاتِ، لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا: لاَيَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَلاَ يُنْقَلُونَ عَنْهَا؛ وإِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهُمَا لاَيُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ ولاَيَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ ٱللهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّيُّ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ لاَيَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلاَ تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُلُوجُ السَّمْعِ. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

وقام إليه رجل وقال: أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال عليه السلام: لَمَّا أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: (أَلَم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَيُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لاَتَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُلْتُ: يَارَسُولَ ٱللهِ، مَاهٰذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟ فَقَالَ: «يَاعَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي» فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ، أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ ٱسْتُشْهِدَ مَنِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي «أَبْشِرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَاءِكَ»؟ فَقَالَ لِي «إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً؟» فَقُلْتُ: يَارَسُولَ ٱللهِ؛ لَيْسَ هٰذَا مِنْ مَواطِنِ الصَّبْرِ، وَلٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ، وَقَالَ «يَاعَلِيُّ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ

بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ» فَقُلْتُ: يَارَسُولَ ٱللهِ؛ بِأَيِّ الْمَنَازِلِ[1] أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: «بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ».

الشرح

قوله عليه السلام: فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الله فليفعل الى آخره.

أي يحبس نفسه على طاعة الله[2].

كمرجل القين: العرب تسمي كل محترف قيناً قال الشاعر:

ولي كبد مجروحة قد بدابها * صدوع الهوى لو كان قين يقينها

وفي الصحاح فنت الشيء اقينه قيناً لمته واستشهد بهذا البيت، فمن ذهب إلى أن القين هو المتحرف أراد به بوطقه الصائغ ومرجل الصباغ، ومن ذهب إلى أن القين هو الحداد فحسب أراد به الحفرة التي يذاب فيها الحديد.

فبالايمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان:

أي من عرف منه التصديق بأركان الاسلام وجب الظن به وأنه يقوم بما يقتضيه الايمان ويدعو إليه واذا عرف منه سداد الطريقة وجب حسن الظن به بانه مؤمن، وبالايمان يعمر العلم قيل: إنما بتفصيل العلوم في الدين من كان عالماً بالجمل، ومن جهل الجملة؛ فهو من التفصيل ابعد؛ وقيل: العبادة سبب للسعادة الكبرى ومرجع العبادة الى المعرفة والايمان.

فان محبة الله لا تغلب على القلب إلا بعد المعرفة، والايمان والمعرفة سبب المحبة، والمحبة سبب كثرة الذكر، كما قال صلى الله عليه وآله. من أحب شيئاً أكثر ذكره، والذكر الكثير سبب للعبادة الظاهرة فان الالتذاذ، بذكر الله لا يحصل إلا بانقطاع علائق الشهوات، وذلك الانقطاع لا يتيسر الا بالاجتناب عن المعاصي لذلك قال أمير المؤمنين بالايمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان.

وبالايمان يعمر العلم: وقيل إن العلم علمان علم يتعلق بأحوال القلب وعلم يتعلق بالاعتقاد، أما الأول فمعرفة المنجيات، والمهلكات مثل الكبر والحسد والرياء، والعجب، وغير ذلك: وذلك فرض الايمان، فالعلم بذلك وبما ينفيه واجب على كافة العقلاء، فان هذا مرض

---

١ ـ في حاشية ن: فباية المنازل.

٢ ـ في ض: على طاعة وضغن غلا في صدرها كمرجل القين اي غليانا كغليان ما في مرجل القين.

عام و يعالج صاحبه بالعلم أما العلم بصحة البيع وعقد السلم والرهن وغير ذلك ففرض على الكفاية يجب على من يشتغل بشيء منه أن يعلمه وربما لا يحتاج أكثر الناس إلى ذلك ولكن لا يستغني الناس عن أحوال القلب.

اما الثاني وهو المتعلق بالاعتقاد، فهو ازالة الشك الطاري[١] على الاعتقاد فقول النبي صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة على كل مسلم، وقول أمير المؤمنين عليه السلام بالايمان يعمر العلم يدلان على أنَّ طلب العلم واجب على كل مؤمن، ولا يستغني عنه واحد من المؤمنين، ولكن مع تفاوت الطلاب وتفاوت العلوم، فيحتاج كل مؤمن إلى علم لا يتم ولا يقبل منه علمه إلا بذلك العلم.

مرقلين: أي مسرعين والارقال، ضرب من الخبب[٢].

ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله سبحانه الخلق هنا: السنة، يعني ان الدعاء الى المحاسن بالتعريف والهداية والتحسين، والصرف عن القبائح وسوء العاقبة سنة الله، فانه تعالى خلق الخلق ليهديهم الى المحاسن ويمنعهم عن القبائح حتى يستحق كل واحد منهم الثواب في العقبى، فهذه سنة الله في العباد، فمن أحيا هذه السنة بين العباد فدعا الى المعروف وأمر به ونهى عن المنكر وما رضي به، وكرّهه الى الناس سعد كذا وكذا، فاقام به كان آخذ بسنة الله تعالى حيث قال تعالى: «ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان،» وانهما لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، يعني ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينقصان العمر والرزق فلا يجب ان يخاف المسلم منهما.

ج: القين عند العرب كل من يعمل بالنار، والمراد به هاهنا الصياغ (بالايمان يستدل على الصالحات) أي من كان مؤمناً يدله إيمانه على فعل الاعمال الصالحة ومن علم كون غيره مؤمناً ثم شاهد منه الأعمال الشرعية علم ان له عليها ثواباً وانها من الصالحات، وكذلك اذا شاهد من غيره عملاً صالحاً صار ذلك أمارة له على ايمانه، (وبالايمان يعمر العلم) اي من لم يكن مؤمناً وإن حصل علوماً.

وبالعلم يرهب الموت: مقتبس من قوله تعالى: « إنما يخشى الله من

---

١ ــ طرأ على من القرآن: اي ورد واقبل يقال طرأ يطرأ مهموزاً اذا جاء مفاجأة.

٢ ــ الخبب محركة: ضرب من العدو اي الاسراع في المشي وقيل: الخبب هو السرعة وفي الحديث انه كان اذا طاف خب ثلاثا وهو ضرب من العدو.

عباده العلماء.

ع ــ ومن علم أنه لابدّ من الموت تزود لما بعد الموت، وقال عليه السلام: أكثروا ذكر هادم اللذات، وقال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: من تذكر الموت في كل يوم عشرين مرة فله أجر الشهداء.

ثم إن ذكر الموت إن كان للكراهة والتأسف على فوت لذات الدنيا، وذلك يبعد عن السعادة، وان كان تذكره ليزيد خوفه، ونفوره عن الدنيا ففيه فائدة الآ أنه مع ذلك يكره الموت، خوفا من معاصيه وتضييع زمانه، وأما العارف، فالموت عنده، مفتاح باب السعادة كما قال حذيفة بن[1] اليمان رضي الله عنه عند موته جاء الحبيب عند الحاجة إليه، ومن تخيل أن عمره طويل ماتزود للآخرة: ومن قرب الى نفسه الموت عمل للآخرة.

قال وأعلى الدرجات هنا أن لايحب الموت، ولايكرهه، ويختار لنفسه ما اختاره الله له كما قال أبو الدرداء[2] رضي الله عنه للحسن بن علي عليهما السلام: نعم الشيء الفقر والمرض، والموت، فالفقر يخفف

---

١ ــ حذيفة بن اليمان أبوعبد الله العبسي هاجر الى النبيّ صلى الله عليه وآله فخيره بين الهجرة والنصرة وشهد مع النبي احدا، وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله في المنافقين لم يعلمهم احد الا حذيفة اعلمه بهم رسول الله.

كان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فان حضر الصلوة عليه صلى عليه عمر وان لم يحضر حذيفة الصلوة عليه لم يحضر عمر وشهد حذيفة الحرب بنهاوند، وهو الذي فتح همدان والري والدينور وشهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين وتزوج بها مات سنة ٣٦.

٢ ــ عامر بن زيد الأنصاري المعروف بأبي الدرداء حكى ابنُ قتيبة ان أبا هريرة وأبا الدرداء اتيا عليا عليه السلام وقالا له: ان لك فضلا لا يدفع، ومعاوية يسألك ان تدفع اليه قتلة عثمان، قال عليه السلام: أتعرفانهم: قالا: نعم: قال: فخذاهم.

فاتيا محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والأشتر، فقالا: انتم من قتلة عثمان وقد امرنا بأخذكم فخرج اليهم أكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا نحن قتلة عثمان فقالا نرى أمرا عظيما فانصرفا الى منزلهما بحمص، ولم يشهد أبو الدرداء قتال صفين.

الحساب، والمرض يكفر السيئات، والموت باب الاخرة، فقال له الحسن بن علي عليهما السلام: من حسن توكله على اختياراته، ما تمنى غير ما اختاره الله له.

ج ــ المقصر: المجبس، وروى ناقع: أي يسكن للعطش.

ش ــ وبالايمان يعمر العلم: اللّام في العلم لتعريف العهد، وعني به علم الشريعة المرغب في تحصيلها شرعا من الكلام، والفقه، والتفسير، والأحاديث وما يتفرع على ذلك فانه يطلق لفظ العلم لعرف الشرع على ذلك، ومعلوم أن هذه العلوم إنما تحصل وتجدي وتنعم بعد حصول الايمان الذي هو التصديق بالله ورسله وما جاءوا به.

قوله عليه السلام في الفتنة: اعلم أن أصل الفتنة الاختبار، والامتحان، يقال فتنت الذهب إذا ادخلته النار؛ لتنظر ما جودته كذا قال الجوهري، والفتنة الضلال، من قوله تعالى: «ما أنتم عليه بفاتنين[1]»، أي بمضلّين، والشبهة: من قوله تعالى: «ابتغاء الفتنة[2]»، «وألا في الفتنة سقطوا[3]» والبلاء وقد فسر بذلك قوله تعالى: «وهم لا يفتنون[4]»، ويحتمل لفظ الفتنة في الخبر هذه المعاني كلها حيث فسره بقوله.

سيفتنون بأموالهم بعدي، ويمنون بدينهم على ربهم إلى آخره.

أي هم قومٌ يضلهم الشيطان، ويوقعهم في الشبهة والبلاء.

ج ــ الفتنة: البلية المهلكة المحرقة وكل اعتقاد فاسد، يتبعها الجهال.

وحيزت عني الشهادة ش: الحوز السوق الخفيف كأنه قال صرفت الشهادة عني إلي غيري والحوز: الجمع أيضا أي جمعت الشهادة لغيري مايلة عني.

---

١ ــ الصافات: ١٦١.
٢ ــ آل عمران: ٣.
٣ ــ التوبة: ٤٨.
٤ ــ العنكبوت: ٢٩.

للناس أن يرمي كل منهم في شنه الذي منه شربه وطهوره تميرات بحيث ينكسر ملوحته مالم يتغير ولم يُسْكِرْ، فاذا أسْكَرَصار حراما، فمن قاسه بعد التغير عليه، قبل ذلك واستحله وهو مسكر، وقال ثمرة طيبة وماء الطهور، فهو من أهل الفتنة وقد باء بغضب من الله.

والسحت[1]: الرشوة؛ ومن افتتن بمذهب فاسد؛ ومن المذاهب المبتدعة؛ فعلى الامام حل شبهته؛ فان رجع وإلا فالله من وراءه بخلاف المرتد فان له أحكاما مخصوصة؛ مذكورة في كتب الفقه.

* * *

١ ــ في ض هنا زيادة وهي : السحت : الرشوة والرباء على البيع الذي مثل الربا في حصول الزيادة بكل واحد منهما فما بالكم ايها المسلمون تحكمون بحلية البيع المستلزم لزيادة الفائدة وتحكمون بحرمة الرباء المشابهة لذلك في حصول الزيادة.

قال الله تعالى ردا عليهم وعلى اتباعهم من الضلال واحل الله البيع وحرم الربا اي انما يصير الشيء حلالا وحراما بتحليل الله تعالى اياه او تحريمه فقط لا بحكم المشابهة والمقايسة كما ظنه الجهال.

١٥٥ ــ ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلاً عَلَى آلاَئِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ ٱللهِ، إنَّ ٱلدَّهْرَ يَجرِي بِالْبَاقِينَ كَجْرِيهِ بِالْمَاضِينَ، لاَيَعُودُ مَاقَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلاَ يَبْقَى سَرْمَداً مافِيهِ. آخِرُ فِعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ[١]، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلاَمُهُ، فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَٱرْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ.

إِعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ: لاَيَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلاَ يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَإِلَيْهِ. أَلاَ وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى.

عِبَادَ ٱللهِ: ٱللهَ ٱللهَ فِي أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَوْضَحَ[٢] سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ. فَشِقْوَةٌ

---

١ ــ في ح : متشابهة اموره .

٢ ــ في ض وح وب : قد اوضح لكم سبيل الحق .

لاَزِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لأَيَّامِ الْبَقَاءِ، قَدْ دُلِلْتُمْ[1] عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لاَتَدْرُونَ مَتَى تُؤْمَرُونَ بالسير[2] أَلاَ فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ؟!

عِبَادَ ٱللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ ٱللهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلاَ فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ! عِبَادَ ٱللهِ؛ ٱحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الأَطْفَالُ.

ٱعْلَمُوا، عِبَادَ ٱللهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لاَتَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ[3]، وَلاَ يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ، وَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لاَحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمَفْرَدِ غُرْبَةٍ! وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الأَبَاطِيلُ، وَٱضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ وَٱسْتَحَقَّتْ بِكُمْ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمْ الأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَٱعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وَٱنْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

١ــ في ش: فقد دللتم.

٢ــ في م وب: بالمسير.

٣ــ في ب: ظلمة داج.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من فضله.

ع ـ الحمد لايليق إلا بعد سوابق النعم فان شكر من لم ينعم، غير ملائم، وهو تعالى المنعم على الحقيقة، والحمد سبب يوجب استحقاق الثواب وقد يصير النعم العاجلة صلاحا عنده، فسمي سببا من هذا الوجه.

ودليـلاً على آلائه وعظمته: يجب على العبد نوعان من تعظيمه سبحانه.

أحدهما: يرجع إلى ذاته لكونه قادرا عالما حيا مع سائر الصفات.

والثاني: يرجع إلى إنعامه وإحسانه وكلاهما واجبان على العبد، تعظيم ذاته بصفاته الذاتية وتعظيمه لأفعاله الحسنة النافعة، وقيل لو تفكر العقلاء بأسرهم في صور تلك المملكة الالهية، لما وجدوا هيئة أحسن من تلك الهيئة، ونظاما أليق من نظامها بالحكمة.

لو كان وراء ذلك كمال ممكن ولم يخلق الله تعالى لكان ذلك إما عجزا وإما بخلا، وهما مستحيلان عليه تعالى، وكل ما خلقه تعالى من الآلام، والأسقام والقحط والمهالك عدل، لأن الظالم هو الذي يتصرف في ملك غيره ولا ملك سوى ملكه، ولا مالك سواه فلذلك قال عليه السلام دليلا على آلائه وعظمته:

والزاجر: هنا السابق، والشول النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحدة شائلة وهو جمع على غير قياس.

وارتبك الرجل في الأمر: أي نشب فيه، ولم يكد يتخلص منه.

وكأن الصيحة قد اتتكم: عنى بالصيحة العذاب أو النفخة الأولى من اسرافيل.

واستحفت بكم الحقائق: أي ظهر لكم حقائق ماكنتم تخبرون بها، وعلمتم المخبر عنه مشاهدة، من طريق الوجدان، قال بعض المفسرين في قوله تعالى: «الحاقة ماالحاقة»: أي حقيقة كاشفة عن حقائق الأمور لامرية فيها دونه.

ج ـ جعل الحمد مفتاحا لذكره: الذكر هنا القرآن كما في قوله تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر[1]» أي صدر كتابه المجيد بتلقينه عباده الحمد له على نعمه وإفضاله لينظروا فيه فيستدلوا على عظمته وجلاله، وعلى أنه منعم بفتون النعم على جميع الأمم، ثم جعل الحمد سببا لمزيد النعم في قوله: «لئن شكرتم لأزيدنكم[2]».

متسابقة أموره: أي تسابق ويتسارع، منح الدهر ومحنه: سراؤه وضراؤه.

والحمة: السم استعارها لعواقب الذنوب.

والرصد: قوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والمؤنث.

والعيون: الجواسيس وليل داج: مظلم ولا يكنكم: أي لايستركم.

ذو رتاج: إغلاق زاحت: أي بعدت اضمحلت: زالت استحقت: أي صحت وَوَقَعَتْ.

* * *

---

١ ـ الحجر: ٩. ٢ ـ ابراهيم: ١٤.

١٥٦ــ ومن خطبة له عليه السلام

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُسِلِ، وَطولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدى بِهِ: ذٰلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ، أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دائِكُمْ، وَنَظْمَ مَابَيْنَكُمْ.

منها: فَعِنْدَ ذٰلِكَ لاَيَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَوَبَرٍ، إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لاَيَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلاَ فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ، أَصْفَيْتُمْ(١) بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ ٱللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ: مَأْكلاً بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ: مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ، وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ، وَزَوَامِلُ الآثَامِ، فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تَلْفِظُ النُّخَامَةَ، ثُمَّ لاَتَذُوقُهَا وَلاَ تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَاكَرَّ الْجَدِيدَانِ.

* * *

١ ــ في م: اصطفيتم بالامر.

١٥٧ ــ ومن خطبة له عليه السلام

وَلَقَدْ أَحْسَنْت جِوَارَكُمْ، وَأَحَطْتُ مِنْ وَرَائِكُمْ؛ وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبقِ الذلّ، وَحِلَقِ الضَّيْمِ، شُكْراً مِنّي للْبرِّ الْقَلِيلِ! وَإطْرَاقاً عَمَّا أدْرَكَهُ الْبَصَرُ، وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِير[١].

الشرح

قوله: وطول هجعة من الأمم.

يقال أتيته بعد هجعة أي بعد نومة خفيفة من أول الليل.

والحديث عن الماضي: من مبدأ الخلق وقصص الأنبياء الماضين.

ودواء دائكم: من قوله تعالى: جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور[٢]، وننزل من القرآن: ماهو شفاء ورحمة[٣]، ومن قول النبي صلى الله عليه وآله: القرآن هو الدواء.

والزاملة: بعير يستظهر به الرجل، ويحمل متاعه وطعامه عليه.

لتنخمنها أمية: يعني أن بني أمية يفارقها الخلافة، ولايعود اليهم كما لايعود النخامة إلى مجاري ذوق لافظها وكان الأمر كما قال عليه السلام.

ج ــ الهجعة: النوم والغفلة، والترحة: الحزن والنقمة: العقوبة.

والمقر: الصبر والمر أيضا.

الربق: الحبال وأطرق الرجل: سكت ونكس رأسه مرخيا عينيه ينظر الى الارض.

* * *

١ ــ في حاشية م: من المنكر الكبير.

٢ ــ يونس: ٥٧.

٣ ــ الاسراء: ٨٢.




انتشارات عطارد